



جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ

الدور السياسي والحضاري لسلطنة دلهي 603-933هـ/ 1206-1526م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط

من إعداد الطالب: | **إشراف الأستاذ الدكتور**
معمر جعيرن | احمد شريفي

السنة الجامعية:1440 /1441هـ --- 2019/2018م





جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الدور السياسي والحضاري لسلطنة دلهي 603-933هـ/ 1206-1526م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط

من إعداد الطالب:

معمر جعيرن

إشراف الأستاذ الدكتور

احمد شريفي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د بشار قويدر	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	رئيسا
أ.د أحمد شريفي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	مقررا ومشرفا
أ.دة نبيلة عبد الشكور	أستاذة التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
د. عبد الحميد خالدي	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
د. مراد تاجنانت	أستاذ التعليم العالي	جامعة البليدة 2 العفرون	عضوا مناقشا
د. ميلود بن الحاج	أستاذ محاضر أ	جامعة الجلفة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:1440 /1441هـ --- 2019/2018م


بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المختصرات

ط: طبعة

تر: ترجمة

تح: تحقيق

ت: تاريخ وفاة

هـ: التاريخ الهجري

م: التاريخ الميلادي

ج: الجزء

مج: مجلد

ق: قسم

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى: إلى روح أمي التي لم تلدني جدتي الغالية رحمها الله.

إلى من قال فيهما الله عز و جل "و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة، و قل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا".

إلى منبع الحنان و قرة الأعين، إلى جنتي في الدنيا و الآخرة، إلى رمز الطهارة و النقاء، إلى من سهرت من اجلي الليالي، و صلت داعية الله أن يفتح لي أبواب الخير إلى أكثر من يستحق الثناء إليك "أمي الحبيبة "حفظك الله من كل سوء.

إلى مثلي الأعلى، إلى الغالي الذي سكن أعماقي قلبي، و علمي الفضيلة و الأخلاق و بث فيا روح التقوى و الثبات"أبي العزيز" حفظه الله.

إلى سندي زوجتي حفظها الله وابني الحبيب الغالي محمد الفاتح.

والى كل أفراد العائلة من الصغير مصطفى إلى الكبير محمود.

الى كل من أحببتهم و أحبوني و وسعهم قلبي و لم تسعهم مذكرتي.

شكرا

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين حمدا يليق بذاته العلية ووجهه الكريم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله، وانطلاقا من ذلك فإنه لا يسعني في هذا المقام إلا ان اتقدم بكل معاني الشكر واسمى آيات التقدير الى كل من وقفوا بجانبي ومدوا لي يد العون وتحملوا معي مشقة البحث وعنائه فصبروا وافاضوا بعلمهم ووجهوا بفكرهم إلى الطريق الصحيح حتى خرج البحث على صورته الحالية، وهنا أخص بالذكر أبي قبل أستاذي الدكتور أحمد شريفي الذي غرس نبتة هذا العمل وتعهده بالرعاية والتقويم والنصح والارشاد، حيث يسر كثيرا من صعابه ولم يبخل علي بوقته و فكره، فاللهم اجعل ذلك في ميزان حسناته وبارك له واجزه عني وعن العلم واهله خير الجزاء.

كما اتقدم بالشكر الى جميع اساتذتي الذين درسوني عبر جميع الأطوار في قسم التاريخ بجامعة ابو القاسم سعد الله الذين نهلت من علمهم، وكذلك اتقدم بالشكر إلى زملائي في جامعة الاغواط الذين دائما ما حفزوني لإتمام هذا البحث.

كما لا يفوتني ان اتقدم بالشكر الى اعضاء لجنة المناقشة وعلى رأسهم أستاذي الجليل والقدير بشار قويدر الذي دائما ما كنت أراه قدوة في الأستاذية وإلى أستاذتي الأم الحنونة الدكتورة نبيلة عبد الشكور التي لا تكل ولا تمل من النصح والارشاد، وكذلك إلى أستاذ المصادر الدكتور خالدي عبد الحميد الذي تعلمنا على يده قراءة المصادر، دون أن أنسى الأساتذة الكرام من البليدة الدكتور مراد تاجنانت وكذا الدكتور بن الحاج ميلود من جامعة الجلفة.

وفي النهاية لا يفوتني ان اشكر كل من ساعدني في انجاز هذا البحث خصوصا القائمين على المكتبات والمؤسسات العلمية سواءا داخل الوطن او خارجه.

مقدمة

مقدمة

الحمد لله فاطر السماوات والارض والصلاة والسلام على اشرف خلق الله محمد الامين، اما بعد:

إن تاريخ شبه القارة الهندية بصفة عامة يكتنفه العديد من الغموض خصوصا قبل الفتح الاسلامي، وتعد بلاد الهند بدرجة خاصة من المناطق ذات الثقل الحضاري، إذ تعاقبت عليها العديد من الحضارات على مدى حوالي خمسة آلاف عام، تركت تراثا حضاريا ضخما في شتى الميادين، وجاء اهتمام المسلمين بها لأنهم كانوا يرون فيها مصدر للغرائب والعجائب والكنوز الثمينة والعلوم والآداب، لهذا دخل الإسلام إلى بلاد الهند في فترة مبكرة على يد التجار الذين كانوا على صلة بالهند في بداية العصر الإسلامي، على أن الإسلام دخل رسميا على نطاق واسع إلى الهند على يد محمد بن القاسم سنة 92هـ، بعدها بدأت تتعاقب الدول الإسلامية على الهند مثل الدولة الغزنوية والدولة الغورية ودولة المماليك في الهند، والدولة الخلجية، والدولة الطغلقية.

وهاته الدول الإسلامية التي حكمت الهند لفترة طويلة تزيد على ألف عام تركت تراثا حضاريا معماريا وثقافيا وفنيا ضخما ومتميزا جعلها من المناطق ذات الثقل الحضاري، إذ أمدتنا الدول الإسلامية في الهند بعدد كبير من المدن الإسلامية مثل طغلق أباد، ودلهي، وأجرا، وفتح بورسيكري وعليكرة، وغيرها من المدن الإسلامية الهامة التي تميزت باشتمالها على مئات العمائر الإسلامية الفخمة الضخمة، ما بين مساجد واسعة فسيحة وعلى رأسها المسجد الجامع في فتح بورسيكري، والمسجد الجامع في أجرا، والمسجد الجامع في دلهي، وأضرحة شاهقة البنيان وعلى رأسها ضريح همايون الضخم الشهير، وضريح اعتماد الدولة بزخارفه وفنونه، وضريح شاه جهان وممتاز محل الذي يعد من عجائب الدنيا السبع في فن العمارة والبناء، والقصور المنيفة مثل قصر جهانجير بأجرا، وقصر الديوان العام والديوان.

و يرجع الفضل كل الفضل الى المسلمين الفاتحين الذين أظهروا تراثها للعالم منذ فجر الاسلام ومطلعه، وهنا نقول ان التاريخ السياسي والحضاري للهند لاسيما في الفترة الزمنية التي نحن بصدد دراستها هو من الموضوعات بالغة الاهمية في مجال التاريخ والحضارة الاسلامية والتي هي في امس الحاجة الى مزيدا من التعريف بها وتسليط الضوء على جنباتها، فبلاد الهند بما حظيت به من امكانيات طبيعية وبشرية احاطت بها، اضافة الى ما توفر لها من عوامل سياسية، اضحت ميدانا جديدا من ميادين الجهاد في سبيل نشر الدين والحضارة الاسلامية.

ولم يكن عصر سلاطين دلهى مجرد حقبة عادية في تاريخ الهند الإسلامية، ولا نقول مبالغة إذا اعتبرنا أن هذه الحقبة واحدة من أهم وأبرز حقب هذا التاريخ، فخلال هذه الحقبة وصل النفوذ الإسلامي في الهند إلى أقصى اتساع له، حين بسط هؤلاء السلاطين نفوذهم على معظم مناطق الهند، حقيقة أن هذا التفوق لم يكن طيلة هذه الحقبة، لكن مع ذلك يبقى لهذه الحقبة أهميتها ورونقها في تاريخ الهند الإسلامية.

وقد صاحب هذه الأهمية اهتمام مماثل من الباحثين بدراسة هذه الفترة، فخرجت العديد من الدراسات التي تناولت هؤلاء السلاطين بشكل عام، أو جزء من تاريخهم، وتنوعت هذه الدراسات لتغطى معظم جوانب تاريخ هذه الحقبة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

وبرغم هذا التنوع إلا أن المكتبة العربية ما زالت تفتقر لدراسات كافية عن هذه الحقبة برغم أهميتها، ومن هنا جاء اهتمامي بدراسة هذا العصر وتحديدًا المجال الحضاري و السياسي لسلطنة دهلي، ورغم وجود بعض الدراسات التي عنيت بالجانب الحضاري الهندي في العصور الوسطى لكنها كانت دراسات عامة تناولت هذا الموضوع بشكل عام، أو جزئية واحدة منه.

ومن هذا المنطلق جاء سبب اختياري لهذا الموضوع الذي اهدف بواسطته ان اتمكن من تسليط مزيدا من الضوء على الدور السياسي والحضاري الذي لعبته سلطنة دهلي في تلك الفترة، وكذلك ما شجعني للخوض في هذا الموضوع هو إلحاح الأستاذ المشرف الدكتور أحمد شريفي على البحث في تاريخ شبه القارة الهندية، ومن جهة أخرى كذلك تكملة في نفس المسار الذي بدأته في طور الماجستير والذي كان عن الدولة الغورية. وكذلك بغية الاجابة على الاشكاليات التالية: ماهو الدور الذي لعبه سلاطين دهلي في نشر وترسيخ تعاليم الدين الاسلامي في الهند ؟ وهل وفق المسلمون الفاتحون في مسعاهم ؟ وهل تأثر الفاتحين بأهل البلاد الأصليين أو العكس ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة المطروحة اعتمدت على المنهج التاريخي التحليلي الوصفي بالاعتماد على المصادر والمراجع التي لها علاقة مباشرة بالموضوع وهي بالخصوص كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين او الكتب لمؤلفين كانوا على دراية بأحوال الهند.

وللإجابة على هاته الاشكالية كذلك إتبعت الخطة التالية

المقدمة والتي عرفت فيها بالموضوع وسبب اختياره و الاهمية وكذا الهدف المرجو منه وقمت فيها بدراسة تحليلية لاهم المصادر والمراجع التي ساعدتني في انجاز هذا البحث، أما الفصل الاول والمعنون ب جغرافية الهند واحوالها قبل وأيام الفتح الاسلامي والذي تطرقت فيه الى جغرافية الهند من حيث الموقع والتضاريس والتسمية، اما الشق الثاني فكان لأوضاع الهند قبل الفتح الاسلامي يعني أيام الوثنية، وكذا الديانات التي كانت منتشرة أنذاك وعرجت فيه الى اوضاعهم السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وفي المبحث الثاني تطرقت الى مراحل انتشار الاسلام في الهند وأهمها مرحلة الاتصالات التجارية وهذا للأهمية الكبرى التي لعبتها القوافل التجارية في ربط العلاقات اولا ثم المساهمة في نشر الاسلام، وكذلك هجرات المسلمين للهند، وفي المبحث الاخر تطرقت الى الفتح الاسلامي للهند والتي كانت عبر مراحل، وفي المبحث الرابع تطرقت لقيام مماليك سلطنة دهلي الذين كانوا من أجناس مختلفة، وصلوا إلى السلطة، بفضل ما اتصفوا به من شجاعة وبسالة وكفاءة، وكان شأنهم شأن مماليك مصر يحرصون على تخليد أسمائهم بإقامة المنشآت الكبيرة مثل المساجد الفخمة والعمائر الرائعة وكذا الدور البارز في نشر تعاليم الدين الاسلامي والرفع من شأنه، أما الفصل الثاني فكان للنظم السياسية والادارية التي امتازت بها سلطنة دهلي والتي عرجت فيها الى السلطان الذي كان هو هرم السلطنة والذي كان يختار من قبل الرجال الاكثر نفوذا في الحاضرة، وتطرقت كذلك في هذا الفصل الى كبار موظفي البلاط والدواوين ومسؤولياتهم ودورهم في تنظيم الشؤون الادارية للدولة، وأخيرا تطرقت الى العلاقات الخارجية التي تميزت بها السلطنة وتأثيراتها حيث ربطتها العديد من العلاقات خصوصا في المجال التجاري والثقافي بالدرجة الاولى، أما الفصل الثالث والذي عنونته بالنظم الاجتماعية للسلطنة حيث تطرقت في المبحث الاول الى عناصر المجتمع في الهند والذي انتشر به العديد من الطوائف والاجناس وتنوعوا بين عرب وفرس وأفغان وترك ورقيق، اما المبحث الثاني فكان للطوائف الدينية المنتشرة في الهند زمن السلطنة من سنيين وشيعة وصوفية وكذلك الغير مسلمين، أما المبحث الثالث فكان لمظاهر الحياة الاجتماعية من اعياد ومأكل وملبس ومراسم الاعراس وزيارة القبور، وكذا المجالس العلمية، وكان المبحث الرابع على المرأة في المجتمع الهندي في ظل الاسلام والتي ردت إليها كرامتها وأصبحت موضع تقدير واعتزاز، وارتفع عن كاهلها كثير من الذل والهوان والظلم واعلى الحكم الاسلامي من قدرها، وأخر مبحث في هذا الفصل كان على العمارة الهندية ودور السلاطين فيها وأبرزها عمارة المساجد والمدارس، وفي الفصل الرابع الذي كان عنوانه الحياة الاقتصادية فعرجت فيه على التوالي الى الزراعة والصناعة والتجارة وكذا الادارة

المالية حيث ان المساحة الواسعة التي امتازت بها الهند وكذا تنوع مناخها وسهولها العظيمة وانهارها العديدة وكذا رغبة السكان في مزاولة العمل في الارض كلها عوامل ساهمت في إزدهار الزراعة بها وكذلك تطور الصناعة التي هي مرتبطة ارتباطا وثيقا بإزهار الزراعة التي هي المادة الأولية للصناعة و بإزدهارهما أكيد تزدهر التجارة سواءا الداخلية او الخارجية، وفي الفصل الخامس والاخير والذي كان تحت عنوان الحياة العلمية والثقافية والذي عالجت فيه عوامل ازدهار الحياة الثقافية في الهند وكذلك تطرقت الى الدور البارز الذي لعبه السلاطين في تشجيع العلم والعماء و اما المبحث الثالث فكان للوفود من العلماء والادباء الذين زاروا الهند، ثم عرجت على مراكز العلم بالمنطقة وأخيرا العلوم والعلماء في السلطنة.

وقد ساعدتني في كل فصول الرسالة العديد من المصادر والمراجع أذكر اهمها:

من المصادر العربية الهامة لتاريخ الهند كتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" لمؤلفه "أحمد بن يحي بن فضل الله شهاب الدين العمري " (ت 749هـ/1349م) من أعيان علماء القرن الثامن الهجري، تولي العديد من المناصب الهامة "بالقاهرة" وخاصة في ديوان الإنشاء، وكان له قدم راسخ في الأدب والإنشاء والتاريخ والجغرافيا، صنف عدة مؤلفات أهمها كتاب "مسالك الأبصار"، وهو كتاب ضخم شامل في المعارف العامة، وقد استمد "العمري" معلوماته من الكتب التي فقد كثير منها الآن، كما أورد مواد هامة اقتبسها شفاهياً من معاصريه من الرحالة والتجار والسفراء، وقد مدحه "الصفدي" بقوله "ولم أر من يعرف تواريخ ملوك المغول من لدن جنكيز خان وهلم جرا معرفته، وكذلك ملوك الهند والأتراك، وأما معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم ومواقع البلدان وخواصها فإنه فيها إمام وقته.

وخصص "العمري" للهند باب طويل سماه "مملكة الهند والسند" تضمن أخبار هامة في النواحي السياسية والإدارية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية للهند فترة حكم السلطان "محمد شاه تغلق" (725هـ-752هـ/ 1325م-1351م)، وقد استمد معلوماته من أفواه السفراء والرحالة الذين عايشوا السلطان أو قابلوه أو زاروا الهند في عهده، ومما يزيد من قيمة هذا الكتاب أنه يضم حقائق تاريخية وخاصة في النواحي الحضارية والتي لا توجد في المصادر الفارسية التي تؤرخ لذلك العصر.

كما يعد كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" من المصادر العربية العامة لتاريخ الهند، ومؤلفه هو "أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد القلقشندي" (ت 861هـ/1418م) الذي برع في اللغة العربية والأدب والفقه والأنساب والتاريخ، وقد شغل وظيفة التوقيع في ديوان الإنشاء، ويعد "صبح الأعشى" من أهم مؤلفاته، وهو مؤلف موسوعي رتبه على مقدمة وعشر مقالات وخاتمة، وتناول "القلقشندي" الهند في المجلد الخامس من كتابه، ونقل فيه معلومات قيمة عن الأوضاع السياسية والعسكرية والمعمارية والاقتصادية والثقافية والمذهبية والاجتماعية للهند في ذلك الوقت، وهو من المصادر الهامة للتأريخ لعصر السلطان "محمد تغلق شاه" الذي كان معاصرا له.

و"طبقات أكبري" للمؤرخ "نظام الدين أحمد بخشي" (ت 1030هـ/1621م)، ويغطي كتابه الفترة من الفتح الإسلامي للهند حتى نهاية حكم الإمبراطور "أكبر شاه"، وقد عثر على مخطوطتين لذلك الكتاب: الأولى هي نسخة "أوده" ونشرت سنة 1292هـ/1875م، وهي نسخة كاملة إلا أنها مليئة بالألفاظ المحرفة، والنسخة الثانية هي نسخة "كلكتا"، وقد نشرت سنة 1911م، وهي للأسف ناقصة، وقد ترجم "طبقات أكبري" من الفارسية إلى العربية. أحمد عبد القادر الشاذلي تحت عنوان: المسلمون في الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني في ثلاثة أجزاء، وإن كان العنوان لا ينطبق على الفترة الزمنية للكتاب، فمن الملاحظ أن كتاب "طبقات أكبري" ينتهي عند نهاية حكم الإمبراطور "أكبر شاه" وليس عند بداية الاستعمار البريطاني.

ويعرض الجزء الأول من كتاب "طبقات أكبري" التاريخ الإسلامي للهند منذ فتوحات السلطان الغزنوي "سبكتكين" لها ويتناول فيه حكم الدولة الغزنوية للهند، ثم الفتح الغوزري للهند، ويتعرض بالتفصيل لفترة حكم سلاطين "دلهي" للهند حتى الفتح المغولي لها، ويؤرخ في الجزء الثاني لفترة حكم السلطان "أكبر شاه"، ويتميز هذا الجزء بمعاصرة مؤلفه للأحداث، أما الجزء الثالث فيفرد الحديث عن السلطنات الإسلامية المستقلة في الهند في الدكن والكجرات ومالوه وخاندش والبنغال وجونبور والسند وكشمير، وكانت نهاية غالبية هذهع السلطنات بفتح السلطان "أكبر شاه" لهما، ويعالج "الهروي" تاريخ هذه السلطنات باختصار، وإن استعرض سلاطين الدكن والكجرات ومالوه بشيء من التفصيل.

"طبقات ناصري" "لمنهاج سراج جوزجاني" (590هـ/1193م: 658هـ/1259م) من المصادر الهامة لتاريخ المسلمين في الهند، قدم "منهاج سراج" إلى الهند سنة 625هـ/1227م، وعمل

قاضيًا في بلاد "نصير الدين قباشه" في "أوش"، وبعد نجاح سلطان "دلهي" " إيلتمش" في ضم الملتان سنة 626هـ/1228م، انتقل "منهاج" إلى بلاطه في "دلهي". و"طبقات ناصري" هو تاريخ عام للدول الإسلامية وخاصة في إيران، ويعد الجزء الذي أرخ فيه للدولتين الغزنوية والغورية من المصادر التاريخية الهامة لفتوحات سلاطينهما في الهند، كما أنه من المصادر الهامة لتاريخ البنغال، بل إنه يعد المصدر المعاصر الوحيد للتأريخ للبنغال في الفترة من الفتح الإسلامي لها حتى سنة 658هـ/1259م، وقد قضي "منهاج" عامين في البنغال 640هـ-641هـ/1242-1243م، تمكن خلالهما من جمع المادة العلمية الخاصة بكتابه، كما أنه كان معاصراً لكثير من الأحداث الهامة التي لم يرد ذكرها إلا في كتابه، ومن أهم مميزات "منهاج" في كتابته التاريخية اهتمامه بذكر التطورات الحضارية للمجتمع الإسلامي في الهند. وتميز كتاب طبقات ناصري بالتزام الموضوعية والبعد عن الخرافة والتركيز على الأحداث السياسية التي عاصرها مؤلفه أو نقلها عن مصادر ثقة، ومن هنا قد استفدت من هذا المصدر في دراسة الحياة السياسية لإقليم الهند في عهد الدولة الغورية والمملوكية.

كما زار الهند "أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي" في أوائل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وكتب عنها في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، وقد اهتم بالحديث عن حكامها في ذلك الوقت، وعن أوضاع المسلمين في عهدهم وإكرامهم للمسلمين، كما يذكر "المسعودي" تفاصيل عن أوضاع المملكة من الناحية العسكرية، ويتحدث عن عملتها، كما تحدث عن انتشار التجار المسلمين من كثير من البلدان الإسلامية في الموانئ الهندية. وقد أمدنا "المسعودي" بمعلومات سياسية واجتماعية واقتصادية هامة عن الهند في تلك الفترة.

ومن الرحالة المسلمين الذين زاروا الهند أيضا "أبو اسحق إبراهيم الاصطخري" (ت 346هـ/957م)، الذي قدم إليها في حدود النصف الأول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وقد أمدنا بمعلومات قيمة في كتابه "المسالك والممالك" عن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية لبعض موانيها التي زارها وأوضاع التجار المسلمين بها.

ويعد كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" "لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد المقدسي" من المصادر الهامة لتاريخ الهند والسند، فقد أضاف معلومات قيمة عن الحياة الفكرية

والمذهبية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في وقته في السند في فترة حكم الدويلات المستقلة بها.

كما ذكر "أبو عبد الله محمد بن عبد اله بن إدريس الحسنى الإدريسي" (ت468هـ/1166م) في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" معلومات هامة عن أهم حكام الهند في وقته وعلاقتهم بالتجار العرب، فتكلم عن مملكة "البلهرا" ووصفها بالازدهار في عصره، ويشير إلى ترحيب حكامها "البلهرا" بالتجار العرب، وما قدموه لهم من تسهيلات تجارية كبيرة، مما أدى إلى زيادة التجارة العربية مع الهند.

كما يعد "معجم البلدان" لياقوت الحموي (ت 626هـ/1228م) من المصادر الجغرافية الهامة التي أشارت إلى عدد من موانئ الهند والسند المزدهرة في ذلك الوقت، فيذكر إعزاز ملك "البلهرا" للمسلمين بهما، ويؤكد على تمتع المسلمين في عهده بالحرية الدينية الكاملة.

ومن الرحالة المسلمين الذين ورد ذكر الهند في كتبهم "زكريا بن محمد القزويني " (ت681هـ/1282م) الذي تحدث عن بعض مدنها في كتابه "آثار البلاد وأخبار العباد" وقد استمد معلوماته عنها من أحد الرحالة المسلمين وهو "مسعر بن المهلهل" صاحب كتاب "عجائب البلدان"، وقد أورد "القزويني" في كتابه معلومات اجتماعية واقتصادية ودينية قيمة عن بعض موانئ ومدن الهند والتي من أهمها "صيمور" و"سومنات" وغيرها.

وكذلك زار الرحالة الإيطالي "ماركوبولو" الهند في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وقد أمدنا بمعلومات هامة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية للهند وقت زيارته لها، إلا أنه مما يؤخذ عليه أنه لم يزر كل أقاليم الهند وخاصة الأقاليم الداخلية منها.

ويعد "ابن بطوطة" (ت777هـ/1375م) من أهم الرحالة المسلمين الذين زاروا الهند في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وقد تحدث عنها في كتابه المشهور "برحلة ابن بطوطة" المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، وأمدنا بمعلومات قيمة عن سلطنة "دهلي" فترة حكم السلطان "محمد بن تغلق" (725هـ/1325م: 752هـ/1351م)، وقدم لنا وصفا دقيقا عن أهم الأحداث السياسية في عصره والتي منم أهمها الثورات التي نشبت في عهده، كما

قدم "ابن بطوطة" وصفا جيدا للمدن والموانئ التي زارها، وقد أمدتنا رحلة "ابن بطوطة" بتصوير جيد للحياة السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية في الهند أثناء فترة إقامته بها.

وكتاب "الكامل في التاريخ" لابن الاثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني 630هـ/1233م)، ويعتبر ابن الأثير من أبرز المؤرخين المسلمين الذين أولوا عناية فائقة بدراسة التاريخ الإسلامي العام، وقد استفدت من هذا المصدر في دراسة الحياة السياسية لإقليم الهند، والتي تناولها المؤلف بالشرح والتحليل، وذلك من خلال عرضه للغزوات التي تمت في عهد الدولة الغزنوية والغورية.

و كتاب فتوح البلدان لأبي الحسن أحمد بن يحيى البلاذري (ت279هـ/892م) إذ أمدنا بمعلومات قيمة عن المحاولات الأولى لفتح بلاد السند والهند إذ أسهب في ذكر الحملات وقادتها والمدن التي فتحوها وكان خير معين لنا في الفصل الأول مثله مثل كتاب تاريخ اليعقوبي، لليعقوبي (ت 292هـ/1362م) الذي أمدنا بمعلومات عن البدايات الأولى لفتح بلاد الهند فضلا عن المعلومات التي قدمها لنا في تحديد المواقع والبلدان.

كما أفادنا كتاب "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة بالعقل أو مرذلة" للبيروني (ت 440هـ/1048م) الذي كان قد زار الهند ومكث فيها في عهد السلطان محمود الغزنوي (ت 421هـ/1027م) وقدم لنا دراسة عملية وافية عن بلاد الهند وعمليات الفتح وذكر عاداتهم وتقاليدهم والوسائل التي انتشر فيها الإسلام وقدم معلومات مهمة .

ومن كتب الطبقات والتراجم التي شكلت موردا مهما في بناء الأطروحة وقد أفادتني فائدة عظيمة للتعريف بالأعلام الواردة في الأطروحة ومعرفة مؤلفاتهم ومكانتهم العلمية وإسهاماتهم في رفد الحضارة العربية الإسلامية ولعل من أبرزها، كتاب سير إعلام النبلاء للذهبي (ت748هـ/1347م) وكتاب طبقات الحفاظ لنفس المؤلف إذ أمداني بتراجم وفيرة.

وبخصوص المراجع:

كتاب "بلاد الهند في العصر الإسلامي منذ فجر الإسلام حتى الغزو المغولي" للمؤرخ المعاصر أ.د/ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، والذي تناول فيه التاريخ السياسي والحضاري للمسلمين في الهند من الفتح العربي حتى الغزو التيموري، ويعتبر هذا الكتاب من أول المراجع العربية التي اعتنت بدراسة تاريخ وحضارة الإسلام في الهند بالتفصيل حيث اهتم المؤلفون قبله برصد الحركة السياسية دون الاهتمام بالجانب الحضاري، وهذا ما جعله على قائمة المؤلفات التاريخية الخاصة بدراسة التاريخ الإسلامي في الهند.

وقد استفدت من هذا المؤلف في دراسة الجانب الحضاري، حيث كشف لي الكتاب نقاطا عديدة كانت غامضة في هذا الجزء.

قدمت لنا المراجع معلومات قيمة جدا إذ أمدت الدراسة ببعض الآراء وما توصلت إليه من استنتاجات من خلال تطرقهم في كتبهم عن بلاد الهند ويأتي في مقدمتها كتاب تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم لأحمد محمود الساداتي إذ كان خير معين لنا في تقديم وصفا دقيقا للهند وعمليات الفتح وانتشار الإسلام فيها. أما كتاب محمد عبد المجيد العبد الاسلام والدول الاسلامية في الهند فقد قدم لنا معلومات قيمة عن الازدهار الحضاري لمسلمي شبه القارة الهندية. كما أفدنا من كتاب تاريخ الاسلام في الهند لمؤلفه عبد المنعم النمر إذ قدم لنا معلومات قيمة عن أحوال بلاد الهند خلال الفترة المدروسة وقد أفدنا منه في أغلب فصول الأطروحة، وكتاب محمد إسماعيل الندوي، تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية إذ قدم لنا معلومات قيمة عن تاريخ تلك الصلات من القدم ثم تطرق إلى الصلات التجارية والثقافية في العصور الإسلامية. ,افدنا هو الاخر في جميع فصول الرسالة ، كما تعد مؤلفات عبد الحي الحسيني من أبرز اللمؤلفات التي استفدنا منها في كتابه الأطروحة ولعل من أبرزها الإعلام المسمى (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) إذ قدم لنا تراجم بإعلام الهند ومؤلفاتهم وإسهاماتهم في رفد الحضارة العربية والإسلامية، وأفدنا من رسالة الماجستير الموسومة الامارة التغلقية في الهند لعبد الرحمان لعكيدي إذ قدمت لنا معلومات قيمة عن أحوال الأسرة التغلقية وقدم لنا صورة بهية عن النماذج الحضارية في شبه القارة الهندية بعد دخول الإسلام إليها، كما كان لرسالة الماجستير التطور السياسي لدولة الغور الاسلامية محمد توفيق لقبايلي واستفدنا منها في الفصل الأول.

ومن المراجع الإنجليزية الهامة:

وقد اهتم المؤلف Aziz Ahmed في كتابه "An Inteltectual History of Islam In India" بدراسة الحياة الثقافية والدينية في الهند، وقد استفدت منه في إماطة اللثام عن العديد من النقاط الغامضة في دراسة الحياة الثقافية في إقليم الهند.

هذا بجانب العديد من الدوريات العلمية وكان أهمها مجلة ثقافة الهند، والتي عثرت فيها على مواضيع شتى عن تاريخ الإسلام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في الهند.

أما عن الصعوبات فهي أن أغلب المؤلفات عن شبه القارة الهندية كانت باللغة الفارسية، وكذا فقر مكتباتنا الوطنية إلى المصادر والمراجع المتخصصة في شبه القارة الهندية إذ لم نقل منعدمة.

وفي الاخير لا يفوتني ان اتوجه بالشكر الجزيل الى استاذي المشرف الدكتور احمد شريفي الذي افادني بخبرته العلمية ولم يبخل علي بتوجيهاته السديدة طيلة مراحل البحث، كما اتقدم بخالص عرفاني وتشكري الى جميع أساتذتي في قسم التاريخ بجامعة الجزائر 2 الذين درسوني من الطور الليسانس إلى يومنا هذا، وكذا لزملائي بجامعة الاغواط على نصائحهم وكذا مساندتهم لي، كما لا أنسى أعضاء لجنة المناقشة الذين سأستفيد من توجيهاتهم وملاحظاتهم المفيدة.

الفصل الاول

جغرافية الهند و أحوالها قبل وفي أيام الفتح الاسلامي

1) جغرافيا الهند

2) أوضاع الهند قبيل الفتح الإسلامي

3) مراحل إنتشار الإسلام في الهند

4) الفتح الإسلامي للهند

5) مماليك سلطنة دهلي

جغرافيا الهند:

الهند هي شبه جزيرة في آسيا الجنوبية تحدها من الشمال الشرقي إمبراطورية الصين حيث جبال الهمالايا ومن الشمال الجنوبي جبال الهندكوس وعدد أقاليم ما وراء النهر ومن الغرب جبال سليمان وبلاد فارس وبحر العرب[1]، ويحدها شرقا خليج البنغال ويلتقي ساحلها الشرقي بساحلها الغربي[2].

وقد اختلف المؤرخون القدماء في إعطاء وصف موحد لبلاد الهند فوصفها القزويني "بأنها مملكة عظيمة الشأن لا تقاس في الأرض بمملكة سواها لاتساع أقطارها"[3]، كما تعد من أكثر بلاد الله جبالا وأنهارا، حيث تحيط بها بحار والأنهار من ثلاث جهات وتخترقها عدة أنهار منها نهر الكنج المقدس في الوسط ويتجه صوب الجنوب الشرقي ليتصل بنهر براهما بوترا الذي يمتد حتى البنغال، في حين في الغرب عدد من الأنهار التي تكون البنجاب أي الروافد الخمسة وخاصة في الشمال الغربي

إذ تنحدر روافده في اتجاه عام صوب الجنوب الغربي لتتصل بنهر السند (مهران) الذي ببحر العرب فضلا عن نهري الدوآب اللذان يجريان نحو الشرق[4].

ويمكن كذلك تقسيم الهند لثلاثة أقسام رئيسية هي:

---

[1] أحمد بن أبي يعقوب بن واضع اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، دار صادر، بيروت، 1960، ص108.

[2] محمد حبيب أحمد : بين الهند والباكستان، مكتبة الأنجلو مصرية، 1950، ص9.

[3] القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص127.

[4] أبو إسحاق الاصطخري: المسالك والممالك، تح : محمد جابر عبد العال، دار القلم، القاهرة، 1961، ص101. أنظر أيضا: أبو الريحان البيروني تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، مطبعة حيدر آباد ، الهند، 1958، ص357، أنظر أيضا: محمد بن عبد الله ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار: تح/ عبد الهادي التازي، الرباط، 1997، ص96.

أولا:

يتميز هذا القسم بذلك الحائط الجبلي الذي مركزه عقدة البامبر في أقصى الشمال الغربي وتتجه منه سلاسل الهمالايا نحو الشرق والجنوب ممتدة لمسافة 1500ميل بدون انقطاع وقد أدت هاته الجبال إلى عزل الهند عن باقي القارة إلا في قليل من المواضع حيث تتخللها بعض الممرات التي ساعدت ولا تزال تساعد على دخول سيول المهاجرين إليها[1].

وأهم الممرات ما يقع منها في الشمال الغربي في جبال هندكوس وجبال سليمان على الحدود بين الهند وأفغانستان وعن طريقها دخلت جيوش الغزنويين والغور وفي مقدمة هذه الممرات ممر خيبر الذي كان دائما أهم المداخل البرية للهند[2].

ثانيا:

أما القسم الثاني فهو عبارة عن مجموعة سهول تقع داخل القوس الجبلي العظيم ممتدة من البحر العربي حتى خليج البنغال في الشرق، وقد عرفت قديما باسم سهول هندوستان وتسمى أيضا (آريارتا) أي أرض الآريين، وتعتبر أهم الأقاليم السهلية وأوسعها وتتفرع هذه السهول بدوررها إلى واديين هما السند والكانج[3]، وقد لعب إقليم الهندوستان دورا مهم في تاريخ الغزنويين والغوريين والمماليك وامتدت فتوحاتهم لمعظم أجزائه[4].

ثالثا:

[1] الشرقاوي: ملامح الهند والباكستان، دار المعارف، مصر، 1952، ص114.

[2] إسماعيل العربي: الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، مطبعة ليبيا، 1985، ص11.

[3] المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مج9، تح: يوسف أسعد داغر، القاهرة، 1885، ص272.

[4] الاصطخري: المصدر السابق، ص180.

أما القسم الثالث من بلاد الهند فهو عبارة عن هضبة الدكن، وتغطي جميع الأراضي الهندية الواقعة جنوب السهول الشمالية ويعلوها خط من المرتفعات الواقعة جنوب السهول الشمالية، كما يعلوها خط من المرتفعات يغلب عليه الاتجاه نحو الغرب يسمى نطاق ساتبورا[1].

أما بخصوص التسمية فقد أشار الطبري والمسعودي إلى أن تسمية بلاد الهند[2] تعود إلى كل من السند[3] والهند وهما أخوان من ولد بوقير بن يقطن بن حام بن نوح عليه السلام[4] وعليه فإن حام هو الجد الأعلى للهنود وذكر اليعقوبي في تاريخه أن العلماء الأوائل قسموا الأرض إلى سبعة أقسام وجعلوا الهند أول الأقاليم[5]

وذكر اليعقوبي أن إقليم الهند يمتد من الصين شرقا إلى أرض العراق والحجاز غربا[6].

أما البيروني فيقول أن بلاد الهند يحدها سلاسل جبال هرمكوت وآنتك وبلور وشميلان حيث منابع نهر السند أما من الغرب جبال الأفغان ومن الجنوب البحر ومن الشرق الصين[7]. واهتم كل من المسعودي والبيروني بالحديث عن مناخها، فذكرا أن الأمطار تسقط في فصل الصيف ويطلقون على الشتاء اليسارة ويقولون لمن شتى بأرض الهند "فلان يسر بأرض الهند"[8] وكان يسود المناخ الموسمي الحار الذي يتميز بشتاء جاف وصيف ممطر، وينقسم إلى ثلاث فصول، فصل

---

[1] الشرقاوي: المرجع السابق، ص12 وأنظر أيضا: محمد حبيب، المرجع السابق، ص10.

[2] الهند: لغة من هند وهنيدة وهي اسم للمائة من الإبل، وبلاد الهند بلاد واسعة وكثيرة العجائب، وفيها الكثير من الجبال والأنهار، ابن منظور، لسان العرب، ج3، ط1، دار صادر، بيروت، 1995، ص437.

[3] السند: بلاد ما بين بلاد الهند وكرمان وسجستان ومركزه مدينة المنصورة، وقد أطلق العرب اسم السند على الأراضي الواقعة على ضفتي نهر السند وأطلقوا اسم الهند على ما وراءها، الحموي: معجم البلدان، ج3، ط1، تح/ فريد عبد العزيز الجندي.، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ص303.

[4] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج1، ط4 تح/ محمد أبو الفضل، دار المعارف، القاهرة، 1991، ص205.

[5] الأقاليم السبعة: هي الهند، وبابل ، ومكة ومصر، وإفريقيا، والسام ، والروم والترك الخزر والديلم، والصين. المسعودي: المرجع السابق، ج1، ص98.

[6] اليعقوبي: المصدر السابق، ج1، ص75.

[7] البيروني تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1983، ص147-149.

[8] المسعودي : المصدر السابق، ج1، ص143 وأنظر أيضا: البيروني: المصدر السابق، ص149.

بارد وجاف شهري جانفي وفبراير ويسود الهند عدا إقليم البنجان حيث يسقط بعض المطر، وفصل حار من مارس إلى ماي، وفصل ممطر من جوان إلى ديسمبر وتسقط فيه الأمطار الغزيرة نتيجة هبوب الرياح الموسمية الغربية المحلية بكميات ضخمة[1].

أوضاع الهند قبيل الفتح الإسلامي:

عاشت الهند في معاقل الوثنية، ودانت بالهندوكية والبوذية وغيرها من الديانات الوثنية[2] فقد شهدت الهند ديانات متعددة، واختلافات شتى في مجال العقائد التي تؤمن بها شعوب تلك البلاد، فالهند لم تعرف الاستقرار الديني فهي تمثيل كامل لكافة العقائد التي عرفتها الدنيا، فالوثنية تسيطر على أهلها فيعبدون الحيوانات والشجر والحجر والموتى والشمس والطبيعة[3].

وهناك كذلك من يعتقدون بخلود الأرواح ويقدمون لهم القرابين واستخدموا السحر والتعاويذ لجلب السعادة وإطالة العمر ودفع الأرواح الشريرة إذ ينظر الواحد منهم إلى الحياة على أنها لعنة فيتخلص من نفسه بالانتحار عن طريق تجويع نفسه حتى الموت، كما يعتقدون أن المعادن والأحجار والأشجار لها أرواح كامنة فيها ولا ننسى كذلك عادة حرق الموتى، كما يدين أهل الهند بديانة البراهمانية والهندوسية والبوذية والزرادشية والمسيحية واليهودية[4].

أما في بداية القرن السادس ميلادي بلغت الوثنية أوجها وكان هناك عدد كبير من الألهة، وأصبح كل شيء رائع وجذاب وقد ارتفعت صناعة نحت التماثيل في الهند[5].

---

[1] محمد توفيق لقبايلي: التطور السياسي لدولة الغور الإسلامية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 1986، ص143.

[2] عصام الدين الفقي: حركة الترجمة وأثرها على الحضارة الإسلامية، الموسوعة الثقافية والتاريخية والأثرية والحضارية ، دار الفكر العربي، القاهرة، العدد23، 2008، ص49.

[3] كرم حلمي فرحات: تاريخ الحضارة الإسلامية، القاهرة، 2011، ص46.

[4] ابن خرداذيه: المسالك والممالك ، دار صادر، بيروت، 1989، ص71.

[5] أحمد شلبي: مقارنة الأديان "الإسلام"، ط8، مكتبة النهضة، القاهرة، 1989، ص46.

الوضع الثقافي:

كانت الحياة الثقافية والعقلية في الهند سوق رائجة سواءا في التأليف أو التدوين، وقد دونوا الأخبار ونظموا الشعر ولهم في علم النجوم والفن والموسيقى والطب والصيدلة وبناء المستشفيات من 500 ق.م، ولهم مؤلفات في الطب والفلك واهتموا بالفيزياء والكيمياء والحساب والجبر وأقاموا المدارس[1]، وقد عرفت الهند كذلك العديد من اللغات فاقت مائتي لغة وترجع في اصولها الى الأقوام الداروردين والأرية ويتفرع من هاته اللغات العديد من الهجات التي تفوق الحصر ولعل أبرز لغاتهم السنسكريتية[2]

الوضع السياسي:

كانت الحياة السياسية في دول آسيا تقوم على نظام الحكم الفردي، الحكم المطلق الاستبدادي، يتحكم في النظام طبقة تختلف عن باقي الطبقات، هذا التحكم جعل الحياة السياسية بالضرورة لا تعرف الاستقرار، فكانت الهند تشبه إلى حد كبير إيران إمبراطورية قوية[3].

الوضع الاقتصادي:

لم تعرف الهند قبيل الفتح الإسلامي الاستقرار الاقتصادي، فقد تردت الأوضاع الاقتصادية بها بسبب انتشار قطاع الطرق، وهجرة كثير من أفراد الشعب الذين كانوا يمتهنون الزراعة، كما شهدت الهند تفاوتا كبيرا في توزيع الثروة غير أن الهند كانت مشهورة بإنتاج الكثير من الحاجيات النادرة كالتوابل والعطور، وخشب الصندل، والعاج والكافور التي هي من أهم المنتوجات الهندية، ولا ننسى الأسلحة من أهمها السيوف الهندية، وكانت تجلب من دول أخرى تجارة الحرير والتمور، والزجاج والبلور، وكان لهم باع في إنتاج وصناعة العقاقير الطبية[4].

حملت قوافل الهند ما بين برية وبحرية منتجات هذه البلاد إلى كافة نواحي العالم عبر بلاد الشرق الواقعة على شواطئ البحر المتوسط حيث تبارز المقاتلون بسيوف الهند البتارة، وتعطرت

---

[1] كرم حلمي: المرجع السابق، ص47.

[2] الهاشمي طه : تاريخ الاديان وفلسفتها ،دار الحياة بيروت ، 1963 ، ص10.

[3] أحمد محمود الساداتي: محاضرات في التاريخ الإسلامي، ج1، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، 1974، ص270.

[4] كرم حلمي: المرجع السابق، ص48.

النساء بعطورها وكانت الهند آنذاك تتداول ما يشبه خطابات الاعتماد والضمان المتعارف عليها في عالم الاقتصاد، وتتعامل بالنقود وقبل الميلاد بزمان طويل[1].

الأوضاع الاجتماعية:

أن أهم سمات النظام الاجتماعي كما جاء في شرائع الدين الهندوسي نظام الطبقات، ومن المرجح أنه لم يعرف في تاريخ البشرية نظام طبقي أشد قسوة وأعظم فصلا بين طبقة واخرى وأشد إستهانة بشرف الانسان وادميته من نظام الطبقات الذي عرفته الهند[2]، وذلك أنهم لا يعترفون بالمساواة بين الناس في القيمة الإنسانية، بل تقرر التفاضل بينهم بحسب عناصرهم ونشأتهم الأولى، فتزعم أن الإله (براهما) قد خلق أربع من الناس[3].

وبهذا كان المجتمع الهندي يعيش في ظل نظام طبقي فريد من نوعه، ولا يجوز لأحد أن يتجاوز طبقته[4].

فقد ازدهرت في الهند قبل المسيح بثلاث قرون الحضارة البرهمية[5] و وضع فيها مرسوم جديد للمجتمع

الهندي، وألف فيه قانون مدني وسياسي أصبح رسميا ومرجعا دينيا في حياة البلاد[6].

وكان الصراع الطبقي بين أفراد المجتمع الهندي، هو السمة السائدة بسبب احتلال طبقة البراهمة المكانة الممتازة، وتمركزت السلطة في أيدي أتباعه فهم أعلى طبقات المجتمع الهندوسي، لأمن معناها طبقة العلم واليقين والحق والتدين، حيث كان البراهمة يستمدون نفوذهم من احتكارهم

[1] الساداتي: المرجع السابق، ج1، ص39.

[2] شيبة مصطفى عبد الغني: موقف الاسلام من الرق، منشورات المعهد العالي بسبها، ليبيا ،ص45.

[3] سعيد مراد: المدخل في تاريخ الأديان، عين للدراسات، القاهرة، 2000، ص111.

[4] عصام عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص49.

[5] البرهمية ديانة يعتنقها أهل الهند وهي مجموعة من العادات والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد وهي إحدى طبقات وهم الذين خلقهم الإله براهما من فمه : منهم المعلم والكاهن والقاضي ، انظر: مانع بن حماد الجهي: الموسوعة الميسرة للمذاهب والأديان، ج2، دار الندوة العالمية، الرياض، 2010، ص724.

[6] أحمد شلبي: المرجع السابق، ص47.

للعلم[1].ومن الطبقات الأخرى كذلك المنتشرة في الهند نجد طبقة الكشتريا وهي طبقة العسكريين وهم الملوك والامراء والفرسان وهناك صفات يجب ان يتصفوا بها بأن يتحلى كل واحد منهم بالشجاعة ويكون مهذبا، غير مبال بالشدائد [2]. وهناك أيضا طبقة الفيشية وهم التجار و ملاك الارض وأصحاب الحرف فكانت أوضاعهم جيدة بسبب ما يشغلون به من مراكز كثيرة بفضل دخلهم من التجارة والصناعة، وكان يفرض على كل طبقة من الطبقات أن ما يتحصلون عليه من أموال يجب أن تنفق على المراكز الدينية[3]، ونجد أيضا طبقة الشودرا وهم الفلاحون وأصحاب المهن الدنيا، الذين يستأجرون للعمل في زراعة الأراضي وبأجور بسيطة، كما أن منهم العبيد والخدم الذين يعملون في خدمة الحكام وبيوت الاغنياء وكانت هذه الطبقة تعيش عيشة الكفاف ويسكنون أفقر القرى وضواحي المدن في بيوت تشبه الأكواخ، ويعاملون كأنهم نجس لا يجوز لمسهم، ولا الأكل معهم، ولا مصاهرتهم، حيث فرضت عليهم احكام صارمة، فنصت قوانينهم على أن يقوموا بخدمة البراهمة، وليس لهم أجر ولا ثواب من ذلك، وبلغ احتقار إنسانيتهم أن كفارة البراهمة عندهم قتل حيوان أو رجل من الشودرا سواء[4].

مراحل إنتشار الإسلام في الهند:

1/ مرحلة الاتصالات التجارية:

كانت هناك صلات قائمة بين الهند والبلاد العربية قبل الميلاد وكان التجار هم واسطة هذه الصلات، حيث كانت سفنهم تقوم بنصيب كبير في نقل التجارة بين الهند وبلادهم، لذلك هم أكث صلة بالهنود، كما كانت لهم معرفة ودراية بالمدن الهامة الواقعة على الساحل الطويل لبحر العرب.

---

[1] كرم حلمي: المرجع السابق، ص53.

[2] حسن أحمد: امة تبعث ، شركة التوزيع المصرية ، مصر ، 1953، ص31.

[3] الالوائي محي الدين : الفقه الهندوسي الأكبر ، مجلة ثقافة الهند ، ع 20 ، 1990 ، ص23.

[4] الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ،مكتبة الإيمان ، القاهرة ،2004، ص60.

ففضلا عما بين شبه الجزيرة العربية وشبه الجزيرة الهندية من صلات تجارية ووجدت كذلك علاقات مذهبية وعقائدية، تؤكد التقارب الفكري والروحي بين العرب والهنود[1]، كون التجار العرب لهم جاليات عربية في بعض ثغور هذه البلاد وأصبع في كل ميناء أو مدينة اتصل بها المسلمون جماعة اعتنقوا الإسلام وأقاموا المساجد[2].

وحين ظهر الإسلام ودخل العرب في دين الله أفواجاً وكان منهم هؤلاء التجار والبحارة العرب من الحضارمة وغيرهم، فحملوا معهم دينهم الجديد إلى البلاد التي يتعاملون معها، وكان من الطبيعي أن يتحدث هؤلاء في حماس وإيمان عن دينهم الجديد[3].

2/ الدعوة الإسلامية:

عندما أرسل الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم بالإسلام دين التوحيد والحق ليعلوا على كل الأديان والمعتقدات، بأن يحوي أحسن ما فيها، وأن يضيف إلى ذلك ما فيه خير للإنسان في الدنيا، وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا)[4].

لهذا شمل الإسلام من المبادئ ما لم يرد مثله في مختلف الأديان[5]، لذا وجد الإسلام في الهند أرضا خصبة سهلة وكانت سواحل السند ومليبار الواقعة على بحر العرب من أسعد هذه البلاد بالدين الجديد[6].

[1] حازم محمد : ازدهار الإسلام في شبه القارة الهندية، القاهرة، الدار الثقافية، 2004، ص33.

[2] عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، المؤسسة الجامعية للنشر، لبنان، 1981، ص60.

[3] نفسه، ص88.

[4] سورة الفتح، الآية 28.

[5] أحمد شلبي: المرجع السابق، ص117.

[6] عبد المنعم النمر: المرجع السابق، ص69

وكان الإسلام قد جاء مناديا بالمساواة والأخوة، ويلغي الفوارق بين الطبقات، حيث وجدت مبادئ الإسلام صدى واسع في فئات المنبوذين الذين أقبلوا على الإسلام لأنه يعيد لهم اعتبارهم الاجتماعي[1].

أما محاولات تبليغ الدعوة الإسلامية لسكان شبه الجزيرة الهندية التي ترجع لزمن الرسول صلى الله عليه وسلم فهناك روايتين:

1-منها ما تقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوفد رسله إلى الملوك والحكام في زمنه، وأرسل أصحابه إلى (سوباتك) حاكم فتوج بالهند وأنه قد أسلم على أيدي هؤلاء الصحابة، ولكن الحافظ ابن حجر يضعف هذه الرواية ويعلق عليها بقوله:"زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم أنفذ إليه حذيفة وأسامة وصهيبا يدعونه إلى الإسلام فأجاب وأسلم وقبل كتاب النبي صلى الله عليه وسلم.[2]

أما الرواية الثانية فتذكر أن خمسة من الصحابة رضوان الله عليهم قد وصلوا إلى بلاد السند وإن اثنين منهم رجعا وبقي ثلاثة وتضيف أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أرسل كتابه إلى أهل السند مع هؤلاء الخمسة، وأنهم لما جاءوا إلى هذه البلاد نزلوا في قلعة يقال لها (بيرون)[3]، ثم رجع اثنان بعد أن أظهر أهل السند للإسلام وبقي الآخرون هناك حتى ماتوا بتلك البلاد[4].

3/ هجرات المسلمين لبلاد الهند:

عندما انتشر الإسلام في الهند، فقد أتت أقوام أخرى إندمجت مع السكان القدامى وأثرت فيهم، ومنهم العرب الذين فتحوا بلاد السند في أواخر القرن الأول الهجري (السابع ميلادي) وحكموها أكثر من أربعة قرون، ومن الثابت أن العرب من الجنس السامي وقد تركوا تأثيرهم على

---

[1] إسماعيل العربي: الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، القاهرة، الدار العربية للكتاب، 1988، ص53.

[2] ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج4، حيدر آباد، الهند، دائرة المعارف العثمانية، ط2، 1972، ص165.

[3] بيرون وهي من مدن السند (إقليم الذهب) كما كان يسمونه، وينسب إليها البيروني وهي تتوسط المسافة بين الديبل والمنصورة، أنظر الحسن الندوي : الهند في العهد الإسلامي، دار المعارف العثمانية، 1972، ص58.

[4] عبد الله محمد جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية في باكستان، دار الصفوة للنشر، القاهرة، 1990، ص14.

بلاد السند من النواحي السياسية والثقافية والاجتماعية، وكانت القافلة الأولى التي وصلت إلى حدود بلاد السند بعد ظهور الإسلام هي حملة برية سكنت إقليم مكران واقتربت من نهر السند، ثم تراجعت إلى مكران (23هـ/644م)، وبعد أن أتم العرب فتح بلاد السند في سنة (92هـ/711م) فقد سكنت قبائل عربية مختلفة في المدن، واندمجوا مع أهلها مما كان له انعكاسات إيجابية في نشر الثقافة الإسلامية[1].

وإلى جانب الصلات التجارية فقد حدث اختلاط للعرب المسلمين بأهل البلاد، حيث تزاوج بينهما، فقد تزوج المسلم بغير المسلمة وليس العكس مما أدى إلى وجود جيل من المولودين وبهذا تناسل المسلمين وزاد عددهم[2].

بدايات الإسلام في الهند:

قبل ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم كان الجنس البشري قد مر بألوان من التجارب أوقفته حائرا أمام كثير من المشكلات، ولكنها في الوقت نفسه هيأته ليتلقى رسالة تنظم له شؤون حياته.

أنقذ الدين الجديد عند مولده العالم من الانحطاط الشامل، فإن الإمبراطوريات التي كانت تسود العالم قد تفككت وانحلت، كالإمبراطورية البيزنطية والفارسية وكالهند والشمال الإفريقي وإسبانيا وجاء القرآن فأعلن بكل قوة قيام عالم جديد عامته الإيمان بالله[3].

ليس من مبادئ الإسلام إجبار الناس على اعتناقه، بل أنه يكفل حرية الدين والعبادة للناس قاطبة، ولو كانوا رعايا ضعفاء في ظل حكمه أو عبيد لأتباعه، فلقد سار الإسلام حيال الحرية الدينية على أسس سمحة نبيلة، يكفي قوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)[4].

لذلك قرر الإسلام مبادئ هي أسمى ما يمكن أن يصل إليه التشريع في حرية الأديان والمعتقدات.

---

[1] محمد نصر مهنا: الفتوحات الإسلامية والعلاقات السياسية في آسيا، المعارف، مصر، 1990، ص57

[2] كرم حلمي: المرجع السابق، ص57.

[3] أحمد شلبي: المرجع السابق، ص187.

[4] سورة البقرة، الآية 256.

الفتح الإسلامي للهند:

المرحلة الأولى من الفتح الإسلامي:

كان دخول المسلمين المبكر لبلاد العراق وفارس خطوة نحو دخول الإسلام إلى الهند، وخاصة أنه في معركة القادسية (16هـ/637م)، استنجد ملك الفرس الذي كانت تتبعه العراق ببعض البلدان المجاورة، ومنها مملكة السند، فقد أمده ملك السند بالمال والرجال، ولكن النصر تم للمسلمين، وفتح هذا النصر الباب للمسلمين لفتح السند، ردا على تدخلها ضدهم في معركة القادسية.

كذلك فتح المسلمين لبلاد فارس جعلهم يتطلعون إلى ما وراءها، فامتدت فتوحاتهم إلى خراسان ثم أسلمتهم إلى بلاد السند، وعلى هذا بدأت حملات المسلمين على بلاد السند مبكرًا[1].

لنشر دعوة الإسلام فيها وضمها إلى رقعة الدولة الإسلامية التي أخذت تتسع حتى وصلت شرقاً إلى حدود الهند، فحينما وطئ المسلمون أرض فارس، وقوضوا عرش كسرى، انطلق الفاتحون المسلمون وراء انتصاراتهم يضيفون مصراً إلى نصر وأرضاً إلى أرض...

لقد بدأ التفكير في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (13-23هـ/634-643م) حين فكر واليه على البحرين وعُمان عثمان بن أبي العاصي الثقفي (15هـ/636م) في تسيير جيشه إلى الهند.[2].

وكان الهدف الأول هو نشر الإسلام، والتعرف على طبيعة تلك البلاد، وتأديب قراصنة الهند والسند الذين كثيراً ما أغاروا على السفن التجارية العربية ونهبوها[3]، فوجه عثمان بن أبي العاصي الثقفي أخاه الحكم بن أبي العاصي إلى البحرين، ومضى إلى عُمان فأقطع جيشا إلى (تانه)[4]،

---

[1] أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ص262.

[2] عبد المنعم النمر: المرجع السابق ، ص71-72.

[3] محمد نصر مهنا: الفتوحات الإسلامية والعلاقات السياسية في آسيا، منشأة المعارف ، مصر ، 1998 ص60.

[4] **تانه:** بفتح التاء المثناة الفوفية، ثم ألف ونون وهاء، وهي على الساحل لهندي، وكان سكانها كفار يعبدون الأنداد، وهي مشهورة بالثياب التانشية، أبو الفداء: تقويم البلدان، دار صادر ، بيروت ، ص359.

ولما كان عمر (رضي الله عنه) يخشى على المسلمين من ركوب البحر، ويكره ذلك، كتب إلى عثمان يقول: يا أخا ثقيف، حملت دوداً على عوداً، وأنى أحلف بالله لئن أصيبوا لأخذن من ثومك مثلهم[1].

وقد توجه الحكم أيضاً إلى ميناء (بروص)[2]، ووجه أخاه المغيرة بن أبي العاصي إلى خور الدبيل، فلقي العدو وظفر به و كانت الغارات الإسلامية البحرية هي أولى الغارات العربية والحملات الإسلامية إلى سواحل الهند والسند، غير أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)- أقتنع بعد مضي عدة سنوات بقوة العرب، ووافق على أراء القواد العرب بفتح بلاد السند والملتان المجاورة لبلاد فارس شريطة أن تكون الحملة برية، حتى يضمن سلامة الجيش[3].

وفي (17هـ/638م) أعطى لواء إقليم مكران[4] ببلاد السند إلى الحكم بن عمرو التغلبي وغيره من القادة المسلمين متوجهين إلى بلاد السند حتى اقتربوا من نهر السند، ودارت معركة مع حكام ولايات السند حتى انتهت بانتصار المسلمين، لذلك أصدر الخليفة عمر (رضي الله عنه) أوامره ببقاء الجيش الإسلامي في مكران، ومن الأرجح أن الخليفة لم يكن مقتنعا بأن الوقت مناسب للدخول في عمق بلاد السند، وعدم العبور إلى الجهة الشرقية من نهر السند، وظل الجيش باقياً في مكران حتى استشهاد الخليفة (23هـ/643م)[5].

ولاشك أن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (23-35هـ/643-655م) قد استعان في توجيه حملته إلى الهند بالسفن العربية وبحارتها المسلمين الذين كانوا يعرفون جيدًا هذه البلاد،

---

[1] محمد نصر مهنا: المرجع السابق، ص61.

[2] **بروص:** يقال بروص بالصاد المهملة، وبروج بفتح الواو والجيم، وهي من أشهر مدن الهند البحرية، وأكبرها، وأطيبها، ويجلب منها النيل واللك. ياقوت الحموي: معجم البلدان، تصحيح محمد أمين الخانجي، القاهرة، مطبعة السعادة، (1323هـ/1906م)، مجلد1، ص506.

[3] محمد نصر مهنا: المرجع السابق، ص61.

[4] **مكران:** اسم لسيف البحر، وهي ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى، وبها معدن الفانيذ، وينقل منها إلى جميع البلدان وأجوده الماسكاني نسبة إلى (ماسكان) أحدى مدن الولاية. ويحدها كرمان من جهة الغرب وسجستان من الشمال والبحر من الجنوب والهند من الشرق، ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج 8، ص130-132.

[5] محمد نصر مهنا: المرجع السابق، ص61.

وكانوا سادة البحر، ولم يكن هناك ما يخشى منه على المسلمين لكن الخليفة عمر (رضي الله عنه) كانت له هذه الفكرة الخاصة والتي لم يشاركه فيها الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رضي الله عنه) حين ولى الخلافة. ولى عبد الله بن عامر بن كريز العراق، فكتب إليه يأمره أن يوجه إلى ثغر الهند من يعلم علمه، وينصرف إليه بخبره، فوجه حكيم بن جبلة العبدي[1].

لما رجع حكيم بن جبلة العبدي، أوفده عثمان (رضي الله عنه)، فسأله عن حال البلاد فقال: يا أمير المؤمنين قد عرفتها. قال:صفهالي. قال: ماؤها وشل وثمرها دقل ولصها بطل، إن قل الجيش فيها ضاعوا، وإن كثروا جاعوا. فقال له عثمان: أخابر أم ساجع؟ قال: بل خابر، فلم يغزها أحدًا[2]، حيث أنه لم يأمر بغزو البلاد في عمقها مع أن الجيش الإسلامي كان لا يزال في إقليم مكران ببلاد السند منذ عهد الخليفة عمر (رضي الله عنه)، فقد اكتفى العرب بحكم إقليم مكران، وهو ثغر السند (كراتشى حالياً)، ففي (29هـ/649م) تولى عبد الله التميمي ولاية بلاد السند بدلاً من أبى موسى الأشعري، وقد توسع في الفتوحات الإسلامية حتى بلغ نهر السند، وباستشهاد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) 35هـ/655م، طويت صفحة مشرقة من الفتوحات الإسلامية التي وصلت إلى أعماق بلاد السند[3].

وفي خلافة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، أواخر عام 38هوأوائل 39هـ/659م، توجه إلى ثغر الهند الحارث بن مرة العبدي متطوعاً بأذن علي (كرم الله وجهه)، فظفر وأصاب مغنمًا وسبيًا...[4]، وفي عام (44هـ/664م) غزا المهلب بن أبي الصفرة في أرض الهند[5].

ويحفل التاريخ الإسلامي في العصر الأموي (40-132هـ/660-749م) بالفتوحات التي أعلت شأن الإسلام، مما استنفذ جهودًا كبيرة من جانب الدولة الأموية وخاصة اتجاه معارضيها إلا أنها رغم ذلك استطاعت أن تمد نفوذها إلى بلاد الصين وسهول أسيا وكذلك إلى المحيط الأطلسي

[1] عبد المنعم النمر: المرجع السابق ، ص72.

[2] عبد المنعم النمر: المرجع السابق ، ص73.

[3] محمد نصر مهنا: المرجع السابق، ص69.

[4] عبد المنعم النمر: المرجع السابق، ص73.

[5] اليافعى: مرآة الجنان وعبرة البقظان في معرفة حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت ، (1418هـ/1997م)، ج1، ص98.

والهندي والصحراء الأفريقية. فقد طلب معاوية بن أبي سفيان إلى أميره على السند عبد الرحمن بن سمرة أن يتوسع في الفتوحات لهذه الديار، لتدخل الإسلام، فسار حتة وصل لاهور، وملك كثيرًا من هذه الديار، واستقر بها[1].

قيام الولايات والإمارات الإسلامية بالهند:

ظل القواد المسلمين يطرقون أبواب الهند، ويصيبون من أطرافها، حتى كان زمن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م)، بدأت الحملة القوية المنظمة تتجه إلى الهند، لفتحها وضمها إلى رقعة البلاد الإسلامية، فقد وجه الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك أولاً بعض قواده، ولكنه فشل في مهمته، فرأى أن يوجه حملة أخرى جعل على رأسها ابن أخيه الشاب الشجاع محمد بن القاسم الثقفي وذلك سنة (92هـ/711م)، وكان عمره إذ ذاك لم يصل إلى العشرين، ولكنه عرف بالصلابة والشجاعة، وقد جهزه الحجاج بجيش قوي وحشد له فيه كل ما يحتاج إليه حتى الخيول والمسال[2].

كما أمده الحجاج بستة آلاف جندي من أهل الشام، إضافة إلى ما كان معه من الجنود، فاجتمع تحت قيادته نحو عشرين ألفاً في تقدير بعض المؤرخين، وأنفق الحجاج على الجيش ستين ألف درهم.

سار محمد بن القاسم بجنده من شيراز[3] إلى مكران، وأقام بها أياماً، واتخذ منها قاعدة للفتح ونقطة انطلاق، ثم فتح قنزابور، ثم أرمانيل[4].

---

[1] محمد نصر مهنا: المرجع السابق، ص82، ص87.

[2] عبد المنعم النمر: المرجع السابق، ص73-74.

[3] **شيراز:** بكسر الشين المعجمة وسكون الياء وفتح الراء وآخره زاي، بلد عظيم مشهور، فهي قصبة بلاد فارس، تقع على الإقليم الثالث، وهي وسط بلاد فارس، وبها قبر سيبويه، وهي مدينة إسلامية محدثة بناها محمد بن القاسم الثقفي ابن أخ الحجاج بن يوسف. الحموي: معجم البلدان، مج 5، ص320، أبو الفداء: المرجع السابق، ص328-329.

[4] **قنزابور وأرمانيل:** مدينتان بإقليم السند. الاصطخري: المسالك و الممالك، ليدن، مطبع بريل،(1346هـ/1927م)، ص170-171.

سار محمد بجيشه من جنوب فارس قريباً من الساحل، حيث كانت سفن الحملة تحمل ما تحتاج إليه من العدة والمؤن، حتى وصل الديبل يوم جمعة سنة (92هـ/711م)، ووافته سفنه التي كانت تحمل العتاد، فخندق، وركز الرماح تجاه المدينة، ونشر الأعلام، وأنزل الناس على راياتهم، ونصب منجانيقًا تعرف بالعروس، وكان بالديبل (بد)[1] عظيم، وقد أمر محمد بن القاسم أن يرمى البد بالمنجانيق فكسره، ثم دار قتال، أنتهي باستيلاء المسلمين على المدينة، ومكث محمد يقتل من فيها ثلاثة أيام، وهرب عامل داهر عنها، واختط للمسلمين بها، وبنى لهم مسجدا، فكان أول مسجد بهذه المنطقة[2].

تابع محمد سيره، والبلاد تخضع له صلحاً أو عنوة، وخلا الجو للمسلمين بعد قتل داهر، واتجه محمد بجيشه نحو الشمال يريد الرور[3]، وكانت البلاد تقابله مستسلمة طالبة منه الأمان حتى وصل الملتان، فقاتله أهلها، ولكنهم انهزموا في النهاية بعد حصار شديد، وسيقت الغنائم إلى الحجاج، فسر بها ورأى كيف نجحت الحملة نجاحاً عظيماً، فقال: شفينا غيظنا، وأدركنا ثأرنا، وازددنا ستين ألف ألف درهم ورأس داهر[4]، وسبى الذرية وأصاب دهبًا كثيراً، فسميت الملتان فرج بيت الذهب[5].

حث الحجاج بن يوسف الثقفي ابن أخيه محمد بن القاسم على سرعة الحركة داخل السند، وأوضح له درسًا هامًا في علوم السياسة، للحصول على السلطة من خلال وسائل أربع وهي المدارة أو المساهمة أو المصاهرة ثم بذل المال والعطية ثم الرأي الصائب في محاربة الأعداء

---

[1] **البد:** منارة عظيمة في بناء لهم فيه أصنامهم (أي معبد)، كان عليه دقل، وعلى الدقل راية حمراء، إذا هبت الريح طافت بالمدينة. البلاذرى: فتوح البلدان، مطبعة الموسوعات، القاهرة ، (1319هـ/1901م)، ص437.

[2] البلاذري :المصدر السابق، ص436-437.

[3] **الرور:** ناحية بالسند تقرب من الملتان في الكبر، وعليها سوران، وهي على شاطئ نهر مهران على البحر، وهي من حدود المنصورة والديبل، وهي متجر وفرضة هذه البلاد، وزروعهم مباخس وليس لهم كثير شجر ولا نخل، وهي بلد قشف، وإنما يقيمون به للتجارة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، د2، ص832.

[4] عبد المنعم النمر: المرجع السابق ، ص74-75.

[5] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر "الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام"، حيدر آباد- الدكن، الهند، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثانية، (1382هـ/1962م)، ج1، ص11.

ومعرفة أمزجتهم ونقط ضعفهم ثم الرعب والهيبة والقوة والشهامة، وأكد عليه العبور قبل العدو، حتى يدخل الرعب في القلوب، ويثبت تفوقه. بين الحجاج الهدف من الفتح وأساليب معاملة الرعية، سواء من يدخل منهم الإسلام أو لم يدخل، وكيفية الحصول على الجزية والخراج، وكان لهذه الوسائل أهميتها القصوى سياسيًا وعسكريًا في نجاح محمد بن القاسم[1].

واصل محمد بن القاسم فتوحاته رغم وفاة الحجاج فقد فتح بقية بلاد السند، فقد كانت هذه البلاد وثنية، ثم عم النفوذ الإسلامي بلاد الهند، وتاخمت تلك البلاد الدولة العربية، ووجد بذلك اتصال بين البلدين مما كان له أثر كبير، فإن كثيرًا من علوم العرب كالفلسفة والرياضيات نقلت من الهند واقتبست عنها[2].

من السند توجه إلى الكيرج إقليم يقع على حدود السند، ثم توجه إلى حدود كشمير، وتوغل فيها عازمًا على فتح إقليم قنوج المهم في موقعه على الحدود، والتابع سياسيًا للهند، وقد وصل فعلاً إلى مشارف هذا افقليم، غير أنه لم يتمكن من فتحه وهو آخر جزء من بلاد السند حيث وصلت إليه الأوامر من الخليفة سليمان بن عبد الملك بالعزل، وإلقاء القبض عليه، وإرساله إلى العراق[3]، ولما اضطرب السند، وأخل الجند الذين كانوا مع محمد بن القاسم الثقفي بمراكزهم فرجع أهل كل بلد إلى بلدهم، فوجه سليمان بن حبيب بن المهلب إليها، فدخل البلاد، وقاتل قومًا كانوا ناحية مكران، وأخذ محمد بن القاسم فألبسه المسوح* وقيده وحبسه[4].

وسبب ذلك كره سليمان بن عبد الملك للحجاج، وهو ما جعل سليمان بن عبد الملك يليق أسرته ألوانا من العذاب حتى قتل الكثير منهم، ومنهم محمد بن القاسم الثقفي، وقد بكت شعوب شبه القارة الهندية محمد بن القاسم، تقديرا لبطولاته، وبمقتله توقف الزحف المقدس، وفقد العالم الإسلامي قائدًا مسلمًا شجاعًا وعظيمًا، وأستطاع أن يفتح بلاد السند كلها في أقل من ثلاث

---

[1] محمد نصر مهنا: انتشار الإسلام في آسيا، ج1، ص147-148.

[2] علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي العام (الجاهلية-الدولة العربية-الدولة العباسية)، القاهرة، مكتبة النهضة العربية، (1392هـ/1972م)، ص307.

[3] محمد نصر مهنا: المرجع السابق، ص120.

* **المسوح:** ما يلبس من نسج الشعر على البدن تقشفا وقهرا للجسد.

[4] أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب: تاريخ اليعقوبي، ليدن، مطبع بريل، (1302هـ/1883م)، ج2، ص356.

سنوات، وترك بصماته البيضاء عليها، متمثلة في المساجد الكبيرة في المدن الإسلامية، ولا تزال الملايين من مسلمي شبه القارة الهندية يتذكرون اسم هذا البطل[1]، فقد تضاءلت أمام أعماله الحربية عظمة الإسكندر المقدوني وشهرته. حتى قيل لو أراد ابن القاسم أن يستمر بفتوحاته حتى الصين لما عاقه عائق[2].

كان من الطبيعي بعد ما جرى لهذا القائد الفاتح محمد بن القاسم الثقفي، أن توجد الفرصة لمن يريد استرداد ملكه أو الرجوع عن الإسلام، لذلك ثارت القلائل في البلاد المفتوحة، مما اضطر والي السند إلى الحرب من جديد لاسترداد ما فتحه محمد بن القاسم من قبل، حتى كان عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (101-105هـ/720-724م)، فكتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام والطاعة، على أن يظلوا في مراكزهم، ولهم وما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وقد سبقته سيرته الطيبة إلى أسماع هؤلاء، فأسلم بعضهم، وتسموا بأسماء العرب، واستمر الحال هكذا في هذه البلاد، أمير يأتي من قبل الخلافة وأمير يذهب، وكل منهم مشتغل بتوطيد الحكم الإسلامي في السند[3].

لم يتجه الخلفاء الأمويون المتأخرون للفتوحات، لكثرة ما عانوا من الصراعات الداخلية، فلما جاء العباسيون لم يحرصوا على فتح مزيد من البلاد ووجهوا اهتمامهم للمحافظة على المملكة الإسلامية التي كانت قد اتسعت في عهد الأمويين، وكان نتيجة هذه الفتوحات، قيام الولايات الإسلامية، فبفتح السند بدأ ما يعرف بعصر الولاة، الذين استطاعوا أن يسيطروا على السند.

وفي أحدى أيام هؤلاء الولاة، وهو الحكم بن عوانه الكلبي بنى مدينة سماها (المحفوظة)، وجعلها مأوى للمسلمين، كما بنيت مدينة أخرى سميت (المنصورة) [4]، صارت مركز الولاة فيما بعد، ولما انتقل الحكم إلى الدولة العباسية، انتقل حكم السند إليها، وأرسل خلفاء الدولة الجديدة

---

[1] محمد نصر مهنا: المرجع السابق، ص154.

[2] إحسان حقي: مأساة كشمير المسلمة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية ، (1390هـ/1970م)، ص50.

[3] عبد المنعم النمر: المرجع السابق ، ص77.

[4] **المنصورة:** من إقليم السند، واسم المنصورة القديم "برهمناباد"، والمنصورة مدينة كبيرة، يحيط بها خليج من نهر مهران "السند"، فهي كالجزيرة، وأهلها مسلمون، وسميت المنصورة بهذا الاسم لأنها بنيت في عهد الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور. أبو الفداء: تقويم البلدان، ج2، ص351، ابن حوقل: المسالك والممالك، ليدن، مطبع بريل، (1290هـ/1873م)، ص226.

الولاة، فجعلوها تابعة لهم، واستقر الأمر لهم فيها، وزادوا في عمارة (المنصورة)، حتى إذا كان عهد أبى جعفر المنصور، تم فتح كشمير والملتان، واستمر الأمر على هذا الحال حتى ضعف سلطان الخليفة العباسي، وبدأ عصر الإمارات الإسلامية.

والإمارات الإسلامية التي قامت بالهند كان بعضها تحت حكم مسلمين من عنصر هندي وبعضها تحت حكم مسلمين من العرب، الذين استوطنوا الهند منذ عهد الفتوحات الأولى[1].

الإمارات الإسلامية في شبه القارة الهندية:

1- الدولة الماهانية بالسندان (198هـ/813م) وقد أسسها فضل بن ماهان:

السندان[2]، منطقة بعيدة عن السند، تقع في أراضي الكجرات، وقد استطاع فضل بم ماهان أن يدخلها، ويخضعها لسلطانه، وأعلن اعترافه بالخلافة العباسية، مع الاستقلال التام في الأمور الداخلية[3]، وقد قامت في أيام المأمون، وكانت أول دولة عربية في الهند منفصلة عن الخلافة العباسية، متصلة بها بالدعاء والولاء[4] وبموت الفضل بن ماهان تولى ابنه محمد زمام الأمور في هذه الدولة العربية الإسلامية الصغيرة.

نجح محمد بن الفضل في توسيعها بمنطقة مجاورة حيث فتح مدينة قالى الهندية بالقرب من سندان- غير أن أخاه ماهان استولى على حكم السندان خلال تغيبه، وكتب إلى الخليفة المعتصم راجيًا المساعدة، ولكن ماهان استطاع الحصول على تأييد أهل السند المقيمين هناك، وغدر بأخيه وقتله، وقد انتهز حكام الهند فرصة الفرقة بين الأخوين، وقاموا بهزيمة جيوش ماهان ثم قتلوا ماهان نفسه، وهكذا زالت هذه الدولة الإسلامية الصغيرة في تلك البقعة الهامة من بلاد الهند[5].

---

[1] عبد المنعم النمر: نفس المرجع ، ص77.

[2] **السندان:** مدينة تقع على البحر، وتبعد عن المنصورة خمسة عشر فرسخًا، ومدينة سندان مجمع الطرق وهي بلاد القسط والقنا والخيزران. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص359.

[3] أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ص269.

[4] القاضي أبو المعالي اطهر المباركيورى: الهند في عهد العباسيين، القاهرة ، دار الأنصار، ص43.

[5] محمد نصر مهنا: انتشار الإسلام في آسيا، ص173.

2- الدولة الهبارية بالسند (240هـ/854م-416هـ/1025م) وتنسب إلى عمر بن عبد العزيز الهباري:

لما قتل هارون بن أبى خالد عامل السند، كتب عمر بن عبد العزيز الهباري إلى المتوكل، أنه أن ولى البلد أقام به، وضبطه، فأجباه المتوكل إلى ذلك، وذلك في سنة أربعين ومائتين، فأقام طول أيامه المتوكل، وبعد قتل المتوكل في سنة سبع وأربعين ومائتين ولى الخلافة ابنه المنتصر، وهاجت الفتن في الخلافة العباسية، فأعلن عمر بن عبد العزيز الهباري استقلاله بالسند، إلا أن الخطبة كانت لبنى العباس، وكانت قاعدته المنصورة[1]، وقد عاشت هذه الأمارة حتى اقتحم السلطان الغزنوى الهند، وضم إماراتها لسلطانه حوالي سنة 416هـ/1025م[2].

ويقول ابن حوقل: "أن سكان السند من المسلمين وملكها من قريش من ولد هبار بن الأسود، وقد تغلب عليها أجداده، وساسوهم سياسة أوجبت رغبة الرعية فيهم وإيثارهم على من سواهم غير أن الخطبة لبني العباس"[3].

والهباريون كانوا من أهل السنة والجماعة، ولذلك قام صراع بين الهباريين ودعاة الإسماعيلية، حيث كان للإسماعلية نشاط سري في السد، حيث تطلعوا لنشر دعوتهم في بلدان الخلافة العباسية الشرقية، فبعثوا الدعاة محملين بكتب الدعوة، ولتنفيذ خطبتهم بعث الخليفة الفاطمي العزيز بالله جيشا بقيادة جلم بن شبيان إلى السند، وتمكن هذا الجيش من دخول الملتان بسهولة، وخطب للخليفة الفاطمي، لذا أصبح سلطان الإسماعيلية قويًا في السند، وتمكن دعاة الإسماعيلية من التغلب والسيطرة على المنصورة[4].

[1] القاضي أبو المعالي اطهر المباركيورى: المرجع السابق، ص55.

[2] أحمد شلبي: المرجع السابق، ص270.

[3] ابن جوقل: صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة، (1399هـ/1979م)، ص277.

[4] نصارى فهمي محمد غزالي: الإمارات العربية المستقلة في شبه القارة الهندية، المنيا، مطبعة الأمانة، ص39-40.

3- الدولة السامية بالملتان (279هـ/892م) وكان أميرها محمد بن القاسم السامية:

محمد بن القاسم بن المنبه السامي صاحب الملتان، أقام دولة في عُمان وفي الملتان أيام المعتضد (رجب 279هـ/289م). والدولة السامية في الملتان، حكموا عليها باسم بني المنبه، وكان قيامها في حدود سنة تسع وسبعين ومائتين[1].

وقد تمتعت الإمارة السامية بالقوة، فقد حاول ملوك الهند غزو الملتان، للاستيلاء عليها، إلا أن بني أسامة كانوا ينتصرون عليهم، ويردونهم منهزمين، حيث كانت تمتلك الملتان الحصون المنيعة، كان أمير الملتان لا يدخلها إلا في يوم الجمعة فيركب الفيل ويدخل إلى صلاة الجمعة[2].

وقد سقطت الدولة السامية على يد النفوذ الإسماعيلي الذي كان قد ازداد وقوي في هذه المنطقة حين ازدهرت الخلافة الفاطمية في مصر، وكان ذلك حوال سنة 357هـ/985م، وكان ذلك على يد عبد الله الأشتر الذي كان مبعوثًا من قبل أبيه، الذي ثار بالمدينة المنورة على عهد أبي جعفر المنصور[3].

4- الدولة الإسماعيلية بالملتان (375هـ/985م-401هـ/1010م):

نسبة إلى مدينة الملتان بإقليم البنجاب، وقد سبقت الإشارة إليها في أول من فتح الملتان من العرب هو القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفي في عهد الخليفة الوليد ابن عبد الملك الأموي في سنة 94هـ/712م.

وكان أول حاكم مسلم لإقليم الملتان هو داوود بن وليد العماني من قبل محمد بن القاسم الثقفي، وقل استقل بحكم الملتان لنفسه اثر الاضطرابات السياسية التي قامت بعد مقتل محمد بن القاسم الثقفي، وظلت حكومة الملتان في أيدي الحكام العرب حتى أواخر العصر العباسي، ولكنها

---

[1] القاضي أبو المعالي اطهر المباركيورى: الهند في عهد العباسيين، ص59-60.

[2] الاصطخري: مسالك الممالك، ص175.

[3] نصارى فهمي محمد غزالي: الإمارات العربية المستقلة في شبه القارة الهندية، ص47.

لم تكن تابعة لحكم والي المنصورة ببلاد السند، وإن كانت تظهر ولاءها-اسميًا- للخلافة الأموية ثم العباسية وتدعو لها في الخطب[1].

إلى أن وصل أول رجل شيعي بلاد السنة، وأجرى اتصالات مع علماء السند المسلمين لنشر المذهب الشيعي، ومن الأرجح أنه لم ينجح، فانتقل إلى إقليم الملتان ونجح هناك، وبدأ الدعاة الشيعة يفدون إلى المنطقة، حتى استطاعوا بعد قرن من إقامة دولتهم في الملتان، ثم في المنصورة فيما بعد.

اختار الخليفة العباسي عالمًا سنيًا كبيرًا وأسرته بهدف الوقوف على التيارات الفكرية والسياسية الجديدة للشيعة في بلاد السند، واستطاعت هذه ألخيرة خدمة الدين الإسلامي.

فجاء السلطان محمود الغزنوى ليطرد حكام الشيعة من الملتان، ومن الأرجح أن الشيعة الذين طردوا من الملتان أو هربوا منها، قد جمعوا شتاتهم واستولوا على المنصورة سنة 401هـ/1010م، حيث كانت الدولة الهبارية قد ضعفت وظهرت تيارات سياسية عديدة في بلاد السند[2].

فقد أصبحت الدعوة الشيعية علنية بعد أن قامت الدولة الفاطمية في مصر، وأيدت الدولة الفاطمية النشاط الشيعي في اليمن والهند، ووجهت الدعوة الشيعية تجاه المذهب الفاطمي، فأصبحت دعوة إسماعيلية، واستطاعت هذه الدولة أن تسقط الدولة السامية، وقد سقطت هي على يد الغزنويين، ثم استعادت مكانتها نتيجة لضعف الدولة الغزنوية، ولكن جاء الغور ليقضوا عليها وعلى نشاطها[3].

5- الدولة المعدانية في مكران (340هـ/951م):

يتزعمها عيسى بن معدان، ويلق (مهراج)، وفي 340هـ/951م، ولما توفى عيسى تولى ابنه معدان والذي توفي 122هـ/1030م، ثم حدث خلاف بين ولديه عيسى وأبى العساكر، وكان

[1] محمد نصر مهنا: انتشار الإسلام في آسيا، ص203-204.

[2] أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ص271.

[3] محمد نصر مهنا: انتشار الإسلام في آسيا، ص204-205.

النصر للأخير بمساعدة الغزنويين، وقد انقرضت دولة بني معدان على يد السلطان غياث الدين الغوري.

تلك كانت كلمة سريعة عن عصر الولاة والأمراء بمناطق الهند إلى أن جاء الزحف الغزنوي الذي قضى على هذه الإمارات واتسع اتساعًا كبيرًا[1].

المرحلة الثالثة: العهد الغزنوي:

فعندما كان إسحاق بن ألبكتكين واليًا على غزنة من قبل السامانيين الذين كانوا تابعين اسميًا للخلافة العباسية، ولما توفى إسحاق أجتمع القواد الكبراء على اختيار سبكتكين، لما عرفوه من عقله ودينه ومروءته، فلما ولى أمر غزنة حقق ظن الناس فيه، وساس أمورهم سياسة حسنة، وجعل نفسه كأحدهم في الحال والمال، وبذلك قامت الدولة الغزنوية السبكتكينية سنة 366هـ-977م، وظلت تحكم زهاء القرنيين من الزمان، وعندما استقر له الأمر في غزنة، فكر في أمر الهند، وبدأ يرسل إليها الجيوش، وكان ولده محمود عضده وساعده الأيمن في حروبه، والذي قبض على ناصية الحكم بعد وفاة أبيه، وبعد قيام مناوشة بينه وبين أخيه الذي عهد إليه بالحكم دون محمود الأكبر سنًا[2].

فكان للسلطان محمود الغزنوي جهود وفتوحات واسعة، وكان ضمن هذه الفتوحات زحفه إلى الهند وقد غزا محمود الغزنوي الهند سبع عشرة مرة خلال حكمه الطويل فكانت كل سنة تقريبًا، تشهد إحدى غزواته لتلك البلاد، حتى خضع له شمال شبه القارة الهندية من غزنة إلى بنارس، ومن الهمالايا إلى الدكن[3].

سار السلطان محمود الغزنوي علي سياسة أبيه، التي تنطوي على بسط سيطرة الدولة الغزنوية على بلاد الهند، وساعد على ذلك قرب غزنة من بلاد الهند الشمالية، ووقوعها على قمة الهضبة التي تشرف على سهولها، ورأى في بلاد الهند ميدان الجهاد الأكبر، وسعى إلى نشر

---

[1] أحمد شلبي: المرجع السابق، ص271.

[2] عبد المنعم النمر: المرجع السابق ، ص77.

[3] أحمد شلبي: المرجع السابق، ص273.

الإسلام وإحلاله محل البرهمية في كل مكان، وأخضع البنجاب، حيث استطاع خلفاؤه من بعده، أن يثبتوا سلطانهم في عاصمتهم لاهور طوال مائة وخمسين سنة، واندفع في فتوحاته إلى ما وراء نهر الكنج، ليختتم فتوحاته في الهند باحتلال كجرات، فكان يرى أن غزوه للهند كفارة لما كان منه من قتال المسلمين، حتى بلغت فتوحاته في بلاد الهند حدًا لم تبلغه رايات الإسلام المنصورة من قبل، ودخل في دين الله أفواجًا العديد من أهل الهند[1].

لم يتوقف السلطان محمود الغزنوي عن سياسته في مواصلة ضم المزيد من البلاد الهندية إلى دولته والقضاء على الوثنية. محمود الغزنوي كان من خيرة قادة وزعماء الإسلام فقد بلغ في فتوحه إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية، ولم تنل به قط سورة ولا آية، فدحض عنها أجناس الشرك وبنى بها مساجد وجوامع، وأقام بدلاً من بيوت الأصنام مساجد الإسلام، ومن مشاهد البهتان معاهد التوحيد والإيمان[2]، فلقبه المؤرخون بلقب (مكسر الأصنام)، كما كان أول من تلقب بلقب السلطان من أمراء المسلمين[3].

ولما ضعفت الدولة الغزنوية، لجأ سلاطينها إلى ولاياتهم في بلاد الهند، للاعتصام بها والاستعانة بأهلها، لرد الغزاة الطامعين في غزنة–حاضرة ملكهم، ولكن بتفاقم خطر الغور، انتهت الدولة الغزنوية، التي يرجع إليها الفضل في توطيد أقدام المسلمين في أرض الهند، ونشر الإسلام في تلك الديار، ولما كان الغزنويين سنيين متشددين، فقد أعتنق اليهود الإسلام على المذهب السني وحذوا حذو غزاتهم في تعصبهم وتزمتهم.

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدولة الإسلامية المستقلة في الشرق، القاهرة، دار الفكر العربي، (1408هـ/1987م)، ص120–124.

[2] معمر جعيرن : الامارة الغورية في المشرق، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 2، 2012، ص35.

[3] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، محمد السعيد جمال الدين: المشرق الإسلامي بعد العباسيين (656هـ–1343هـ)، القاهرة، شركة سفير، (1417هـ/1996م)، ص79.

كذلك عرف أهل الهند اللغة الفارسية عن الغزنويين، كذلك وجد المتصوفين من الفرس والترك في بلاد الهند خير ملجأ يلجأون إليه من بلادهم المضطربة، وكان إلى جانب اللغة الفارسية كذلك انتشرت الثقافة الفارسية ومظاهر الحياة التركية والفارسية[1].

المرحلة الرابعة: الدولة الغورية

خلف علاء الدين الغوري كل من غياث الدين محمد بن سام، وأخوه شهاب الدين أبو المظفر محمد بن سام، واستطاعوا الاستيلاء على غزنة، ولما أستولي عليها، أحسن السيرة في أهلها، وأفاض العدل، وافتتح جبال الهند، ثم قصد لاهور وبها خسرو شاه (579هـ/1183م) في جيش كثيف وحاصرها، ثم راسل خسرو شاه، وبذل له الأمان على نفسه وأهله وماله ومن أفقطاع ما أراد، وأن يزوج ابنته بابن خسرو شاه على أن يطأ بساطه، ويخطب لأخيه، فامتنع عن أجابته، فشدد شهاب الدين الحصار على لاهور حتى ضعفت نفوس أهلها، وخذلوا خسرو شاه، فخرج خسرو شاه إلى شهاب الدين، فبعثه وولده مع جيش يحفظونهم إلى أخيه غياث الدين، فلما وصلوا إلى بلاد الغور قبض عليهم وحبسهم فكان آخر العهد بهم، وانقرضت دولة سبكتكين، واستولى الغورية على أعماله[2].

زحف شهاب الدين محمد إلى لاهور سنة (582هـ/1186م)، وبدأ بذلك حكم الغوريين للهند، وزال عنها حكم الغزنويين بعد أن حكموها من(392هـ/1001م) إلى(582هـ/1186م)، وقد جعل الملك غياث الدين أخاه شهاب الدين نائبًا عنه في حكم الهند، فأخذ يعمل على إخضاع البلاد له وتوسيع ملكه فيها، متخذًا من لاهور عاصمة له في الهند.

وكان شهاب الدين بحروبه وانتصاراته في الهند يشبه إلى حد كبير السلطان محمود الغزنوي، فكلاهما كان له قدم راسخة، وجهاد مشكور في فتح الهند، وتحطيم أصنامها، والعمل على رفع راية الإسلام بها[3].

---

[1] عبد الستار مطلك درويش : الامارة الغورية في المشرق، دار عالم الثقافة ، عمان ، الاردن ، 2011، ص17.

[2] رزق الله منقريوس الصرفي: تاريخ دول الإسلام، القاهرة، مطبعة الهلال، (1325هـ/1907م)،ج2، ص19.

[3] عبد المنعم: المرجع السابق ،ص98.

قام شهاب الدين ملك غزنة في برشاوور (589هـ/1193م)، بتجهيز مملوكه أيبك في عساكر كثيرة، فأدخله بلاد الهند يغنم ويسبي، ويفتح من البلاد ما يمكنه، فدخلها وعاد فخرج هو وعساكره سالمًا، وقد ملاؤا أيديهم من الغنائم، وسار شهاب الدين الغوري في سنة (590هـ/1194) من غزنة في عساكره نحو الهند، فالتقى العسكران على (ماخون)، وهو نهر كبير يقارب دحلة بالموصل، وكان مع الهندي ملك بنارس أكبر ممالك الهند سبعمائة فيل، ومن العسكر على ما قيل ألف ألف رجل، ومن جملة عسكره عدة أمراء مسلمين، وكانوا في تلك البلاد أبا عن جد، من أيام السلطان محمود بن سبكتكين، يلازمون شريعة الإسلام، ويواظبون على الصلوات، وأفعال الخير[1].

فلما أتلقى المسلمون والهنود أقتتلوا، فصبر الكفار لكثرتهم، وصبر المسلمون لشجاعتهم، فانهزم الكفار، ونصر الله المسلمون، وكثر القتل في الهنود حتى امتلأت الأرض وجافت[2]. فلما انهزم الهنود، دخل شهاب الدين بلاد بنارس، وحمل من خزائنها على ألف وأربعمائة جمل، وعاد إلى غزنة[3].

حاصر قلعة بهنكر سنة 592هـ/1196م، وهي قلعة عظيمة منيعة، فَطلب أهلها منه الأمان على أن يسلموها إليه، فأمنهم وتسلمها، ثم سار عنها إلى قلعة كوالير، فصالحوه وحملّوا إليه فيلاً حمله ذهب، فرحل عنها إلى بلاد آيٍ وسور، فأغار عليها ونهبها، وسبى وأسر ما يعجز العاد عن حصره، ثم عاد إلى غزنة سالماً.

وفي (597هـ/1201م)، أرسل شهاب الدين مملوكه قطب الدين أيبك إلى نهرواله، فوصلها سنة (598هـ/1202م)، فلقيه عسكر الهنود، فقاتلوه قتالا شديدًا، فهزمهم أيبك، واستباح معسكرهم، وما لهم فيه من الدواب وغيرها، وتقدم إلى نهرواله، فَملكها عنوة، وهرب ملكها، فجمع وحشد[4].

---

[1] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، القاهرة، المطبعة الأزهرية المصرية، (1301هـ/1884م)، ج12، ص49.

[2] نفسه ، ج12، ص49.

[3] عبد الستار مطلك درويش : المرجع السابق، ص29.

[4] جعيرن معمر: المرجع السابق ،ص49.

توفي السلطان غياث الدين الغوري (599هـ/1202م)، وكان من أعدل وأعظم حكام الدولة الغورية، وكان شافعي المذهب، ومع ذلك لم يحمل الناس على إتباع مذهبه، وقرب إليه الشعراء والعلماء، ونبغ منهم الكثيرون في عهده[1]، وغياث الدين العوري هو (أبو الفتح محمد بن سام بن حسين) سلطان غزنة، كان ملك جليل عادل محبب إلى رعيته كثير المعروف والصدقات، تفرد بالممالك بعده أخوه السلطان شهاب الدين[2].

كان السلطان شهاب الدين محمد عادلاً حسن السيرة في رعيته، وبلغ من اهتمامه بسير العدالة أن القاضي بغزنة يحضر داره في بعض أيام الأسبوع، ويحضر معه أمير حاجب وأمير دار وصاحب بيت المال، فيحكم القاضي وموظفوا السلطان ينفذون أحكامه على الصغير والكبير الشريف والوضيع[3].

وفي عام (601هـ/1204م)، أمر شهاب الدين مملوكه أيبك –مقدم عساكر الهند– أن يراسل بني كوكر يدعوهم إلى الطاعة، ويتهددهم إن لم يجيبوا إلى ذلك، فلم يصغ بني كوكر إِلَى قَول رسوله، فأمر شهاب الدين مملوكه قطب الدين أيبك بالعود إلى بلاده، وجمع العساكر، وقتال بني كوكر، فعاد إلى دهلي، وأمر عساكره بالاستعداد، ولما رأى شهاب الدين عدم استطاعة عماله في إخضاع الكهكوية وأعوانهم، سار بنفسه إلى بلاد الهند، لإعادة الأمن والهدوء إليها، واشتبك الطرفان في قتال عنيف، هزم الغور أعداءهم، وقتلوا كثيراً منهم[4]، وبذلك عادت إلى الغور هيبتهم في بلاد الهند، وأمنت أمبراطوريتهم في الهند من حركات التمرد، بل وفد على شهاب الدين بعض رؤساء القبائل الذين انضموا إلى الكهكوية يعلنون ولاءهم، وعودتهم إلى الطاعة[5].

السلطان شهاب الدين الغوري (أبو المظفر محمد بن سام) صاحب غزنة، قتلته الإسماعيلية في شعبان سنة 602هـ/1206م، بعد قفوله من غزو الهند، وكان ملكاً جليلاً مجاهدًا، واسع

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المشرق الإسلامي بعد العباسيين، المرجع السابق ، ص84.

[2] شمس الدين الذهبي: العبر في خبر من غبر، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، أربعة أجزاء، ج3، ص133.

[3] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، حوادث سنة 602هـ، ج12، ص97.

[4] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص129.

[5] عبد الستار مطلك درويش : المرجع السابق، ص40.

المماليك حسن السيرة، وهو الذي حضر عنده فخر الدين الرازي وقال: "يا سلطان العالم لا سلطانك يبقى ولا تلبيس الرازي يبقى، وإن مردنا إلى الله"، فتنحب السلطان بالبكاء[1].

فقد اقتصر حكم الغور في الهند على غياث الدين وأخيه شهاب الدين، الذي تولى فتح الهند، وبعد قتله شغل الغوريين بالخلافات والحروب بينهم بشأن الملك، بينما كان قطب الدين أيبك قائما في الهند بشأن الحكم فيها، مستقلاً بأمورها بعد أن وافق الملك الغوري الذي خلف شهاب الدين وهو محمود بن غياث الدين، على اضطلاعه بالحكم في الهند، وبذلك أتيح لـ قطب الدين أيبك أن ينشئ دولة مستقلة في الهند، يتولاها المماليك من أسرته، أو من يقوى على انتزاع الحكم له بأي أسلوب يوصله إليه، كما كان الحال مع المماليك في مصر[2].

بانقضاء حكم الغوريين في شمال الهند، بدأ قيام الدولة الإسلامية المستقلة في شبه القارة الهندية، وهذا بوصول المماليك للحكم، حيث كانت الهند تابعة لملك الغزنويين والغوريين، ولكن المماليك لم يكن لهم وطن سواها[3]، وبإبتدأ دولة المماليك، بدأت أسر حاكمة في الهند وحدها، واستمر حكم الهند بواسطة هذه الأسر أكثر من لاثة قرون وبالضبط من 602هـ/1206م إلى 932هـ/1526م إلى أن قامت إمبراطورية المغول الكبرى، والتي ظلت حتى استولى الإنجليز على الهند[4].

---

[1] ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق/ عبد القادر الأرناؤوط، بيروت، دار ابن كثير، (1407هـ/1986م)،ج7، ص15. وقيل أن قتلته هم بني كوكير، وهم طائفة من أهل الجبال مفسدون، فتك بهم السلطان لخروجهم عن طاعته. أبو الفداء: مختصر أخبار البشر، القاهرة، المطبعة الحسينية المصرية، (1325هـ/1907م)، ج3، ص106.

[2] عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، المرجع السابق، ص103.

[3] حازم محمد محفوظ: ازدهار الإسلام في شبه القارة الهندية، الدار الثقافية، القاهرة ، 2004 ص33.

[4] أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ، المرجع السابق ، ص280.

قيام دولة سلطة دهلي في الهند

أقام المماليك دولة في الهند بعد أن زالت دولة الغور، وظلت تحكم أربعة وثمانين عامًا (1206–1290م)، فقد كان الجندي الكفء من أرقاء الترك، يستطيع أن يصل إلى أعلى الدرجات، وأرفعها بما في ذلك من منصب السلطنة[1].

وسلاطين إمبراطورية المماليك في الهند كانوا أرقاء من أجناس مختلفة، وصلوا إلى السلطة، بفضل ما اتصفوا به من شجاعة وبسالة وكفاءة، وكان شأنهم شأن مماليك مصر يحرصون على تخليد أسمائهم بإقامة المنشآت الكبيرة مثل المساجد الفخمة والعمائر الرائعة.

وكانت عامة الناس من الزراع والصناع والتجار أوضاعهم مجمدة لا تتغير ولا تتبدل، ويتعاقب عليهم الحكام من مختلف الأجناس، ويقفون منهم موقف المتفرج، وما عليهم إلا الطاعة والولاء للحاكم سواء كان إيرانيًا أو هنديًا راجبوتيًا أو تركيًا أو أفغانيًا أو منغوليًا، ويسيرون حيث تسير بهم الحياة، كيفما أراد حكامهم الذين يهبون الحياة، أو ينتزعون حقوقهم فيها[2].

وبعهد المماليك بدء استقلال الهند الإسلامية، فلم يكن لهم وطن سواها، وبهذا استقر ثراء الهند في الهند، وأصبح الحاكم والمحكوم إنسانًا هنديًا، يعمل لرفعه شأن بلاده، ويكدح لضمان ازدهارها[3].

دولة سلاطين المماليك (602هـ/1206م:686هـ/1287م)

قطب الدين أيبك (602هـ/1206م:607هـ/1210م)

كان أحد مماليك معز الدين محمد سام غوري المشهور بـ(شهاب الدين الغوري)، وقد جلب من تركستان في صغره، فاشتراه أحد القضاة في نيسابور (فخر الدين عبد العزيز الكوفي)، علمه القرآن مع أبنائه، وعنى بتربيته وتعليمه حتى تبحر في العلوم، وأكسبه الأدب، واشتراه بعد ذلك

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق ، المرجع السابق، ص352.

[2] نفسه ، ص353.

[3] أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، المرجع السابق، ص282.

تاجر بثمن مرتفع. وقدمه هدية إلى السلطان معز الدين في غزنين، فاشتراه بثمن باهظ، وعندما انكسر إصبعه الخنصر قالوا له (أيبك)، كان يخدم السلطان بإخلاص، لذا نال في فترة قصيرة القرب والاختصاص[1].

وكان (قطب الدين) يلقب (سباه سالار) ومعناها مقدم الجيوش، وقد ألقى جلساء السلطان شهاب الدين، أن قطب الدين يريد الانفراد بملك الهند، وأنه قد عصي وخالف، وبلغ هذا الخبر قطب الدين، فبادر بنفسه وقدم غزنة ليلاً، ودخل على السلطان، ولا علم عند الذين وشوا إليه، فلما كان بالغد قعد السلطان على سرير، وأقعد (أيبك) تحت السرير بحيث لا يظهر، وجاء الندماء والخواص الذين سعوا به، فلما أستقر بهم الجلوس، سألهم السلطان عن شأن (أيبك) فكرروا له، أنه عصي وخالف وقالوا قد صح عندنا أنه أدعى الملك لنفسه، فضرب السلطان سريره برجله فصفق بيديه وقال: يا (أيبك)، فقال: لبيك، وخرج عليهم فسقط في أيديهم وفزعوا إلى تقبيل الأرض، فقال لهم السلطان: "قد غفرت لكم هذه الزلة وإياكم والعودة إلى الكلام في (أيبك)". وأمره أن يعود إلى بلاد الهند[2].

وقد توجه إلى دلهي للاستيلاء عليها، ولكن ملكها تقدم له بالخضوع والهدايا، فرأى أن يتركه في مملكته، ولكن قطب الدين توجه إلى دلهي بعد ذلك، واستولى عليها وضمها إلى البلاد الإسلامية، وجعلها عاصمته في الهند، وكان ذلك (589هـ/1193م)، ومنذ ذلك الوقت احتفظت بمكانتها كعاصمة للبلاد الإسلامية، وإن كان البعض اتخذ عاصمة غيرها أحيانا.

ولكنها ظلت تحتفظ بمركزها بين المدن الهندية الكبرى كمركز للفكر والحكم الإسلامي حتى دخلها الإنجليز 1274هـ/1857م وظلت محتفظة بمكانتها الفكرية للآن[3].

---

[1] نظام الدين أحمد بخشى الهروي: طبقات أكبرى "المسلمون في الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني" ، ترجمه عن الفارسية/ أحمد عبد القادر الشاذلي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1416هـ/1995م)، ج1، ص54-55.

[2] رحلة ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب المصار وعجائب الأسفار، مراجعة وتصحيح لجنة من الأدباء، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ، (1357هـ/1938م)، ج2، ص20-21.

[3] عبد المنعم النمر: المرجع السابق ، ص100-101..

وقد عرف عن أيبك الحنكة السياسية والكفاءة الحربية، عندما جعل من دلهي قاعدة لحكمه في بلاد الهند بدلا من لاهور التي تبعد عن البلاد الهندية التي يمتلكها الغور[1].

ولم يأل (قطب الدين أيبك) جهدًا في سبيل توسيع رقعة دولة الغور في الهند، بل عمل على ضم المزيد من بلاد الهند إلى حوزة الغور، ففي 593هـ/1196م استولى (أيبك) على (جاولار)، كما استولى على (نهرواله).

وفي سنة 599هـ/1202م ضم (كالنجار) إلى حوزته، ولم تستطيع قلعتها الصمود أمام ضربات المسلمين القوية، فاستسلمت حاميتها، يضاف إلى ذلك استيلاء الغور على بعض البلاد في شمال الهند، وبذلك سيطر الغور على أراضي شمال الهند كلها.

لذا لم يتبدل الأمر بالهند بعدما قتل (شهاب الدين)، وشغل الغوريون بعده بالنزاع على الحكم، فقد كان بالهند حاكمها الفعلي، وقائد جيوشها، فظل قابضا على ناصية الحكم، ولم يجد خلف (شهاب الدين) بدًا من إقراره على الهند، بل إقطاعها له، فأعتقه وأرسل له المظلة المملوكية، وغيرها من إمارات السلطنة، فجلس على عرشها سنة 602هـ/1206م[2]، حيث أرسل إليه ألف قباء، وألف قلنسوة، ومناطق الذهب، وسيوفًا كثيرة وجترين، ومائة رأس من الخيل، وسار رسول أيبك إلَيه، وكَّان بـ(فرشابور) قَد ضبط المملكة وحفظ البلاد، ومنع المفسدين من الفساد والأذى، والناس معه في أمن، فلما قَرب الرسول منه لقيه على بعد، وترجل وقبل حافر الفرس، ولَبِسَ الخلعة، وقَّال: "أما الجثر فلا يصلح للمماليك، وأما العتق فَمقبول، وسوف أجازه بعبودية للأبد"[3].

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، المرجع السابق ص344-345.

[2] نفسه ، ص345.

[3] ابن الأثير: الكامل في التاريخ،المصدر السابق، ج2، ص115. أبو الفداء: مختصر أخبار البشر، المصدر السابق ، ج3، ص108.

وكان (قطب الدين أيبك) أول سلاطين المماليك بالهند مثالا للعدالة والشهامة والكرم، فقد اهتم بتحسين صلته بالهنادكة، واستطاع بهيبته أن يجعل الأمن يعم البلاد[1]، وكان يعطي الناس أكثر مما يستحقون ودون حساب، حتى اشتهر باسم (لك بخش) أي معطى المائة ألف...[2].

كما يعتبر قطب الدين أول سلطان مسلم يحكم دولة المسلمين في الهند، وتمكن هذا السلطان بفضل قوته وشجاعته وكفاءته الإدارية من بسط سيطرته على شمال الهند على مدى العشرين عامًا التي حكمها، وضبط الأمور في دولته[3].

وقد انصرف إلى القيام ببعض الإصلاحات، وبناء بعض المساجد مثل المسجد الكبير الذي شيده في دلهي والتي اشتهرت منارته التي لا تزال معروفة للآن باسم قطب مينار أي (منارة قطب)، كما بنى مسجدًا معروفًا باسمه في أجمير، كما أسس مسجد (قوة الإسلام) تخليدًا لذكرى استيلائه على دلهي.. وهو من أعظم المساجد في العالم.

لم تمتد أيام قطب الدين أيبك في السلطنة كثيرًا، فقد توفي بعد ذلك بمدة قصيرة سنة606هـ/1210م، ودفن بـ(لاهور) على أثر حادث أصابه وهو يلعب لعبته الرياضية المحببة إليه.[4]

آرام شاه بن قطب الدين (607هـ/1210م)

عندما توفى السلطان قطب الدين، أجلس أمراء وأركان الدولة (آرام شاه) على عرش دلهي، لأنه لم يكن هناك ابن غيره وريثًا، وأرسلوا الأحكام والمنشورات إلى الأطراف والنواحي، وبشروا بالعدل والإنصاف، وأثناء ذلك أرسل (سبه سالار) على إسماعيل أمير بلاد دلهي بالإتفاق مع

[1] Stanley Lanc-Poole: the story of the nation "Medieval India under Mohammedan Rule712-1764, New York, 1903, p68.

- أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ص283.

[2] Lanc-Poole: Medieval India, p68.

[3] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: بلاد الهند في العهد الإسلامي "منذ فجر الإسلام حتى الغزو الإنجليزي"، دار الفكر العربي، القاهرة ، (1417هـ/1996م)، ص61.

[4] عبد المنعم النمر: المرجع السابق ، ص106.

جماعة من الأمراء رسولا، لاستدعاء ملك (ألتمش)، وكان مملوكاً وصهرًا وابنا بالتبني للسلطان قطب الدين وحاكمًا لـ(بداون) واستدعوه للسلطنة، وجاء ملك (ألتمش)، واستولى على المدينة، وجمع (آرام شاه) الذي كان خارج دلهي الجيش وأمراء أبيه، وجاء إلى دلهي، وصف (ملك ألتمش) جيشه في صحراء (جود)، وحارب وهزم (آرام شاه) ولم يمتد حكم (آرام شاه) إلا سنة[1].

وكان شابًا صغيرًا، لا يستطيع القيام بأعباء الملك، لذا عجز عن إدارة شؤون الدولة، فاستدعى رجال الدولة 607هـ/1211م (شمس الدين ألتمش) [2]

شمس الدين ألتمش (607هـ/1211م: 633هـ/1235م)

الملك المؤيد المظفر شمس الدين ألتمش بن أيلم خان الألبري التركماني السلطان الصالح[3].

بعد وفاة قطب الدين اجتمع كبار رجال الدولة، واختاروا (شمس الدين ألتمش) سلطاناً وخلفاً لـ(قطب الدين)، وكان ذلك سنة 607هـ/1211م، وقد كان مملوكاً لـ(قطب الدين)، جلب في صغره إلى بخارى وبقي ينتقل من سيد إلى سيد، حتى اشتراه (قطب الدين)، ورباه في مهد السلطنة، وأخذ يتدرج في المناصب، حتى صار أميرًا في الجند، وزوجه السلطان بابنته، ولما مات (قطب الدين) استبد بالملك، وأخذ الناس بالبيعة، فأتاه الفقهاء يتقدمهم قاضي القضاة إذ ذاك (وجيه الدين الكاساني) فدخلوا عليه وقعدوا بين يديه، وقعد القاضي إلى جانبه كالعادة، وفهم السلطان عنهم ما أرادوا أن يكلموه فيه، فرفع طرف البساط الذي هو قاعد عليه، وأخرج لهم عقداً يتضمن عتقه، فقرأه القاضي والفقهاء وبايعوه جميعاً[4].

يعتبر (شمس الدين ألتمش) المؤسس الحقيقي لدولة سلاطين المماليك في الهند، وبعد أن ولى سلطنة دهلي، تعرض لمشاكل داخلية، تستهدف التخلص منه، ذلك أن بعض رجال الدولة طمع في الوصول إلى الحكم منتهزين الفوضى التي أعقبت وفاة (أيبك)، فقد استولى (قباجة) على

---

[1] نظام الدين أحمد بخشى الهروي: طبقات أكبرى، ج1، ص65.

[2] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص355-356.

[3] عبد الحي الحسنى اللدوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج1، ص126.

[4] عبد المنعم النمر: المرجع السابق ، ص109.

الملتان والسند، وتنازع مع (تاج الدين يلدز) حول السيادة على لاهور، كما أن خلفاء (بختيار الخلجى) سيطروا على (بهار) و(البنغال)، يضاف إلى ذلك، أن قواد (قطب الدين أيبك)، لم يرضوا عن تولية (ألتمش) السلطنة، وانتهز الأمراء الهنادكة فرصة هذه الاضطرابات والقلاقل، وانشغال السلطان في قمعها وتحركوا لنيل استقلالهم[1].

لم يقف (شمس الدين ألتمش) مكتوف اليدين إزاء موقف قواد (قطب الدين أيبك) الترك المناهض له ولحكمه، والذين لم يرضوا، أن ينصب مملوكاً لمملوك، بل عول على إخضاعهم، واشتبك معهم في معركة بالقرب من دلهي، هزمهم فيها شر هزيمة، وأجبرهم على الدخول في طاعته، وكان من أقوى الرجال الذين تصدوا لحكم (ألتمش)، (تاج الدين يلدز) الذي سيطر على (غزنة) بعد انهيار دولة الغور، وبسط نفوذه على البلاد المجاورة لـ(فزنة) حتى اقترب من (خوارزم)، وشن حملات ناجحة على أطراف الهند، وعلى الرغم من أنه أقام الخطبة للسلطان الخوارزمي في (غزنة) إلا أن السلطان لم يطمئن إلى ولاء (يلدز) له، وسار إلى (غزنة) سنة (613هـ/1213م) لانتزاعها من (يلدز)، وطرد الأتراك منها، فولى (يلدز) الإدبار إلى بلاد الهند، والتقى بـ(ناصر الدين قباجة) والي لاهور والملتان والديبل، وغيرها من قبل (ألتمش) في معركة عنيفة هزم فيها (قباجة)، واستولى على (لاهور)، ثم زحف إلى مدينة دلهي لانتزاعها من (ألتمش)، فتصدى له السلطان في معركة عنيفة على الطريق إلى دلهي، وهزمه وقتله في تارين سنة 613هـ/1216م[2].

وكان من المشاكل الداخلية التي واجهها السلطان (ألتمش) قيام بعض الأمراء من راجات الهند بالتأمر عليه، منتهزين فرصة انشغال السلطان بخروج هؤلاء من الذين سبق ذكرهم عن طاعته، حيث استطاعوا الاستقلال ببلدانهم، فسار إليهم في قوة من جيشه، حيث هاجم (جواليار)، وسيطر عليها، ثم سار إلى (ملاوى)، واستردها، كما استولى على جهات أخرى، كان راجات الهند قد أعلنوا استقلالهم بها، ومنها مدينة (أجبن)، وخرب معبدها، وحطم صنمها، وحمل جزءاً منه إلى

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص357-359.

[2] نفسه، ص357.

دلهي، حيث وضعه أمام مسجدها ليطأه المصلون، وبهذا وجه ضربة قاسية إلى الديانة الهندوكية المستقرة في تلك المنطقة، ونشر فيها الدين الإسلامي[1].

لم يكد يستقر الأمر لـ(ألتمش)، حتى تعرض لخطر جديد من قبل المغول، الذين دأبوا يشنون حملاتهم العنيفة على الدولة الخوارزمية، واستولوا على أقاليمها، وألحقوا ببلدانها الخراب والدمار. ولما توفي السلطان الخوارزمي (علاء الدين محمد) خلفه ابنه (جلال الدين منكبرتى)، وعول على استرداد ملك أبيه وأجداده من براثن المغول المعتدين، والتقى جند المغول بالجيش الخوارزمي في معارك ضارية، انتصر وغنم المسلمون ما معهم، وفكوا أسر الأسرى المسلمين، لكن الأمور ما لبثت أن تحولت إلى صالح المغول رغم هزيمتهم، حتى أصبح (منكبرتى) عاجزًا عن الوقوف في وجه المغول، فلم يرى السلطان الخوارزمي بدا من الانسحاب، والسير إلى الهند حتى يستعيد قوته ثم يستأنف الحرب ضدهم[2].

ولكن لم يجد جلال الدين منكبرتى استجابة وقبولاً من دولة المماليك في الهند، فقد توجس (ألتمش) ورجال دولته خيفة من الخوارزميين، ومن أن يتعقبه المغول، ويطيحون به وبدولته، لذلك اصطدم (جلال الدين منكبرتى) بجند (ألتمش) في السنوات الثلاث التي قضاها في الهند، فقد واتته الفرصة لشن الحرب من جديد على المغول، فقد توفي جنكيز خان، وعقبت وفاته انسحاب القوات المغولية الرئيسية التي تحتل أقاليم الدولة الخوارزمية إلى مواطنها الأصلية، فعبر نهر السند 622هـ/1225م وقصد إيران، وظل يقاتل المغول حتى ضعفت ووهنت قوته، وفر من أمامهم، وظلوا يتعقبونه حتى قتل في كردستان (سنة 628هـ/1231م)[3].

وبهذا أمن السلطان دولته من الخطر الخوارزمي، وما قد يسفر عنه من هجوم المغول على بلاده، وكذلك إخضاع الذين ثاروا عليه في السند والبنغال، كما قهر الهنادكة الذين طمعوا في

---

[1] السيد طه أبو سديره: تاريخ الإسلام في شبه القارة الهندية من الفتح العربي إلى الغزو التيموري المغولي (93-814هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، (1430هـ/2009م)، ص124.

[2] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص358.

[3] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، المرجع السابق ، ص359.

الاستبداد ببعض المناطق، وحصل على تصديق من الخليفة ببغداد بقيام أول دولة إسلامية بالهند تسمى بـ(الدولة الأيلتمشية)[1].

حيث أرسل إليه الليفة العباسي المسنتصر بالله تقليدًا بحكم دولة الإسلام في الهند (626هـ/1228م)، ولقبه (ناصر أمير المؤمنين)، وقدم السلطان الخليفة في الخطبة والسكة على نفسه، وأبرز كذلك الألقاب التي منحها له الخليفة على العملة الفضية العريضة التي سكها[2].

ومما لاشك فيه أن اعتراف الخليفة بسلطان دلهي أكسبه محبة وتقدير واحترام رعاياه المسلمين، وتقوية دولته فخرج يقضي على ما تبقى من خصومه، ولم يكن هؤلاء الخصوم قادة من الترك، بل كانوا بعض راجات الهند الذين انتهزوا فرصة انشغال السلطان بمشاكله الداخلية، واستطاعوا الاستقلال ببلدانهم فسار إليهم (ألتمش)، واستعاد (رانثمار)، وكذلك استرد (ماندوار) في جبال السوالك، وفي (629هـ/1231م) هاجم (جواليار)، وحاصر قلعتها شهرًا حتى سيطر عليها، ثم سار إلى (ملاوي) واستردها كذلك، واستولى على (بهلسا) و(آجان)، وعاد إلى الاشتباك مع الخلجيين الذين حاولوا من جديد الاستقلال بالبنغال وتقوية نفوذهم فيها، خاصة بعد وفاة (ناصر الدين محمد شاه)–والى البنغال من قبل أبيه السلطان[3].

وبعد أن وطد نفوذه وسلطانه في دولة المماليك في الهند، وخاض في سبيل ذلك حروبا كثيرة– توفي ألتمش (633هـ/1235م)، ولم تمنعه تلك الغزوات المتكررة من إصلاح أحوال بلاده، فأعاد تنظيم الجهاز الإداري وهو من هذه الزاوية يعتبر رجل دولة من الطراز الأول، وكذلك حرص على إقرار العدالة في بلاده، ورفع الظلم عن رعاياه، وعنى ألتمش بتشجيع العلوم والآداب، وبوفاة (ألتمش) يكون قد بقي من عمر سلطنة المماليك في دلهي ثلاثين سنة، أثقلت المشاكل كاهلها حتى عصفت في النهاية بذلك الصرح الضخم الذي بذل (ألتمش) جهودا كبيرة في سبيل تشييده[4].

---

[1] أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ص283.

[2] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الاسلامية ، المرجع السابق، ص359.

[3] نفسه، ص363.

[4] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: بلاد الهند في العهد الإسلامي "منذ فجر الإسلام حتى الغزو التيموري"، ص69.

ركن الدين فيروز شاه ابن السلطان شمس الدين (633هـ/1235: 634هـ/1236م)

عندما توفي السلطان شمس الدين ألتمش، أجلس الأمراء وأعيان الدولة فيروز شاه على عرش دلهي (633هـ/1235م)، وقدم لوازم الأنعام الصغار والكبار، ونظم الشعراء القصائد الغراء في مدحه ونالوا الأنعام والصلات، وعندما جلس على العرش، انشغل باللهو والمرح عن الملك، وفتح أبواب الخزائن، وقدم العطايا والهبات، وترك حكم الهندوستان لأمه، وكانت جارية تركية، وتشتهر بـ(تركان خاتون)، وقد سيطرت عليه، لدرجة أنها أخذت في إيذاء الحريم الآخرين، الذين حملت لهم الحقد أيام حياة السلطان[1].

وكان والده قد رفع من شأنه من وقت مبكر، حيث ولاء على مقاطعة بدران (625هـ/1228م)، ثم عينه على ولاية لاهور عقب عودته من غزوة كواليار (629هـ/1231م)، وهكذا أصبح هو السلطان المرتقب[2].

ولما بويع ركن الدين بعد موت أبيه، افتتح أمره بالتعدي على أخيه وقتله، وكانت رضية شقيقته، فأنكرت ذلك عليه، فأراد قتلها. فلما كان في بعض أيام الجمع، خرج ركن الدين إلى الصلاة، فلبست عليها ثياب المظلومين، وتعرضت للناس، وكلمتهم من أعلى سطح القصر القديم المجاور للجامع الأعظم، وقالت لهم: (إن أخي قتل أخاه، وهو يريد قتلي معه). وذكرتهم أيام أبيها وفعله الخير وإحسانه إليهم، فثاروا عند ذلك إلى السلطان ركن الدين وهو في المسجد فقبضوا عليه وأتوا به إليها، فقالت لهم: (القاتل يقتل)، فقتلوه قصاصاً لأخيه، وكان ناصر الدين صغيرًا، فاتفق الناس على توليه رضية[3].

---

[1] نظام الدين أحمد بخشى الهروي: طبقات أكبرى، ج1، ص71-72.

[2] السيد طه أبو سديره: تاريخ الإسلام في شبه القارة الهندية من الفتح العربي إلى الغزو التيموري المغولي (93-814هـ)، ص126.

[3] رحلة ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب المصار وعجائب الأسفار، شرحه وكتب هوامشه/ طلال حرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ص445.

رضية الدين بنت ألتمش (634هـ/1236م:637هـ/1240م)

رضية الدين كانت أول امرأة تحكم دولة إسلامية فجلست على العرش (634هـ/1236م)، واستمر حكمها أربع سنوات[1]، وكان (ألتمش) قد عهد إلى ابنته (رضية) بالحكم من بعده، وحاول ألتمش تدريب ابنته على إدارة شؤون البلاد، وعهد إليها بمباشرة السلطنة أثناء غيابه عن دلهي، تمهيدا لتوليتها السلطنة من بعده[2]، وحرصت (رضية) على أن تبلغ مبلغ الرجال في أعمالها وتصرفاتها، حتى تضفي على نفسها الرهبة أمام الناس، فتزيت بزي الرجال[3]، وكانت تركب بالقوس والتركش[4]، والقربان كما يركب الرجال ولا تستر وجهها[5].

قادت (رضية) الجيوش بنفسها ضد أعدائها، وشاهدها الناس وهي تركب الفيل على رأس جيشها.

وقد أثارت المعارضة ضدها، حينما رفعت من شأن رجل حبشي يعمل أميرًا للخيل في بلاطها، يسمى (جلال الدين ياقوت)، وأسندت إليه قيادة الجيش، بل همت به، وهم بها، وتزوجت منه، فدبر الأمراء الترك مؤامرة للتخلص منها، أو على الأقل تقليص نفوذها، ولم تنتهي متاعبها عند إحباط المؤامرة، حيث أعلن حاكم البنجاب الثورة، فسحقت رضية تمرده، أما حاكم (بها تندا) فقد رفع هو الآخر راية العصيان، وقادت (رضية) جيشا لمحاربته، لكنه هزمها وأسرها، وقتل (ياقوت)، وبينما هي بعيدة عن العاصمة إذ بالأمراء الترك في دلهي يعلنون عزلها، ويولون بدلا منها أخوها الأصغر[6]. على الرغم من أن (رضية) كانت سلطانة عادلة وعلى جانب كبير من

---

[1] حازم محفوظ: ازدهار الإسلام في شبه القارة الهندية، المرجع السابق ، ص34.

[2] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص364.

[3] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: بلاد الهند في العهد الإسلامي "منذ فجر الإسلام حتى الغزو التيموري"، ص71.

[4] **التركش:** لفظة فارسية، تعني الجعبة الكنانة. سليم النعيمي: ألفاظ في رحلة ابن بطوطة، بغداد، مجلة المجمع العلمي العراقي، 1394هـ/1974م، مجلد24، ص44.

[5] ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2، ص22.

[6] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: بلاد الهند في العهد الإسلامي "منذ فجر الإسلام حتى الغزو التيموري"، المرجع السابق ، ص71.

الكفاءة والمقدرة، شجعت العلوم والآداب، وكانت تتجول في الأسواق في زي الرجال، وتجلس إلى الناس، وتستمع إلى شكواهم وقد استمر حكمها من (634هـ-637هـ)(1236-1240)[1].

معز الدين بهرام شاه (637هـ/1240م: 639هـ/1242م)

(معز الدين بهرام شاه) ابن السلطان (شمس الدين ألتمش)، ولى سلطنة دلهي سنة 637هـ/1240م، ولم يستطيع الانفراد بالحكم لضعفه، بل اضطر إلى الخضوع للأمراء الترك، والسير وفق أهوائهم وأسند أمر الملك كله إلى واحد منهم هو وزيره (اختيار الدين ايتيكين)، الذي قبض على زمام الأمور في الدولة دون السلطان، ولم يلبث أن غضب السلطان من وزيره الذي جعله اسمًا فقط، فدبر السلطان مؤامرة لاغتياله، وأدى نجاحها إلى استرداد سلطانه، لكنه لم يستمتع بالانفراد بالحكم طويلاً، ذلك أن (بدر الدين سنقر) -أمير حاجب- سيطر على أمور الدولة، كذلك تعرض السلطان لمؤامرة أخرى تستهدف خلعه[2]. ولم تستتب الأمور في دلهي بإحباط تلك المؤامرات، حيث ظل أسير حاجب قابضاً على زمام الأمور في الدولة، وبينما تسير في طريق الاضطراب واجهت خطرًا آخر ليس من الداخل، ولكن من الخارج[3]، ذلك هو خطر المغول الذين هاجموا لاهور سنة (639هـ/1241م)، فقاد أمير حاجب جيشا إلى لاهور لوقف تقدم المغول، غير أنه لم يلبث أن توجس خيفة من السلطان إذ رأى أن ابتعاده عن العاصمة سيؤدي إلى تأمر السلطان وحاشيته ورجاله ضده، وعزله من منصبه، ومنعه من دخول دلهي، وانضم إليه الجيش في إعلان العصيان والتمرد على السلطان، فأرسل إليه (بهرام شاه) رسولاً من رجال الدين، ليحثه هو والجند على ترك الفتنة والمضي قدما في طريق الجهاد في سبيل الله، لكن الشيخ الرسول لم يقم بالواجب الذي كلفه به السلطان، بل انضم إلى الثوار، وعادوا جميعا إلى دلهي، وتركوا المغول يهاجمون لاهور، وعاد الشيخ إلى دلهي، وبعد ذلك جاء (نظام الملك) وسائر الأمراء لمحاربة السلطان (معز الدين) في دلهي، وحاصروه، وأخذوا في قتاله يومياً، وعندما اتفقوا مع أهالي

---

[1] نظام الدين أحمد بخشى الهروي: طبقات أكبرى، ج1،المرجع السابق ، ص74.

[2] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، المرجع السابق ،ص365.

[3] نفسه ، ص366.

المدينة، استولوا على دلهي، وحبسوا السلطان عدة أيام، وقتلوه، وكانت مدة حكمه سنتين وشهرًا وخمسة عشر يوماً[1].

علاء الدين مسعود شاه (639هـ/1242م: 644هـ/1246م)

عندما قتلوا السلطان (بهرام شاه)، جلس ملك (عز الدين بلبن) على عرش دلهي، ونودي في المدينة ولم يرض الأمراء والملوك، وفي الحال أطلقوا سراح السلطان (ناصر الدين)، والسلطان (جلال الدين) أبناء (شمس الدين ألتمش)، والسلطان (مسعود شاه) ابن السلطان (ركن الدين)، وكانوا محبوسين في القصر الأبيض[2].

أجلس الأمراء والملوك السلطان (علاء الدين مسعود شاه) على عرش دلهي في ذي القعدة (639هـ/1242م)، وكان عمره لا يتجاوز السادسة عشرة، ولم يكن (علاء الدين) أسعد حظاً من سابقيه، فقد فوض أمر دولته إلى (قطب الدين حسن)، وجعله نائبًا ووزيرًا له، لكنه استبد بالسلطة دونه، وأسند الوظائف الإدارية الهامة في الدولة إلى أعوانه وأنصاره، وتأمر السلطان على وزيره وقتله، وعهد إلى (نجم الدين أبو بكر) بمنصب نائب السلطان وعين (بلبن) في منصب أمير حاجب[3].

وفي سنة (642هـ/1244م) جاءت جيوش المغول إلى ديار لكهنوتي وآجه، جمع السلطان أمراءه، واتجه بسرعة إلى نواحي آجه، وعندما وصل إلى شاطئ نهر بياه، تراجع جيش المغول الذي كان يحاصر قلعة آجه، وعاد السلطان ظافراً ومنتصراً إلى دلهي، وبعد ذلك انحرف السلطان (علاء الدين) عن طريق العدل والإنصاف، وسلك طريق القتل والسلب، ولهذا تجمع الأمراء والأكابر، واتفقوا على حبس السلطان (علاء الدين)، فقبضوا عليه وحبسوه 644هـ/1246م، ومات في السجن بعد فترة حكم دامت أربع سنوات وشهر ويوم واحد[4].

---

[1] نظام الدين أحمد بخشى الهروي: المرجع السابق، ج1، ص74-76.

[2] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، المرجع السابق ، ص366.

[3] نظام الدين أحمد بخشى الهروي: طبقات أكبرى، المرجع السابق ، ج1، ص77.

[4] نفسه ، ج1، ص77.

ناصر الدين محمود (644هـ/1246م: 664هـ/1266م)

اتفق الأمراء والأكابر على أن يكتبوا إلى (ناصر الدين محمود) ابن السلطان (شمس الدين ألتمش)، الذي كان في بهرائيج واستدعوه، وعندما وصل إلى دلهي، قبضوا على السلطان (علاء الدين مسعود شاه)[1].

كان (ناصر الدين محمود) حاكماً صالحاً، يسير على نمط الخلفاء الراشدين[2]، نادى برفع المظالم، وأظهر العدل والكرم، وكان ورعاً ومتعبداً ذا حلم وأناة ورأفة، وراغباً في الخيرات مع الزهد والتقشف، وكانت له عناية عظيمة بالأدب، ومعرفة حسنة بالكتابة[3].

في سنة الجلوس، قاد السلطان (ناصر الدين محمود) الجيش إلى الملتان وعبر نهر لاهور، وجعل (الغ خان) على رأس الجيش، وأرسله إلى ناحية جبل جود وأطراف نندنه، فانتهب (الغ خان) جبل جود وجميع بلاد هذه الناحية، وقتل (كهوكهران) والمتمردين هناك، ووصل إلى خدمة السلطان، وعاد السلطان إلى دلهي بسبب نقص العلف، وفي 645هـ، ثم عاد إلى ما بين النهرين (نهر الكنج ونهر السند)، وفي نفس السنة اتجه إلى (كره)، وجعل السلطان (الغ خان) على مقدمة الجيش، وانتهب (الغ خان) قرى دلكي وملكي، وعاد على السلطان بغنائم كثيرة، وعاد السلطان إلى دلهي، وفي 646هـ توجه إلى (رنتهنيور)، وأدب المتمردين هناك، وعام 647هـ/1249م تزوج السلطان ابنة (الغ خان)[4].

كان السلطان (ناصر الدين محمود) يرعى العلوم والآداب، وقد عهد إلى (أبى عمر عثمان منهاج السراج) بشغل وظيفة كبيرة في بلاطه، ووضع هذا العالم مؤلفا كبيراً أهداه للسلطان، أسماه (طبقات ناصري)، وكافأه السلطان مكافأة كبيرة على هذا الجهد الكبير. ومما يجدر ذكره أن السلطان (ناصر الدين محمود) عاش عيشة الزهد، وكان يقتات من عمل يده، إذ كان ينسخ

---

[1] نفسه ، ج1، ص78.

[2] أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ص284.

[3] عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص110.

[4] نظام الدين أحمد بخشى الهروي: المرجع السابق، ج1، ص79-81.

المصاحف ويبيعها، ويغطي بما يرد إليه من هذا العمل نفقاته الخاصة، كذلك لم يتخذ خدماً في بيته، إنما كانت زوجته تباشر الشؤون المنزلية بما في ذلك إعداد الطعام.

توفي السلطان (ناصر الدين محمود) بعد حكم دام عشرين عاماً، وكان عادلاً كريماً زاهداً متديناً[1].

أسرة بلبن 664هـ/1266م: 689هـ/1290م):

انتهى حكم أسرة ألتمش في دلهي بعد أن دام مدة سبع وخمسين سنة (607هـ:664هـ)، وكان ناصر الدين محمود ألتمش الذي حكم عشرين سنة، وبعد وفاته خلفه نائبه على دلهي (غياث الدين بلبن)، الذي أسس أسرة حاكمة تولت أمر دلهي مدة ربع قرن، وتعاقب ملكان من هذه الأسرة على الحكم[2].

غياث الدين بلبن (664هـ/1266م: 686هـ/1287م)

ينتمي بلبن إلى قبيلة تركية، كان أبوه من شيوخها، ووثع بلبن في أسر المغول، واشتراه الخواجة جمال الدين من البصرة، وبيع في دلهي إلى ألتمش، وظهرت شجاعته ومقدرته في سلك الجندية، فأدخله ألتمش في جماعة حرسه[3]، ويقول فرشته: إن جمال الدين عرف أنه من أسرة ألتمش حاكم الهند، فجاء به مع عبيد آخرين وباعه له، وتوسم فيه (ألتمش) نجابة الأصل فقربه إليه، ثم ظهر له أقرباء في حاشية السلطان، فأخذ يترقى[4]، ولما وليت رضية السلطنة، أسندت إليه منصب أمير الصيد، وأدرك بهرام شاه شجاعته وإقدامه فولا بعض الولايات، فأحسن إدارتها، وأعاد إليها الهدوء والاستقرار، وراجت فيها الزراعة، وتحسنت الأحوال الاقتصادية، ثم ولاه ناصر الدين محمود منصب الوزارة ونيابة السلطنة[5]، ولما قتل بلبن مولاه السلطان ناصر الدين، استقل بالملك

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص368.

[2] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي "العهد المملوكي"، المكتب الإسلامي، مصر ، 2000 ،ص219.

[3] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص368-369.

[4] عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند ، ص112.

[5] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص369.

بعده عشرين سنة، وقد كان قبلها نائبًا له عشرين سنة أخرى، وكان من خيار السلاطين عادلاً حليماً فاضلاً، ومن مكارمه أنه بنى داراً، وسماها (دار الأمن)، فمن دخلها من أهل الديون قضى دينه، ومن دخلها خائفا أمن، ومن دخلها وقد قتل أحدا أرضى عنه أولياء المقتول، ومن دخلها من ذوي الجنايات أرضى أيضاً من يطلبه، وبتلك الدار دفن لما مات[1].

وقد واجه بلبن بعد توليه السلطنة نفس المشاكل التي واجهها في عهد (ناصر الدين محمود)، فالبلاد مضطربة، والمغول عادوا إلى تهديد الحدود، وكان على بلبن أن يؤمن دولته من الأخطار الخارجية والمشاكل الداخلية، فبدأ بتقوية السلطة المركزية، وأعاد الهيبة إلى بلاطه وحكومته، وذلك بأن جعل بلاطه قوياً فخماً، كما كان أيام ملوك الفرس القدامى، وكان مجلسه يتسم بطابع الجد، وأعاد تنظيم جيشه، وتدريبه على أحسن نظام، وأضعف من شأن القادة المماليك –موالى ألتمش– وكانوا لا ينقطعون عن تدبير المؤامرات والدسائس التي تستهدف تقوية نفوذهم في الدولة على حساب السلطان[2].

كان (غياث الدين بلبن) حريصاً على التزام حكامه بالعدل، ولم يتردد في القصاص من أكثر من واحد، ومن مآثره حبه لأهل العلم وإحسانه إليهم، وكان يتردد كل أسبوع عقب صلاة الجمعة إلى بيوت الشيخ (برهان الدين البلخى) و(سراج الدين السجزي) و(نجم الدين الدمشقي)، وكان يزور مقابر الأولياء ويتردد على مجالس الذكر، ويقعد بها كأحد من الناس، ويداوم على الصلاة بالجماعة والصيام فرضا كان أو نافلة[3].

كما حرص (غياث الدين) على عقد مناظرات بين الشعراء والأدباء والعلماء، وكانت تقرأ الكتب التاريخية وتلقى في بلاطه الأشعار[4].

كما حرص على تنظيم إدارة الدولة، وإعادة الأمن والنظام إلى ربوعها، ولتحقيق ذلك، أعد جهازاً قوياً للجاسوسية، يحيطه علماً بكل أخبار الإدارات والمصالح الحكومية، ويكتبون له تقارير

[1] ابن بطوطة: المصدر السابق ، ص448،

[2] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص369.

[3] عبد الحي الحسنى الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج1، دار ابن حزم ، بيروت،1999 ، ص147-148.

[4] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: بلاد الهند في العصر الإسلامي، عالم الكتب، القاهرة، (1401هـ/1980م)، ص240.

عن سير حكام الولايات وسائر الموظفين، وهؤلاء الجواسيس يراقبون كل مصالح الدولة بما في ذلك الجيش وبلاط السلطان وحتى أبناؤه، وكان هناك جواسيس لمراقبة سير الجواسيس في عملهم[1].

ولم يدع أمر المملكة إلا للأكابر والعلماء، ولم يسمح للأراذل بالتدخل في الأمور، وإذا لم يرق الشخص إلى الصلاح والتقوى والتدين والنسب، لا يطلب منه عملاً، وكان يتشدد في تصحيح النسب، ويدقق كثيراً، وإذا وجد في شخص عيباً ذاتياً أو نقصاً في صفاته، بعد أداء العمل يعزله في الحال، حتى آخر أيام السلطنة، وهي اثنتان وعشرون سنة، لم يخاطب الأراذل واللئام، ولم يسمح بالهزل في مجلسه، وكان يبالغ في زينة اللباس ومراعاة الحشمة والأبهة السلطانية في وقت الظهور والخلوة، وكان يبدي سلوك العظمة والأبهة والجلال في الوقوف والجلوس، لكي يرتعب المشاهدون من رؤيته، ويقذف الخوف في قلوب المتمردين في القرب والبعد من جلال عظمته، على الرغم من أن السلطان (بلبن) في أيام إمارته كان يرغب في الشراب وعقد الحفلات ومصاحبة الأمراء والملوك ولعب القمار، ونثر ذهب القمار على أهل المجالس، وكان دائما في مجلسه الخدماء اللطف والمطربون والظرفاء[2].

ولكن بعد أن صار سلطاناً لم يرغب في هذه الأعمال وقضى على اسم الشراب والمدمنين وسائر المناهي في مملكته، واهتم بصيام النفل وقيام الليل والمواظبة على الجمعة والجماعة وصلاة الضحى والظهر والتهجد، ولم يكن بلا وضوء أبداً، ولم يمد يده إلى طعام دون حضور العلماء والصالحين وأثناء تناول الطعام كان يتحقق من العلماء في المسائل الشرعية، وكان يذهب إلى منازل الكبار ويزور المقابر بعد صلاة الجمعة، ويحضر جنازة الأكابر، ويهب للعزاء وينعم على أبناء وأقارب الميت، ويقر وظيفة الميت لورثته[3].

وكان إذا علم أثناء الركوب مع كل هذه الحشمة والعظمة أن في المكان الفلاني مجلس وعظ، كان ينزل من ساعته ويسمع الذكر ويبكي، وكان يرتدي الخشن يوم الخلوة، ويجاهد بالصلاة

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، المرجع السابق ،ص369.

[2] نظام الدين أحمد بخشى الهروي: طبقات أكبرى، المرجع السابق ، ج1، ص82-84.

[3] نفسه ، ج1، ص85.

والانكسار، والوجه على الرمال، والقلب مثل قدر يغلى، ومع وجود كل هذه الأفعال الحسنة، اختفى أهل البغي والطغيان، وقضى على أهل القهر والجبروت، ولم يكن يرنو إلى عادات الجبابرة، وكان يقضي على مدينة بسبب بغي أحد الأشخاص، وكان يقدم مصالح الملك على كل شيء[1].

ولما كان للسلطان (بلبن) ولدان، أحدهما (الخان الشهيد) ولى عهده، وكان واليا لأبيه ببلاد السند، ساكناً بمدينة الملتان، وقتل في حرب له مع التتر، وترك ولدين، كيقباد وكي خسرو، وول السلطان بلبن الثاني يسمى (ناصر الدين)، وكان واليا لأبيه ببلاد لكهنوتي وبنجالة. فلما استشهد (الخان الشهيد)، جعل السلطان بلبن العهد إلى ولده (كي خسرو)، وعدل به عن ابن نفسه (ناصر الدين). وكان لـ(ناصر الدين) أيضاًولد يسكن بحضرة دلهي مع جده يسمى (معز الدين)، وهو تولى الملك بعد جده وأبوه إذاك حي[2]، فقد توفي غياث الدين بلبن (686هـ/1287م)[3].

معز الدين كيقباد بن بغراخان (686هـ/1287م: 689هـ/1290م)

فلما توفي السلطان (غياث الدين بلبن) ليلاً، وابنه (ناصر الدين) غائب ببلاد اللكنوتى، وجعل العهد لابن (الشهيد) كي خسرو، كان ملك الأمراء نائب السلطان (غياث الدين) عدوًا لـ(كي خسرو)، فأدار عليه حيلة تمت له، وهي أنه كتب بيعة دلس فيها على خطوط الأمراء الكبار، بأنهم بايعوا السلطان (معز الدين) حفيد السلطان (بلبن)، ودخل على (كي خسرو) كالمتنصح له. فقال له: "إن الأمراء قد بايعوا ابن عمك، وأخاف عليك منهم". فقال كي خسرو: فما الحيلة؟. فقال له: "إن المفاتيح بيدي، وأنا أفتح لك". فشكره على ذلك وقبل يده، فقال له: "أركب الآن". فركب في خاصته ومماليكه، وفتح له الباب وأخرجه، وسد في أثره، واستأذن على (معز الدين) فبايعه، فقال: كيف لي بذلك وولاية العهد لبن عمي؟. فأعلمه بما أدار عليه من الحيلة، وبإخراجه فشكره على ذلك. ومضى به إلى دار الملك، وبعث على الأمراء والخواص، فبايعوه ليلاً. فلما أصبح بايعه سائر الناس، واستقام له الملك. وكان أبوه حياً ببلاد (بنجاله) و(لكنهوتى)[4].

---

[1] نفسه ، ج1، ص85.

[2] ابن بطوطة: المصدر السابق ، ص448

[3] حازم محفوظ: ازدهار الإسلام في شبه القارة الهندية، المرجع السابق ، ص36.

[4] ابن بطوطة: المصدر السابق ، ص448-449

وعندما رفع (كيقباد بن بغراخان) على العرش كان في الثامنة عشرة من عمره، ولقب بالسلطان (معز الدين كيقباد)، وكان هذا السلطان يمتاز بحسن الخلق، ولما كان طوال الوقت تحت نظر وتربية السلطان (بلبن)، وكان يوكل له المعلمين والمؤدبين القساة، فأنه لم يتيسر له في هذه الفترة الأخذ من اللذات والتمتع بالشهوات، وفجأة أطلق العنان لشهواته، وفتح باب اللهو والمرح لغلبة عنفوان الشباب وهوى النفس، ففضل التمتع بالملذات على مصالح الملك، واهتم بأمر البطالين والأنانيين، وبناء على الحديث (الناس على دين ملوكهم)، انشغل الصغير والكبير باللهو والمرح، وخرج السلطان من دلهي، واتخذ من (كيلوكهرى) على شاطئ نهر (جون) داراً للسلطنة حيث بنى قصرا عالياً وحديقة كبيرة، وبسبب غلبه لهو ومجون السلطان[1]، ترك أمور السلطنة لنائبه، وظل غارقاً في لهوه وشرابه حتى مرض بسبب ذلك وأصابه الشلل، فأفاق حينئذ من سكرته، ولكن بعد فوات الأوان، ففي مرضه قام خلاف بين الأتراك والأفغان، وكل له وجهة ومطمع، فالأتراك يريدون أن يستمر الملك في أسرة (بلبن)، والأفغان يريدون الاستيلاء على الملك منهم، وجعل (جلال الدين فيروز الخلجي) سلطاناً، وكان (كيقباد) قد عينه نائباً في آخر حياته، بعد أن سم نائبه الأول (نظام الدين) حين تنبه لسوء عمله واستقلاله بتصرفه، وقد شاء الله للأفغان أن ينتصروا فتولى (جلال الدين) الملك وقبض على ناصية الأمر، ودخل قصر السلطان بعد حصاره، وقتل (كيقباد)، وكان ذلك سنة (689هـ/1290م)، وبذلك انتقل الملك إلى أسرة أفغانية، هي أسرة الخلجى[2].

ثانيا: دولة السلاطين الخلجية (689هـ/1290م: 720هـ/1320م)

حكمت أسرة الخلجيون مدة إحدى وثلاثين سنة (689: 720هـ) وتوالى عليها أربعة ملوك[3].

وطائفة الخلج من نسل قالج خان صهر جنكيز خان، وقصته هي أنه لما مل خاطره من زوجته، ابنه جنكيز خان، ولم يجد مفراً من المداراة خوفاً من جنكيز خان، وكان دائمًا يبحث عن مخرج، ولم تحن الفرصة إلا عندما هزم جنكيز خان السلطان جلال الدين على شاطئ نهر السند،

---

[1] نظام الدين أحمد بخشى الهروي: طبقات أكبرى، المرجع السابق ، ج1، ص99-100.

[2] عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، المرجع السابق ، ص114-115.

[3] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي "العهد المملوكي"،المرجع السابق ، ص220.

وارتاح خاطره من أمر توران وإيران، وعاد إلى معسكره الأصلي وتوفي في هذه الأيام، وفكر قالج خان في تحصين جبال الغور وغرجستان وحصن الأماكن المذكورة بأهله وقبيلته، الذين كانوا قرابة ثلاثين ألفا، وعندما توفي جنكيز خان لم يترك أحدا من أبنائه بلا ولاية، واختار لنفسه الإقامة هناك، وكثر نسله، ولما كان سلاطين الغور وأتباعهم يسخرون ممالك الهند، لذا دخل الخلجيون الهندوستان بالتدرجي بسبب الجوار، واختاروا الملازمة وصاروا أصحاب اعتبار، ووالد السلطان جلال الدين ووالد السلطان محمود خلجى مندوى وهم من عظماء الملوك والسلاطين المشاهير من أحفاد (قالج خان)، وحرف (قالج) وصار (خالج) وصار لكثرة استعماله (خلج)[1].

ويرى البعض أن الخلجيين من أصل تركي، على حين يرى أخرون أنهم من أصل أفغاني. ويؤكد باراني أنهم ينسبون إلى (قلبج خان)–أحد أصهار (جنكيز خان)– نزل بجبال الغور بعد هزيمة شاه خوارزم، وحرف اسمه بعد ذلك إلى خلج، وقيل لورثته الخلجيون، وقد اندمجوا في الحياة الأفغانية واعتنقوا الإسلام في عهد سلاطين بني سبكتكين، وضم الجيش الغزنوي فرقاً منهم، ساهمت في فتح الهند، وإن كان نشاطهم اتضح في عهد سلاطين الغور[2].

كان قيام دولة السلاطين الخلجية على يد (جلال الدين فيروز شاه) الذي كان نائباً للأ(كيقباد)، إذ رفض توليه الطفل (شمس الدين) ابن (كيقباد) بعد والده، واستولى على الملك لنفسه، والخلجيون هم مؤسسو الأسرة الإسلامية الثانية التي حكمت في دلهي، وقد وسع هؤلاء نطاق المنطقة الإسلامية بالهند، فشملت الدكن فيما وراء جبال ويندهيا، وأصبحت الدكن ولاية مرتبطة بدولة دلهي، كما امتد سلطانهم إلى البنغال، فقد فتح (علاء الدين) منطقة الكجرات سنة 696هـ/1296م، ومنطقة جيتور سنة 703هـ/1303م، وولى قواده على مدينتي (إديوكير) و (رينكل)[3].

استاء الأمراء الخلجيون من استبداد الأتراك بأمور الدولة، وعولوا على تغيير نظام الحكم في دلهي، فساروا إليها بقضهم وقضيضهم بقيادة زعيمهم (فيروز)، وهزموا القواد الأتراك، وأحدثوا

[1] نظام الدين أحمد بخشى الهروي: طبقات أكبرى، ج1، ص108.

[2] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، المرجع السابق ، ص375.

[3] أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، المرجع السابق ، ص285.

انقلابا في دلهي أطاحوا يه بالسلطان الطفل، وأعلنوا (فيروز) سلطاناً، ولقب (جلال الدين)، وكان ذلك سنة 696هـ/1296م، ولم يتقبل أهالي دلهي حكم الخلجيين في بادئ الأمر بالرضى والتأييد، لكثرة ما ألحقه جندهم من الخراب والدمار، وارتكابهم حماقات ذهب ضحيتها الكثيرون، على أن السلطان الخلجي الذي كان في السبعين من عمره–تمكن بحسن سياسته وعدله ومودته، أن يجتذب الناس إلى محبته، وبذلك خضع أهل دلهي للملك الجديد، ووفد الناس على السلطان الشيخ زرافات يبايعونه ويقدمون له فروض الولاء والطاعة.

لم يأل السلاطين الخلجيون جهدا في سبيل سحق حركات التمرد والعصيان، ومنع اندلاع الثورات ضدهم والحيلولة دون حدوث الحركات الاستقلالية والانفصالية في الدولة، وأول هذه الحركات الثورية حدثت سنة 689هـ/1290م حينما أعلن (جيجو)–حاكم إقليم كره– الثورة ضد الحكم الخلجى وهو ابن أخي (بلبن)، وكان يطمع في استعادة عرش دلهي، كما ظهرت حركات معارضة أخرى للحكم الخلجى من بينها حركة دبرها أمراء ونبلاء ألتمش، وتزعمها (تاج الدين كوشى)، وعقدوا عدة اجتماعات وندوات تحدثوا فيها عن مساوئ الحكم الخلجى، وعدم جدارته بتولي زمام الأمور في الدولة، وعدم صلاحية (جلال الدين) بالذات لعرش السلطنة، واتفقوا على العمل على إزاحة الخلجيين عن حكم البلاد[1].

جلال الدين فيروز شاه (689هـ/1290م: 695هـ/1296م)

استطاع (جلال الدين فيروز شاه الخلجي) أن يستخلص الملك لنفسه من بين أنياب الأتراك المؤيدين لأسرة (غياث الدين بلبن)، والذين عملوا على أن يولوا الطفل الصغير ابن (كيقباد) الملك، حتى لا يخرج الحكم من أسرة بلبن، برغم هذا استخلص جلال الدين الحكم لنفسه، وكان سنه حين ذاك سبعين سنة، وقد كان من المقربين لـ(غياث الدين بلبن)، وحفيده الذي اختاره في أواخر أيامه نائباً عنه، ثم صار ملكاً سنة 689هـ/1290م.

وقد اشتهر جلال الدين فيروز شاه بالحلم الذي لم يعرف عن أحد من الملوك، وكان لسنه دخل كبير في سلوكه الحليم هذا، حتى أنه جيء له ببعض الثائرين عليه مكبلين بالأغلال بعد

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص378.

انهزامهم، فلم يسعه إلا أن يأمر بفك قيودهم وإكرامهم، وأجلسهم بمجلسه، وأخذ يهون عليهم، ويقول لهم: كنتم زملائي، وقد جعلني الله ملكا، فأنا أشكر الله على نعمته، ولا أنسى الماضي، وأنتم بوفائكم لأميركم من آل بلبن قد قمتم بالواجب عليكم، ولا يمكن أن أحاسبكم على هذا الوفاء، فأنى وفي كذلك لنعمة غياث الدين بلبن.

ومن مواقفه الشهيرة في التسامح أيضاً أنه كان يكتفي بنفي قطاع الطرق حين يقعون في قبضته.

وكان من وفائه لـ بلبن أنه يذهب لقصره، وفيه آل بلبن، فيترجل عن فرسه حين يقترب منه تعظيما لذكرى هذا القصر وساكنيه، وكان يكرمهم، ويخصهم برعايته، وأن كان قد اضطر إلى قتل الأمير الصغير الذي عين ملكا في عهد أبيه، لخشيته على نفسه منه، حيث كان الأتراك يتجمعون حوله[1].

لم يجلس السلطان جلال الدين على العرش الذي كان دائما مقر جلوس السلاطين، وأقام في (كيلو كهرى)، وأمر بإتمام قصر معزى (معز الدين كيقباد)، فعندما ركب بكامل حشمته وأبهته مع جيشه، ودخل المدينة، ونزل في دولت خانه، وصلى ركعتين، وجلس على عرش السابقين، وقال: لقد سجدت سنوات أمام هذا العرش واليوم أطأه بقدمي فكيف أستطيع تقديم شكري؟!. وركب من هناك وتوجه إلى قصر الياقوت ونزل أيضاً عن جواده على العتب كالمعتاد، وعرض ملك أحمد جب باريك وكان عمدة الملك: (لما كان القصر عن السلاطين السابقين، لماذا لا تنزل فيه؟)، قال السلطان: (على كل حال فإن مراعاة عزة ولي نعمتي أمر واجب)، فقال ملك أحمد جب ثانية: (ينبغي على السلطان أن يسكن في هذا المنزل وهو دار الإمارة)، فأجابه السلطان: (لقد قام السلطان بلبن هذا القصر أيام إمارته، والآن هو ملك لأولاده، وليس لي حق فيه)، قال ملك أحمد جب: (لا ينبغي التقييد في الأمور الملكية إلى هذا الحد)، قال السلطان: (كيف أخرج عن قواعد الإسلام وأفعل ما هو خلاف لهذا الأمر من أجل مصلحة الملك لعدة أيام؟).

---

[1] عبد المنعم النمر: المرجع السابق ، ص116.

(أين العقل الذي يفتى بالشرع، ويبدل لأهل العقل الدين بالدنيا؟)[1].

وكان من أهم الأحداث الداخلية التي شهدتها سلطنة دلهي، تأمر علاء الدين على عمه السلطان جلال الدين، فقد كان هذا الأمير طموحاً يتطلع إلى العرش على الرغم من أن عمه أسند ولاية عهده إلى ابنه ركن الدين، وكان علاء الدين قد ولى من قبل عمه حكم إقليم (كره) 694هـ/1294م، وأسند إليه قيادة بعض الغزوات في أرجاء الهند كان أخرها في الدكن، وأحرز من هذه الغزوة بعض الانتصارات، وعاد إلى (كره) محملاً بالغنائم والأسلاب، وحينئذ واتته الفرصة لتدبير مؤامرته ضد السلطان، فأرسل إليه يخادعه ويدعوه إلى زيارته، ويزعم ولاءه ومحبته له، ولم يجد السلطان الشيخ غضاضة في الاستجابة لدعوة ابن أخيه على الرغم من تحذير رجاله له، وسار إلى (كره)[2]، حيث اشترى ابن أخيه وقاتله علاء الدين ولاء الجند[3]، حيث كان يملأ المنجنيق يومياً بالذهب، ويوزعه على الجيش، واصطاد قلوب الخلائق[4].

وأفلح علاء الدين في إقناع السلطان بنزع أسلحة جنده منعا لحدوث صدام بين جند (كره) وجند (دلهي)، أما علاء الدين فقد أعد جيشه وزوده بالأسلحة والمعدات، وزوده بالخيل والفيلة، وركز جنده في عدة مواضع، ولما وفد السلطان على ابن أخيه، وأدرك سوء نواياه، أسقط في يده، وأدرك أنه لا محالة هالك، وانصرف إلى قراءة القرآن.

أمر علاء الدين بقتل السلطان، ولما نفذت المؤامرة أعلن علاء الدين نفسه سلطاناً، وركب جنده الفيلة، ورفعوا رأس جلال الدين على حربة، وتجولوا بها في شوارع (كره)[5]، وبهذا ساقه حلمه وظنه الحسن إلى حتفه، وكان ذلك أخر سنة 695هـ/1296م[6].

---

[1] نظام الدين أحمد بخشى الهروي: طبقات أكبرى، المرجع السابق ، ج1، ص108-109.

[2] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، المرجع السابق ، ص383.

[3] وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ترجمة محمد مصطفى زياده، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، الجزء الثالث، ص894.

[4] نظام الدين أحمد بخشى الهروي: طبقات أكبرى، ج1، المرجع السابق ، ص122.

[5] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص383.

[6] عبد المنعم النمر: المرجع السابق ،ص117.

علاء الدين الخلجى (696هـ/1296م: 715هـ/1316م)

هو محمد ابن مسعود الخلجي ابن أخ السلطان جلال الدين فيروز، كان مقربا من عمه فزوجه ابنته وأقطعه مدينة كره ومنكبور ونواحيها[1]، وقد كان جلال الدين يحب كثيرا ابن اخيه ونجح علاء الدين في الوصول الى اماكن لم يصلها أحد من قبله حيث مد نفوذ الدولة الاسلامية إلى ديوكير وكذا إلى مناطق جديدة[2]، وقد قرر علاء الدين التخلص من عمه جلال الدين وحضر له مكيدة وقتله[3]، و بعد أن غدر بعمه وقتله، زحف بجيشه إلى دلهي، وكانت زوجة السلطان المقتول قد عملت على المناداة باينه سلطاناً خلفًا له، واستعد لملاقاة علاء الدين، ولكنه لم يستطع الثبات أمامه، فدخل علاء الدين دلهي واستولى على العرش سنة 696هـ/1296م. ونكل بأسرة عمه[4]، حيث تخلص من ابن عمه (ركن الدين)، الذي حاول أن يتولى السلطة بعد أبيه ولكنه فشل، فكان أيضًا قاسيًا في معاملة من تحوم الشبه حوله من الرعية، وبخاصة من أسرته، ولعل موقفه من عمه زرع في نفسه بذور الشك نحو أقاربه[5].

وقد استطفى أموال أنصار الحزب الجلالي، ولقب أبو المظفر السلطان علاء الدنيا والدين محمد شاه خلجى، ضرب العملة باسمه، وأقيمت الخطبة باسمه، فرض الهدايا على الناس، وأقيمت الزينات والسرادفات في كل مكان، واقبل الناس عليه من كل صوب وحدب مؤيدين ومبايعين، وبذلك تربع علاء الدين على عرش سلطنة دلهي بعد أن تخلص من عمه وابن عمه، وقوى من شأنه وجذب الأنصار والأتباع له[6]، وجعل بذلك الناس مخلصين وتابعين له من كثرة الأنعام والإكرام، ونال كل واحد اللقب والعمل، وقسم الولايات والمقاطعات[7].

---

[1] كره ومانكبور : هي من أخصب بلاد الهند ، وتصنع فيها الثياب بينها وبين دلهي مسيرة ثمانية عشرة يوما ،أنظر ابن بطوطة ، الرحلة ، ج 2 ،ص45.

[2] الحسيني: نزهة الخواطر ، المرجع السابق ، ج 2 ،ص205.

[3] الفقي : بلاد الهند ، المرجع السابق ، ص78.

[4] نفسه ، ص117.

[5] أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، المرجع السابق ، ص285.

[6] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص385.

[7] نظام الدين أحمد بخشى الهروي: طبقات أكبرى، ج1، ص123.

وقد تميزت الثلاث أعوام الاولى من حكمه بإستقرار معظم الامور السلطانية، وإستولى على مملكة كبيرة مثل الكجرات، و أصبح لديه أسرة كبيرة وكثرة أولاده نتيجة لكثرة زوجاته ولم يعد له شريك او منافس في الملك، وبعد هذا واجه مشاكل داخلية وخارجية معقدة، فبلاده كانت هدف لغزوات المغول من الشمال الغربي سنوياً، وهذا الغزو يقترن عادة بالخراب والدمار، واقتطاع أراضي من مملكته، كذلك انتقم (أركالى خان) ابن السلطان جلال الدين من علاء الدين، حيث استقل بإقليم الملتان، وضم إلى حوزته السند والبنجاب، وبذلك اقتطع من سلطنة دلهي بلادًا واسعة، وكذلك ممالك الأمراء الراجبوتيين في صحراء (الثار)، ولم يستطع سلاطين دلهي من قبل إخضاعهم، ومن ناحية أخرى توجد ممالك مثل: شيتور ورانثمبهور، تقف من دلهي موقفاً عدائيًا، يضاف إلى ذلك بعض بلدان سلطنة دلهي مثل: ملاوى وبوجين لم تتأثر بعد بالحضارة الإسلامية، بل تنتهز الفرصة المواتية للاستقلال عن دلهى، وتقف منها موقفاً عدائيًا، أما البنغال فولى حاكمها ناصر الدين محمود بن بلبن وأعقابه، واستقلوا عن دلهى، وبذلك ولى علاء الدين السلطنة في وقت تفككت الدولة الإسلامية في الهند، وانفصل عنها الكثير من أقاليمها.

ولى علاء الدين السلطنة في وقت كانت في أشد الحاجة إلى رجل دولة مثله، حيث كان يختلف عن سلفه جلال الدين، فامتاز علاء الدين بقوة البأس والحزم وحسن التدبير، والكفاءة العسكرية والإدارية، قبض على زمام الأمور بيد من حديد، وبذل قصارى جهده في إعادة الوحدة إلى دولته، وإنقاذها من الهوة التي تردت فيها، ودرء الخطر الخارجي عنها[1].

ولما أغار المغول كعادتهم على شبه القارة الهندية بقيادة دوا خان حاكم بلاد ما وراء النهر بهدف الاستيلاء على البنجاب والملتان والسند في مائة ألف جندي عام 697هـ/1298م، تصدى لهم السلطان علاء الدين في حروب طويلة إلى عام 705هـ/1304م، حتى ردهم عن بلاده، وكان أكبر عون له في حروبه هذه قائده (غازي ملك تغلق) مؤسس دولة آل تغلق فيما بعد و(ظفر خان) و(الغ خان). وجرى على عادة سلفه(غياث الدين بلبن) في إقامة المعاقل والحصون المستديمة على الحدود الغربية وتزويدها بحشود من الجنود[2].

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص385-386.

[2] حازم محفوظ: ازدهار الإسلام في شبه القارة الهندية، المرجع السابق ، ص36.

ولما عادت البلاد إلى الطاعة والولاء له، وجمع من المصادرات أموالا طائلة مكنته من توسيع رقعة دولته، ودرء الخطر الخارجي عنها والتصدي للحركات الانفصالية في المملكة، تتابعت انتصارات علاء الدين، وفتح الكثير من البلدان، وضمها إلى حوزته، وحالفه التوفيق في دفع الغزو المغولي المدمر عن الديار الإسلامية في الهند، فأخذته نشوة النصر كل مأخذ، وركبه الغرور، وذهب عنه صوابه، فتوهم أن باستطاعته أن ينجز إنجازات الإسكندر الأكبر من حيث غزوه للعالم أو محاولة ذلك، وقهر الدنيا تحت سلطانه، بل ذهب أبعد من ذلك فقد تصور أنه نبي لدين جديد وصاحب رسالة جديدة، على غرار محمد نبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم)، وتوهم أصحابه الأربعة بمثابة الخلفاء الراشدين الأربعة، وبدأ يتحدث عن إمكانية نشر دعوته في أرجاء الدنيا، واستطاع بقوة بأسه وقوة جيشه وجنده التبشير بالدين الجديد والرسالة الجديدة، واستهوته قصص وأحاديث الشعراء والمؤرخين والأدباء عن الإسكندر الأكبر، والتف حوله الانتهازيون الراغبون في تحقيق منافع شخصية، فزينوا له صحة ما توهمه، وروجوا دعوته وهيأ السلطان نفسه لأن يصبح الإسكندر الثاني، وقد عبر رجال البلاط والقادة عن رضاهم خوفاً من قسوته وبطشه، وفي إحدى حفلاته حذره عمه علاء الملك القاضي من خطورة ما ذهب إليه على ملكه، وعلى الوضع الداخلي للبلاد، ومن انتفاضة الغيورين على دينهم، وختم القاضي علاء الملك نصيحته للسلطان بقصر جهوده وتركيزها في إخضاع بلاد الهند لسلطانه، وقهر الكفرة فيها، والدعوة إلى الإسلام في غير بلاد الإسلام وإصلاح البلاد[1]، رد السلطان علاء الدين بعد فكر طويل وتأمل، وقال: (ما قلته كله صواب وموافق لنفسي، وينبغي ألا يصدر مني بعد ذلك حديث في هذه الناحية)، وقال له القاضي علاء الملك: (لكي يتحقق في الآفاق اسم (فاتح العالم)، على السلكان أن يرسل المماليك المخلصين بالجيوش القوية إلى الأطراف والأكتاف، حتى يتم الاستيلاء على الأقاليم البعيدة)[2].

كتب النصر ل، (علاء الدين) في كل الحروب التي خاضها جيشه حتى لقب بالإسكندر الثاني، وكان من أشهر قواده: كافور، وظفر خان، والغ خان، والماس بيك، وقد

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، المرجع السابق، ص388.

[2] نظام الدين أحمد بخشى الهروي: طبقات أكبرى، ج1، ص128-129.

قال بعض المؤرخين: (إن عدد المعارك العلائية كانت أربعة وثمانين وفي كلها ظفر وغنم)[1].

وقد اكتف (علاء الدين) في فتوحاته إلى وسط شبه الجزيرة الهندية، فغزا مملكة الكجرات وتشيتوا، ففر ملكها إلى جبال أرافالي، وأجبره علاء الدين على الدخول في طاعته.

وفي عام 709هـ/1308م وجه علاء الدين أحد قواده ويدعى الملك (كافور) إلى الدكن، كما غزا تلينفاتا ودخل عاصمتها فارانغال وفي 711هـ/1310م، غزا مملكة ميسور ومدينة هاليبيد. وفي عودته إلى دلهي قتل راجا (المهرات)، الذي عاد إلى عصيانه.

ومما يلفت النظر أن الإسكندر المقدوني ومحمود الغزنوي ومحمود الغوري لم يوفقوا في فتح جنوب شبه الجزيرة الهندية[2].

وقد حملته كثرة الفتن على وضع برنامج لقمعها شمل التجسس، ومصادرة الثروات والأوقاف والأراضي المعفاة من الضرائب، وتحريم الخمر، وكل الاجتماعات والمحافل، وأصدر المراسيم لتخفيض أسعار السلع، بسبب غزوات المغول من (696هـ/1296م:703هـ/1303م) فأتاح هذا خفض مرتبات الجند وزيادة عددهم إلى (500.000) فارس تقريبا، قضى على الجيوش المغولية من (704هـ/1304م 706هـ/1306م)، وأتمت الحملات التي كان يقودها عادة كافور (نائب الملك)، وفي (705هـ/1305م:713هـ/1313م) فتح مالوه والدكن وديفاجيرى وورنجال والدكن الوسطى

[1] عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، المرجع السابق ، ص119

[2] حازم محفوظ: ازدهار الإسلام في شبه القارة الهندية، المرجع السابق ، ص40.

في 1313م، وغنمت منها غنائم طائلة[1]. وقد اتجه نحو جنوبي الهند، ففتح بلاد كيرالا (المعبر)[2] وبنى فيها مسجداً[3].

خلفاء علاء الدين

رغم كل هاته الانجازات إلا أنه لم يرتب أمر ولاية العهد من بعده حيث كان لـ(علاء الدين) من الأولاد خضر خان، وشادي خان، وأبو بكر خان، ومبارك خان، وهو قطب الدين الذي ولى الملك، وشهاب الدين. كان قطب الدين مهتمًا عند والده علاء الدين، ناقص الحظ قليل الحظ. أعطى جميع إخوته المراتب وهي الاعلام والأطبال. ولم يعطه شيئا. وقال له يوماً: (لابد أن أعطيك مثل ما أعطيت إخوتك). فقال: (الله هو الذي يعطيني). فهال أباه هذا الكلام، وفزع منه. ثم إن السلطان أصابه المرض الذي مات منه وكانت زوجته أم ولده خضر خان، وتسمى (ماء حق)، والماء القمر بلسانهم، عاهدت أخاها (سنجر) على تمليك ولدها (خضر خان)، وعلم بذلك (ملك نائب) أكبر أمراء السلطان، فوشى إلى السلطان بما اتفقوا عليه، فلما دخل عليه (سنجر)، قتله. وكان (خضر خان) غائباً بموضع يقال له (سندبت) على مسيرة يوم من دلهى، توجه لزيارة شهداء مدفونين به، لنذر كان عليه أن يمشي تلك المسافة راجلاً، ويدعو لوالده بالراحة، فلما بلغه أن أباه قتل خاله حزن عليه حزناً شديداً ومزق جيبه، وتلك عادة لأهل الهند، فبلغ والده ما فعله، فكره ذلك فلما دخل عليه عنفه ولامه، وأمر به فقيدت يداه ورجلاه، وسلمه لـ(ملك نائب). أمره أن يذهب به إلى حصن كاليور (جواليور)، ويقال له أيضاً (كيالير) وهو حصن منقطع بين كفار الهنود، على مسيرة عشرة أيام من دلهى. فلما أوصله إلى هذا الحصن سلمه للكتوال، وهو أمير الحصن، وللمفردين، وهم الزماميون، وقال لهم: (لا تقولوا هذا ابن السلطان فتكرموه، إنما هو أعدى عدو له، فاحفظوه كما يحفظ العدو). ثم إن المرض اشتد بالسلطان، فقال لـ(ملك نائب):

---

[1] وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ج3. ص894-895.

[2] **المَعبر**: بفتح الميم وعين مهملة وفتح الباء ثم راء مهملة، وأول بلاد المعبر من جهة المليبار رأس كمهرى، وقصبة أقليم المعبر (بيرداول) بكسر الباء وتشديد الياء وسكون الراءوفتح الدال المهملتين، وأل وواو ولام، وهي مدينة سلطان المعبر. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص355، ص360.

[3] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي "العهد المملوكي"، المرجع السابق ، ص221.

(ابعث من يأتي بابني خضر خان لأوليه العهد). فقال له: (نعم). وماطله بذلك، فمتى سأله عنه قال: (هو ذا يصل)، إلى أن توفي السلطان رحمه الله[1].

اقعد ملك نائب ابنه الأصغر (شهاب الدين) على سرير الملك، وبايعه الناس وتغلب (ملك نائب) عليه، وسمل أعين أبي بكر خان وشادي خان، وبعث بهما إلى (كاليور)، وأمر بسمل عيني أخيهما خضر خان المسجون هناك، وسجنوا وسجن قطب الدين، لكنه لم تسمل عيناه، وكان للسلطان علاء الدين مملوكان من خواصه، يسمى أحدهما: بشير والآخر مبشر. فبعثت إليهما الخاتون الكبرى زوجة علاء الدين، وهي بنت السلطان معز الدين، فذكرتهما بنعمة مولاهما وقالت: (إن هذا الفتى نائب ملك قد فعل في أولادي ما تعلمانه)، فحتزا رأسه واتيا به إلى محبس قطب الدين فرمياه بين يديه وأخرجاه[2].

شهاب الدين ابن السلطان علاء الدين (716هـ/1316م)

في اليوم التالي لوفاة السلطان علاء الدين، استدعى (ملك نائب) الأمراء وأعيان المملكة، وأظهر وصية السلطان ومضمونها عزل خضر خان، وتوليه السلطان شهاب الدين ولياً للعهد، وأجلسه على العرش، وقام نائباً للسلطنة، وفي اليوم التالي أرسل ملك سنبهل، لسمل عيني نور عين السلطان علاء الدين خضر خان وشادي خان كما ذكرنا سابقاً، كما سجن أم خضر خان المسماة (ملكة جهان). واستولى على النقد والذهب وكل ما تملكه وحبس الأمير مبارك خان (قطب الدين) في منزله، وكان (ملك نائب) يحضر كل يوم السلطان الطفل ساعتين على سطح (هزار ستون)، ويجلسه على العر، ويأمر الأمراء والأكابر والحجاب وحملة الأسلحة أن يصطفوا. ويقفوا أمامه ويقومون بخدمته، وعندما يمل يرسله إلى أمه داخل الحرم[3].

وكان ملك نائب (كافور) كي يكسب احترام وتقدير الناس، وتزداد سيطرته على السلطان الطفل وعلى الحكم، تزوج من أمه (راما ديف) ورغم كل ما فعله بأبناء السلطان علاء الدين، شعر أنه غير أمن على نفسه، وفعلا اشتدت المعارضة له ولحكمه، واستنكر الناس فعله واستقبحوه، ولم

---

[1] ابن بطوطة: المصدر السابق ، ص 452،

[2] نفسه، ص 452-453.

[3] نظام الدين أحمد بخشى الهروي: طبقات أكبرى، ج1، ص149-150.

يرضوا له عن سيطرته على الحكم، فعادت الفوضى الاضطرابات إلى البلاد، وبهذا لم تصف له الأمور، ولم تبتسم له الأيام طويلاً، حيث اقتحموا قصره، وقتلوه، وبذلك خلصوا البلاد من استبداد وبطش وجور (كافور) الذي حكم البلاد خمسة وثلاثين يوما ارتكب خلالها أعمالا عدوانية بشعة ضد أفراد البيت الحاكم ورجال سيده[1].

أطلقوا سراح الأمير (مبارك خان)، وأجلسوه مكان (ملك نائب)، نيابة عن السلطان (شهاب الدين)، وقام مبارك خان عدة أشهر نيابة عن السلطان (شهاب الدين)، اشتغل بالأمور الملكية، وأرضى الأمراء والملوك، وبعد مرور شهرين جلس على عرش السلطان، ولقب قطب الدين (مبارك شاه)، وبهذا كانت أيام شهاب الدين ثلاثة أشهر وعدة أيام[2].

قطب الدين مبارك شاه ابن السلطان علاء الدين (716هـ/1318م: 720هـ/1321م)

أعلن مبارك شاه نفسه سلطاناً في 716هـ أبريل 1318م وبدأ عهده كما بدأ أسلافه من قبل-بمنح الهبات والهدايا والألقاب لكبار رجال الدولة، وادى السلطان الجديد في مستهل عهده دوره في إعادة الهدوء والسكينة إلى البلاد، واثبت أنه رجل الساعة، واصلح البلاد فأطمأن الناس إلى العهد الجديد، وأفرج السلطان عن الألوف الذين زجوا في السجون بتهم التمرد أو الاشتباه في ذلك في عهد (كافور)، ومنح الجند مكافآت مالية، وأغدق المال على المحتاجين من رعاياه، وأعاد الأموال التي صادرها (علاء الدين) إلى أصحابها، وخفف عن الناس عبء الضرائب، ومنع كبار موظفي الدولة من استغلال الأهلين، وكان ينظر في الشكاوى والالتماسات التي رفعها الناس له، وباختصار تحسن أحوال الناس المعيشية على اختلاف طبقاتهم[3].

ولما خلع أخاه (شهاب الدين)، وسمل عينيه هو الآخر، وسجنه مع أخويه، كانت هذه القلاقل والحوادث في العاصمة باعث على خروج من يستطيع الخروج عليها، فاضطر قطب الدين أن يسير إلى الدكن، لتأديب الخارجين عليه هناك، وقبض على رأسهم (هريال ديو) وسلخ جلده[4]،

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، المرجع السابق ، ص392-393.

[2] نظام الدين أحمد بخشى الهروي: المرجع السابق، ج1، ص150.

[3] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص394.

[4] عبد المنعم النمر: المرجع السابق، ص124.

وفي عام 718هـ/1318م أحرز انتصارا عليهم، وأسس مسجدا في ديو كير وسماها (دولة أباد)، ثم سارت عساكره إلى كيرالا، فحصلت على غنائم كثيرة، وسار نحو (ورنكل) من نواحي بومباي، وصالح اهلها على مال يؤدونه، وعندما خرج في هذه الغزوة اتفق الأمراء على خلعه، وتوليه ابن أخيه (خضر خان)، وكان هذا لا يزال علاما لا يتجاوز العاشرة من عمره، فقتله، كما أرسل من يقتل أباه وأعمامه في السجن كما قتل أطفالهم، وأخرج نساءهم من البيوت، ولما قتلوا أخوته سحبوهم جميعا ورموهم في حفرة دون غسل أو تكفين[1].

ومما زاد الحال سوءًا، أن السلطان قطب وقع تحت تأثير أحد وزرائه من طائفة المنبوذين، وكان اسمه (خسرو خان)، فهيأ له كل وسائل الشهوات الحقيرة دون مبالاة أو تقيد بحياء، وبذلك كان (قطب الدين) على تمام النقيض من أبيه في أخلاقه إلا فيما يتعلق في العقوبة إذ حينما سار عليه (هار بلاديقا) في ولاية ديفاجيرى، اسره السلطان ثم سلخه حيا ثم قتله، ولما أتهم ابن عم له اسمه (أسد الدين) بالتآمر عليه بسبب استيائه من فوضى الأمور، كانت عقوبته أسره ومعه تسع وعشرون من أخوته وأطفالهم وذبحهم ذبح النعاج، وإخراج نساءهم من البيوت إلى الشوارع، وكثيرا ما نكل بالأشراف الذين كانوا مقربين من والده وذلك بإيعاز من المنبوذ (خسرو خان)[2]، فلم يسر قطب الدين سيرة أبيه، فانفرط عقد الدولة، كما انصرف هو إلى اللهو والشراب، وقد سلط الله عليه من يقتص منه للقتلى الذين قتلهم، وكان أحب الناس وأقربهم عنده، وأكثرهم تسلطا عليه وهو (خسرو خان) أحد قواده المحببين لديه حيث دبر مؤامرة لقتله، ورمى بجثته من سطح القصر إلى صحنه في ربيع الأول سنة 720هـ/1321م[3].

وشاء الله ألا يبارك في هذه الذرية (ذرية علاء الدين)، فكان نصيبهم جميعا القتل[4].

---

[1] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي "العهد المملوكي"، ص222.

[2] محمد عبد المجيد العبد: الإسلام والدولة الإسلامية في الهند، مطبعة الرغائب، القاهرة ، (1358هـ/1939م)، ص15.

[3] عبد المنعم النمر: المرجع السابق، ص124-125.

[4] نفسه ، ص123.

خسرو خان ناصر الدين (720هـ/1321م)

ومهما يكن من أمر فقد عبر خسرو خان عن سخط شعب المملكة الهندية على سلطانها، لذا نادى به النبلاء ورجال الدولة سلطاناً، وتربع على عرش سلطنة دلهي، ولقب ناصر الدين خسرو، وأمر بالدعوة له في الخطبة على أنه أمير المؤمنين[1].

كان (خسرو خان) من أكبر أمراء قطب الدين، فلما قتل قطب الدين أخوته، وابن أخيه، خاف (خسرو خان) على نفسه، فبدأ بـ(قطب الدين) قبل أن يبدأ به، وكان يميل إلى الهنادك، لذا فإن المسلمين قد كرهوه وتمنوا الخلاص منه[2]، فقد كانت سيرته شاذة لم تشهد البلاد مثلها، ففوق أنه قبض على نساء (قطب الدين)، وانتهك حرماتهن، ووزعهن مع بناته على الأشراف من أعوانه، وبلغ الأمر أنه وزع بعض بنات الأشراف على الهندوس، كما حرم ذبح البقر[3].

فقد اتخذ هذا السلطان الجديد سياسة تختلف كل الاختلاف عن سياسة أسلافه من الحكام المسلمين، فقد أباح لكفار الهنود إظهار نحلهم ومللهم والتعبير عنها علناً، فنصبوا أصنامهم في كل مكان، وازداد الأمر خطورة، فستفزوا شعور المسلمين، ومزقوا المصاحف، ووضعوا أصنامهم في القصر الملكي، وهاجموا المساجد واقتحموها، ومنعوا المسلمين من تأدية شعائرهم فيها، بل نبوا أصنامهم في بيوت يذكر فيها اسم (الله)، واغتصبوا البنات المسلمات، لذا يرى البعض بأن حكم هذا السلطان مظهر من مظاهر الردة عن الإسلام، فقد ظل تاركاً حركة اضطهاد المسلمين تسير في مجراها دون أن يتدخل لإنهائها أو يشترك في دفعها، وربما أراد بذلك كسب محبة وتأييد فريق كبير من الناس للوقوف بجانبه ومناصرته ضد حركات التمرد التي انتشرت انتشارا واسعا في سلطنة دلهي[4].

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، المرجع السابق ، ص398.

[2] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي "العهد المملوكي"، ص223.

[3] عبد المنعم النمر: نفس المرجع ، ص125.

[4] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص399.

ولم يقف الأمراء المسلمون مكتوفي الأيدي إزاء بطش هذا الحاكم ووحشية أتباعه، فأرسلوا القائد (فخر الدين جونة) إلى (ديبالبور)، للاستنجاد بأبيه (غازي تغلق)، الذي هب على الفور وسار إليهم ملبياً النداء[1].

وزحف (غازي تفلق) بجيش كبير نحو دلهي، وفي الطريق التقى بفريق من جند (خسرو خان)، فانتصر عليهم وغنم أسلحتهم ومعداتهم الحربية، وقبل وصوله حاضرة الدولة انضم إليه القائد (بيرم خان) بجيش الملتان فلما اقترب من دلهي، خرج إليه (خسرو خان) على رأس جيشه، غير أنه مني بهزيمة ساحقة قتل على إثرها، وبذلك انتهى حكم الدولة الخلجية في بلاد الهند[2].

ثالثا: دولة السلاطين التغلقية (720هـ/1321م: 815هـ/1412م)

قامت الدولة التغلقية على أنقاض الدولة الخلجية، وتنسب إلى مؤسسها (غياث الدين تغلق شاه)، كان أبوه تركياً من الأتراك المعروفين بالقرونة، القاطنون بالجبال بين بلاد السند والترك، وأمه من قبيلة الزط[3]، وكان ضعيف الحال، فقدم بلاد السند في خدمة بعض التجار، وكان كلوانيا له، والكلوانى هو راعي الخيل، وذلك على أيام السلطان (علاء الدين)، وأمير السند إذاك أخوه (أولو خان)، فخدمه (تغلق) وتعلق بجانبه، فرتبه في البيادة، وهم الرجالة، ثم ظهرت نجابته فأثبت في الفرسان، ثم كان من الأمراء الصغار، وجعله (أولو خان) أمير خيله، ثم كان بعد ذلك من الأمراء الكبار، وسمي بـ(الملك الغازي)[4]، لأنه أبلى بلاءا حسنا في حرب المغول، حيث كان قريباً من الحدود، فقام بصدهم عن دخول الهند[5].

حكمت هذه الأسرة مدة خمس وتسعين سنة (720هـ/1321م: 815هـ/1412م)، وتوالى على الحكم ثمانية ملوك من هذه الأسرة[6].

---

[1] أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهند وباكستانية وحضارتهم، المرجع السابق ، ص15-17.

[2] السيد محمد يونس: الدولة التغلقية في الهند، دار الكتب المصرية، القاهرة، (1422هـ/2001م)، ص12.

[3] نفسه ، ص11.

[4] رحلة ابن بطوطة: ص 458

[5] عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، المرجع السابق ، ص126.

[6] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي "العهد المملوكي"، المرجع السابق ، ص223.

تأسست أسرة (تغلق) على يد رجل قوي العزيمة، رغم شيخوخته، وهو (غياث الدين تغلق)، وكان يفخر بانتصاره في (29) معركة على المغول[1].

غياث الدين تغلق شاه (720هـ/1321م: 725هـ/1325م)

قدم بلاد السند في خدمة بعض التجار في أيام السلطان (علاء الدين)، ودخل في خدمة (أولو خان) أمير السند إذ ذاك فظهرت شجاعته، وتدرج في سلك الفروسية، حتى صار أمير للخيل، ولما ولى (قطب الدين) ولاه مدينة (ديبالبور) وأعمالها، وعهد إلى ابنه (محمد تغلق) بإمارة الخيل وظل يشغل هذا المنصب في عهد السلطان (خسرو خان)، فلما استاء (تغلق) من (خسرو شاه)، الذي اغتصب العرش، وقتل السلطان، أعلن (تغلق) الثورة والخروج على الطاعة، وكما ذكرنا سابقاً، أنه دخل دلهي لا يعترضه معترض، ولا يعوقه عائق، ودخل (تغلق) القصر الملكي، وقدم الناس لمبايعته، وبذلك انتقل حكم سلطنة دلهي من الخلجيين إلى بني تغلق[2].

ارتقى غازي ملك تغلق عرش دلهي في شعبان من عام 720هـ/1321م، وهو من أصل تركي باسم السلطان (غياث الدين تغلق)، واستطاع تدعيم ملكه واستعادة سلطنة دلهي لسابق هيبتها ونفوذها بإحياء تعاليم الإسلام في حكومته، كما نجح في استرداد الأقاليم الدكنية والشرقية، نهج طريق (علاء الدين الخلجى) في الاحتفاظ بجيش نظامي قوي وطهر الأداة الحكومية مما لحق بها من فساد وحرص على إشاعة العدل بين الناس جميعا[3].

فقد كان (غياث الدين تغلق) عادلاً فاضلاً كريماً حليماً متورعاً حسن الأخلاق راجح العقل متين الدين، كان يلازم الصلوات الخمس بالجماعة، ويجلس للناس في الديوان العام من الصباح إلى المساء، ويتفقد بنفسه أحوال الناس، ويكرم العلماء والمشايخ ويعظهم تعظيماً بالغاً[4]، وقد استقام الملك لتغلق أربعة أعوام، ولما استقر بدار الملك بعث ولده محمدا ليفتح بلاد (التلنك)، وهي على

---

[1] وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ص895.

[2] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق،المرجع السابق ، ص401-402.

[3] عماد الدين أحمد محمود متولي: الحضارة الإسلامية في شبه القارة الهندية، رسالة ماجستير ،قسم الحضارات ، جامعة الزقازيق، ص48.

[4] عبد المنعم النمر: المرجع السابق ، ص128.

مسيرة ثلاثة أشهر من مدينة دلهي. وبعث معه عسكرا عظيما فيه كبار الأمراء، فلما بلغ إلى أرض (التلنك) أراد المخالفة[1]، فقد وسوس له بعض قواده، ولكن الآخرون امتنعوا عليه، فلما علم أبوه بذلك مؤخراً، عاقب بعضهم وفر الآخرون، والتجئوا إلى سلطان (بنكًال) من أسرة غياث الدين بلبن.

وفي ذلك الوقت اشتكى أميران من أمراء (بنكًال) مما فعله بهما أخوهما السلطان هناك، فرأى تغلق أن يسير بنفسه إليه، ويترك ابنه (الغ خان) وولى عهده نائبا عنه في دلهي، فسار إلى (البنكًال) وحارب السلطان وهزمه، وجاء به أسيرا إلى دلهي، وعين بدله أخاه (ناصر الدين) أحد أخويه اللذين فرا لدلهي من قبل. فقضى بذلك على استقلال (البنكًال)، وجعلها تابعة لـ(دلهي)[2].

لم يقدر لسلطنة دلهي الإسلامية الهدوء والاستقرار في عهد بني تغلق وإنما كثرت القلاقل الاضطرابات في الدولة وتعرض سلاطين هذه الأسرة للمؤامرات التي تستهدفهم بالدرجة الأولى لانتزاع كرسي الحكم منهم، بل تأمر الابن على أبيه 725هـ/1325م، ذلك أن محمد بن تغلق تأمر على أبيه، فقد أمر السلطان ابنه بإقامة قصر في الطريق إلى دلهي، وأقام محمد بن تغلق القصر ومعظم بنائه من الخشب، فلما وطئت الفيلة القصر، سقط الكشك على السلطان وولده محمود، ولقي السلطان حتفه، ودفن بخارج البلدة التي سميت باسمه (تغلق أباد)، واستولى محمد على كنوز أبيه، وولى السلطنة ولقب (أبو المجاهد محمد شاه)[3].

ويعد السلطان –غياث الدين تغلق) في مقدمة الملوك المسلمين العظام الذين حكموا شبه القارة الهندية، فقد رد على الإسلام عظمته وهيبته بعد الفتنة الكبرى التي أثارها السلطان السابق (خسرو خان). فقد رد الإمارات التي استقل بها قادة الهندوس. وكون جيشا نظاميا–عند الحدود الغربية، وقد توفي هذا السلطان عام 725هـ/1325م، فخلفه ابنه (فخر الدين جونه)، وتسمى بـ(محمد شاه تغلق)[4].

[1] ابن بطوطة: المصدر السابق ، ص460.

[2] عبد المنعم النمر: المرجع السابق، ص126.

[3] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، المرجع السابق، ص402.

[4] حازم محفوظ: ازدهار الإسلام في شبه القارة الهندية، المرجع السابق ، ص41.

محمد بن تغلق (725هـ/1325م: 752هـ/1351م)

استولى (محمد بن تغلق) على الملك من غير منازع له، ولا مخالف عليه، وقد كان اسمه (جونه)، فلما ملك تسمى بـ(محمد)، واكتنى بـ(أبي المجاهد) وكذلك برجل الافكار. وهو الذي انقذ الهند من شر المغول وحمى الحدود الشمالية، وهذا الملك أحب الناس في إسداء العطايا وإراقة الدماء، فلا يخلو بابه من فقير يغنى أو حي يقتل، وقد شُهرت في الناس حكاياته في الكرم والشجاعة وحكاياته في الفتك والبطش بذوي الجنايات. وهو أشد الناس مع ذلك تواضعاً وأكثرهم إظهاراً للعدل والحق. وشعائر الدين عنده محفوظة، وله اشتداد في أمر الصلاة والعقوبة على تركها[1].

وكان السلطان (محمد شاه تغلق) يسعى سعياً جادًا في اجتناب المناهي والمسكرات وسائر ما يسمى معصية، وسعى في تسخير البلاد وضبط الممالك إلى أن استولى على: الكًجرات ومالوه وإديوكير وتلنك، وكنبله ودهورسمند والمعبر وترهت ولكهنوتى وستكام وسناركام في أقل مدة، خراج ومجمل الدخل لهذه الولايات يصل إلى دلهي.

ووصل استقامة الولاة والعمال إلى درجة أنه لم يكن لأحد قط من المقدمين أو المتمردين في هذه النواحي مقدرة، أن يخفي درهما واحدا من مال الديوان أو يتمرد، وهذا القدر من الأموال لم يكن يظهر في الخزانة بسبب الإفراط في البذل وكثرة هبات السلطان (محمد)[2].

وقد بلغ عدد عساكره ستمائة ألف، وكان له ألف وسبعمائة فيل، وإن في خدمته من الأطباء والحكماء والندماء والعلماء والمغاني العدد الكثير الذي لم يجمع لغيره وكان يخطب له على منابر بلاده (سلطان العالم اسكندر الزمان خليفة الله في أرضه)[3].

[1] ابن بطوطة: المصدر السابق ، ص465

[2] نظام الدين أحمد بخشى الهروى: طبقات أكبرى، ص166-169.

[3] ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، الطبعة الثانية، (1392هـ/1972م)، ج5، ص205.

غاظ (محمد بن تغلق) بسياسته الهنود والمسلمين معاً، فانتبذ كل أمير في المملكة، وأصبحوا كلهم مستقلين بأنفسهم ولم يبق بيد حكومة دلهي سوى الدوآب والبنجاب، وهذه أيضاً تعرضت لفادحة كبرى، وهي غارة المغول، فقد ورث (محمد) ملكاً واسعاً ومستقراً، وزاستمر كذلك وهو يحكم البلاد من دلهي مباشرة أو بواسطة الراجاوات، ولكن هذا الملك المستقر اضطربت دعائمه بعد ذلك، وأخذت الولايات تنفصل عن دلهي وتستقل عنها، على الرغم من أنه كان من الإداريين والقواد العظام، وهناك أسبابا عدة لذلك، منها كثرة الإنفاق على الحملات الحربية التي وجهها إلى الأطراف، وكثرة سفكه للدماء دون مراعاة لخلق أو دين، كثرة الضرائب التي اضطر إلى فرضها لمجابهة الإنفاق والعطايا الكثيرة، وما أحدثه من نظام النقد بغير الذهب والفضة[1]، فقد فشل بسك عملة نحاسية معادلة للعملة الفضية (التونجا) التي تساوي 40 قمحة، لسهولة تزييفها.

وعدم مرونته وقسوته الغاشمة، أدت إلى ثورة أحد أبناء عمومته في الدكن 727هـ/1326م، فأمر بنقل العاصمة إلى ديفاجيرى (ديوكير)، التي أطلق عليها اسم (دولت أباد)، وبنيت العاصمة الجديدة بناءاً جميلاً فيه الحصون المتينة كحصون الإقطاع الأوروبية تحيط بقلعة صخرية منيعة[2]، فقد كان سكان دلهي يكتبون بطائق فيها شتمه وسبه، ويختمون عليها، ويكتبون عليها ((وحق رأس خوند عالم ما يقؤوها غيره))، ويرمونها بالمشور ليلاً. فإذا فضها وشد فيها شتمه وسبه[3]، فأمر سكان دلهي بترك بلدهم، والهجرة إلى العاصمة الجديدة طوعاً وكرهًا، وشقوا الطريق المؤدية إلى (دولت أباد) كارهين، وساروا إلى مقرهم الجديد على كره منهم في رحلة شاقة، وخربت دلهي بهجرة أهلها منها، وأصبحت بلدة موحشة تبكي قصورها ودورها من شيدها وبناها وأقام صرحها، فلم يستطيعوا المعيشة في المدينة الجديدة، فقد ارتكب السلطان خطأ جسيما لأنه لم يراع الشروط الواجب توافرها في تشييد المدينة الجديدة.

[1] عبد المنعم النمر: المرجع السابق ، ص128.

[2] وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، المرجع السابق ، ص896.

[3] ابن بطوطة: المصدر السابق، ص493.

ومهما يكن من أمر فقد تراجع السلطان عن قراره بعد أن أدرك فشل مشروعه، وأمر أهل دلهي بالعودة إلى بلدهم[1].

لم تستقر الأمور في سلطنة دلهي في عهد (محمد بن تغلق)، فقد قامت ضده عدة ثورات، وحركات استقلالية، واضطربت الدولة اضطرابا شديدا، فغادر السلطان دلهي–على الرغم مما كانت تقاسيه من مجاعة إلى إقليم الدكن، لقمع ثورته، لكنه اضطر إلى العودة إلى دلهي بعد أن فتك الوباء بجنده سنة 735هـ/1335م، كما أعلنت البنغال الاستقلال عن دلهي، ولم يستجب أمراء البلدان المجاورة للبنغال لأوامر السلطان بالخروج إلى البنغال، وقمع الثورة، ممالا يدل على أن سلطان دلهي فقد نفوذه في تلك البلاد، فعمت الفتن الاضطرابات لاهور وديوكير وغيرها من الولايات الهندية، ولم يستطع السلطان القضاء على هذه افتن، واستقلت معظم الولايات[2].

وفي عام 1338/1337م قضت الأمطار والأمراض وسكان الجبال على جيش مزود بـ100.000 من الخيل أرسل إلى الهمالايا بطرق كنجر لفتح التبت والصين، وقد سعى (محمد بن تغلق) في عام 741هـ/1340م للحصول على اعتراف الخليفة في مصر به، وحصل على هذا الاعتراف في عام 745هـ/1344م[3]، فقد أحضر له النيابة وخلعه خاصة ولواء أمير المؤمنين، واستقبلها السلطان وجميع الأمراء والأكابر، وعندما اقترب ترجل ووضع منشور الخليفة على رأسه، ودخل من البوابة إلى القصر، وأمر الأمراء أن يبايعوا منشور الخليفة، وكان يضع أمامه دائماً المصحف والأحاديث الشريفة ومنشور الخليفة، ويأخذ البيعة من الناس باسم الخليفة، وكان ينسب كل حكم أو فرمان إلى الخليفة[4].

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص403.

[2] نفسه ، ص404.

[3] وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، المرجع السابق ،ج2، ص896.

[4] نظام الدين أحمد بخشى الهروى: طبقات أكبرى، ج1، ص176.

حيث بلغ الأمر بسلاطين بني تغلق الاعتقاد بأن الحكم بدون إقرار الخليفة العباسي غير شرعي، وأن الذي يحكم بدون موافقة الخليفة يكون مغتصباً، وقد أمر السلطان (محمد بن تغلق) أن يزال اسمه من النقود ويكتب اسم الخليفة بدلاً منه[1].

فقد قضى أيامه التي قاربت الثلاثين عاماً في متاعب لاسيما في آخر أيامه، حتى توفي وهو راجع من إحدى الحروب على نهر السند، بعد أن أصيب بالحمى في المحرم سنة 752هـ/1351م. ولم يترك (محمد بن تغلق) ذرية ترث العرش[2].

فيروز شاه التغلقي (752هـ/1351م: 790هـ/1388م)

لم يترك محمد بن تغلق وارثاً للعرش من ذريته، وكان فيروز وفياً ومخلصًا له، لازمه في أيام مرضه وخدمه، فأثر ذلك في نفسه، فتكلم وهو مريض، وأشار أن يكون فيروز ولي عهده، ونظرًا لعدم وجود ولي عهد معلوم عند الجميع، حدث بعض الهرج بعد موت السلطان، وإزاء هذه الحالة اجتمع كبار الدولة والأمراء والأولياء، ورأوا أن يكون (فيروز) سلطانًا، وكان سنه في ذلك الوقت نيفاً وخمسون سنة[3]، وقد عرف عن (أبو المظفر فيروز شاه) نداءه للسلام، فلم يخض حربًا إلا إذا اكره عليها، فلم يلتفت إلى الدكن، وقد قامت دولتان مستقلتان هما: بهمنى الإسلامية ووفياياتكر الهندوكية، فقد اكتفى بحكم ما تبقى من شمال شبه القارة الهندية[4].

تربى (فيروز شاه) في حجر عمه (غياث الدين تغلق) وابن عمه (محمد بن تغلق)، وولى الحجابة مدة من الزمان، ومرت عليه الأحداث التي جرت في عهد ابن عمه، وكان ذا قلب رقيق، ولكنه لم يكن يستطيع تعديل شذوذ ابن عمه، فلما ولى الملك جعل همه في إرضاء نفسه وحسه، وتعويض الشعب المرهق والتخفيف عنه، فساس دولته سياسة الحكام العظام الذين يعنون بشعوبهم، ويسهرون لتوفير الراحة لهم في كل ناحية من نواحي حياتهم[5]، واتخذ لنفسه ألقاباً

---

[1] أحمد شلبي: المرجع السابق ، ص288.

[2] عبد المنعم النمر: المرجع السابق ، ص133.

[3] نفسه ، ص134.

[4] حازم محفوظ: ازدهار الإسلام في شبه القارة الهندية،المرجع السابق، ص43.

[5] عبد المنعم النمر: المرجع السابق، ص134.

إسلامية سبق وأن تلقب بها سلاطين المماليك في الهند مثل غياث الدنيا والدين، وحامي حمى الإسلام، والواثق بتأييد الرحمن[1].

وعندما تولى الحكم أطلق سراح عدة آلاف شخص كانوا قد وقعوا في أسر المفسدين، ثم ركب وأسر من كل ناحية كل فارس مغولي وغيرهم، وقتلهم وأسر عدة قواد مغول، وأبعد مضايقة المغول والمفسدين في (تهته). وكان الخواص والعوام في أول جلوسه على العرش رهنا لانعاماته السلطانية، كما انعم على الأمراء والملوك والمشايخ والجنود بالجياد والأموال، وكان ينعم ويسعد كل مدينة وقرية يصل إليها بالأنعام والأموال[2].

وعلى الرغم من أن السلطان (فيروز شاه) كان محبوباً من رعاياه، لكن سلطنة دلهي ظلت مسرحاً للقلاقل والاضطرابات. ففي أواخر عهده فوض أمور السلطنة إلى وزيره (خان جهان ظفر خان الثاني)، ولكن هذا الوزير أخل بالثقة التي منحها له السلطان، واعتزم الاستحواذ على العرش، وإزاحة ولي العهد (محمد بن فيروز) من طريقه حتى يخلو له الأمر، ولكن السلطان فطن إلى سوء نوايا وزيره وعزله، ومن ثم انفرد (محمد بن فيروز شاه) بأمور البلاد بلا منازع، ولكن عزل السلطان ولي عهده لأنه كان سيء السيرة، وكان أيضاً من عوامل الاضطرابات في دلهي، وأسند ولاية العهد إلى حفيده (غياث الدين بن فتح خان)[3].

فكان حكم (فيروز شاه) الطويل السعيد من شأنه تهدئة الثورات التي كانت عادة عند الهنود في العهود السابقة، وسبب هذا الهدوء في عهده ما كسبه من حب رعاياه واحترامهم له فلما مات 790هـ/1388م نشأ جيل جديد لم يكن يعرف الأحكام القاسية والمعاملات الخشنة الشديدة التي وقعت في الأيام السابقة في عهد (علاء الدين الخلجى) و(محمد بن تغلق)[4]، فأعماله الطيبة

---

[1] RAJGOR (Dilip): Sultanate coins of India, Bombay, 1990, P89.

[2] نظام الدين أحمد بخشى الهروى: طبقات أكبرى، ج1، ص187.

[3] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص405.

[4] محمد عبد المجيد العبد: الإسلام والدول الإسلامية في الهند، المرجع السابق ، ص25-26.

جعلت الحياة تدب من جديد في الدولة التغلقية، فقد ظلت مدته حوالي أربعين عاماً وقد سجل التاريخ له صورة مشرفة[1].

غياث الدين تغلق شاه الثاني بن فتح خان (790هـ/1388م: 791هـ/1389م)

تولى الحكم بعد وفاة جده (فيروز شاه) وحسب وصيته وقد وافق الأمراء والأعيان، ولقب نفسه (غياث الدين)[2]، ولم يكن كفئا للمنصب، إذ كان شاباً لاهياً عن تدبير أمور السلطنة[3]، فقد غرق في اللهو والمجون منذ عنفوان شبابه، فأخذ القصور يظهر في أمور الملك، وسجن (تغلق شاه الثاني) أخاه الشقيق (خرم سالارسه) لقلة خبرته، وانزوى (أبو بكر) وهو ابن أخيه بسبب الخوف الذي يسيطر عليه، وخرج مع (أبو بكر) ملك (ركن الدين) نائب الوزير وأمراء آخرون وقتلوا ملك (مبارك كبير) في فيروز آباد) على بوابة قصر (تغلق شاه)، فأدرك غلبة المتمردي، فخرج من البوابة الخلفية بمساعدة وزيره (خان جهان الثاني) إلى نهر (جونبور)، وكان ملك (ركن الدين) موجودًا، فتعقبه وقبض عليه وعلى (خان جهان)، وقتلهما، وعلق رأسيهما على نفس البوابة وكان هذا في بداية عام 791هـ/1389م، فكانت مدة حكمه ستة أشهر وتسعا وعشرين يوما[4].

أبو بكر ظفر خان بن فيروز (791هـ/1389م: 792هـ/1390م)

تولى أبو بكر شاه الحكم بعد مقتل ابن عمه تغلق شاه الثاني، وكان سيئا فكرهه الناس فطالبوا بـ(محمد بن فيروز)، فاتجه نحو دلهي فسار إليه أبو بكر، وهزمه مرتين، وخرج أبو بكر إلى ظاهر دلهي على مسافة اثنين وثلاثين كيلومتراً لمنازلة (محمد بن فيروز شاه) فدخلها، فأسرع أبو بكر إلى دلهي فخرج (محمد شاه) هارباً[5]، فلم يتغاض (محمد بن فيروز شاه) عن اغتصاب (أبو بكر شاه) للعرش، فجمع حوله الكثير من الأنصار في الدوأب وقوى أمره، واشتد بأسه، فدخل

---

[1] أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ص287.

[2] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي "العهد المملوكي"، المرجع السابق، ص225.

[3] عبد المنعم النمر: المرجع السابق ، ص134.

[4] نظام الدين أحمد بخشى الهروى: طبقات أكبرى، ج1، ص187.

[5] محمود شاكر: المرجع السابق، ص225.

دلهي واقتحمها، وقبض على السلطان أبو بكر، وسجنه وبقي سجيناً في القلعة حتى توفي عام 793هـ وولى هو السلطنة[1].

ناصر الدين محمد بن فيروز شاه (792هـ/1390م: 795هـ/1393م)

تولى محمد بن فيروز الملك باسم (ناصر الدين محمد بن فيروز شاه)[2]، وجلس على العرش في قصر (فيروز آباد)، ووزر (ميسرخت سلطاني)، ولقبه بـ(إسلام خان)، والتحق المماليك الفيروز شاهيه وأهل المدينة جميعاً بـ(محمد شاه).

وبعد فترة خلت المدينة من المماليك وآل بيت فيروز شاه الذين كانوا يعارضون (محمد شاه)، ثم أهتم بعد ذلك بتنظيم أمره، وجمع الجيوش من الأطراف والجوانب، واشتد ساعده، وتحقق لـ(محمد شاه) الغلبة تماماً، وفي المدينة التي وضع أساسها وهي (محمد آباد) حيث اشتد عليه المرض، فلم تطل مدة حكم (محمد شاه بن فيروز شاه)، غذ توفي عام 795هـ/1393م[3].

علاء الدين إسكندر شاه (795هـ/1393م)

تولى بعهد من أبيه (محمد شاه)، وكان اسمه (همايون خان) فتلقب بـ(علاء الدين إسكندر شاه) وبقي في الحكم شهر ونصف فقط[4]، وهو الابن الأوسط للسلطان السابق، فبعد وفاة السلطان جلس على العرش بموافقة الأمراء والملوك والسادات والقضاة وأكابر دلهي، وقد مرض السلطان (علاء الدين) وتوفي وكانت مدة سلطنته شهراً وخمسة عشر يوماً[5].

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص406.

[2] عبد المنعم النمر: المرجع السابق، ص140.

[3] نظام الدين أحمد بخشى الهروى: المرجع السابق، ص202-204.

[4] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي "العهد المملوكي"، المرجع السابق ، ص225.

[5] نظام الدين أحمد بخشى الهروى: طبقات أكبرى، ج1، ص204.

محمد شاه (796هـ/1394م: 815هـ/1413م)

أشتد الخلاف بين أركان الدولة على من يتولى السلطنة، واستمرت دلهي بدون سلطان خمسة وأربعون يوماً، ثم نادوا بـ(محمود بن محمد بن فيروز) سلطاناً على دلهي، وكان صغير السن سبقته عهود من القلاقل التي صاحبت تغير السلاطين واحدًا بعد الآخر[1]، ولصغر سنه لم يلبث أن خضع للأمراء وأصبح ألعوبة بأيديهم وأيدي الوزراء، فاستدعى الأمراء (نصرة خان بن فتح خان)، ووقع القتال بين الطرفين، ينتصر هذا تارة ثم ينهزم، ويحل الآخر مكانه، وبعد مدة يعود الأول للحكم ويفز الثاني وهكذا، حتى دخل (تيمور لنك) الهند 801هـ/1398م، فأخذ السند البنجاب، وسار نحو دلهي فدخلها، وخرج منها (محمود شاه) إلى الكجرات، ثم عاد إلى دلهي بعد خروج (تيمور لنك)، ولم يبق له سوى دلهي والبنجاب حتى توفي 815هـ/1413م، وبوفاته انتهى حكم آل تغلق[2].

[1] عبد المنعم النمر: المرجع السابق ، ص140.

[2] محمود شاكر: المرجع السابق، ص226.

الفصل الثانـي

النظم السياسية والإداريـة

1)السلطان

2)السلطة الحاكمة

3)كبار موظفي البلاط و الدواوين

4)العلاقات الخارجية

1 السلطان

كان يختار تبعا للشرع واقوال الفقهاء بواسطة الرجال الاكثر نفوذا في الحاضرة المخولون بحفظ الامانة للرعية فلهم حق البيعة للسلطان، وتكفي الأغلبية لتصبح بيعة السلطان بعد ذلك واجبة وفي هذا يقول الجويني " ذهب بعض العلماء إلى ان الامامة تنعقد ببيعة اثنين من اهل الحل والعقد واشترط طوائف عدد اكمل البنيات في الشرع وهو اربعة، وذهب من احزاب الاصوليين الى اشتراط اربعين وهو عدد الجماعة [1].

وقد وضح ذلك ابن بطوطة في ذكره لبيعة السلطان قطب الدين أيبك الذي أظهر لقاضي قضاة دهلي وثيقة عتقه، وكذلك كان الأمر مع ألتمش وكان دور قاضي القضاة في البيعة والشهادة دورا بارزا [2].

وكان يشارك في اختيار السلاطين العامل الشرعي ونلاحظ أن معظم السلاطين كانوا اتراكا، وبالرغم من غيرتهم على الاسلام فالتركية والافكار القبلية كانت لا تزال تؤثر في عقولهم، ولكن الأفضلية كانت بكون الاختيار شرعيا ومساير لرغبات الفقهاء والرعية، كما حدث في اختيار ألتمش حيث وافق قاضي القضاة والفقهاء والناس عليه [3].

ولما جاء الخلجيون الى السلطة حيث في بادئ الأمر لم يتقبل أهالي دهلي الحكم الخلجي نظرا لكثرة ما أراق الخلجيون من دماء وقتلهم للأمراء الاتراك لذا قام السلطان جلال الدين خلجي اول سلاطين الدولة على نقل مقر حكمه إلى مدينة كيلو كهرى[4] واسس مدينة هناك أسماها شهرنوا وبنى بها قصور الأمراء وعمرها بالمساجد والمدارس وشيد فيها أكبر سوق تجاري عرفته تلك البلاد في ذلك الوقت مما ترتب عليها إضمحلال دهلي لتصبح مدينة ثانوية بجانب شهرنوا.

---

[1] الجويني : غياث الامم في التياث الظلم ، دار الدعوة ، الاسكندرية ،مصر ،1979م ، ص 35

[2] ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، ج 2 ، دار إحياء العلوم ، بيروت ،1987، ص 433

[3] الجويني : المصدر السابق ، ص 37

[4] وفي حقيقة الامر فقد أقام السلطان جلال الدين في القصر الذي شيده قبله السلطان معزالدين حيث رغب الابتعاد عن دهلي واهلها من المشايخ ورجال الدين المتصوفة وجمع في مدينته اهل الطرب والغناء من جميع الاطراف Oxford ,history of india , Oxford ,1958,p242

ثم عمل السلطان جلال الدين على تأليف قلوب الرعية والأمراء، وخفف الضرائب وساعدته حنكته السياسية على كسب ود الأهالي فبايعوه سلطانا على الهند [1].

والامر الذي يجذب الانتباه في تاريخ سلطنة دهلي هو تولي إمرأة السلطانة راضية[2] حكم المسلمين في الهند و يذكر لنا المؤرخون ان فقهاء الاحناف والشافعية كان لهم دور بارز في مقاومتها والقضاء عليها ويذكر لنا التاريخ ان حقيقة اختيار رضية سببه مجادلات وان مجرد اختيارها للسلطنة قد لقي معارضة شديدة بل مقاومة مسلحة ولقيت معارضة الفقهاء أذانا صاغية عند بعض الاشراف الطامعين في العرش ورغم كل هذا فقد حكمت لمدة اربع سنوات[3]، و إتخذ كذلك الملوك والسلاطين من دهلي [4] حاضرة لحكم بلاد الهند.

أما دار السلطنة فكانت مثالا للعظمة والأبهة التي كان يعيش فيها وينعم بها السلطان، فكان لقصر السلطنة عدة أبواب، يقوم عليها جملة من الرجال الموكلون بها، فضلا عن الحراس وحاملي الأبواق والطبول، فإذا قدم أمير أو كبير ضربوها، وكان بخارج الباب الأول المعروف بباب المشور (مجلس السلطان) مجموعة دكاكين يقعد عليها الجلادون من القائمين على تنفيذ الأحكام التي يصدرها السلطان، وبين البابين الأول والثاني يجلس أهل النوبة من حفاظ الأبواب، بين الثاني والثالث دكانة كبيرة عليها نقيب النقباء، بين يده على رأس كل واحد منهم عمامة مذهبة، وفي يده سوط مقبضه من الذهب أو الفضة. [5]

---

[1] نعمة مرسي : حلقة وصل بين الشرق والغرب ، ندوة عقدها إتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، 2000، ص 628

[2] السلطانة رضية الدين ذات الأصل التركي وابنة شمس الدين ألتمش وحفيدة قطب الدين أيبك أول من حكم مدينة دهلي بالهند مستقلاً عن المسلمين, سنة 626 هجرية/ 1229م, أنظر : قاسم عبده : شخصيات تاريخية ، دار عين ، 2014،ص 26

[3] المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تح محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ج 5، 1997، ص 534

[4] دهلي : أو دلهي ، عاصمة الهند في عصور مختلفة ، ويطلق إسم دهلي على عدة مدن أقيمت في مواقع متجاورة على الضفة اليمنى لنهر جمنة قبل إلتقائه بالكنج ، وظلت دهلي عاصمة للهنادكة ، حتى قام قطب الدين أيبك – قائد السلطان محمد الدين الغوري – بفتحها سنة 591هـ / 1194 م . حاول السلطان محمد شاه تغلق نقل العاصمة إلى ديوكر ، لكنه لم يكمل المحاولة ، وأقام ضاحية بالقرب من دهلي دعاها جهان ، ثم أقام فيروز شاه مدين أخرى بجوارها ، أما دلهي الحديثة أو نيودلهي التي تطل على النهر جمنة فأعلنت عاصمة على الهند البريطانية بعد إنتقالها من مدينة كلكتا .

Majumdar :OP.Cit,P.167

[5] / إبن بطوطة : المصدر نفسه ، ص 465 – 466 .

اما للحديث عن الواجبات الرسمية والعامة للسلاطين، فالملاحظ على سلاطين دهلي الذين اتصفوا بالعدل أن اعمالهم لصالح رعيتهم، وقد كان السلطان يملك سلطة تشريعية ضئيلة بالنسبة لسلطته التنفيذية فهو لا يستطيع ان يتدخل في القانون الشخصي والديني لرعيته، اما للحديث عن التعاون بين السلطان والقوى السياسية فقد أثبت الواقع التاريخي ان انفراد رجل واحد بالسيادة المطلقة هي أمر صعب المنال فليس من مقدور رجل واحد ان يفرض ارادته على عدد ضخم من السكان [1].

وكان يلحق بقصر السلطنة عدة قصور ومنازل لسكن حريم السلطان، ومقاصير جواريه، وبيوت خدمه ومماليكه، وكانت منطقة القصور خاصة بالسلطان لا يسكن معه أحد من القادة العظام أو الأمراء[2].

فضلا عن ذلك أقام السلطان محمد تغلق شاه عددا من (الكارخانات) أي المصانع، لكي تزود القصر وملحقاته، ومختلف الأقسام الحكومية بالأغذية والمؤن والأدوات[3] والخلع والكساوي التي تنتج في دار الطراز وهي تختص القصور السلطانية بكل ما تحتاج إليه من الملابس والثياب الحريرية والمطرزة بخيوط الذهب والفضة.

و كان السلطان [4] هو الحاكم المطلق في الدولة فهو مصدر السلطات، والقائد الأعلى للجيش، والمتصرف في كافة شؤون الدولة وأحوالها، بيده تعيين ولاة الأقاليم، والوزاراء وأصحاب الدواوين، وكبار رجال الدولة.

كان السلطان يعقد مجلسا له بعد العصر لمباشرة أمور السلطنة والنظر في أحوال الناس اليومية، وربما جلس أول النهار، وكان يجلس على مصطبة مفروشة بالبياض فوقها مرتبة، ويجعل

---

[1] محمد حبيب أحمد : بين الهند وباكستان ، الدار المصرية ، القاهرة ،1995، ص 57

[2]إبن فضل الله العمري : المصدر نفسه ، ص 127.

يوسف حسين خان : نظام التعليم في الهند خلال العصور الوسطى ، مجلة ثقافة الهند ، دلهي ، ابريل سنة 1961م ، مجلد 2 ، [3]عدد 2، ص 66.

[4] كان محمد بن سبكتكين الغزنوي أول من لقب السلطان في الدولة الإسلامية ، ولم يدع أحد من الحكام قبله بهذا اللقب ، وورد لقب السلطان الأعظم ضمن ألقاب محمود الغنوي في نص تذكاري مؤرخ 421هـ / 1030م على برج محمود بغزنة .أنظر حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957 ، ص324 ، ص33

خلف ظهره مخدة كبيرة، وعن يمينه متكأ وعن يساره مثل ذلك، وطريقة قعوده تشبه الإنسان الجالس للتشهد للصلاة، فإذا جلس وقف أمامه الوزير، ووقف الكتاب خلف وزيرهم، وخلف الحجاب على قدر درجاتهم وقربهم من السلطان، ويتلو الحجاب النقباء وهم نحو مائة، أما السلحدارية وهم الجند الشاكون في السلاح، فكانوا يتوزعون عن يمينه ويساره بأيديهم السيوف والقسي، قال القلقشندي: ((وكلهم بالخيل المسومة والسلاح الفائق، والتجمل الظاهر)) [1].

كما كان يحضر مجلس السلطان المعتاد قاضي القضاة، ويليه خطيب الخطباء، ثم سائر القضاة وكبار الشرفاء، ثم المشايخ، وكان يحيط بالسلطان في مجلسه، إخوة السلطان وأصهاره، والأمراء الكبار، وكبار الأعزة (الغرباء) [2].

إلى جانب ذلك كان يؤتى إلى المجلس بستين فرسا مسرجا ملجمة مجهزة بجهازات سلطانية فمنها ما هو من الحرير الأسود المذهب، ومنها ما هو من الحرير الأبيض المذهب، فيقف هذا النصف من هذه الخيل عن اليمين، والنصف الآخر عن الشمال، بحيث يراها السلطان، ثم يؤتى بخمسين فيلا مزينة بالحرير المذهب، وعلى عنق كل فيل ما يشبه الصندوق يسع عشرين من المقاتلة، وتلك الفيلة مدربة، لأن تخدم السلطان (تحط رؤوسها)، ويقف عبيد السلطان وراءهم وبأيديهم التروس والسيوف [3].

كان مجلس السلطان يبدأ بدق الرهجيات [4]، وكانت فرق الرهجيات تتألف من حاملي النقارات[5]، والكوسات الكبار [6]، والأبواق [7]، والصنوج [8]، وتقوم هذه الفرق بضرب الإيقاعات

[1] القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة ، 1913م ، ج5 ،ص96.

[2] الأعزة : كان السلطان محمد شاه تغلق محبا للغرباء ، كثير الإكرام لهم ، يحبهم ويخصهم بالمراتب الرفيعة ، وقد أمر أن يسمو الأعزاء بدلا من الغرباء تكريما لهم وإحتراما .أنظر : محمود الشرقاوي : رحلة إبن بطوطة من طنجة إلى الصين والأندلس وأفريقيا ، مكتبة أنجلو المصرية ، 1986، ص 213

[3]: المصدر نفسه ، ص 467.

[4] الرهجيات :الإيقاعات الموسيقية التي كانت تضرب للعظماء.

[5] النقارات : مفردها نقارة ، عصا تتخذ من الجلد يضرب بها على الآلات .

[6] الكوسات : صنوجات من نحاس تشبه الترس الصغير ويدق بإحداها على الأخرى .

[7] الأبواق : ما ينفخ فيها لإعلان النفير في العسكر ، وإرهاب الأعداء ، ووصول الحكام .

[8] الصنوج : صفائح مدورة تتخذ من النحاس الأصفر الرقيق على هيئة لوحين مستديرين قطر كل منهما نحو 30سم .

الموسيقية بتحية السلطان عند وصوله إلى المجلس، وإيذانا باستعداد السلطان لإستقبال أصحاب الشكايات والحاجات.

كان الحجاب يقدمون القصص (الشكايات)، فقد كان لكل طائفة حاجب يرفع قصصهم وحاجاتهم على يده، ويتقدم جميع الحجاب بالقصص إلى الحاجب الخاص المقدم على الكل فيعرضها على السلطان، ثم إذا قام السلطان جلس إلى كاتب السر فأدى إليه الرسائل بما رسمه السلطان في ذلك فينفذها، ثم إذا قام فيجالسهم، ويؤانسهم ويأكل معهم، ويتحدث معهم[1].

كما كانت الإستعدادات الرسمية تتخذ للاحتفال بعودة السلطان من أسفاره، فكانت الفيلة تزين بالحرير، المنسوج بالذهب المرصع، فضلا عن القباب المصنوعة من الخشب المكساة بثياب الحرير في وسط كل قبة حوض كبير مصنوع من الجلود مملوء بالماء الجلاب محلولا بالماء، ويكون ما بين القباب مفروشا بثياب الحرير، يطأ عليها موكب السلطان، وتزين أيضا جدران الشوارع التي يمر به موكب السلطان ويمشي أمامه العساكر والعبيد من حين دخول السلطان دهلي حتى وصوله إلى دار السلطنة [2].

واذا اردنا الكلام عن هيبة السلطان نقول انه رأس الدولة وينظر الغزالي للدولة بإعتبارها بناء حي ويقارنها بالجسم الانساني ويعتبر ان السلطان هو بمثابة القلب للنظام [3].

ومن ناحية اخرى فياله من ذنب ان يفعل السلطان اي شيى غير شرعي او غير اسلامي، ففي هذه الحالة كان المؤمنون من الرعية يخلعون طاعة السلطان المنحرف، وينزعون نحو الثورة، وقد عرف السلاطين جيدا نتائج هذه الثورة فمثلا السلطان قطب الدين بن علاء الدين الخلجي ثم ناصر الدين خسرو شاه لانهما جاهرا بأفعال لا تقبلها الشريعة الاسلامية[4]، مثل هجر الصلاة

[1] إبن فضل الله العمري : المصدر نفسه ، ص ص 182-184 .

[2] ابن بطوطة : المصدر نفسه ، ص471.

[3] الغزالي : كيمياء السعادة ، دار المعارف،القاهرة ،1998، ص 47

[4] عبد المجيد العبد ، المرجع السابق ، ص 15-16

وترك صوم رمضان، والمجاهرة بالافطار، والتهجم على المحرمات وسفك الدماء والاساءة الى القرآن الكريم وحرمة المساجد[1].

ومن جهة أخرى حرص السلاطين على ضمان التعاون مع الشيوخ المشهورين من الفقهاء والعلماء والصوفية وتمثل ذلك في تصرفاتهم تجاههم، وما ذلك إلا لإقتناعهم بأن الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك[2].

وكان الحكم في سلطنة دهلي وراثي رغم ان قاعدة الوراثة في الحكم لم تكن ثابتة، فقد خلف قطب الدين ايبك ابنه ارام شاه على عرش لاهور، وكان طفلا صغيرا لا يستطيع القيام بأعباء الملك، لذا عجز عن ادارة شؤون الدولة فأستدعى رجال الدولة ألتمش ونزع الملك من ارام شاه سنة 607هـ /1211م [3]، وظلت قاعدة الوراثة غير ثابتة كذلك في العهد الخلجي، فلما قتل السلطان جلال الدين، ولى ابنه ركن الدين السلطنة، لكن علاء الدين ابن اخ جلال الدين أزاحه وتولى هو السلطنة على الرغم من أنه ليس الوريث الشرعي للسلطنة[4].

وفي عهد الدولة التغلقية تربع تغلق على عرش دهلي وعهد لابنه محمد وعندما تولى محمد لم يكن له ابن فخلفه ابن عمه فيروز شاه وبدوره فيروز لم يعهد لابنه بسبب سيرته وعدم قدرته على ادارة شؤون الدولة، وعهدها لحفيده غياث الدين بن فتح خان، ومن هنا اضطربت الامور وتنافس الأمراء على العرش [5].

---

[1] محمد حبيب احمد : بين الهند والباكستان ، القاهرة ، 1950، ص 57

[2] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 467

[3] الفقي : الدول الاسلامية ، المرجع السابق ، ص 355

[4] الفقي : بلاد الهند ، المرجع السابق ، ص 182

[5] نفسه ، ص 183

2- السلطة الحاكمة:

أ- نائب السلطان:

نائب السلطان هو من أرباب السيوف، يقيم مع السلطان في دهلي ويختص بإدارة الأقاليم والولايات والمحافظة على أمن وسلامة الحاضرة، فضلا عن الدفاع عن البلاد ضد الأخطار الخارجية وولاية السلطنة في حالة غياب السلطان، لذا كان النائب يختار من الثقاة وبخاصة من البيت الحاكم، وكانت اختصاصاته إشرافيه وادارية، ومن الخانات يكون النائب ويسمى أميرت، واقطاعه يكون قدر اقليم عظيم نحو العراق، وله أربعة[1]، و كان يطلق عليه كذلك لقب كبير الحجاب، وكان النائب يقوم بمهام السلطان في عامة أموره، أو فيما يعهد له به من إختصاصات. وأطلق هذا اللقب على من ينوب عن السلطان سواء كان بحضرته أو كان خارجا عنها، ولذلك كان يعد الولاة نوابا عن السلطان في ولاياتهم.

وفي عهد التغلقيين و لطبيعة الدولة الحربية وإنشغال سلاطينهم بحروبهم ضد أعداء الدولة، والخارجين عن سلطانها وإضطرارهم للخروج عن حاضرة السلطنة لفترات غير قصيرة، أن إقتضت الضرورة تعيين من ينوب عنهم للدفاع عن العاصمة والمحافظة على أمنها وسلامتها، فضلا عن إدارة أقاليم الدولة [2].

و كان محمد بن تغلق نائبا عن والده، ولما ولي محمد شاه تغلق السلطنة عهد بهذا المنصب لابن عمه فيروز ملك الذي إضطلع بمهام السلطنة حينما إضطر محمد شاه للخروج على رأس الجيش إلى إقليم مير لتأديب حاكمها إحسان شاه عام 735هـ / 1335 م [3]، ومن ناحية أخرى لما صار فيروز شاه سلطانا أسند هذا المنصب لحفيده غياث الدين بن فتح خاقان الذي أدرا شؤون السلطنة عندما سار السلطان فيروز شاه إلى البنغال لإعادة حاكمها حاجي إلياس للولاء والطاعة.

---

[1] العمري : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 61

[2] القلقشندي : صبح الأعشى ، المصدر السابق ، ج5 ، ص403.

[3] Ichwari Prasad : OP .CITE ,p227 ,228.

لم تقتصر مهام نائب السلطنة على القيام بمهام السلطان حالة غيابه، بل كان يعاون السلطان في إدارة كافة شؤونها، لذلك كان يقيم مع السلطان في دهلي وككان يحضر معه التواقيع وإصدار المناشير، وفضلا عن ذلك كان النائب على إتصال دائم بولاة الأقاليم لحثهم على إرسال أموال فائض الخراج، والإهتمام بحراسة الثغور التابعة لهم للمحافظة على امن الدولة، وإرسال فرق الجند المقررة عليهم إلى حاضرة الدولة.

كما كان النائب يقترح على السلطان أسماء من يتولون الوظائف العليا، كالوزراء والقضاة وأصحاب الدواوين، وأخذ موافقته على تعيينهم أو عزلهم بعد رفع الأمر للسلطان.

ومن ناحية أخرى كان النائب يحضر مجلس المظالم مع السلطان أو ينوب عنه كلية في النظر فيما يقدم إليه من القصص بشكايات الناس حالة أمر السلطان بتفويضه في ذلك.

كان نائب السلطنة يقوم بعرض الجيش في حالة الإستنفار العام قبل وصول السلطان، فضلا عن قيادته للفرق العسكرية للقضاء على حركات التمرد والثورة وتأديب الخارجين على سلطان الدولة، فأنفذ السلطان شاه نائبه الأمير محمد بن تغلق لإعادة بلاد التلنك إلى حظيرة السلطنة، وبعث معه عسكرا عظيما فيه كبار الأمراء[1]، كما خرج همايون بن محمد تغلق الثاني، نائب السلطنة على رأس فريق من الجيش لمحاربة أبي بكر التغلقي الذي أظهر العصيان والخروج على الطاعة، فما زال به حتى أوقعه في الأسر سنة 793هـ / 1390م[2].

تختلف إختصاصات المشرف على السلطنة عن نائب السلطنة، ذلك أن المشرف على سلطنة كان يرأس الجهاز السري للمخابرات لإكتشاف المؤامرات وحركات التمرد والخروج على السلطنة قبل وقوعها، كما يختص بحماية حريم السلطان حالة غيابه، وكان يتبعه جهاز قوي للجاسوسية يحيطه بكل أخبار موظفي الدولة، والجيش والبلاط، وأقارب السلطان، فكانت إختصاصاته تنفيذية [3].

[1]ابن بطوطة : المصدر نفسه ، ص 460.

[2]Rawlinson:Op.Cit,p244

[3]Habibullah :the foundation of Muslim Rule in India ,2nd rev.ed, lahore 1961,p232.

وكان يسمى برئيس الجهاز الحربي بالدولة، وكان في اغلب الاحيان اذا توفى السلطان سواءا كان قويا او ضعيفا كان اما ان يستولى على عرش السلطنة بحكم سلطته ونفوذه كما فعل غياث الدين بلبن، او لا ينفذ وصية السلطان بتولي الامير المستخلف حسب رغبة السلطان المتوفي، وذلك لانه يريد تولية سلطان ضعيف او قاصر او منهمك في الملذات، واذا تم ذلك كان السلطان غير مستوفي الشروط الشرعية غالبا، وذلك ما فعله كافور هزار ديناري نائب السلطان بعد موت علاء الدين خلجي[1]، ونستنتج من كل هذا ان نائب السلطان كان له نفوذ قوي في القصر السلطاني في بيعة السلاطين الجدد ومبايعتهم او عدمه، ويعتبر امينا على ولي العهد القاصر في غياب السلطان.

ب- الوزراء:

حلت الصور الشرعية لنظام الوزارة عن طريق العلماء الشرعيين فقالوا ان الوزارة من اركان السلطنة والحكمة منها شد ازر السلطان ومساعدته في امور الدولة، فموضع الوزارة ان يشد قواعد المملكة، و ما الوزارة إلا نيابة عن السلطان او الخليفة [2] ولذلك يتمتع الوزير بتوكيل سلطة هي بطبيعتها نوعين تنفيذية وتفويضية [3]

وفي الواقع ان نظام الوزارة في سلطنة دلهي قد بدأ بوزارة تنفيذ، وخير مثال على ذلك صدر الملك نجم الدين ابوبكر الدهلوي احد رجال السياسة في ذلك الحين وقد استوزره السلطان علاء الدين مسعود شاه سنة 640هـ، وولى الوزارة مرة ثانية سنة 655 هـ [4]، ويعد منصب الوزير من أهم المناصب السياسية للدولة، وهو من أرباب السيف والقلم، وكان من كبار رجال السلطنة، يختص بكافة شؤونها الداخلية والخارجية، ومن أهمها الإشراف على الإرادات، والمصروفات والنفقات، فضلا عن التحقق من فائض دخل ولايات السلطة وبلدانها، وكان لطبيعة الدولة الحربية، وكثرة تعرضها للإعتداءات الخارجية أن اشترط في إختيار الوزير الكفاءة العسكرية والمهارة

---

[1] دائرة المعارف الاسلامية ، مج 8

[2] أحمد بن مصطفى : مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1985،ج 1، ص 414

[3] الماوردي : الأحكام السلطانية ، دار ابن قتيبة ، بيروت ،1989، ص 209

[4] الحسني : المصدر السابق ، ج 1 ، ص123

القتالية، فكان يعهد إليه قيادة الجيوش، فمن ذلك أن السلطان محمد شاه عهد لوزيره خواجة جهان قيادة عسكر السلطان إلى إقليم كنبلة لإعادته إلى حظيرة السلطنة، كما أنفذه على رأس الجيش إلى مدينة كمال بور التي كانت قد خرجت على طاعة السلطان [1].

وكان السلطان يكافىء وزيره على قدر ما يبذله من همة في القضاء على فتن الخارجين على سلطانه، فأنعم السلطان محمود تغلق على وزيره وقائد جيوشه خواجة جهان سرور بقلب شاه شرقي (ملك الشرق) سنة 797هـ / 1394م، وعهد إليه بحكم الأراضي الواقعة بين قنوج وبهار [2]، ومن ناحية أخرى كان يعهد إلى الوزير الإشراف على حكومات الولايات وتقوية الأجهزة العسكرية للدولة، ووضع النظم والضوابط التي تسهل تسيير أمور السلطنة بكفاءة عالية، ويعد الوزير جهان خان وزير السلطان فيروز شاه من أكفء وزراء بني تغلق، فكان إداريا حازما، يرجع إليه الفضل في كثير من الإنجازات التي تحققت في عهد هذا السلطان فمن بينها تحويل رواتب الجند من الإقطاعات العسكرية إلى معاشات ثابتة تصرف من خزانة الدولة، مما كان له أثر طيب في زيادة ولائهم للحكومة، وبفضل سياساته الإيجابية، أكسب السلطان محبة الناس وبخاصة أنه كان يرسل الإعانات للمتضررين، ومنع تعذيب وإيذاء المتهمين والمساجين – الذي كان سائدا في السلطنة من قبل [3].

كان يتبع الوزير ديوان الوزارة الذي يضم عددا كبيرا من الموظفين والكتبة، فمن بينهم المشرف الذي كان يعهد إليه التحقق من أوجه النفقات، والناظر لمختص بفحص التقارير، والمراقبون والمشرفون الماليون المختصون بتقدير وجمع الضرائب المفروضة على الأراضي الزراعية وغيرها، وكان يعين لكل وزير نائب يتولى مهامه حالة غيابه، وفي بعض الأحيان كان يصحب الوزير أثناء تنفيذ المهام المكلف بها خارج حاضرة الدولة.

---

[1] ابن بطوطة : المصدر نفسه ،ص495 .

قنوج : تقع إلى الشمال من مدينة فيروز أباد .

بهار : إقليم كبير يقع جنوب جبال الهمالايا ، عاصمته درنجا .

[2] Majumdar :op.cit,pp327-328.

[3] Rawlinson :A short Culural History of India New York ,1943,pp.285-286.

فمن ذلك أن محمد بن النجيب نائب الوزير خواجة جهان [1] كان قد خرج إلى لاهور [2] برفقة الوزير على رأس الجيش لإخماد ثورة هلاجون – أمير مدينة لاهور – الذي كان قد خلع طاعة السلطان وادعى الملك.

وكانت مقتضيات منصب الوزير تستلزم منه خبرة وحكمة وقوة في التعامل مع كثيرين من ذوي النفوذ والمحيطين بالسلطان، والذين كانوا جلساء في المجالس السلطانية، ولهم عليه تبعا لذلك تأثير عظيم، وكانوا حريصين في تعاملاتهم المالية مع الدولة، وكان بعضهم مديونين من قبل الدولة، ولذلك كله كان واجب الوزير هو ان يكون حازما في استخلاصها منهم[3].

وكان الوزير كذلك يستدعى لنصح السلطان في العديد من المسائل، لهذا في الغالب كان الوزير رجلا ذا معرفة موسوعية [4].

ج– الولايات:

انقسمت سلطنت دهلي الى عدة ولايات بلغت احدى عشرة ولاية في عهد السلطان علاء الدين وهي:

الكجرات ويحكمها ألب خان، الملتان وسفستان ويحكمها تاج الملك كافور، دبو بالبور وواليها غازي تغلق، سامانا وسونام ويحكمها اخور بك ناتك، دهار ويوغان ويحكمها عين الملك مولتاني، غيان و واليها فخر الملك ميسارتي، شيتسور وواليها ملك أبو محمد، شانديري واراج ووليها ملك تامار، بادون وكول وكارك ووليها ملك دينار، أوده وواليها ملك بوكتان، كره وواليها نصر الدين سوتيلا، والوالي ينوب السلطان في حكم ولايته[5]، وكان الولاة يعملون على حماية وتطبيق القوانين

---

[1] ابن بطوطة : المصدر نفسه ، ص 499 .

Munshi:op.cit,p.197.

[2] لاهور : مدينة عظيمة مشهورة في بلاد الهند ، تقع في الوقت الحاضر شمالي باكستان .أنظر : غوستان لوبون: حضارات الهند ، ترجمة عادل زعيتر ، دار العالم العربي ، القاهرة ، 2009، ص137.

[3] محمد نجيب : المرجع السابق ، ص 24

[4] سراج الجوزجاني : المصدر السابق ، ص 197

[5] الفقي : بلاد الهند ، المرجع السابق ، ص 189

والتقاليد والانظمة، ورعاية العلماء والمحاربين والموظفين والرسميين، وان يعمل على التصالح بين الناس بتخفيض الضرائب عليهم، وادخال الاجراءات الناجحة وزيادة الانتاج بتوسيع الزراعة، وان يعمل على التمسك بالعدالة وحماية الضعيف، ويعمل على تشجيع التجارة وحماية التجار [1]، كان تعيين ولاة الأقاليم في عهد بني تغلق يتم وفق تقاليد مضبوطة محكمة أرسى دعائمها سلاطين هذه الدولة، فكان يتم تقليد الوالي بمرسوم يصدر عن دار السلطنة ومنحه لقب أمير أرسى دعائمها سلاطين هذه الدولة، فكان يتم تقليد الوالي بمرسوم يصدر عن دار السلطنة ومنحه لقب أمير، وخلعتين، خلعة للشتاء وخلعة للصيف، كما كان يتم تجديد التقليد له في كل عام، فيبعث السلطان مندوبا عنه ومعه الخلعتان، وفإذا وصل إلى الإمارة خرج الأمير ووجوه عسكره للقائه، ثم ينزلون عن دوابهم، ويستلم الأمير التقليد والخلعتين ثم يؤدي التحية لجهة السلطان [2].

كان ولاة الأقاليم يقيمون في ولايتهم، وأحيانا يفضلون الإقامة في دهلي، ويرسلون نوابا عنهم لإدارة ولايتهم، ولم يكن السلطان يتدخل في إدارة الولايات مادامت الطاعة له مستمرة وكذلك الولاء للسلطنة، وعلى ذلك كان الحكم لا مركزيا، فاستقل كل أمير بشؤون ولايته.

كانت سياسة بني تغلق إزاء ولاة الأقاليم تقوم على منح كل وال منهم الحرية في تعيين العمال على المدن والنواحي والقرى الداخلية في نطاق ولايته، كما أجازوا لهم العناية بمرافق أقاليمهم دون الرجوع إلى الحكومة، وكان يتبع كل وال جهاز الإدارة المحلي الذي يتألف من عدة دواوين تعاون الوالي في الإضطلاع بالمهام المنوطة به، ومن أهمها جباية الأمور وإنفاقها على شؤون الولاية وإرسال الفائض إلى حاضرة الدولة، فضلا عن تجهيز بعض فرق الجند وإنفاذها إلى حاضرة السلطنة لتدعيم الجيش السلطاني.

كان من عادة سلاطين الهند أن يجعلوا مع كل أمير مملوكا يكون عينا عليه، يعرف السلطان بواسطته جميع أحوال الإمارة، وذلك لحرصهم على إستقرار الولايات وولاء وطاعة ولاتها كما إستخدموا الجواري في الدور ليكن عيونا لهم على امرائهم، ونسوة تسمى الكنسات يدخلن الدور بلا استئذان، فتخبرهن الجواري، بما لديهن من أخبار.

---

[1] عبد المجيد العبد : تاريخ الاسلام والدول الاسلامية في الهند ، مطبعة الرغائب ، مصر ، 1939، ص30

[2] ابن بطوطة :المصدر نفسه ن ص509.

وكانت تقارير العيون ترسل إلى رئيس المخبرين الذي يقوم بتجميعها وإنفاذها إلى المشرف على السلطنة رأس الجهاز السري للسلطنة [1].

لم تقتصر مهمة الرقابة على ولاة الأقاليم على العيون والكناسات، وإنما يعاونهم طائفة سرية من الثقاة المدربين يسمون المنهين [2]، يخالطونهم، فإذا عملوا ما يجب إنهاؤه إلى السلطان أنهوه إليه، وهو المشرف على السلطنة الذي يقوم رئيسهم الأعلى بدوره بعرضها على السلطان.

فلما أراد الشريف إبراهيم بن جلال الدين أحسن شاه والي حانسي وسرستي الخروج على طاعة السلطان وطمع في الإستيلاء على السلطنة بسبب مرض السلطان، وصلت الأخبار إلى حاضرة السلطنة لتقديم التهاني بشفاء السلطان، إلا أنه لقي مصيره بعد القبض عليه ومواجهته بتلك المؤامرة [3].

أدت السياسة اللاّمركزية التي إتبعها سلاطين بني تغلق مع حكام الولايات إلى إستغلالهم فترات ضعف السلطنة أو تعرضها للأزمات والصعاب، للإنفصال عن سلطة دهلي والإستقلال بولايتهم.

فلما بعث السلطان محمد شهاه تغلق بحملة قوية إلى ولايات الهملايا العليا من أجل تأمين الطرق والدروب إلى خرسان دهمتها الثلوج فقضت على كثير من أفرادها [4]، وأدى فشل حملة الهملايا وضعف الجيش إلى قيام الأمير جلال الدين إحاسن شاه حاكم مير بالدكن إلى شق عصا الطاعة وإستقلاله بإمارته، ولم يكتف بذلك بل قام بربب النقود باسمه عام 735هـ/ 1335م، ولما أراد محمد شاه إعادة هذا الأمير إلى الولاء والطاعة خرج إليه على رأس الجيش لتأديبه، لكن الجيش تعرض لوباء الكوليرا مما قضى على كثير من جنده فعاد أدراجه إلى دهلي [5].

---

[1] Qureshi :The Administration of the Siltanat of Delhi, Lahore,1942,pp42- 43.

[2] إبن فضل الله العمري : المصدر نفسه ، ص 188.

[3] إبن بطوطة : المصدر نفسه ، ص ص 500،508.

[4] أحمد محمود الساداتي : المرجع نفسه ، ج1 ص 178.

[5] Ishwari Prasad : A short History of Muslim Rule in India ,pp,227- 228.

ومن ناحية أخرى قامت الثورات والفتن في البنغال، فهاجم القائد فخر الدين، الأمير قد خان حاكم لكهناوتي من قبل السلطان، فقتله واعتلى كرسي الحكم ثم أعلن إستقلاله منتهزا فرصة إنشغال السلطان بالمحن والمتاعب التي كان يعانيها أواخر عهده بالسلطنة.

كما عادت الدكن إلى المجاهرة بالثورة على سلطنة محمد شاه مما أغرى بعض الأمراء الآخرين بتقليدها، فقام الأمير الهندوكي هاري هارا بخلع طاعة السلطان وتأسيس إمارة فيايانكر، وانضم إليه كرشناياك زعيم الهندوك بالجنوب، صاروا يشكلون عقبة كؤودا في وجه أي تقدم يفد إليهم من الشمال [1].

كذلك تعرضت الكجرات وديوكر (دولة أباد) للإضطراب فنهض أيرها الأفغاني حسن كانكوي واستقل بها سنة 748هـ / 1347م، وأعلن نفسه سلطانا على سلطة بمهن الدكينة وتقلب بعلاء الدين بن المظفر.

لما توفي محمد شاه تغلق سنة 752هـ/ 1347م خلال إحدى حملاته في السند [2]، إنتهز حاجي إلياس حاكم البنغال هذه الفرصة وأعلن إستقلاله، ولقب نفسه بالسلطان شمس الدين ولم يكتف بذلك بل إستولى على بعض مدن إقليم بهار حتى بلغت قواته بنارس، وحصن أكداله، لذلك زعم السلطان فيروز شاه الذي ولي السلطنة خلفا لمحمد شاه تغلق على إسترداد أقاليم دولته وتأديب شمس الدين، فخرج على رأس الجيش إلى ضفاف الكنج، وعلى الرغم من المعارك التي دارت بين الطرفين عند ضفاف الكنج بالقرب من حصن أكداله، إلا أن فيروز شاه آثر المصالحة والعودة إلى حاضرة السلطنة [3].

وقد كان الولاة يتقاضون رواتبهم بنسبة دخل الولاية، ولم يكن للسلطان دخل في ذلك ما دام الولاة مخلصين له[4].

---

[1] Agha mahdi Hassain:OP.Cit,pp.284-285.

[2] Lane – Pool: Mediaeval India,pp.298-299.

[3] Ishwari Prasad:OP.Cit,p277.

Mahajan: OP.Cit,pp.193-194.

[4] الفقي : بلاد الهند ، المرجع السابق ، ص 190

3- موظفي البلاط و الدواوين:

أ- وكيل دار السلطان ونائبه:

كانت وظيفة وكيل دار في عصر سلطنة دهلي ذات اصول سامانية وغزنوية، وكانت سلطته تماثل سلطة وكيل العرش، او نائب السلطنة او الحاجب الاعظم، وكانت هاته الوظيفة ذات نفوذ كبير ضمن الوظائف الرئيسية بالقصر السلطاني [1]، وكان يختار من المقربين، وتتضمن اختصاصاته في حفظ مفاتيح بوابات قصر السلطاني، ورئاسة موظفيه، وينظر في ادارة البلاط الملكي، فضلا عن الإشراف على توزيع رواتب العاملين القصر مباشرة شؤون تعليم أطفال العائلة المالكة وتثقيفهم بما يتناسب ووضعهم الاسري، وهو المسؤول عن ضبط مرافق القصر المختلفة وإدارتها، مثل المطبخ المخازن المؤن الإصطبلات، كما يباشر تنظيم الحرس السلطاني ويتفقد أعمالهم ونشاطاتهم، لذلك كان يشترط فيه أن يكون معروفا بالمهارة والذكاء والأمانة والكفاءة الإدارية [2]، وبحكم منصبه واختصاصاته و اقترابه من السلطان وحاشيته واهل بيته، نجده قد مارس نفوذا عظيما على جلساء السلطان والندماء، والامراء، بل وكان يعد في خصوصيات كثيرة وكيل السلطان[3].

وكان يساعد وكيل دار السلطنة موظف كبير هو نائب وكيل دار السلطنة يعاونه من كبار، الذي كان يرأس عدد من الموظفين المختصين بشؤون البلاط، فمن بينهم المشرف على خيل السلطان، وملاحظ الفيلة، والمشرف على شؤون الصيد الخاص بالسلطان، ومدير المطبخ السلطاني [4]، الذي كان يعرف ب (شاشنكير)، كما يتبعه الشبدارية (السقاة)، وأمين مخزن الأسلحة وحامل الأختام السلطانية الذي يتبعه الأختام كل في إختصاصه[5].

---

[1] الجوزجاني : المصدر السابق ، ص 298

[2] ابن بطوطة : المصدر نفسه ،ص 467.

[3] محمد عبد العظيم ابو النصر : السلاجقة وتاريخهم السياسي والعسكري ، المرجع السابق، ص 319

[4] نفسه ، ص 466-467.

[5] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 499

ب-أمير حاجب:

كان أمير حاجب الملقب بباريك ايضا يساوي وكيل دار السلطنة في الأهمية والمنزلة، ومن المعروف ان وظيفة الحاجب الاعظم كانت سامانية الاصل، والباريك هو رئيس التشريفات بالبلاط السلطاني فكان واجبه ترتيب الامراء والموظفين، وهو كبير أمناء القصر، ويختصون بكتابة أسماء من يدخل على السلطان في كل يوم، ويعرف سجل أسماء زوار القصر السلطاني في الوقت الحاضر بدفتر التشريفات، وكان مساعدوه من الحجاب يقفون بين السلطان ورعيته، وفي الواقع قد تميز منصبه بهيبة عظيمة[1].

ج- **صاحب ديوان العارض:**

اختص ديوان العارض في شؤون الجيش من تغطية نفقاته الحربية وارزاق الجند وجمع الفرق العسكرية والامدادات، وتدبير الأموال للعناية بالمتطلبات الحربية، واعداد التقارير العسكرية وهو من الوظائف الهامة في دار السلطنة، و يقوم بالتفتيش على وحدات الجيش وتفقد أسلحته، وكان صاحب ديوان العارض يتقدم الجيوش لتوصيلها إلى ميادين القتال، وأحيانا يرسل نائبا عنه، ومن ناحية أخرى كان يستقبل الفرق العسكرية التي يكلف السلطان ولاته بإرسالها إلى حاضرة الدولة، فهو بالجملة كان يكلف برعاية مصالح الجيش، والنظر في النفقات الحربية، ومعاشات الجند، ويعد قيران ملك صغدار من أشهر من ولي هذا المنصب من قل السلطان محمد شاه تغلق [2].

وكان لهذا الديوان اهمية كبرى، لذا رأت السلطنة لوضع ميزانية خاصة ومستقلة له عن ميزانية الدولة تيسيرا لمهمته، ويجب على صاحب ديوان العرض ان يكون رحيما بالجند رؤوفا بهم، وفي نفس الوقت حازما معهم[3].

---

[1] ابن بطوطة: المصدر السابق ، ص 466- 467.

[2] نفسه ، ص499.

[3] الفقي : بلاد الهند ، المرجع السابق ، ص 188

وكان سلاطين بني تغلق لا يألون جهدا في سبيل تجهيز جيوشهم بكل ما تحتاج إليه من أسلحة، فأنشأوا دورا لصناعة الأسلحة المختلفة[1]، التي كانت تنتج السيوف والقسي والرماح [2]، والبركصطوانات[3]، فضلا عن النشاب [4] والتركاش[5]

ومما تجدر الإشارة إليه أن تعبئة الجيش كانت تتم وفق النظام الخماسي، حيث يقف السلطان في القلب تعلوه كوكبة من الأعلام السود العظام في أواسطها التنين ويظل رأس السلطان الجتر[6]، وكان يحيط به في قلب الأئمة والعلماء وكبار مستشاريه، وفي المقدمة الرماة، وتمتد الميمنة والمسيرة موصلة بالناجحين، في داخلهما تقف الفيلة وعليها الأبراج المشحونة بالمقاتلة، وكان في الأبراج منافذ لرمي النشاب، وفتحات لرمي قوارير النفط، وفيها أيضا الخيل تقاتل من حول الفيلة وورائها، بينما كانت المؤن واحتياط الأسلحة والعتاد في المؤخرة تحت حراسة جماعة من الرماة، وفريق من المشاة حملة السيوف[7]، وفي عهد السلطان معز الدين تولى منصب العارض فيروز شاه الخلجي الذي استطاع ضبط امور المملكة، إلا انه قام بتقريب قواد الخلج إليه على حساب باقي عناصر الجيش، وادى ذلك إلى ازدياد نفوذ الخلجيين مما ساعدهم على القضاء على الدولة المملوكية واعلان قيام دولتهم فيما بعد[8].

---

[1] ابن فضل الله العمري : المصدر السابق،ص145.

[2] ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد 10 ، ص325.

[3] البركصطوانات : لبوس للأفيال والخيل عند الحرب ، ويقال لها بركستوانات مفردها بركستون أو بركصطوان ، وأغلبها مصنوع من الفولاذ ، وقد حلت محل التجافيف – التي كان يصفح بها الخيل في الحروب.

[4] النشاب : مايرمى به عن القسي الفارسية ، ويقابلها النبل وهو ما يرمى به عن القسي العربية .

القلقشندي : صبح الأعشى ، المصدر السابق ،ج2 ،ص 132.

[5] التركاش: الكنانة أو الجعبة التي تضع فيها النشاب .

[6]الجتر : عبارة عن قبة أو مظلة ترفع فوق رأس السلطان خلال حروبه أسفاره . أنظر : القلقشندي :صبح الأعشى ، ج4 ،ص7-8.

[7]ابن فضل الله العمري: المصدر نفسه ، ص177- 178 .

[8] منهاج السراج : المصدر السابق ، ص 464

د- صاحب ديوان الإنشاء:

وهو الذي كان يتعامل مع المراسلات السلطانية وكان يطلق عليه خزينة الأسرار، وكان الكاتب السري للدولة، وكان يختص كذلك بتحرير المراسيم والأوامر السلطانية، فضلا عن إعداد وثائق التولية والعزل، وكان يعاون صاحب ديوان الإنشاء عدد من الموظفين والكتاب، يشترط فيهم الدقة في التلخيص، والمهارة في قراءة الخطوط المختلفة، وحسن عرض الموضوعات، ومن أهم كتاب الديوان الذي يكلف بترتيب الكتب وتلخيصها وعرضها على صاحب الديوان، والمراجعون يختصون بقراءة وتصفح كل ما يكتب في الديوان قبل ان يراجعه صاحب الديوان واختص الخطاطون بتبييض الكتب[1].

ومن الوظائف المهمة في ديوان الرسائل وظيفة الخازن الذي يختص بحفظ المكاتبات التي ترد إلى الديوان، والإحتفاظ بسجل خاص ليسهل عليه حصرها. وكان من أشهر من ولي هذا المنصب على عهد السلطان محمد شاه تغلق، الشريف إبراهيم بن أحسن شاه- وكان يعرف بالخريطة دار، أو صاحب الكاغد والأقلام بدار السلطان[2]. وكذلك تولى هذا المنصب كبير الدين بن تاج الدين عراقي في عهد السلطان علاء الدين الخلجي، وكان على جانب كبير من الكفاءة والمقدرة، حيث كتب كتابا في عهد علاء الدين تضمن انجازاته العسكرية وانتصاراته الحربية[3].

هـ- صاحب البريد:

كان البريد في السند وهندوستان في اصوله الاسلامية المبكرة ساماني الاصل، واخذ عنهم الغزنويين وتبعهم في ذلك المماليك ومن خلفهم من سلاطين دهلي[4]، ومهمة البريد في نقل الاخبار الى السلطان واخطاره بما جد من امور في مملكته لا سيما أطرافها البعيدة وترجع نشأة هذا الديوان

---

[1] الفقي : المرجع السابق ، ص 188

[2] ابن بطوطة: المصدر نفسه ، ص 501.

Agha Mahdi Husayn :The Tughluq Dynasty , Karachi,1963,p.167.

[3] الفقي : بلاد الهند ، المرجع السابق ، ص 189

[4] عادل رستم : مظاهر الحضارة الاسلامية في الدولة السامانية ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، 1978، ص 26

إلى الخليفة الأموي معاوية ابن ابي سفيان، وقد زادت أهميته باتساع الدولة الاسلامية في عهد بني أمية.

أعتنى سلاطين دهلي بأمر البريد في اقليم الهند وولو عليه أكفأ رجال دولتهم، وكان من عمل البريد التجسس لحساب السلطان ونقل كل ما يدور في قصور رجال الدولة والولاة، وحرص سلاطين بين تغلق على تنظيم البريد وتيسير شؤونه الإدارية، فكان يعين عليه أحد كبار الموظفين الذي كان يلقب بصاحب البريد ويمنحه سلطة تعيين عدد من الموظفين المهرة، ويختارون من العارفين بالمدن والأسواق والتجمعات السكانية، فضلا عن اشتراط الولاء للسلطان كان يقف من خلال تقاريرهم على كل دقائق الأمور التي تجري من أرجاء السلطنة، فضلا عن أحوال الناس ومعايشهم، ومدى ولاء الموظفين وكبار رجال الدولة، وهي من الأمور ذات الصلة بأن البلاد واستقرارها.

وكان البريد في اقليم الهند صنفان بريد الخيل ويسمى الولاق، وينظم على مسافات متساوية كل أربعة أميال، بين كل مسافتين محطات بها خيل السلطان المتأهبة لحمل البريد، والنوع الثاني بريد الرجالة ويسمى الدواة، وله محاطات في قرى معمورة كاستراحات للقادمين بالبريد. وفي خارج القرى تقام القباب، التي يقعد فيها رجال في أتم الإستعداد، قد شدوا أوساطهم، وفي يد كل منهم مقرعة طولها ذراعان في أعلاها أجراس من نحاس، فإذا خرج حامل البريد من القرية، خرج رافعا يده إلى أعلى ما يستطيع بالكتاب، وفي يده الأخرى يحمل المقرعة ذات الأجراس يخرج يشتد في العدو بغاية ما يستطيع من الجهد، فإذا سمع الرجال المقيمون في القباب في المرحلة التالية صوت الأجراس من بعيد، تأهبوا لمقابلة حامل البريد، فإذا إنتهى إليهم أخذ أحدهم الكتاب من يده، واعدا بأقصى سرعة وهو يحرك مقرعته حتى يصل إلى القرية التالية[1].

و قال ابن بطوطة: ((إن طرق البريد في سلطنة دهلي، كانت افضل منها في مصر والشام، فالأشجار على جانبي طرق البريد، ووسائل الراحة مكفولة من محطات البريد، وعلى الرغم من أن المسافة بين الملتان وقاعدة الملك في عهد السلطان محمد شاه تغلق مسيرة خمسين يوما،

[1] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 262

إلا أن العدائين الأشداء من حملة بريد كانوا يقطعونها في خمسة أيام [1])). وكان صاحب البريد يكلف بعض الموظفين المتخصصين بالتفتيش في أمتعة المسافرين بمحطات البريد قبل الوصول إلى الملتان أو حاضرة السلطان بعشرة أميال لدواعي أمن السلطنة، وهم يشبهون موظفي الجمارك في العصر الحاضر.

- النظم القضائية:

من أهم الدواوين التي اعتنى بها حكام هذه الدولة، ديوان القضاء، فوجود القضاة أمر ضروري في كل مدينة من مدن الدولة الإسلامية، وتنحصر مهمة الديوان في البت في المظالم، وإقامة الدعاوى، ويرأسه القاضي الأساسي ويعرف بقاضي مملوك، ويلقب بصدر الملك، ويعتبر أعلى سلطة قضائية، ويلي السلطان[2]، كما يقوم في بعض الأحيان بتولي مهام قاضي مدينة دهلي، ومن مهامه أيضا كتابة عقود الأنكحة لأقارب السلطان، وأفراد الأسرة السلطانية، ويساعده عدد من القضاة الذين يختارون من بينهم نائبا له[3].

وكان القاضي يستمع إلى المدعي، ويطلب منه البينة، وفي قضايا القتل، يتم تسليم القاتل، بعد أن يثبت قيامه بذلك لأهل القتيل ليتم قتله، وفي حالة اقتحام قصر السلطان يتلقى الجاني أقسى عقاب، وفي حالة شرب الخمر من المسلم، يجلد ثمانين جلدة، وينفي إلى أحد الكهوف ثلاثة أيام[4].

وكافة الالتماسات تُرسل إلى بلاط القاضي المحلي، الذي يرسلها إلى بلاط القاضي الأساسي، ومنه إلى السلطان[5].

---

[1] نفسه ، ص412.

[2] Khalif Ahmed Nizami: Religion and Politics in India During the Thirteen the Century, p152.

[3] منهاج سراج: طبقات ناصري، ج 1، تر ملكه علي التركي ،المركز القومي للترجمة ، مصر ، 2012 ص795.

[4] Aziz: Political History, p359.

[5] عصام الفقي: بلاد الهند ، المرجع السابق ، ص311.

وكان القضاة مستقلين عن سيطرة الحكام في البت في القضايا الخاصة، أما ما يتعلق بالثورات، والمؤامرات فيتم الحكم على القائمين بها عن طريق السلطان[1]، كما شمل العدل رعايا الدولة الآخرين من غير المسلمين، فقد كانوا يرفعون دعواهم إلى قاضي المسلمين للحصول على حقوقهم، يذكر "جون هامرتن"[2]: أن التجار الهندوس في عهد السلطان غياث الدين بلبن، كانوا على قدر كبير من الثراء، نتيجة عملهم في التجارة، وفي معظم الأحيان لا يستردون أموالهم إلا عن طريق التقاضي إلى قاضي المسلمين.

هذا فيما يتعلق بالقضايا مع غيرهم، أما الأمور المتعلق بالزواج والميراث، فقد كانوا مستقلين به[3].

يعتبر القضاء من اهم الوظائف الادارية التي نالت رعاية كبرى من جانب السلاطين، الذين تأكدوا أن انتشار العدل يضمن لهم وللأفراد حياة مستقرة وامنة، لذا كان السلاطين يعينون القضاة بأنفسهم، بما انه كانت بيده السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية حيث كان يعين قاضي القضاة ويشبه في تخصصه وزير العدل، اذ يعين القضاة في النواحي ويساعد القضاة في مهامهم المفتين وهم من علماء الفقه والتشريع ويستعين بهم القضاة في ابداء الرأي في القضايا المعقدة وكان لكل مدينة قاضي [4]، وكان الفصل في القضايا يتم وفق الشريعة الاسلامية، اهتم سلاطين دهلي اهتماما كبيرا بأمر القضاء وتحقيق العدل و الأمن والسلام لكافة المواطنين[5]، ومن مآثر السلطان ألتمش أنه إشتد في رد المظالم وإنصاف المظلومين، فامر أن يلبس كل مظلوم ثوبا مصبوغا، واهل الهند كانوا لا يلبسون سوى البياض، فكان متى قعد او ركب ورأى احدا عليه ثوبا مصبوغا إلا و نظر في قضيته، و أقام على باب قصره أسنان مصنوعة من الرخام وعلق فيهم سلسلة من الحديد وبهم جرس، فكان المظلوم يأتي ليلا ويحرك الجرس فيقوم إليه السلطان لينظر في شكواه[6].

---

[1] المرجع نفسه، ص312.

[2] جون هاملتون : تاريخ العالم، الهيئة المصرية للترجمة ، مكتبة النهضة ، مصر ، ج5، ص620.

[3] عصام الفقي: بلاد الهند ، المرجع السابق ، ص312.

[4] نفسه ، ص 179

[5] ابو المعالي المباركبوري : رجال السند والهند ،ج 1 ، المطبعة الحجازية ، 1958، ص 233

[6] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 281

ويعتبر السلطان بلبن من اكثر السلاطين الذين اولوا أهمية بتطبيق العدل فكان لا يتوانى في انزال أقصى العقوبات على برجال دولتهم إذا صدر منهم ما يسيئ للرعية، حيث ذكر نظام الدين أنه ضرب قائد حرسه ويدعى بقيق خان بالسياط اقتصاصا منه لأنه قتل أحد خدمه[1]، ولم يكتفي السلطان بلبن بهذا بل قام بإنشاء دار أسماها دار الامن، وفي عهد سلاطين بني تغلق الذين إهتموا بالقضاة ورعايتهم، فكان السلطان يعين بنفسه قاضي القضاة الذي كان يختاره من علماء الفقه أو التشريع، فعين السلطان محمد شاه تغلق، الفقيه الإمام العلامة كمال الدين محمد الغزنوي في منصب قاضي قضاة الهند والسند، وكان قاضي القضاة يعين بدوره قضاة الأقاليم، عدا قاضي دهلي الذي يعين من قبل السلطان. وكان كذلك يتم وفقا للمراسم السلطانية الخاصة بتعيين القضاة، فلما قرر السلطان محمد شاه تغلق تقليد ابن بطوطة [2]، بمنصب القضاء على دهلي استدعائه ليلقاه على سطح قصره، فلما دخل قال له كبير الخاصة: ((احترم)) أي أدّ التحية للسلطان فقد جعلك قاضي الملك في عاصمته (دهلي) وفرض لك إثني عشر ألف دينار ذهبا في

---

[1] الهروي : المرجع السابق ، ج 1 ، ص 83

[2] ابن بطوطة : هو محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ، ولد في مدينة طنجة سنة 703هـ / 1304م وهو من قبيلة لواتة (إدى قبائل البربر)، وعنما شارف الحادية والعشرين ن العمر ، عزم على السفر بغية حج بيت الله الحرام ، فنطلق في رحلة عام 725هـ/ 1326م ، فزار شمال إفريقيا ومصر العليا فالبحر الأحمر ، ثم وصل مكة عن طريق الشام وفلسطين ، وحج ثم إنطلق إلى جنوب بلاد العرب وأفريقيا الشرقية والخليج العربي ثم رجع مكة ، ثم زار آسيا الصغرى ، وزار القسطنطينية ، ثم إخترق خوارزم وبخارى وأفغانستان ، واتجه إلى الهند حيث أقام بها فترة طويلة نحو ثماني سنوات 734-742هـ/1333-1342م ولي خلالها القضاء في دهلي ،ثم أرسلة السلطان محمد شاه تغلق في سفارة إلى الصين ، فوصل جزر الملديف حيث تولي القضاء مدة عام ونصف ، ثم اتجه إلى الصين عن طريق جزيرة سيلان ، ثم اتجه إلى البلاد العرب عن طريق جزيرة سومطرة فنزل ظفار ، ثم زار مكة وشمال أفريقيا ووصل فاس فنزل ظفار ، ثم زار مكة وشمال افريقيا ووصل فاس عام 750هـ/1349م الذي أو عز له بكتابة رحلته ، فكان الفراغ من كتابتها في الثالث ، ذي الحجة سنة 756هـ / الموافق التاسع من ديسمبر 1355م ، وسماها ((تحفة النظار في غرائب المصار وعجائب السفار)) توفي ابن بطوطة سنة 779هـ/1377م ، وضريحه في مسجد صغير قرب سوق آحرضان في طنجة ، ومن الجدير بالذكر أن النسخ ،التي وصلت إلينا خطها ابن جزيء الكلبي، وهو محمد ابن محمد بن أحمد بن جزيء الكلبي(شاعر من كتاب الدواوين السلطانية أندلسي ، من اهل غرناطة و إنتقل إلى المغرب فأقام بفاس عند ملكها المتوكل على الله أبي عنان المريني وتوفي بها سنة 757هـ/1356م).

حظيت رحلة ابن بطوطة باهتمام الباحثين العرب والمستشرقين على حد سواء ، الذين عكفوا على دراستها بعناية وشهدوا لابن بطوطة بالصدق والأمانة والتوثيق من بينهم ، د.زكي محمد حسن :الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، دار المعارف 1945م، شاكر خصباك :ابن بطوطة ورحلته ،دار الآداب بيروت 1970 ، وكراتشوفيسكي الذي وصفه بأنه : آخر جغرافي عالمي من الناحية العلمية ، ويقول كلما تعرضت الأجزاء المختلفة من وصف رحلته لدراسة دقيقة مفصلة كلما زادت الثقة في صدق روايته : تاريخ الأدب العربي الجغرافي ، تر الأستاذ صلاح الدين عثمان هاشم ، ص 426.

كل سنة تأخذها من خزانة السلطان، وأهداك فرسا مسرجا ملجما، وخلعة من خلع السلطان في صدرها وظهرها شكل محراب، فلما قام ابن بطوطة بالتحية، أخذ كبير الخاصة بيده، وتقد به إلى السلطان، فقال السلطان (أنت عندما بمقام الوالد)، فأجاب إبن بطوطة: (بل عبدكم وخديمكم)، نفرد السلطان (بل أنت سيدنا ومخدومنا)، ولما كان ابن بطوطة مالكي المذهب، وأهل دهلي على مذهب أبي حنيفة فأمر له السلطان بنائبين يشاورانه. [1]

كان إهتمام السلاطين بالقضاء أن حرص السلطان محمد شاه تغلق على حضور بعض القضايا الهامة التي تنظر في المحاكم العلنية، وبخاصة المظالم التي ترفع إليه إن كان هو طرف فيها، وذلك حتى ينال كل مواطن حقه العادل، وليس أدل على ذلك من أن هنديا من رعايا السلطان، أقام عليه الدعوى بأنه قتل أخاه من غير ذنب، ورفع دعواه إلى القاضي فطلب القاضي ماشيا على قدميه لا يحمل سلاحا [2]، فلما دخل مجلس القاضي، سلم عليه وحيّاه، لم يقم القاضي لأن السلطان أحمد شاه تغلق كان قد أمره بأن لا يقوم ويتحرك، وسمع السلطان دعوى لرجل، ومناقشة القاضي الذي أصدر حكما ضد السلطان، وكان الحكم يقضي بالدية عليه لأهل المقتول، فلما إنتهى المجلس دفع ما امر به القاضي [3].

وقد أولى سلاطين دهلي عناية في إختيار القضاة ورفعوا من شأنهم، حددت مهامه في تنفيذ العدل، وإقامة خطبة الجمعة والعيدين، وإرتفع شأن القضاة حتى أن أحدهم ويدعي اختبار الدين تزوج من اخت السلطان معزالدين بهرام شاه، ووصل بعضهم إلى وظيفة الوالي مثل القاضي جلال الدين كاشاتي حاكم مدينة أودة في عهد السلطان علاء الدين مسعود[4].

---

[1] ابن بطوطة : المصدر نفسه ،ص 524-525.

[2] Mahajan:op.cit.p.161.

[3] ابن بطوطة : المصدر نفسه ،ص ص، 496-497-508.

[4] منهاج السراج : المصدر السابق ، ص 463

ومن أبرز القضاة الذين ارتفع شأنهم وكانوا على علم بفنون الشعر والادب القاضي عثمان بن منهاج السراج الجوزجاني والذي داوم على حضور غزوات السلطان ألتمش، وكان من أبرز المقربين إلى السلطان معز الدين بهرام شاه والسلطان ناصر الدين محمود[1].

وقد أدى السلوك الغير قويم لبعض السلاطين، وإتجاههم للشرب واللهو، وإهمال أمر الرعية مع عدم تقدير رجال الدين، ادى إلى حدوث ثورات عديدة للقضاة كلفت سلطنة دهلي مزيدا من الأموال والانفس، حيث تزعم القاضي جمال الدين الكاشاني والقاضي كبير الدين قراقش الثورة ضد السلطان بهرام شاه بن السلطان التمش[2].

ويتضح مما سبق مدى العناية التي أولاها الحكام المسلمون في اختيارهم للقضاة الذين راعوا فيهم العلم الفقه بأمور الدين، وارتفع شأن هؤلاء وشاركوا في الحياة السياسية بجانب السلاطين أو ضدهم.

النظام العسكري

حرص حكام الدولة المملوكية على العناية بالجيش من أجل استمرار بقائهم، في شبه القارة الهندية، فالأخطار تحيط بهم من كل جانب، فالزعماء الهندوس، يتربصون بالدولة، ويتحينون أي فرصة لإعادة أمجادهم السابقة، وحكام الأقاليم ينتظرون أي فرصة لإعلان استقلالهم عن سلطة دهلي[3].

لذا كان للجيش الإسلامي في الهند في فترة الحكم المملوكي أهمية كبرى، حيث اعتبرت الهند منذ الفتوحات الإسلامية الأولى دار حرب[4]، وازدادت تلك الأهمية مع استقرار سلاطين المماليك في دلهي، حيث وضعت على كاهل الجيش أعباء جمة كان أهمها التصدي للثوار الأتراك والهنود، والمحافظة على كيان الدولة ضد أعدائها الخارجين من الخوارزمية والمغول.

---

[1] منهاج السراج : المصدر السابق ، ص 448

[2] الهروي : المرجع السابق ، ص 70

[3] همايون كبير: التراث الهندي، المرجع السابق ، ص28.

[4] **دار حرب:** هي الدار التي يسودها أحكام الإسلام، ولا يكون الحكم فيها للسلطان المسلم بل للكفار. أنظر : سعيد عبد الله حارب المهيري: العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية، طبعة مؤسسة الرسالة، 1416هـ/1995م ، ص45

وكانت جماعة الأربعين[1] هي النواة الرئيسية لجيش المماليك في الهند، وعصب الجيش والمحرك الأساسي له في عهد شمس الدين ألتمس وخلفائه، فكان منه صاحب ديوان العارض، والقواد وكبار الجواسيس. وفي الحقيقة الأمر فإن ذلك كان طبيعيا حيث اشتهر هؤلاء الأتراك بفطرتهم العسكرية وميلهم للحرب والقتال مما دفع الحكام إلى الاستعانة بهم دائما[2].

و حرص كذلك المماليك على إنشاء ديوان، عُرف باسم "ديوان الحرب"، وعلى الرغم من أن السلطان القائد الأعلى للجيش، إلا أنه أسند رئاسة "ديوان الحرب" إلى أحد مماليكه الذي عرف منصبه باسم رئيس "ديوان الحرب"[3]، والتي تنحصر مهمته في تجنيد الرجال للجيش، وفحص الأسلحة، وإعداد الخيول وتأمين وصول المؤن للجيش في ميدان المعركة، ويعتبر رئيس الديوان مستشاراً للسلطان، خلال فترة الحرب، كما يتولى التنسيق مع حكام الأقاليم، والولايات في إرسال قواتهم للانضمام للقوات السلطانية، فالسلطان يحدد على كل وال عدداً من الجنود تتم الاستعانة بهم عند الحاجة[4].

ويتولى السلطان في معظم الأوقات قيادة الحملات وقد يسند قيادتها إلى أحد أبنائه، كما فعل السلطان شمس الدين عندما أرسل ابنه ناصر الدين على رأس حملة إلى البنغال[5]، وكما فعل غياث الدين بلبن عندما أرسل ابنه محمود على رأس جيش لحرب المغول في السند[6].

---

[1] ظهرت تلك الجماعة في الهند منذ تولية السلطان "شمس الدين ألتمش"، وهم عبارة عن أربعين مملوكا، اشتراهم السلطان بنفسه، وأخذ على كاهله مهمة تربيتهم وتعليمهم فنون القتال، ومع مرور الوقت سار هؤلاء قادة للجيوش ووزراء ونواب، واحتلوا المناصب الكبرى، بل وصل أحدهم إلى عرش السلطنة، وهو "غياث الدين بلبن". وقد تسبب أفراد تلك الجماعة في مشاكل جمة للحكام خاصة في عهد السلطان "غياث الدين بلبن"، ومن ثم تتبع جماعتهم وقضى عليهم نهائيا. انظر : نظام الملك الهروي: طبقات أكَبرى، المجلد الأول ، ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م ، ص820.

[2] كليفورد أ. بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة حسين علي اللبودي، مراجعة سليمان إبراهيم العسكري، الطبعة الثانية، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، 1995م، ص153

[3] عصام عبد الرؤوف الفقي: بلاد الهند، المرجع السابق ، ص308.

[4] Aziz : Political History, p352.

[5] الهروي : طبقات أكبري، المرجع السابق ، ص101.

[6] نفسه ، ص 102.

أو إلى نائبه، كما فعل ناصر الدين محمود، عندما أرسل نائبه غياث الدين بلبن، على رأس حملة، ضد الثائر كشلوخان، ولفتح حصون سلمور[1].

أو إلى رئيس ديوان، كما فعلت رضية، عندما أرسلت قطب الدين حسين لفتح حصن رانتهامبور[2].

ويوجد في الديوان عدد كبير من الموظفين، تنحصر مهمتهم في تسجيل أسماء الجند في سجلات الدولة، من أجل دفع مرتباتهم شهرياً. وأهم الشروط التي يجب أن تتوفر في الجندي، هي أن يمتلك قوة جسدية، وأن يجيد الرماية، والفروسية، وتقوم الدولة بتوفير السلاح، والخيل، والفيلة لجنودها، كما يتطلب منه الثبات في ميدان المعركة، فقد كان مصير من يفر من المعركة، القتل[3]، ولم يتم العمل بتوزيع الغنائم بين المقاتلين الذين تدفع لهم الدولة مرتبات شهرية، وتؤمن لهم متطلبات القتال.

ويتألف الجيش في عهد الدولة المملوكية من الأجناس التالية:

الأتراك، والعرب، [4] والهندوس المسلمين[5].

<u>العرب</u> وهم بقايا القبائل العربية التي فتحت أقاليم الهند، واستوطنت منذ ذلك الوقت هذه المناطق، ومما يؤكد تواجد عناصر عربية في الجيش الهندي، إسناد قيادة الجيش في عهد السلطانة "رضية" إلى قائد عربي، وهو "قطب الدين حسين"، والذي يوضح تواجده على قيادة الجيش في ذلك الوقت أن العرب وصلوا إلى مكانة عالية في جيش الهند، ,انهم أثبتوا مقدرة فائقة وحسن قيادة، لدرجة أن أحدهم يسند إليه أمر القيادة العامة في الجيش. استطاع القائد "قطب الدين

---

[1] نفسه ، ص 1042.

[2] منهاج سراج: طبقات ناصري، ج1، ص799.

[3] القلقشندي: المصدر السابق ، ج 5، ص91.

[4] العمري: المصدر السابق ، ج 3، ص190.

[5] الهروي : المرجع السابق، ج 1، ص524.

حسين" أن يحقق انتصارا باهرا، ويقضي على ثورة الهنود، ويتمكن من إعادة قلعة رنتهبور إلى سيادة السلطانة "رضية"، وفك أسر خمسة آلاف مسلم كانوا بهذه القلعة[1].

وعلى أية حال فإن العرب تبوأ مكان الصدارة في جيش الهند، وارتقى بعضهم إلى منصب قيادة الجيش، وبذلك قادوا الجيوش في المعارك وحققوا الانتصارات.

الأتراك كانوا في الغالب جزءا من الحرس الشخصي للسلطان او من القوة المركزية المرابطة في العاصمة والتي لا تتحرك للقتال الا مع السلطان [2]، وهو العنصر الذي اعتمد عليه المماليك في قيادة جيوشهم، وقامت عليهم نواة الجيش في تلك الفترة، فقد كانت جماعة الأربعين تتكون من عنصر الأتراك[3]، تلك الجماعة التي كونها السلطان "شمس الدين ألتمش"، وأسند إليهم العديد من المناصب البارزة في الدولة، وقد فرضت طبيعة الدولة المملوكية في الهند على حكامها أن يقوموا بشراء الغلمان والعبيد الأتراك وتربيتهم تربية عسكرية، حيث امتاز الأتراك كجنس عسكري بمميزات كثيرة من أهمها الشجاعة والفروسية والإقدام.

وعلى ذلك أسند الحكام إلى عنصر الأتراك مهمة قيادة الجيوش فبرز منهم العديد من القادة من أمثال "تيمور خان" و"قرابيك" اللذان تولا القيادة في عهد السلطان "علاء الدين مسعود"[4]. كذلك تولى كلا من ملك "ابتكين موى" وملك "باربك بيكترس"[5] قيادة الجيش.

أما أمهر من تولى قيادة الجيش من العنصر التركي فكان "قتلقخان بلبن" في عهد السلطان "ناصر الدين محمد"، الذي تولى عدة مناصب هامة في الدولة منها الوزارة ثم قيادة الجيش، ثم

---

[1] الجوزجاني: طبقات ناصري، ج1، ص459.

[2] محمد نصر عبد الرحمان : الجيش وتنظيماته في الهند في عصر بني تغلق ، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش ، عين شمس مجلد 33، 2016، مصر ، ص 223

[3] الجوزجاني : المصدر السابق ، ج1، ص590.

[4] محمد نصر : المرجع السابق،ص223.

[5] نظام الدين الهروي: طبقات أكَبرى، ج1، ص92-93.

صار بعد ذلك سلطانا على البلاد، وقد استطاع بما اتصف به من حزم وقوة من ضبط كافة أمور البلاد[1].

كذلك اعتمد السلطان "معز الدين بهرامشاه" على قائد من عناصر الترك هو ملك "ايتكين خورد" و"سنقر الرومي" في التصدي لجيش أخته السلطانة "رضية"، وحقق الأتراك في هذه الموقعة انتصارا

حاسما، لدرجة أنهم قبضوا على السلطانة وزوجها وأودعوهما السجن[2]

الهنود وهم من العناصر الهامة في الجيش المملوكي بوصفهم أهل البلاد الأصليين، وكان معظم القادة منهم، وكذلك معظم جنود الفرق العسكرية خاصة المشاة[3]، وهم العنصر الذي ظل يحاول الوصول إلى المناصب الرئيسية في الدولة، وفي حقيقة الأمر لم يكن ذلك الأمر الصعب المحال تحقيقه، بل على العكس تماما فقد ظهر منهم العديد من الشعراء والوزراء وقادة الجيش، ولكن ذلك لم يكن بالصورة الظاهرة وبالشكل الكافي، وذلك نظرا لأعدادهم الكبيرة في المجتمع.

فنرى على سبيل المثال أن القائد الهندي الوحيد الذي تمكن من قيادة جيش من جيوش السلطنة هو "عماد الدين ريحان" وذلك في عهد السلطان "ناصر الدين محمود"، وذلك بعد إعلانه الإسلام، وبالرغم من ثقة السلطان في شخصية قائده إلا أن القائد يحرض السلطان على الأمراء الأتراك ورجال الدين، مما ترتب عليه هزيمته على أبواب دلهي على يد القائد التركي "قتلقخان" والقضاء عليه[4].

---

[1] Ali: A new history of India, P59.

[2] الجوزجاني: طبقات ناصري، ج1، ص463، فرشته: تاريخ فرشته، ج1، ص119.

[3] محمد نصر عبد الرحمان : المرجع السابق ، ص 224

[4] أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ج1، ص120

وهناك بعض المعلومات المتناثرة في ثنايا المصادر، والتي تشير إلى عنصر الخلج، الذي نسمع عنه من ضمن عناصر الجيش، وهو العنصر الذي زاد نفوذه على يعد العارض ملك "جلال الدين فيروز شاه الخلجي" بإمداده بالأسلحة، ورفع شأنه على باقي العناصر [1].

ديوان الجند:

لقد كانت كل عناية السلاطين المماليك منصبة على الاهتمام بالجيش، لذا اهتم هؤلاء الحكام منذ اللحظات الأولى لرئاسة هذه البلاد بإقامة ديوان الجند، وقد اشارت بعض المصادر الفارسية الى ان اسمه هو ديوان عرض، اي ديوان العسكر او الجيش[2]، ومنحوه كل عنايتهم واهتمامهم دون غيره من دواوين الحكومة وذلك من منطلق مسئولية الدولة في إقامة هيئة إدارية تشرف على مصالح الجيش الداخلية، وتقدر مرتباته وأرزاق جنده، وذلك ناتج عن مسئولية الجيش في إقرار الأمن الداخلي والقيام بالعمليات العسكرية الخارجية، حتى يضمن السلاطين ولاء جنودهم التام للدولة، بالحصول على مستحقاتهم المالية اللازمة لمتطلبات حياتهم العادية.

وبناء على ذلك فإن ديوان العارض كان ضرورة حتمية في دولة المماليك، فهو المختص بشئون الجيش ونفقاته وجميع فرقه وإمداداته، وأشهر من عمل في منصب رئاسة هذا الديوان كان "صدر الملك تاج الدين"، في عهد السلطات "معز الدين بهرامشاه" الذي أثبت كفاءة كبيرة في إدارة شئون الجند، وتقرب من قادة الجيش، واتصف بالعدل والأمانة، فأحبوه الجند وقربه السلطان إليه ووثق به[3].

كذلك أسند منصب رئيس ديوان العارض في عهد "معز الدين كيقباد" إلى ملك "جلال الدين فيروز شاه الخلجي"، الذي جمع إليه العديد من الجند الخلج وفضلهم على غيرهم من العناصر الأخرى، وزاد من عطاياهم عن الجنود الأتراك، مما ترتب عليه بذر الفتنة بينهم[4].

---

[1]Munshi : The struggle for Empire, P140

[2] محمد نصر : المرجع السابق ، ص 210

[3] الجوزجاني: طبقات ناصري، ج1، ص464.

[4] القلقشندي : صبح الاعشى ، المصدر السابق ، ج5، ص91.

وقد زاد الأمر سوء أن هذا العارض تمادى في طغيانه بأن سحب أموال الجيش وأنفقها على تسليح الجنود الخلج دون غيرهم، مما أدى في النهاية إلى قيام فتنة وقتال بين الطرفين، كان من أهم نتائجه هزيمة جيش السلطان "شمس الدين كخسرو بن معز الدين كيقباد"، وانتهاء حكم الدولة المملوكية تمام من بلاد الهند، وقيام الدولة الخلجية مكانها[1].

ومن مهام العارض استعراض الجند والاطمئنان على معداتهم وأسلحتهم ولوازمهم، والملاحظ أن سلاطين المماليك في الهند، كانوا يقومون بمهمة استعراض الجند بأنفسهم، وكذلك الاطمئنان على استعداداتهم العسكرية خاصة قبل المسير إلى ساحة القتا، فنرى السلطان "غياث الدين بلبن" يطمئن على استعداد جيشه بنفسه قبل مسيرة الجيش إلى حرب الثوار الهنود، حتى لا يقصر أحدا في أمر من أمور الجيش[2].

كذلك بالغ السلطان "ناصر الدين محمود" في استعراض جيشه وتجهيزاته، ووقف على كل صغيرة وكبيرة في استعداداته قبل مسيرته إلى القضاء على ثورة الهنود[3].

وعلى ذلك نستنتج أن من أهم مهام العارض استعراض الجنود في الميادين قبل الخروج لساحة القتال، وفي المناسبات العامة، بالإضافة إلى صرف أرزاق الجند، والاطمئنان على حالة الجند واستعداداتهم العسكرية، وكان للعارض عدة موظفين يعاونونه في شئون ديوان العرض من أهمهم الكتبة الموكل إليهم تسجيل أسماء الجند في دفاتر مخصصة لذلك، والنقباء الذين يعاونون العارض في توزيع العطايا والأرزاق على الجند.

---

[1]Munshi : The struggle for Empire, P155

[2] محمد نصر : المرجع السابق ، ص 211

[3] نظام الدين الهروي: طبقات أكَبرى، ج1، ص87.

وقد قدرت رواتب الجنود في دولة سلاطين المماليك كالآتي، بلغ راتب الأمير ما يقارب من أربعين ألف تنكه في السنة[1]، والاسفهسلار عشرين ألف تنكه، أما الجندي العادي فبلغ راتبه ألف تنكه[2].

وقد بالغ السلطان "بلبن" في الاهتمام برواتب الجيش وعطاياهم فنراه يهتم بالأرزاق، حتى أنه قرر معاش لمن عفي من الجندية، نتيجة لعجز أصابه[3]. وبذلك ضمن لهم حياة أمنة مستقرة، مع صرف كافة ملتزمات الجنود واحتياجاتهم العسكرية واليومية من سلاح وملبس ومأكل ودواب وغيرها من الديوان.

أما السلطان "قطب الدين أيبك" فقد بالغ في عطايا ومنح الجنود، حيث كان ينثر عليهم الذهب والفضة في المناسبات والأعياد وذلك بكميات كبيرة، لذا أحبه الجنود، وأطلقوا عليه اسم بلك نحشب[4].

نشاط الجيش:

لعب الجيش دورا بارزا في السياسة الداخلية والخارجية لدولة المماليك في الهند، ووقع على كاهله مهمة حفظ الأمن والنظام في البلاد، والعديد من الأعباء العسكرية التي أداها على أكمل وجه، وكان أهمها التصدي للثورات والفتن الداخلية، سواء من جانب الهنود، أم ثورات طائفة الشيعة، أو فتن الأمراء الأتراك.

ثورة الهنود: والتي ظهرت مع بداية حكم السلطانة "رضية الدين" ابنة السلطان "شمس الدين ألتمش"، حيث استولى الثوار على قلعة "رنتهبور" وأخذوا في مهاجمة جنوب دلهي، لذا مكنت

---

[1] التنكه: عملة مصنوعة من الذهب، مقدارها ثلاثة مثاقيل، وتسمى التنكه الحمراء، أما المصنوعة من الفضة فتسمى التنكة البيضاء، وتسمى كل مائة ألف تنكا بلكا. انظر : القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص85.

[2] نظام الدين الهروي: طبقات أكَبرى، ج1، ص88.

[3] نفسه ، ج 1 ، ص 88.

[4] الجوزجاني: طبقات ناصري، ج1، ص415.

السلطانة القائد قطب الدين حسين" من المؤن والذخيرة، وأمرته بالتوجه إليهم، ومن خلال عدة معارك، استطاع هذا القائد انتزاع المدينة من أيديهم، وإعادتها إلى حظيرة الدولة[1].

كذلك ظهر دور الجيش المملوكي في الهند في عهد السلطان "ناصر الدين محمود"، حيث اشتدت ثورات قبائل المواتى على سكان العاصمة دلهي، وقطعوا الطريق على الأهالي، لذا فقد وجه إليهم السلطان قائده "قتلقيخان"[2] على رأس جند عظيم بالغ السلطان في إعداده واهتم به، وأمد قائده بأكفاء الأمراء الأتراك لمؤازرته، وقد تمكن السلطان من خلال حملتين متكررتين على هؤلاء الثوار من القضاء عليهم وإنهاء أمرهم مؤقتا[3]. وبذلك استقرت أحوال البلاد وانتظمت أمورها في عهد هذا السلطان بفضل جيشه وتنظيماته وحسن إعداده وتموينه.

أما في عهد السلطان "غياث الدين بلبن" فقد ازاد أمر قبائل المواتى من جديد، وإزاء هذا كلف السلطان الجيش بالقضاء على فتنتهم، وخصص جماعة منهم بقطع الغابات حول دلهي وتعقب الثوار[4]. ولم تنته هذه الثورة إلا بعد أن قبض على زعماء المواتى وألقي بهم تحت أقدام الفيلة، وبذلك أمر السلطان "بلبن" بتولية أكفاء قواده على المناطق الهامة حول مدينة دلهي، لكي يمنعوا أي فتنة تظهر، ويتصدوا لمحاولات الهنود[5].

وهكذا أمن السلطان على جوانب البلاد، وقضى الجيش على ثورات الهنود المتكررة في ذلك الوقت.

وعلى الرغم من الاستعدادات والترتيبات الهامة التي قام بها هذا السلطان لمنع الهنود من الثورة من جديد، إلا أن فتنة الهنود تجددت مرة أخرى، وسيطروا على مدينة بداوى، وقاموا بقطع الطريق بين دلهي والبنغال، وعلى ذلك كانت الخطوة التالية من قبل السلطان أن قرر الخروج على

---

[1] وكان السلطان "شمس الدين ألتمش" قد استولى على هذه القلعة عام 623هـ/1226م

Oxford : History of India, P238.

[2] محمد نصر، المرجع ، ص235.

[3] نفسه ، ص 235.

[4] نظام الدين الهروي: طبقات أكَبرى، ج1، ص86.

[5] K. Ali : A new history of India, P61.

رأس جيشه بنفسه، ومن الملاحظ أن السلطان "بلبن" أعد جيشه إعدادا جيدا قبل المسير ضد الهنود فاهتم بإعداد الأسلحة وتوفير لوازم المؤن والعلف، وقيل أنه كان يطمئن على تلك الاستعدادات بنفسه، حتى لا يقصر أحد في أمر من أمور الجيش. ومن ثم سار السلطان "بلبن" بجيشه ضد ثوار الهند، ففرق جمعهم، وقبض على رؤسائهم، وشتت شملهم[1].

وبناء على ذلك فإن السلطان "بلبن" تمكن من القضاء على ثورات الهنود، ليس هذا فحسب، بل سار إلى عدة قلاع ففتحها مثل قلعة جلالي، وعاد إلى عاصمته بغنائم لا حصر لها كان أهمها عدد لا بأس به من الجياد الأصيلة[2].

الشيعة[3]: ذلك الخطر الذي لا يقل عن خطر الثوار الهنود ومن ثم اهتم سلاطين دلهي بإعداد جيشهم إعدادا كافيا، لكي يلقي على كاهلهم مهمة القضاء على هذه الفتن، والملاحظ أن هذا الجيش قد أدى مهمته على خير وجه.

ففي عهد السلطان "شمس الدين ألتمش"، ثار زعماء الشيعة في مسجد دلهي، ولك أثناء تأدية السلطان للصلاة، فتدخل رجال الحرس الملكي من الجيش، وأعملوا في رؤوس الفتنة السيف،

---

[1] Cambridge: History of India, P78.

[2] محمد سيد كامل: الجيش الهندي في عصر الدولة الخلجية، المؤرخ المصري ،كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، العدد38، 2011 ، ص 54 .

وشكلت الجياد والخيول بالنسبة لسلاطين دهلي أهمية كبرى في الحروب، وغالبا ما استوردوها من الجزيرة العربية، نظرا لما اتصفت به هذه الأنواع من الجياد من أصالة ومحاسن كبيرة. انظر : ماركوبولو: الرحلة المعروفة برحلات ماركوبولو، ترجمة عبد العزيز جاويد، الطبعة الثانية، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1994م،ج1، ص178.

[3] **الشيعة**: لقد انتشر مذهب الشيعة في بلاد الهند على يد أحد الدعاة المسمى "عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الأشتر"، وذلك سنة 151هـ/767م. وأصبحت مدن مثل الملتان والمنصورة أماكن خاصة لهم، ورغم حملة السلطان "محمود الغزنوي" على مدن الملتان سنة 396هـ/1005م واستيلائه على المدينة أنهم عادوا من جديد ونظموا صفوفهم وكانوا يتلقون الدعم العسكري من راجات الهند، فأعادوا الاستيلاء على المدينة في نهاية الدولة الغزنوية وأخذوا يتسللون داخل مدن الحكم السني. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج6، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف بالقاهرة، ص133.

وقبضوا على قادتهم في مدينة دلهي[1]. ومن ثم خلصوا العاصمة من شرورهم، وأمن الأهالي على أنفسهم ونعمت البلاد بالأمن والأمان.

وقد تكررت فتنة الشيعة من جديد في عهد السلطانة "رضية"، وازداد أمرهم بوصول أحد دعاتهم وهو الداعي المسمى "نورترك"، الذي أخذ يروج لمذهبه في مدينة دلهي نفسها، وقد تجمع عليه العديد من الأتباع وقويت شوكته في العاصمة. لذا أمرت السلطانة "رضية" قائدها "قطب الدين حسين" بالتصدي لهذا الداعي وأتباعه، فدارت بين جيش السلطانة وبين الداعي "نور ترك" معركة عنيفة على أبواب دلهي قتل على أثرها العديد من الطرفين[2].

ومن الملاحظ في هذه الفتنة أن أمر الداعي اشتد على جيش السلطانة "رضية"، وقتل العديد من الجنود، ولم ينه الموقف إلا موازرة الأهالي للجيش والانضمام إلى صفوفه، ومهاجمتهم للداعي "نورترك"[3].

وبذلك حمت دلهي من أخطار الشيعة وداعيهم، وانتصر الجيش المملوكي.

ومن البديهي أن ننوه إلى أن الهزيمة التي حلت بالشيعة في هذه المعركة، لم تفت من عضضهم، ولم ييأس رجالهم من قتال الجيش ومحاولة الاستحواذ على بعض المدن، لنشر مذهبهم، لذا فقد نظموا قواتهم من جديد، وأخذوا في مهاجمة مدينة الملتان، حتى سقطت من قبضتهم، فأعملوا في أهلها من السنة السيف، نكاية على ما حل بهم من أهل دلهي، لذا توجه السلطان "ناصر الدين محمود" إلى هذه المنطقة، وانضم إليه الجيش تحت قيادة القائد "شيرخان" ذو الخبرات العسكرية المتميزة، وبذلك شتت السلطان فلول الشيعة سنة 632هـ/1250م[4]. وعلى ذلك فإن هذه الأحداث المتكررة توضح إلى أي مدى وقف الجيش المملوكي إلى جانب سلاطينه في القضاء على ثورات الشيعة، ويؤكد هذا إخلاص الجند وميلهم الشديد إلى جمع كلمة الدولة وموازرة السلاطين.

---

[1] الجوزجاني: طبقات ناصري، ج1، ص454.

[2] نفسه ، ص461.

[3] Aziz : An Intellectual history of Islam in India, P22.

[4] محمد نجيب : المرجع السابق ، ص125.

كذلك نرى أن الجيش الهندي في العصر المملوكي لعب دورا بارزا بمساندة حكامه في القضاء على تمر الأمراء الأتراك ففي عهد "ألتمش" زاد تمرد النواب الأتراك، حيث استقل ناصر الدين قباجه بالملتان واجة ولاهور، كما استغل الأمير "حسام الدين عوض جلجي" بإقليم البنغال[1]، وإزاء هذا فقد أعد السلطان العدة، وتهيأ للقضاء على هؤلاء الولاة، فقسم جيشه إلى قسمين، وولى على إحداهما وزيره "نظام الدين محمد الجنيدي"، وتولى بنفسه قيادة الجزء الثاني من الجيش وبذلك هجم على الثائرين من الأمراء الأتراك في لاهور وفي دلهي في وقت واحد، واستطاع استخلاص ملكه وإعادته من جديد. كذلك أعد السلطان جيشا ثالثا تحت قيادة ابنه "ناصر الدين محمود"، ووجه إلى البنغال حيث استطاع خوض معركة مريرة لاستخلاص المدينة، في عام 644هـ/1226م[2] وبذلك إعادة الوحدة إلى بلاده من جديد، بفضل قوة جيشه وتماسك قواده ودرايتهم العسكرية.

ومما يجدر الإشارة إليه أن ثورات الأتراك المتكررة شكلت أزمة كبرى لسلاطين المماليك، الذين تصدوا للحكم بكل حزم وقوة، وكذلك نلاحظ قوة الجيش وتصديه لهؤلاء الأمراء، ولكن لكي نكون منصفين فإنه حدث في أثناء تلك الاضطرابات أن وقف الجيش ضد مصالح السلطان، حتى أقصوه عن كرسي الحكم، ففي عهد السلطان "ركن الدين فيروز شاه"، ثار جماعة من الأمراء الترك ووقفوا في وجهه، فخرج السلطان لقتالهم، إلا أن كبار قواد الجيش، تركوا ساحة القتال، وانحازوا إلى السيدة رضية ابنة ألتموش فرفعوها على العرش بدلا منه، وذلك بعد معركة عنيفة مع قوى الاحتياطي المتمركزة في مدينة دلهي، والتي كانت تابعة لأم السلطان "ركن الدين فيروز شاه" المسماة "شاه تركان"[3]، وبذلك نرى أن الجيش وقف إلى جانب القوة المتمثلة في كرسي السلطنة والسلطان إلا في حالات نادرة عندما تتعارض مع مصالح البلاد فيكون انحيازه تجاه القوى التي تحقق للبلاد الاستقرار والأمن.

ومن الحقائق التاريخية فإن الجيش لم يقتصر دوره على القضاء على الفتن والثورات الداخلية، بل يتعداه بأن يكون له اليد الطولى في تولية وعزل الحكام، ومؤازرتهم في حكمهم، فقد

---

[1] Cambridge : History of India, P52.

[2] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: بلاد الهند، ص58.

[3] الجوزجاني: طبقات ناصري، ج1، ص454.

انحاز الجيش المملوكي إلى ألتمش في المطالبة بتولي العرش ضد صاحب الحق الشرعي السلطان "أرمشاه" الذي خلف والده السلطان "قب الدين أيبك"[1]، وهنا نلاحظ أن عناصر الجيش لم تساند مبدأ الوراثة وهو الشيء المعروف والمؤكد في الجيوش بأنها تقوم بتأكيد نظام الوراثة في الحكم وتؤيد الجالس على العرش وربما يرجع ذلك إلى خوف قادة الجيش من ضياع البلاد تحت نفوذ "أرمشاه" الحاكم الأرعن غير المؤهل للمنصب. كذلك فقد لعب الجيش دورا بارزا في عزل السلطانة "رضية" عن حكم البلاد، وذلك إغضابها رجال الدولة لتقربها من أحد العبيد الأحباش، ويدعى "ياقوت"، ومحاولتها الإعلاء من شأنه لذا استمال رجال الدين قائد الجيش، وضموه إلى صفوفهم، ومن ثم سهل لهم مهمة دخول دلهي بعد القبض على السلطانة، وحبسها في قلعة بدوان[2] ومن ثم رفعوا إلى العرش بدلا منها أخاها "معز الدين بهرامشاه"[3].

ولقد كان لفقد الجيش القيادة ذات الشخصية القوية، لانشغال السلطان "معز الدين بهرامشاه" عن النظر في شئون الجيش، وترك أموره للقائد الأول، الأثر الكبير في تفكك وحدة القوات العسكرية، وانضمام بعضهم إلى صفوف الوزير "نظام الدين"، الذي عمل على القضاء على السلطان، الذي أطمئن إلى وزيره، وعهد إليه بجميع مهام البلاد وأمده بكل ما يحتاج إليه من عدة وعتاد، حتى أسند إليه قيادة الجيش العام في حربه ضد قوات المغول في سنة 639هـ/1242م[4]، لذا سنحت لهذا الوزير الفرصة بعد انتصاره على المغول، أن يرتد بقواته إلى العاصمة دلهي، ويحاصرها بجنوده، حتى أجبر السلطان على خلع نفسه، وولى بدلا منه "علاء الدين مسعود"[5].

لم يقتصر دور الجيش على تولية وعزل السلاطين، والتدخل في الشؤون الداخلية في الهند، بل تدخل الجيش أيضا في تعيين وعزل الوزراء وذلك عندما زادت ثورات الأمراء الأتراك في عهد السلطان "ناصر الدين محمود"، حيث تزعم قائد جيشه ووزيره السابق "قتلقخان بلبن" الفتنة على

---

[1] ابوسليمان بناكتى: روضة أولى الألباب في معرفة التواريخ والأنساب، تر محمودعبد الكريم علي ، المركز القومي للترجمة ، مصر ، 2008، ص334.

[2] أحمد محمود الساداتي: "تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم"، ج1 ، مطبعة كلية الآداب ، القاهرة، ص120

[3] الجوزجاني: طبقات ناصري، ج1، ص461.

[4] الجوزجاني: نفس المصدر السابق، ج 1، ص467.

[5] نظام الدين الهروي: طبقات أكَبرى، ج1، ص76.

السلطان، لأن السلطان أسند منصب الوزراء في البلاد إلى أحد المقربين إليه وهو "عماد الدين ريحان"[1]، لذا قاد الجيش، واتجه صوب دلهي وعندئذ خرج ريحان بصحبة السلطان ومعهم قوة الحرس السلطاني بجانب رجال الشرطة، ودارت بين الجانبين معركة عنيفة ولم يحسم الأمر سوى تدخل الأهالي بجانب الثوار الأتراك[2]، ومن ثم عاد "قتلقخان بلبن" إلى الوزارة من جديد، وتم القضاء على ريحان وقواده الهنود.

الخوارزميين فقد تأثرت سلطنة دلهي في عهد المماليك بالمشاكل التي حدثت في إقليم خراسان، أثناء هجمات المغول الشرسة على العالم الإسلامي، حيث التجأ السلطان "جلال الدين منكبرتى" إلى الهند بعد عبوره نهر السند، وإنزال الهزيمة به على يد "جنكيز خان" سنة 118هـ/1221م[3]، ومن ثم استغل السلطان الخوارزمي اضطراب البلاد، وراح يستولي على أملاك السلطان "شمس الدين ألتمش" في محاولة لتأسيس ملك عظيم في شمال الهند[4].

وبناء على ذلك تقدم جيش السلطان "ألتمش"، يسانده "ناصر الدين قباجة"صاحب لاهور في ذلك الوقت في أعداد كبيرة من الجند تقدر بحوالي ثلاثين ألف جندي، بجانب ثلاثمائة فيل، للتصدي "لجلال الدين منكبرتى"، الذي استولى على عدة مدن منها لاهور وأوجه، وفرض سيطرته على جبل جودى بعد هزيمة واليه المدعو زانة شتره، لذا وجب على الجيش[5] التحرك لمواجهة هذا الخطر، ومن ثم لم يجد السلطان "جلال الدين منكبرتى"، الذي عجز عن مقاومتهم، إلا الرحيل عن الهند[6] وعلى هذا فإن اتحاد قوتي ألتمش مع قباجة نتج عنها وقف زحف الخوارزمية على منطقة شمال الهند[1]، وأبعد خطرهم عن هذه البلاد.

---

[1] نفسه ، ص 77.

[2] محمد نجيب: المرجع السابق، ص126.

[3] النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، تحقيق حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، 1953م، ص161.

[4]Sharnad: The sulant of Delhi, New Delhi, 1988, P82

[5] رشيد الدين فضل الله الهمذاني : جامع التواريخ، ج1 ، تر فؤاد عبد المعطي الصياد ، دار النهضة ، بيروت، سنة 1990م، ص246.

[6] الجوزجاني: طبقات ناصري، ج1، ص445.

كذلك اشتغل السلطان "ألتمش" قوة جيشه ومعاونة ناصر الدين قباجة وقواته، وفرار السلطان "جلال الدين" إلى خراسان، للقضاء على مناصري الخوارزمية في الهند، فاتجه إلى منطقة لاهور التي كان عليها والي من قبل جلال الدين منكبرتى يدعى "بهلوان أزبك"، الذي حاول تحصين المنطقة والتصدي للسلطان ألتمش، إلا أن قوة جيش المماليك أجبرته على ترك البلاد والفرار إلى خراسان[2]. وبذلك قضى الجيش المملوكي في الهند في عهد السلطان "شمس الدين ألتمش" على قوة الخوارزمية، ويرجع ذلك إلى اهتمام سلطان البلاد بإعداد جيشه ومده بالمؤن والسلاح.

المغول: خطرا عظيما على دولة المماليك في الهند، وتكثفت حملاتهم العسكرية على مدى تاريخ هذه الدولة، خاصة على منطقتي لاهور والملتان، فقد حاول المغول تأسيس ملكا لهم في الهند مثل خراسان ولكنهم قوبلوا برد فعل عنيف من جيوش المماليك، الذين ألحقوا بالمغول العديد من الهزائم المتوالية.

لقد كان أول هجوم للمغول على شمال الهند عقب هزيمة السلطان "جلال الدين" على أيديهم، فأرسل جنكيز خان قائده تورباني تفشى في عشرين ألف جندي مغولي ليتعقب السلطان المهزوم، ومن الملاحظ أن القائد توريانى فضل الاستيلاء على الملتان، وضمها إلى ممتلكات المغول، لكن شدة مقاومة الجيش الهندي، وتصديه لهذه المحاولة، أجبرته على ترك البلاد بعد حصار دام أربعين يوما، فقد خلالها المغول العديد من رجالاتهم ولم يستطيعوا تحقيق أي نصر يذكر[3].

تكررت هجمات المغول على بلاد الهند في عهد السلطان "معز الدين بهرامشاه" في حدود سنة 639هـ/1242م، حيث اجتاحت جحافلهم مدينة "لاهور" من جديد، ولم تستطع حماية المدينة

وقد ظهرت كفاءة الجيش الاحتياطي الذي أرسله السلطان "ألتمش" لمساندة "ناصر الدين قباجة"، ضد قوات "جلال الدين منكبرتى". النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى، ص165.

[1] الجوزجاني: طبقات ناصري، ج1، ص445

[2] النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى، المصدر السابق ، ص168-169،

عبد الرحمان ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم، ج4 ، دار الأعلى، بيروت، 1391هـ/1971م، ص140.

[3]عطا مالك الجويني: تاريخ جهانكَشاى، تر محمد السباعي، دار الزهراء للنشر، 1412هـ/1991م، ص314

التصدي لهذه القوات، فعاثوا فسادا وقتلا في الأهالي، ونهبوا العديد من البيوت والحانات، وبناء على ذلك فقد أمر السلطان معز الدين بهرامشاه بعقد اجتماع لقادة الجيش، وحثهم على بذل ما في وسعهم من جهود لصد هذا الغزو المغولي[1]، ولم يكتف بعد ذلك بل وضع وزيره نظام الدين على رأس الجيش، وجعل في يده تصريف الأمور، وبذلك سار الجيش إلى لاهور، وبعد عدة مناوشات بين الطرفين، أثر الجيش المغولي العودة مرة أخرى إلى خراسان متنازلا عن فكرة احتلال مدينة لاهور[2]. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على مدى ما تمتع به جيش المماليك من قوة وتنظيم، جعلت المغول يخشون في دخول حرب طويلة مع جيش المماليك، حتى لا تكون لها عواقب وخيمة.

وبناء على ذلك فقد ظهر لقوات المغول عدم جدوى فكرة الاستقرار في شمال الهند، خاصة المحاولات المتكررة عن طريق الشمال واحتلال لاهور، لتمركز قوة الجيش المملوكي بأعداد كبيرة في هذه المناطق، لذا فكروا في غزو الهند عن طريق آخر، فاتجهت أنظارهم تجاه إقليم البنغال في أقصى الشمال الشرقي، وذلك في سنة 642هـ/1244م، عندما قاد المغول قواتهم تجاه البنغال، الذي حاول واليها عز الدين طغاخان التصدي لهم، وعلى الرغم من بسالة هذا الوالي في الدفاع عن بلاده، وقوة جيش المدينة وبسالتهم في الدفاع عنها، إلا أن المغول تمكنوا من دخول المدينة والاستقرار بعا بعض الوقت[3]، وبناء على ذلك أسرع السلطان علاء الدين مسعود باستعادة هذه المنطقة، فجهز جيشه وأسند قيادته إلى اثنين من أشهر القواد العسكريين وهما "قرابيك" و"تيمور خان"، وأمدهما بكل ما يحتاجا إليه من رجال وسلاح ومؤن، وبذلك تمكن الجيش الهندي بمساندة الوالي "عز الدين طغاخان" من اقتحام المدينة من ثلاث جهات مختلفة[4]، وعلى ذلك لم يتمكن المغول من صد هذا الهجوم الثلاثي من قبل جيوش الهند، فقرروا ترك الملتان والفرار ببقايا

---

[1]فلاديميرفيتش بارتولد: تركستان منذ الفتح العربي حتى الغزو المغولي، تر صلاح الدين عثمان، طبعة الكويت، 1401هـ/1981م، ص626.

[2]Munshi : The struggle for empire (Bombay, 1957, P139.[2]

[3]Cambridge : History of India, P.P 62,63.

وقد هجم قائد الجيش المغولي المسمى "تورجودار" وهو ابن أخي الخان "أوقطاي" حاكم بلاد تركستان، وكان عدد جيش المغول يقارب العشرة آلاف جندي، ماركوبولو: الرحلة، ج1، ص76.

[4]Shormh : The sultan of Delhi, p100.

جنودهم من أمام قوات الجيش المملوكي، بعد وقوع أكثر جنودهم في أيدي المسلمين أسرى[1]. وبذلك حمت الخطة العسكرية التي اتبعها الجيش المملوكي مدينة البنغال نهائيا من هجمات المغول طوال فترة حكم أبناء السلطان "شمس الدين ألتمش"، حيث أيقن المغول أن الإقدام على هجوم مماثل قد يكلفهم حياة أعداد كبيرة من جنودهم.

وجه المغول أنظارهم من جديد إلى المنطقة الشمالية من الهند، وذلك في عهد "غياث الدين بلبن"، الذي أخذ على عاتقه التصدي لقواتهم وقد أمن حدود مملكته، وعين ابنه الكبر "محمد بغراخان" على مدينة الملتان وأمده بجيش كبير[2]، كذلك أعد السلطان "بلبن" جيشان آخران، وضع على أحداهم أفضل قادته المدعو "باربك بيك"، وعلى الثاني ابنه "ناصر الدين"[3]. وقد عهد إلى هؤلاء القادة الثلاثة وجيوشهم مهمة التصدي لجحافل المغول في شمال الهند، وذلك في حدود سنة 283هـ/1285م.

وقد انتهى اللقاء بين المغول وهذه الجيوش الثلاثة، بانتصار الجيش الهندي، رغم مقتل الأمير "محمد" والي الملتان في عهد السلطان "بلبن"[4]، ووضع حد لهجمات المغول على شمال الهند من ناحية الملتان، كما وضعت المعركة السابقة عند البنغال حدا لهجماتهم على الشمال الشرقي، وبذلك أصبحت أمال المغول منحصرة في منطقة واحدة هي مدينة لاهور.

ورغم الهزائم المتتالية على قواد المغول، لم ييأسوا من تكرار المحاولة مرة أخرى، مستغلين اضطراب أوضاع دلهي في عهد السلطان "معز الدين كبقياد"، وميل السلطان وانشغاله باللهو والشراب، فزحفوا بقواتهم من غزنه ناحية لاهور، حيث اقتحموها على أهلها، وأنزلوا الهزيمة بحاميتها، وسقطت بذلك لاهور في أيديهم[5]، ولم ينقذها من هذا الموقف إلا الإمدادات التي أخذت تتوالى على فلول الحامية، من احتياطي جيش دلهي، وتجهيز السلطان جيشا قويا تحت قيادة وزيره

[1] نظام الدين الهروي: طبقات أكَبرى، ج1، ص78.

[2] Oxford: History of India, P241.

[3] النسوي : المصدر السابق ، ص 84.

[4] K. Ali: A new history of India, P63

[5] Munshi : The struggle for empire, P154.

"نظام الدين"، وانتهى الأمر بموقعة حاسمة، انهزم فيها جيش المغول، ووقع أكثره في أيدي قوات الجيش الهندي، الذي عمل فيهم السيف بأمر من السلطان[1].

وفي حقيقة الأمر فإن هذه المحاولة تعتبر الأخيرة من نوعها، التي حاول فيها المغول الهجوم على شمال الهند طوال فترة الحكم المملوكي لهذه المناطق، حيث تأكد للمغول أن المحاور الثلاثة في الملتان والبنغال ولاهور ليست من السهولة بحيث يسهل اختراقها، وبذلك أثبت بما لا يدعو مجالا للشك قوة ومتانة تنظيم الجيش المملوكي في بلاد الهند[2].

كذلك قامت السلطانة "رضية" لتأديب "ملك عز الدين خان" صاحب لاهور، الذي أعلن الدخول في طاعتها بمجرد حصارها لبلاده، فعفت عنه وعادت إلى عاصمتها. كذلك قادت السلطانة "رضية" جيشها للقضاء على ثورة "ايتار الدين التوانيا" حاكم تبرهند، الذي أقنعها بالخروج على أخيها "بهرامشاه"، وطلب منها الزواج، ولكن محاولتهما باءت بالفشل نتيجة المطالبة بالعرش، فتمكن "بهرامشاه" من القبض عليها وقتلها، وذلك في سنة 637هـ/1240م[3].

كذلك قاد السلطان علاء الدين بن فيروز شاه الجيش ضد المغول في سنة 643هـ/1245م، وجهز الجيش تحت إشرافه، وبذلك دب الفزع في نفوس جنود المغول وفروا مسرعين إلى بلادهم[4].

وقد جرت عادة السلطان بلبن منذ أن كان وزيرا في الحكم على الخروج على رأس جيش الدولة، وتعددت انتصاراته على أعداء البلاد، وقد خرج على رأس عدة جيوش تجاه البنغال، وأمر بتجهيز السفن وصنع المراكب اللازمة لعبور نهر الكتك[5].

---

[1] الفقي : بلاد الهند، المرجع السابق ، ص162.

[2] Cambridge : History of India, P69.

[3] الجوزجاني: طبقات ناصري، ج1، ص463.

[4] الفقي: المرجع السابق، ص162.

[5] نظام الدين الهروي: طبقات أكَبرى، ج1، ص93.

كل هذه الانتصارات السابقة تدل دلالة واضحة على حسن قيادة الجيوش وعلى المقدرة العالية للسلاطين في تجهيز جيوشهم وتسييرها، وعلى اهتمامهم بتطوير الجيوش والاهتمام بالسياسة الخارجية للدولة.

ونظرا لأهمية قيادة الجيش فقد كان بعض سلاطين المماليك يعهد بها إلى أحد أبنائه في حال عدم خروجه هو على رأس الجيش فقد أسند السلطان "شمس الدين ألتمش" إلى ابنه "ناصر الدين محمود" القيادة العامة للجيش المتجه لمحاربة "حسام الدين عوض خلجى" صاحب البنغال، بعد أن استفحل أمره وحاول الاستقلال بالإقليم ولقب نفسه بالسلطان "غياث الدين" وقد حقق الجيش في هذه المعركة انتصارا باهرا.

كذلك أسند السلطان "غياث الدين بلبن" إلى ابنه الأمير "بفان محمد" قيادة الجيش الموجه إلى صد غارات المغول على حدود لاهور، كما أسند إلى ابنه الثاني المسمى "بغراخان" قيادة جيش آخر، وأرسله واليا على مدينة سامانية، وبذلك استطاع الأخوان بمساندة جيشهما من التصدي لقوى المغول، وحماية البلاد من هجماتهم[1].

كذلك جرت عادة سلاطين المماليك في الهند إلى إسناد قيادة الجيوش إلى الشخصيات البارزة في الدولة وأصحاب المناصب العليا، فعلى سبيل المثال أسند السلطان "شمس الدين ألتمش" قيادة جيشه إلى وزيره المسمى "نظام الملك محمد"، وسيره في إعادة الملتان إلى حوذته، وقد حقق هذا الوزير بجيشه كل ما كان يرغب منه السلطان، فقضى على فتنة "ناصر الدين قباجة" صاحب أجه[2].

كذلك أسند السلطان "معز الدين كيقباد" قيادة الجيش إلى وزيره المسمى "نظام الدين" لمواجهة قوات المغول، فوقع أكثر جنود المغول أسرى في يد الجيش المملوكي[3].

---

[1] Munshi : The struggle for Empire, P154.

[2] Cambridge: History of India, P53.

[3] نظام الدين الهروى: طبقات أكَبرى، المرجع السابق، ج1، ص101.

ومن أبرز القواد في عهد السلطانة "رضية" كان القائد "قطب الدين حسين"، الذي استطاع إعادة قلعة رنتهبور إلى سيادة الدولة بعدما استولى عليها الهنود[1].

كذلك عهد السلطان "علاء الدين مسعود" بقيادة الجيش إلى اثنين من القواد هما "تيمور خان" و"قرابيك"، اللذان استطاعا أن يقودا الجيوش تجاه إقليم البنغال، وتمكنا من طرد المغول منه. وبذلك كان السلطان القائد "تيمور خان" على حسن قيادة الجيش، وأحرز النصر بولاية هذا الإقليم، حتى يضمن استقرار الأوضاع فيه، وحسن السيرة بين الرعية.

ويعتبر "قتلقخان بلبن" من أشهر قواد الجيش في عهد السلطان "ناصر الدين محمود"، فقد استطاع القضاء على ثورات قبائل المواتى، وضرب العصاة في جبل جودى، وضم قريتي دلكى وملكى إلى الدولة. وقد أهلته خبرته العسكرية، إلى جانب قيامه بشئون الوزارة في السلطنة إلى وقوف رجال الدولة إلى جانبه بعد وفاة السلطان "ناصر الدين محمود"[2]، ليتولى بدلا منه الحكم.

وهناك قائد آخر للسلطان "أيبك" وهو القائد "قطب الدين قايماز"، أنابه السلطان عنه في أثناء حصار لكهنوتى، فاستخلص الإقليم من حاكمه المتمرد "عز الدين محمد شيران"[3].

ولا يفوتنا هنا قبل الانتهاء من أمر قيادة الجيش المملوكي في الهند إلى لفت النظر إلى أن بعض السلاطين قد أسند قيادة الجيش إلى أحد الهنود، وذلك لما أتصف به من مهارة وخبرة عسكرية، فقد أسند السلطان "ناصر الدين محمود" إلى "عماد الدين ريحان الهندي" قيادة جيش السلطنة ضد الثوار من الأمراء الأتراك، ولكن نتيجة لوقوف أهالي المدينة إلى جانب الثوار، فقد حلت الهزيمة بهذا الجيش ووقع قائده ريحان قتيلا في أرض المعركة[4].

أو اصطحاب الجوانب في الحرب، وكان بعضهم يتولى حكم بعض الولايات الصغيرة[5].

---

[1]Sharmah: The sultan of Dilhi, P94.

[2] نظام الدين الهروي: طبقات أكَبرى،المرجع السابق ، ج1، ص79.

[3]عصام الدين عبد الرؤوف: بلاد الهند، المرجع السابق ، ص63.

[4] Munshi: The struggle for Empire, P140.

[5] نفسه، ص 217

واما ارزاق الخانات والملوك والامراء والاصفهلارية فكانت مقررة عليهم من الديوان، اما كبار السن الذين اصبحوا ضعافا فقرروا لهم معاشا، ورواتب الجند الغير منتظم في الجيش، والذي يتطوع في الجيش وقت الحرب فقط، يختلف عن راتب الجندي المنتظم[1].

كذاك استخدم سلاطين المماليك خطة مبتكرة وهي تقسيم جيشهم إلى عدة مجموعات، على أن تقوم المجموعات كلها بالهجوم في وقت واحد، مما يؤدي إلى تشتيت انتباه قوات العدو وعدم تركيزها في جهة واحدة، وقد ظهر ذلك بوضوح في عهد السلطان "شمس الدين ألتمش" في قتاله مع المتمرد عليه الأمير "ناصر الدين قباجة"، قد قسم السلطان جيشه إلى قسمين سار وزيره "نظام الملك محمد جنيدي" بجيش من جهة الملتان، وخرج السلطان بنفسه تجاه جهة أخرى وهي لاهور، وبذلك لم يستطع "قباجة" الاستمرار في القتال، بل تشتت جيشه وانهزم، ومن ثم لم يتحمل الهزيمة فألقى بنفسه في نهر السند[2] فغرق من فوره.

كذلك اعتمد السلطان "علاء الدين مسعود" على نفس الخطة في حربه ضد المغول على مدينة البنغال، فقد قسم جيشه إلى ثلاث مجموعات، وأمرهم بالهجوم في وقت واحد، ومن ثم تشتت قوات المغول، وتفتتت قوتهم، فتفرقوا وفر كل واحد في اتجاه فعمل فيهم جيش السلطان السيف فخروا ما بين قتيل وأسير، وذلك سنة 642هـ/1244م[3].

كذلك نفذ السلطان "بلبن" نفس الخطة السابقة وهي تقسيم جيشهم إلى عدة مجموعات في قتاله مع المغول، وبذلك هاجم جيش "بلبن" في ثلاثة مواقع في نفس الوقت، فقد أخذ ثلاث جيوش وسار أحدهم في الملتان بقيادة ابنه "بفان" والثاني في سامان بقيادة ابنه "بفراحخان"، والثالث بالقرب من الحدود الغربية لمدينة دلهي بقيادة القائد "باربك بيك"[4]، وبذلك حقق السلطان "بلبن"

---

[1] الهروي : الرجع السابق ، ج1 ، ص 87

[2] Cambridge: History of India, P53.

[3] Sharmah : The sultan of Delhi, P100.

[4] نظام الدين الهروي: طبقات أكَبرى، ج1، المرجع السابق ، ص99.

انتصار حاسما على المغول، وقتل أغلب جنودهم، ووقع عدد كبير منهم في الأسر، وذلك في سنة 683هـ/1285م[1].

ومن الخطط التي اهم بها سلاطين المماليك في الهند، دراسة أحوال جيوش العدو أمامهم، وكشف نقاط الضعف في صفوفهم، واستغلال هذه النقاط والاستفادة منها في صالح جيشهم، وقد تمكن السلطان "شمس الدين ألتمش" من الاستفادة من نقطة ضعف جيش عدوه السلطان "جلال الدين منكبرتى"، وذلك بتهديد الخوارزميين بفتح مياه نهر السند على مدينة لاهور، لإغراق أهلها، ولم يكتف بهذا التهديد بل شدد الحصار مع وصول إمدادات عسكرية جديدة إلى المدينة لقتال السلطان "جلال الدين"، مما دفع سلطان الخوارزمية إلى الفرار من الهند نهائيا[2].

ومن الغريب في الأمر أن السلطان "ألتمش" لم ينفذ تهديداته بإغراق مدينة لاهور، على الرغم من بقاء نائب "جلال الدين" فيها وهو "بهلوان أزبك" وذلك عندما تيقن بعجز هذا النائب من الوقوف في وجه المماليك وجيشهم، لذا دخل "ألتمش" مدينة لاهور بعد حصار عدة أشهر، انتهى بفرار "بهلوان أزبك" نائب سلطان خوارزم إلى خراسان[3]. ويدل ذلك على تنازل "ألتمش" عن خطته مراعاة لأهالي مدينة لاهور، ولعدم انتشار المجاعات والأمراض بعد إغراق المدينة، بالإضافة إلى أنه لم يعد للخطة فائدة من تنفيذها أمام فرار "جلال الدين خوارزشاه" وضعف نائبه "بهلوان أزبك".

<u>نظام الجوسسة والاستعلام:</u> استعان سلاطين دهلي بعدد من الموظفين الاكفاء في الادارة والمخابرات للاشراف على تنفيذ سياستهم الداخلية في البلاد حتى يضمنوا استمرار حكمهم وعدم ظهور حركات تمرد ضدهم، وقد حرص بلبن على تنظيم ادارة الدولة، واعادة الامن والنظام الى ربوعها ن ولتحقيق ذلك اعد جهازا قويا للجوسسة، ويكتبون له التقارير عن سير حكام الولايات وسائر الموظفين[4]، و كان يأمر بقتل الجاسوس الذي يفشل في كتابة التقارير[1]. وفي المقابل كان هذا السلطان يجزل العطايا للجواسيس النشطين في الجيش، وعين عليهم قائدا عاما.

---

[1] Munshi: The struggle for Empire, P154.

[2] النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى، المصدر السابق ، ص168

[3] نفسه ، ص 168.

[4] الفقي : الدول الاسلامية ، المرجع السابق ، ص 369

ومن الغريب أن شخصية هذا القائد كانت معروفة بين رجالات الدولة والعامة، وقد ارتفع هذا المنصب إلى أعلى مستوى بتولية "فخر الدين محمد" لهذا المنصب، الذي أصبح من أقرب رجال المملكة إلى السلطان.وكان الجواسيس ايضا موكلين بمراقبة السوق، فإذا ظهر ان القائمين بمراقبة السوق قد عرضوا شيئا مختلفا على السلطان، فأنهم كانوا يعاقبون، وكان السلطان يحدد الاسعار ويعطيها للقائمين بمراقبة السوق، وإذا لوحظ تفاوت في السعر فغن التاجر يعاقب بقطع الأذن أو الانف[2]

والملاحظ أن هذه الوظيفة لم تكن قاصرة على التجسس فقط بل أصبح كاتم سر السلطان، وظهر دوره بصورة واضحة في التجسس على قبائل المواتى قبل حرب السلطان معهم، فعرف أماكن تواجدهم داخل الغابات مما سهل على السلطان مهمة القضاء عليهم[3].

[1] Oxford: History of India, P241.

[2] الهروي ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 140

[3] محمد نجيب : المرجع السابق، ص145.

التحصينات الحربية:

القلاع والحصون: اهتم السلاطين بتشييد القلاع والحصون في اراضي الهند للاستفادة منها في حروبهم، ذلك نظرا لكثرة هذه الحروب وتعددها، وقد تميزت هذه القلاع بالمتانة والارتفاع الشاهق مما أعجز كثرا من المهاجمين على اقتحامها، لذا فقد اهتم سلاطين المماليك بتشييد القلاع على أطراف المدن الكبرى[1]، ووضعوا بها الحاميات العسكرية وجهزوها بكل وسائل الدفاع المختلفة، حيث أصبح بها مكان للبصاصين، وعيون لإلقاء السهام والنشاب[2]، ومن أشهر تلك القلاع حصن سيالكوب بالقرب من مدينة دلهي، والذي شيده السلطان "قطب الدين أيبك"، ليحمي المدينة من هجمات الثوار الهنود[3].

كذلك اهتم السلطان "شمس الدين ألتمش" بتشييد القلاع والحصول مثل قلعة لاهور، كما قام عقب هزيمة السلطان "ناصر الدين قباجة" بتجديد قلعة أجه بعد تخريبها على يد جيشه، الذي حاصرها مدة خمسة وستين يوما، ولذلك ظهر دور هذه القلعة في صد هجمات المغول، فكانت خير معين على صد قواتهم، الذين فشلوا في اقتحام المدينة.

كذلك اهتم السلطان "غياث الدين بلبن" بتشييد القلاع، ومن أشهرها قلعة لاهور التي راعى في تشييدها استخدام الحجر الصلب، وارتفاعها بقدر كافي، بهدف التصدي لقوات العدو من الجنود المغول[4]، والتي فشلت في اقتحام المدينة طوال فترة حكمه. وقد أدت تلك القلاع دورها في حماية دلهي من المغيرين عليها.

كذلك أقام السلطان "بلبن" بتشييد العديد من القلاع العسكرية والثكنات للجند حول دلهي، وخصوصا بعد إزالة الغابات من حول المدينة، وكانت تبنى القلاع بجانب دورها العسكرية، هذا إلى جانب قيام حراسة عليها تشبه نقاط التفتيش، لكل العناصر المشكوك فيها، وضمانا لتأدية هذه

---

[1] نفسه، ص 146

[2] نظام الدين الهروي: طبقات أكَبرى، المرجع السابق ،ج1، ص69.

[3] Sharmah : The sultan of Delhi, P52.

[4] نظام الدين الهروي: طبقات أكَبرى، ج1، ص78.

القلاع والحصون لدورها خير قيام، فقد عهد السلطان إلى أكف رجاله بالإشراف عليها، ومراقبة أعمالها[1]. وبذلك تسنى لهؤلاء السلاطين الاستفادة مما شيدوه من قلاع وحصون لصالح الجيش.

الأسطول: اشتهرت بلاد الهند بوجود العديد من الأنهار الداخلية حتى سمي الجزء الشمالي منها باسم البنجاب (أي الخمس أنهار) [2]، وامتدت سواحلها من جهات ثلاثة من ساحل المحيط الذي سمي باسمها، لذا أطلق عليه اسم شبه القارة الهندية.

لذا اعتمد سلاطين دلهي على الأنهار الداخلية في تسير أسطولهم، ولكن لم نجد لهم أسطول على سواحل المملكة الخارجية، وهذا يفسر لنا أن نشأة الأسطول كان الغرض منها الاستخدام الداخلي ضد الهنود، أو ثوار الأتراك.

ويعتبر السلطان "غياث الدين بلبن" أول من اهتم بصنع المراكب البحرية، وكان مركز تلك المراكب في نهر الكنك بالقرب من البنغال، أما الهدف من هذه المراكب فكان نقل الأسلحة والمعدات العسكرية إلى الجهة الأخرى[3]. وكان بجانب المراكب العسكرية اهتم السلاطين بصنع مراكب خاصة خصصت لنقلهم من مكان إلى آخر، مثل تلك المراكب التي استقلها السلطان معز الدين كيقباد في نهر الكنك لاستقبال والده بغراخان حاكم البنغال، وقد زودت تلك المراكب بالعديد من وسائل الحماية مثل النشاب والحراب وقوارير النفط[4].

وفي حقيقة الأمر فإن السلاطين لم يجدوا أي عناء يذكر من صنع تلك المراكب حيث وفروا الأخشاب اللازمة من تلك الغابات التي قطعت من حول مدينة دلهي[5] كما استغل في توفير مواد

---

[1] محمد نجيب : المرجع السابق، ص139.

[2] يعتبر نهر السند أكبر أنهار الهند، ويتفرع منه خمسة أنهار، بالإضافة إلى نهر كابل وجميع تلك الأنهار تقع في شمال البلاد. أما في الجنوب فيتفرع منه نهري السندروز والجندروز ويعتبر نهر الكنح من أقدم أنهار البلاد، وفيه يلقون بجثث موتاهم بعد حرقها، ويحجون إلى منابعه كل عام.أنظر:أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، المرجع السابق ، ج1، ص706.

[3] الجوزجاني: طبقات ناصري، ج1، ص458.

[4] نفسه ، ج1، ص458.

[5] Munshi: The struggle for Empire, P150.

ربط تلك الأخشاب الحبال التي قطعت من لحاف الأشجار بجانب عددا من الأذرع الحديدية التي اشتهرت بها بلاد الهند[1].

تشكيلات الجيش:

ينقسم جيش الهند الى فرق كل منها تمارس نشاطا معينا وهم

الفرسان: وهم العنصر الاساسي في الجيش بصفة عامة ن ويسمى بالخيالة، ومن اهم اسلحته السيوف والرماح والحراب، وكانوا يلبسون الدروع ن ويركبون الخيول القوية النشطة، والفرسان منهم ما هو بحضرة السلطان ومنهم من هو في سائر البلاد، وكانت لهم القيادة في الجيش[2].

سلاح الفيلة:تكون في بداية الصفوف، كذلك مجموعة من الأبراج بها منافذ لرمي النشاب وقوارير النفط، وأمام الفيلة العبيد المشاة، يسحبون حبال الفيلة من الميمنة والميسرة[3].

وقد جرى الرسم في حروبهم أن يركب السلطان الفيل، وهذا دليل على رفع المكان، وقد اعتبر سلاطين دلهي أن امتلاك أحد من رجال الدولة فيلا كان ضربا من المقارنة بالسلطان لذلك قام السلطان "معز الدين بهرامشاه" بقتل القاضي "اختيار الدين"لامتلاكه فيلا[4].

كذلك جرت عادة سلاطينهم على وضع الجتر على الرأس، وهي مضلة تغني صاحبها عن حرارة الشمس، وقد أصبحت رسما من رسوم الدولة، كما كانت مسك درباس في اليد وهي عصا تمسك في راحة اليد، وقد اعتاد السلاطين على منح كبار رجالاتهم هذه العصا، وتعتبر من أعلى الأوسمة الفخرية[5].

---

[1] Sharmah: The sultan of Delhi, P45.

[2] حسن باشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار العربية ، دار النهضة ، القاهرة ، 1966، ج 2، ص 589

[3] القلقشندي: المصدر السابق ، ج5، ص92-93.

[4] نظام الدين الهروي: طبقات أكَبرى، ج1، ص75.

[5] نفسه ، ج 1 ،ص 75.

المشاة: ياتي المشاة في المرتبة الثانية بعد سلاح الفرسان، وقد احتوى على المقاتلين الهنود الذين يمتلكون ثمن شراء الخيل أو السلاح، وهؤلاء من الجند وأعدادهم كبيرة تصل إلى عدة الاف، وان عدد سلاح المشاة متواضع إذا ما قورن بحجم سلاح الفرسان، وهذا كان الغالب على الدول الاسلامية في الهند[1].

النشابون: هم حملة النشاب، كما يتسلحون بكنائن النبل، والفؤوس الصغيرة، ومكانهم الحصون والابراج [2].

المنجليقيون: هم رماة المنجليق، ولهم رئيس يسمى أمير المنجليقيين، وهم بمثابة المنهدسين العسكريين حاليا، ويستخدمون المنجليق في تدمير القلاع و الأسوار، والحصون والدفاع عن المدن ضد هجمات الاعداء [3]

الأسلحة والمعدات:

زود سلاطين دهلي الجيوش بانواع عديدة من الاسلحة، والتي شاع استعمالها في تلك الفترة و يأتي في مقدمتها السيوف والرماح والنشاب، كانت الهند تصدر السيوف، التي إكتسبت شهرة فائقة في العالم أنذاك[4] بالإضافة إلى الأسلحة الوقائية مثل الخوذة والدروع، كذلك استخدم الفيل كسلاح في قتالهم، وأدخلوا عليها بعض التعديلات حتى يستفيد منها الجيش أعلى استفادة، فأضيفت إليها قطع من الحديد تثبت بجلود في جوانبها، وكان الهدف منها اختراق الجيش المقابل وقتل أكبر عدد من أفراده[5].

ومن الملاحظ أن سلاطين المماليك في الهند حرصوا على امتلاك أكبر عدد من الفيلة، لذا حرص حكام الأقاليم على إرسالها في المناسبات المختلفة كدليل على الخضوع للسلطان، فقد قام "جلال الدين جاني" حاكم لكهنوتي بإرسال فيلان إلى السلطان "ناصر الدين محمود"، مما دفع

[1] احمد الجوارنة : الهند في ظل السيادة الاسلامية ، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية ، الاردن ، 2006، ص 88

[2] محمد عبد العظيم ابو النصر : السلاجقة وتاريخهم السياسي والعسكري ، عين للدراسات والبحوث مصر ، 2001، ص 358

[3] أحمد الشامي : الحضارة الاسلامية وانتشارها وتأثيرها في الحضارة الاوربية ، النهضة العربية ، مصر ،1997، ص 128

[4] ابي بكر القضاعي : الحلة السيراء ، دار المعارف ، القاهرة ، 1985، ص 252

[5] ماركوبولو: الرحلة، ج1، المصدر السابق ، ص124.

السلطان إلى تثبيته في ولايته طوال فترة حكمه[1]. كذلك أرسل حاكم لكهنوتي "تتار خان أرسلان خان" ستمائة وثلاثة فيلا إلى السلطان "غياث الدين بلبن" عند جلوسه على العرش[2]، وقد بلغ تعداد الفيلة في جيش السلطان "ألتمش" ثلاثمائة فيل، وذلك أثناء استعداده لمواجهة السلطان "جلال الدين منكبرتى"[3].

كذلك اهتم السلاطين بنوع آخر من حيوانات الركوب وهي الخيل، التي شكلت أهمية كبرى في حروبهم، وقد استوردوا العديد منها من جزيرة العرب[4].

ولقد كانت السمة البارزة في جيش الهند في العهد المملوكي أن يتبع نظاما معينا لا يحيد عنه، وهو اصطحاب العديد من الدواب والحيوانات في مؤخرة الجيش فكانت الحمير من أهم وسائل النقل في الجيش، وكثيرا ما افتخر السلاطين بجيادهم وفيلتهم.

وكما هو الحال بالنسبة للجيوش المحترفة التي تحتاج إلى سلسلة طويلة من المعدات والأسلحة العسكرية، فإن الجيش المملوكي استخدم العديد من الأسلحة الحربية وفي حال الحصار فإن من الضروري توفير معدات الحصار كالمجانيق والعرارات التي ترافق الجيش والروع، والجوزات بالإضافة إلى الأسلحة التقليدية المعروفة.

ومن الوسائل المتعارف عليها في الجيوش استخدام الطبول في الحرب، سواء في أثناء القتال، أم في أثناء استدعاء الجند وتنقلاتهم للمسير من مكان إلى آخر، أم في أثناء توزيع العطايا والأرزاق في العرض.

---

[1] نظام الدين الهروي: طبقات أكَبرى، ج1، المرجع السابق ،ص81.

[2] نفسه ، ج1 ، ص85.

[3] النسوي: سيرة السلطان جلال الدين،دار الفكر العربي ،القاهرة ، 1953، ص167.

[4] ماركوبولو: الرحلة، ج1، ص178.

كذلك جرت العادة منذ عهد الدولة السلجوقية أن يصحب الجيش بيمارستان متنقل يحمل الآلات الطبية والأدوية والأطباء، ومكان متنقل للمرضى، وقد بدأ ذلك على يد صاحب الاستيفاء السيد "عزيز الدين أبو نصر أحمد بن حامد المستوفي" في سلطنة "سنجر" السلجوقي[1].

ومن البديهي فإن الجيش المملوكي في الهند، بما وصل إليه من تنظيمات عسكرية، وبما أحرزه من انتصارات عظيمة فإنه أخذ من ضمن هذه الترتيبات والاستعدادات اصطحاب مستشفى متنقل لإسعاف المصابين والجرحى.

وقد جرت عادة سلاطين المماليك على معاملة أسراهم أسرى الحرب معاملة قاسية، والتفنن في تعذيبهم، فكانوا لا يتورعون على تعذيب أسراهم أمام أهاليهم وأقربائهم، وذلك لكي تسير الرهبة في نفوس الرعية والأعداء على حد السواء. فكانوا لا يتورعون عن إبادة القرى الكاملة بما فيها من رجال وذلك بهدف إنهاء الفتنة القائمة، فقد قام السلطان "شمس الدين ألتمش" بقتل ما يقارب من ثلاثمائة رجل من أهل قلعة كواليار سنة 629هـ/1230م[2]، مما ضمن له عدم ثورتهم من جديد طوال فترة حكمه.

كذلك عاقب السلطان "ناصر الدين محمود" برغم ما وصف عنه من حلم إلا أننا نراه يعاقب ثوار الهنود من قبائل المواتى بشدة، حيث أمر بإلقاء جميع الأسرى تحت أقدام الفيلة أمام أهالي عاصمته دلهي، وقد بلغ عددهم أكثر من مائتي وخمسين أسيرا[3].

أما أكثر سلاطين المماليك الذين بالغوا في عقاب الثوار في عهدهم فكان السلطان "غياث الدين بلبن"، الذي قام بقتل جميع سكان كانهر، ولم يبق منهم سوى النساء فقط، وجعل كل من بلغ من السن الثامنة من الذكور علقا للسيف وكان يضع جثث القتلى فوق بعضها، ويعرضها على المارة[4].

---

[1] عماد الدين الأصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1400هـ/1980م، ص129

[2] الجوزجاني: طبقات ناصري، ج1، ص449.

[3] محمد نجيب: المرجع السابق ، ص127.

[4] نظام الدين الهروي: طبقات أكَبرى،المرجع السابق ، ج1، ص87.

كذلك بالغ نفس السلطان في عقاب ثوار قبائل المواتى، حيث أحضر بعض الأسرى في ساحة القصر، وقام بنزع جلودهم، ثم ملأها بالعلف والتبن ووضعها أمام الأهالي[1].

ومايلفت النظر أن معاملة الأسرى الهنود بهذه القسوة لم تكن قاصرة على فئة معينة أو طائفة معينة من الأسرى، بل كانت تستعمل ضد كل من يخرج عن سلطة المماليك أو يتأمر ضدهم، حتى لو كان من رجال الدين أو القضاة، فقد قام السلطان "معز الدين بهرامشاه" بإلقاء القاضي شمس الدين قراقش تحت أقدام الفيلة أمام الأهالي بعدما نما إلى علمه تأمره ضده[2].

وقد سبب ذلك انتشار الفزع والخوف بين أهالي دلهي، مما كان له أثر في عزل السلطان فيما بعد، حيث اشترك الأهالي بجانب الثوار الأتراك وأسقطوا حكمه.

وقد كان الجيش بالنسبة لسلاطين المماليك هو القادر على تحقيق أحلامهم التوسعية، والقادر أيضا على التصدي لجميع الأخطار التي كانت تحيط بالدولة داخليا وخارجيا، لذا بالغوا في إعداده. ويمكننا أن نقف من خلال الإشارات التي أوردها المؤرخون وسجلوا المعارك الحربية على الخطط والأساليب الخاصة بالفنون القتالية التي اتبعها المماليك في معاركهم منذ ذلك نظام الاستنفار العام، فكانوا يستدعون جنودهم إلى الميدان، ولقد اختلفت القوة العددية للجنود المماليك في بعض المعارك عن الأخرى. فقد بلغ جيش السلطان "شمس الدين ألتمش" ما يقرب ثلاثين ألف فارس ومائة ألف رجل[3]. هذا بالإضافة إلى أعداد من فرق الجيوش الاحتياطية والتي كانت ترابط على أبواب دلهي.

---

[1] Munshi: The struggle for Empire, P150.

[2] نظام الدين الهروي: طبقات أكَبرى، المرجع السابق ، ج1، ص75-76.

[3] الجوزجاني: طبقات ناصري، ج1، ص445.

وقد بلغ عدد جيش الاحتياط في عهد السلطان "بلبن" سبعة آلاف فارس، وكان قائدهم "ملك باربك بيكترس"[1]. كذلك قاد السلطان "بلبن" فرقة من الاحتياطي تجاه مدينة بدوان لتسكين فتنة الثوار الهنود بلغ عدد قوادها خمسة آلاف فارس[2].

العلاقات الخارجية:

العلاقات الحربية: من أهم المواقف الإيجابية التي تسجل لصالح السلطان محمد تغلق هو محاولته تأخير هجمات المغول نحو الهند ذلك أن طرمشيرين بن داوود خان (724-734هـ/1324-1334م)[3]، اقتحم الهند عام 727هـ/1327م على رأس جيش كبير بنيّة فتحها فاستولى على الملتان عند الحدود الشمالية الغربية وأخذ طريقه باتجاه دلهي، وبدا محمد تغلق وكأنه غير مستعد لتلك المواجهة إذ كان ينوي القيام بمشاريع إصلاحيه وكان يقيم في عاصمته الجديدة ديوجير فتركها وسارع إلى استمالة طرمشيرين وأرسل له قدراً كبيراً من الهدايا والأموال وتملق له حتى ارتضى أخيرا بالعدول عن دخول مدينة دلهي فانسحب جنوباً عبر السند فوصل الكجرات وخرّبها ونهبها.[4]

وبعد ذلك أرسل السلطان محمد تغلق حملة باتجاه هضبة الهملايا العليا قاصدا من ورائها ضم الصين وذلك بين عامي 730-733هـ/1330-1333م وقد أشار عدد من المؤرخين إلى أن تلك الحملة استهدفت الصين طمعا بكنوزها في حين أن الغرض منها كان نشر الإسلام في مناطق واسعة من التبت[5] غير أن تلك الحملة لم تكن أحسن حالا من سابقتها فالجيش الذي جمع بُدّد ودهمتهُ الثلوج وقضي على أغلب أفراده.

[1] نظام الدين الهروي: طبقات أكَبرى، المرجع السابق ، ج1، ص93.

[2] نفسه ، ص87

[3] هو أحد قادة المغول المشهورين وذائعي الصيت، عرف بعدله وشجاعته خاصة بعد أن أقتنع بالإسلام ودخل فيه، وهو من قبيلة الأولوس الجغطائيين. ينظر: ابن بطوطة : المصدر السابق، ج3، ص27، الساداتي: المرجع السابق، ج1، ص174

[4] Moreland, W : op.cit, p.169

[5] الساداتي: المرجع السابق، ج1، ص177.

ومن الغريب عدم ذكر ابن بطوطة لمحاولة السلطان محمد تغلق ضم خراسان والتي قصد منها التوسع وإيجاد حدود دفاعيه للهند فيما وراء جبال سيلمان وارضاءاً لطموحاته الكبيرة واللامحدوده. وقد جمع جيشا قدّر بثلاثمائة وسبعين ألف جندي وبدأ بتجهيزهم بالعدة وأنفق عليهم من البيت المال لمدة عام وذلك بتشجيع من الخلافة العباسية في القاهرة ولكنه سرحهم عندما عدلت الخلافة عن ذلك بمحالفة السلطان أبي سعيد ميرزا صاحب أقليم ما وراء النهر وإطلاق يده في بلاد فارس. وعلى أية حال فإن

العلاقات السليمة: هكذا نجد أنّ بعض العلاقات الخارجية للهند في القرن الثامن للهجرة اتسمت بالإيجابية مع عدد من الدول والبلدان وبالتنازع والحروب مع بلدان أخرى ولعل أبرز العلاقات الجيدة التي امتلكتها الدولة الإسلامية في الهند في تلك المدة:

1/ العلاقة مع الخلافة العباسية:

انتقلت الخلافة العباسية شكلياً بعد سقوطا في بغداد عام 656هـ/1258م إلى القاهرة وأخذ الأمراء والسلاطين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي يسعون إلى ود الخلاقة من أجل الحصول على التفويض الشرعي لحكمهم على الدول والأقاليم.

وكان هذا التقليد يسمى بـ (الخلعة، أو العهد أو البيعة أو التفويض) وكان من شروط التقليد أن يتّسم حكم السلطان في دار الإسلام على منطقته أو إقليمه بموافقة الخليفة وبيعة الناس ويدين بالولاء للخلافة عن طريق ذكر اسم الخليفة في خطبة الجمعة والمناسبات الرسمية وبالمقابل ينال هذ الحاكم مباركة ودعم الخلافة في أي تحرك خارجي أو أمني ينوي لقيام به فضلا عن نيله ثقة الناس. وأحيانا كان السلطان يجلس على العرش افتراضيا إلى حين وصول التفويض إليه.[1]

وبما أن الهند كانت تقع ضمن دار الإسلام في العصور الوسطى[2] فقد أقام السلطان محمد تغلق علاقات سياسة مع العالم الإسلامي بعامةً ومع الخلافة العباسية في مصر أيام حكم

[1] Mujeeb, M: Ibid, p28.

[2] Dunn, R: op.cit, p3.

المماليك بخاصة، إذ كانت تحت حكم السلطان محمد بن قلاوون 701-741هـ/1301-1341)[1] بعد أ شرع في استقصاء أخبار بني العباس من الرحالة ابن بطوطة وغيره[2]. كما كان قد استضاف أحد أحفاد الخليفة العباسي غياث الدين محمد بن عبد القاهر بن يوسف بن عبد الغزيز بن الخليفة المستنصر بالله العباسي في عام 740هـ/1341م واقطعه خراج قرية سيرى وأظهر له كامل الاحترام والتقدير، وقد تحدث ابن بطوطة عن لقائه معه وذكر جانبا من سيرته[3] وإنْ كانت تلك الزيارة لم تكن ذات مغزى سياسي إلا أنها حملت علاقات ودّية وأخوية مما قرّب العلاقة بين الهند والخلافة العباسية.

ففي عام 744هـ/1344م أرسل السلطان محمد تغلق بعثة برئاسة أحد وزرائه وهو رجب البرقعي إلى الخليفة العباسي أبي العباس الحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفي (741-753هـ/1340-1352م) طالبا الحصول على الخلعة السلطانية، فوصلت البعثة إلى مصر متضمنة هدايا نفيسة وثمينة إلى السلطان الناصر والخليفة الحاكم بأمر الله وقد وصف ذلك المؤرخ الشوكاني (ت1250هـ/1834م)[4].

وقد أدرك الخليفة مدى أهمية ارتباط محمد تغلق بالخلافة ولاسيما أنه قد سمع بنيته في إظهار الدعوة العباسية في الهند[5] فأرسل إليه خلعةً وتفويضاً وهديةً لم تذكر المصادر نوعيتها بيد سفير الخلافة حاجي سعيد صرصري وقد بالغ محمد تغلق في إظهار احترامه وفرحه العميقين حينما وصله ذلك التفويض فخرج مع عدد من وزرائه وأتباعه واستقبل البعثة بمزيد من الحفاوة، وكان ذلك موثق مؤثرا حرّك مشاعر المسلمين الهنود تجاه الإسلام والخلافة العباسية[6].

---

[1] هو السلطان الثالث من سلاطين المماليك البحرية التي حكمت مصر (648-784هـ/1248-1387م) وكان سلطانا جليلا كفوءا ذا دهاء، ومحبا للعدل والعماره، حكم على ثلاث فترات متقطعة. أنظر: المقريزي: الخطط، ج2، ص175.

[2] محمد جمال دين سرور: دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر، القاهرة-1947، ص97.

[3] ابن بطوطة: المصدر السابق، ج3، ص189.

[4] محمد بن علي الشوكاني: البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة ، بيروت، ج2، ص181.

[5] ابن بطوطة: المصدر السابق، ج3، ص172.

[6] J.L.Nehru : Discovery of India (London–1956), P346.

ومن الجدير بالذكر أن السلطان محمد تغلق كان أول السلاطين (من التغلقيين) الذين بادروا في خطب ود الخلافة العباسية والحصول على تفويضها حيث جاء بعده ابن عمه السلطان فيروز تغلق شاه (752-790هـ/1351-1388م) الذي نال إعجاب الخلافة بفتوحاته في أقاليم ما وراء النهر فأكتسب الصفة الشرعية لحكمه من الخليفة المعتضد بالله (753-763هـ/1352-1362م) الذي أجابه على طلبه وأرسل إليه خلعة مماثلة للتي أُرسلت إلى محمد تغلق[1]. ولكنهما لم يكونا أوّل من جددّا أواصر العلاقة من الخلافة العباسية حيث سبقهما السلطان شمس الدين التمش من المماليك عام 616هـ/1219م[2].

ولم يفت ابن بطوطة ذكر السكّة (نقش اسم الخليفة) على نقود البلاد والتي كانت إحدى أهم مظاهر التبعية فضلا عن ذكر اسمه بخطبة الجمعة والمناسبات كشيء من تأكيد الولاء والطاعة. فعندما وصلت الخلعة إلى محمد تغلق أمر فورا بنقش اسم الخليفة العباسي على السكة الرسمية للبلاد مصحوبا بدعاء "اطال الله بقاء الخليفة"[3] و"خادم الله والمتمني رحمته، معين أهل السنة من قبل آخر الأنبياء" وكانت سابقا تسك باسم السلطان غياث الدين تغلق، ثم باسم محمد تغلق نفسه ثم أزال اسمه ووضع اسم الخليفة بدلا منه[4]، ومن الجدير بالذكر أن السلطان قطب الدين ايبك أول سلاطين أسرة المماليك في الهند كان أأول من نقش اسم الخليفة على سكة بلاده وكان عليها: "الإمام الأعظم نائب الله وخليفته في أرضه"[5].

ولابد من القول هنا أن السكّة كانت معروفة باستقلاليتها عن المركز في عدد من الأقاليم ولاسيما في المعبر مثلا حيث كانت تسك باسم السلطان جلال الدين أحسن شاه بنقش "بتأييد الرحمن أحسن شاه السلطان"[6].

---

[1] Moreland, W: op.cit, p310.

[2] ابن بطوطة: المصدر السابق، ج3، ص121.

[3] Holt, P.M & Others: op.cit, Vol2, P240.

[4] ابن بطوطة: المصدر السابق، ج3، ص200.

[5] Mujeeb, M : op.cit, p33.

[6] ابن بطوطة: المصدر السابق، ج3، ص205.

2/ العلاقة مع البلدان المجاورة و بلدان المشرق الإسلامي:

العلاقات مع الصين:

ارتكزت العلاقات مع الصين بالجانب التجاري منذ وقت مبكر حيث تعتبر الهند أحد طرق التجارة بين الصين وباقي أجزاء العالم[1]، وقد زادت اكثر تلك العلاقات وهذا بإهتمام الحكومة الصينية أكثر وتركيزها على تنشيط العلاقات بالهند ووصلت بعثاتهم البحرية حتى مصب نهر السند، وكان هدفهم الاساسي حمل المنتوجات الهندية من الأقمشة والمنسوجات القطنية المزركشة[2]، كما استوردت الصين من الهند السكر الذي كثر انتاجه اقليم البنغال[3]، أما الهند فقد اعتمدت على الصين في استراد الحرير الذي فاق مثيله الكشميري في الجودة ودقة الصنع[4].

وخلال القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد اتسمت بالتذبذب والعداء تارة ثم بالودّ والتصالح تارة أخرى، ففي عهد حكم أسرة يوان شي (675-766هـ/1277-1367م) مرّ بنا ما قام به محمد تغلق من ارسال بعثة عسكرية لفتح الصين الأمر الذي يشير إلى طموح سلطان الهند في توسيع نطاق حكمه لضم مملكة الصين الكبيرة، ولابد من القول أنّ تلك الحملة أيضا أدت إلى جعل آخر الأباطرة الصينيين من سلالة المغول والذي لم يذكر اسمه ابن بطوطة ولكن المصادر المعاصرة الأخرى اسمته بالإمبراطور هيون تي (734-769هـ/1333-1368م) يخطب ودّ سلطان الهند ويجري عدة مراسلات معه ومنها تلك التي جرت في عام (742هـ/1342م) عندما أرسل الإمبراطور المذكور سفارةً مكونةً من خمسة عشر رجلا محملين بالهدايا والبضائع الصينية وكان طلبهم هو خطب ود السلطان والاستئذان منه بالسماح ببناء معبد للبوذيين الصينيين في أرض تابعة للمسلمين في منطقة سمهل عند جبل قراجيل الحدودي التي يسيطر عليها الجيش الهندي، لكي يحج إليه أهل الصين[5] فجاء رد السلطان محمد تغلق أن: "لا يباح بناء كنيسة [معبد]

---

[1] بدر الدين حي الصيني : العلاقات بين العرب والصين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1950، ص 127

[2] هايد : تاريخ التجارة في الشرق الادنى ، تر أحمد رضا ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 1991، ص 45

[3] بدر الدين حي الصيني: المرجع السابق ، ص 205

[4] فرنان بروديل : الحضارة المادية ، تر مصطفى ماهر ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2013، ص 295

[5] بدر الدين حي الصيني: المرجع السابق ، ص206-207.

Yule. H : op.cit, Vol4, P142.

بأرض مسلمين إلا لمن يعطي الجزية فإن رضيت بإعطائها أبحنا لك بناءه والسلام على من اتبع الهدى"[1].

تعد رحلة ابن بطوطة مصدرا مهما لإيراد معلومات مباشرة عن تلك السفارة حيث كان ابن بطوطة نفسه مكلفا رسميا من سلطان الهند للرد على تلك السفارة' كما يعدها البعض إسهاماً جديداً في كتابة التاريخ الدولي للإسلام وعلاقته بالديانات والعقائد المجاورة إذ نرى المكاتبات والمراسلات بين سلاطين الإسلام وعدد من ملوك (البوذية) حول موضوع يتعلّق بحرية ممارسة الشعائر الدينية[2]. صحيح أن ابن بطوطة لم يكن رجل سياسة محنكا، ولكن الصحيح أيضا أنه لم يكن بعيدا عن الإطار السياسي الرسمي للدولة فقد تولّى القضاء لثمان سنوات وكان قريبا من النظم الرسمية المعمول بها في الهند لما كان يجتمع في القضاء من نواح فقهية وسياسية أيضاً[3].

ولم يكن أمام بن بطوطة سوى الموافقة على هذا التكريم من السلطان بسبب خوفه من السلطان أولا والناتج عن امتعاضه مما قام بهن في الفترة الأخيرة من التطاول على عدد من الشيوخ، وبإمكاننا إضافة سبب آخر حول موافقة ابن بطوطة على ترأس السفارة وهو رغبته في الخروج من نطاق الهند وزيارة مناطق أخرى وحبّهُ للأسفار والتنقل من أجل مواصلة خط سيره، كل ذلك جعل محمد تغلق يختار أنسب رجل لتلك المهمة، فضلا عن رغبة السلطان في تطيّب خاطر ابن بطوطة والإفادة فعلاً من قدراته الدينية وحبه للسفر وإصراره على ترك الهند بدليل أنه أي ابن بطوطة طلب بادئ الأمر أن يرحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، ولكنه وافق على طلب السلطان مما يعزز فكرة الذهاب إلى الصين سفيراً وداعياً، على عكس ما أشيع لدى عدد من الباحثين من أنّ إبعاد ابن بطوطة عن منصبه بمعنى معاقبته بأرحم وأبسط ما يمكن بعدما تردد عنه أنه كان يتقرب من عدد من الشيوخ المعارضين لسياسة السلطان محمد تغلق[4]، ظهر ذلك من خلال استقراء عدد من النصوص مدى تأثر ابن بطوطة بهذا الأمر مما أدى إلى موافقته بسرعة

---

[1] ابن بطوطة: المصدر السابق، ج4، ص7.

[2] Yule, H : op.cit, p20

[3] يوسف زيدان: الرحلة السفارية ، ابن بطوطة وخير الدين التونسي أنموذجا، موقع يوسف زيدان للتراث والمخطوطات ، 22ماي 2017 ، الساعة 23:15

http://www.ziedan.com/research/18.asp.

[4] ابن بطوطة: المصدر السابق، ج3، ص 249.

على السفارة، لا بل ذهب أحد المؤرخين الهنود إلى القول أن ابن بطوطة فرح كثيرًا بهذه السفارة أملا في رؤية غرائب وعجائب أخرى وزيارة بقية الأقاليم الهندية[1].

ثم عيّن السلطان محمد تغلق للذهاب بمعّية ابن بطوطة إلى الصين كل من الأمير ظهير الدين الزنجاني من أهل زنجان وكان كبير المنزلة عند السلطان بوصفه من الغرباء الأعزة ومن الطريف أنه كان من أوائل الذين استقبلوا ابن بطوطة عن قدومه إلى الهند، وكذلك الملك كافور ورئيس الشرطة محمد الهروي الكتوال وقرابة مائة خادم فضلا عن سفراء البعثة الصينية وعددهم على حسب ابن بطوطة خمسة عشر شخصا[2] برئاسة سفير بلاط يوان المسمى (تورسي) فضلا عن ألف فارس لحماية البعثة والهدايا الثمينة المرسلة من سلطان الهند إلى إمبراطور الصين المكوّنة من السيوف والأقمشة والعبيد[3].

انطلقت البعثة في يوم السابع عشر من صفر عام 742هـ الموافق للثاني والعشرين من مايس 1341م بطريقة الدو آب (النهرين جمنا والكنج) شرقا باتجاه البحر، مروا بمدينة قنوج ومدينة عليكره التي تبعد ثمانين ميلا عن دلهي، وأثناء سير الوفد في أحد الطرق الصحراوية تعرضوا لعملية قرصنة وهجوم من قبل مجموعة من المتمردين من (غير المسلمين) قدرهم ابن بطوطة بأربعة آلاف شخص ودارت بينهما رحى معركة عنيفة أدت الى مقتل كثير في صفوف الغازين واستشهاد ثمانية وسبعين شخصا من جماعة ابن بطوطة بضمنهم الملك كافور ولما وصل الخبر إلى السلطان أرسل بدلا عنه سنبل الجامدار وأمرهم بمواصلة السير[4].

وإذا كانت الرحلة هي المصدر الأقدم لتاريخ تلك السفارة فإنها لم تذكر نصا عن رد فعل إمبراطور الصين عليها إن كان إيجابيا أم عكس ذلك ويبدو أن إمبراطور الصين كان قد رضخ

---

[1] Sastri, N: op. cit, p44.

[2]Dunn,R : op.cit, p260.

[3]ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج4، ص7.

[4] خلال تلك المواجهة اختطف ابن بطوطة لعدة أيام من قبل قطاع الطرق بضمنهم مسلمان ساعده أحدهما على الفرار ومواصلة أفراد البعثة: انظر ابن بطوطة: المصدر السابق، ج4، ص12.

لجواب السلطان محمد تغلق وذلك لعدم رجوع ابن بطوطة إلى الهند مما يعني أنه لم يكن مكلفاً برد خبر مهم إلى سلطانها[1].

كما تمتعت الهند بالعلاقات حسن الجوار مع عدد من المناطق المجاورة لها من جهة الشمال والغرب ولاسيما أقاليم ما وراء النهر التي كانت تحت حكم طرمشيرين خان المغولي الذي اعتنق الإسلام ويبدو أنه عقد معاهدة سلام مع محمد تغلق حول تأخير اجتياح المغول للهند[2].

أما العراق فقد كانت العلاقة جيدة ومستقرة بدليل وجود عدد كبير من التجار والعلماء في دلهي فضلا عن زيارات قام بها عدد من الأمراء إلى السلطان، كما كانت علاقة الهند ببلاد الشام ليست أقل منها أهمية بدليل وفود الأمير غدا سيف الدين بن مهنّى أمير عرب الشام (عام 733هـ/1333م) إلى حضرة محمد تغلق الذي أكرمه وأنزله في قصر كبير يسمى القصر الأحمر دلالة إلى محبة السلطان الهند للعرب المسلمين من أجل مد جسور التواصل معهم بوصف أنهم أهل الرسالة والقرآن، ولم يكتف بذلك بل قام بمصاهرة الأمير غدا وزوّجه بأخته فأصبح الأمير غدا منتميا رسميا للعائلة الحاكمة. ولكن ذلك لم يدم طويلا بسبب تعنت الأمير وإظهاره نوع من الكبرياء والتطاول على حرّاس السلطان مما أدى إلى غضب السلطان عليه ومن ثمّ سجنه[3].

علاقات الهند مع المغول:

بعد قضاء المغول على الدولة الخوارزمية وكذا سقوط بغداد في يدهم أصبحت بلاد الهند الهدف القادم، فبدأ سلاطين دهلي يعدون العدة لصد أي اعتداء على بلاده، فحصنوها حتى لا تتعرض مثلما تعرضت له بغداد من ويلات وشرور، فاعادوا بناء القلاع، واقاموا تحصينات جديدة، كما زودوا الجيش بالاسلحة والمعدات وأسندوا القيادة لرجال أكفاء[4].

---

[1] لابد من القول هنا أن تلك السفارة فشلت في الوصول إلى الصين بسبب غرق السفن في المحيط الهندي ومقتل أغلب المرافقين وضياع الهدايا، ولذلك خاف ابن بطوطة من العودة إلى دلهي. ينظر: ابن بطوطة: المصدر السابق، ج4، ص48، 196.

[2] نفسه ، ج3، ص33.

[3] ابن بطوطة: المصدر السابق، ج3، ص180-181.

[4] الفقي : بلاد الهند ن المرجع السابق ، ص 140

علاقاتهم في عهد الدولة المملوكية: (602هـ/1205-689هـ/1290):

لقد أسس قطب الدين ايبك[1] سنة 602هـ/1205 أول دول إسلامية بشمال الهند على أثر وفاة شهاب الدين الغوري سلطان الدولة الغورية[2]، عرفت في التاريخ باسم الدولة المملوكية. وقد أشار صاحب طبقات ناصري[3] إلى أن سبب تسميتها بهذا الاسم راجع لكون سلاطينها كانوا مماليك السلطان شهاب الدين الغوري.

وأصبحت دهلي[4] حاضرة المماليك في الهند، وقد زارها الرحالة الطنجي ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ووصفها بقوله: "وهي المدينة العظيمة الشأن، الضخمة، الجامعة بين الحسن والحصانة، وعليها السور الذي لا يعلم له في بلاد الدنيا نظير، وهي أعظم مدن الهند بل مدن الإسلام كلها بالشرق"[5].

---

[1] قطب الدين أيبك: أول سلاطين الدولة المملوكية في الهند، وقد جلب من تركستان في صغر سنه، فاشتراه قاضي نيسابور في ذلك الوقت فخر الدين عبد العزيز ورباه، وبعد وفاته اشتراه أحد التجار وباعه للسلطان شهاب الدين الغوري الذي رأى شجاعته وإقدامه فجعله أكيراً لجيشه، فأسهم إسهاماً كبيراً في فتوحات الغوريين في الهند حتى ناب لشهاب الدين على ممتلكاته فيها. وقد ملك دهلي بعد وفاة سيده سنة 602هـ/1205م فأعتقه السلطان غياث الدين محمود آخر سلاطين الدولة الغورية فأسس دولة المماليك بالهند وكان عادلاً شجاعاً كريماً ومات سنة 607هـ/1210م وذلك على أثر سقوطه على ظهرجواده أثناء لعبه كرة البولو-جوكانه- ودفن بلاهور. أما لفظ أيبك: فهو يتركب من كلمتين تركيتين هما آي ومعناه القمر، وبك ومعناه الأمير. فمعنى الاسم "الأمير القمر". أنظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج11، ص174، ج12، 105-106. أبو الفدا: المختصر، ج3، ص27. ابن خلدون: العبر، ج4، ص527-528. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج7، ص19.

[2] ابن الأثير: المصدر نفسه، ج12، ص212. الجويني: تاريخ جها نكشاي، ج2، ص59. أبو الفدا: المصدر نفسه، ج3، ص106-107. الذهبي: دول الإسلام، ج2، ص81. ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص47. المقريزي: السلوك، ج1، ، ص106-107.

[3] الجوزجاني: المصدر السابق ، ج1، ص403.

[4] دهلي: وتسمى أيضاً دلهي ودلي. وهي مدينة كبيرة ببلاد الهند. وتقع في قلب سهول نهر الكنج في مكان أهلته الطبيعة ليكون عاصمة للهند الشمالية (هندوستان)، وقد بنيت في عهد أحد الملوك الهنود واسمه (وادتيه) الراجبوتي سنة 307هـ/918م، وسميت بدهلي لأن أراضيها كانت لينة غير متماسكة، "ودهول" في اللغة الهندية معناها: التراب غير المتماسك، وقد اتخذها قطب الدين وخلفاؤه من بعده عاصمة لدولتهمالمملوكية. واليوم هي إحدى مدن ولاية (شاجهان آباد) واقعة على الضفة اليمنى لنهر الجومنا (جمنا) الذي يشكل الحد الشمالي الشرقي للمدينة. ويلاحظ أن مكان المدينة قد تغير على مر الزمن فقد كانت أولاً حول المكان الذي يشغله (منار قطب) الآن قريباً من المطار ثم أخذت تزحف نحو الشمال حتى صارت على شاطئ نهر جمنا، في مكانها الأصلي. أنظر: ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج2، ص358.

[5] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج2، ص16.

وقد سار قطب الدين على نهج سيده في الفتوحات في بلاد الهند الشاسعة، وحرص على إقامة العدل والرفاهية بين الناس كافة، فأحبه أهالي الهند، فهيأ النفوس للدخول في الإسلام طواعية[1]. ويقول عنه المؤرخ ايشواري براشاد "أنه كان ملكاً قوياً، وأن عدله كان لكل واحد، وأنه كان يعامل الهندوسي[2] معاملة طيبة[3].

كما يقول عنه المؤرخ حسن النظامي: "كان لا يوجد مثله من الشرق إلى الغرب[4].

ونستدل من هذا الأقوال على أن قطب الدين أيبك كان من أفضل السلاطين المسلمين الذي عرفتهم بلاد الهند بعد محمود الغزنوي وشهاب الدين الغوري فضلاً، عن أنه أعاد للإسلام في هذه البلاد رونقه وصفاءه وهيبته وعظمته.

وقد نجح خلفه شمس الدين ألتمش[5] في تدعيم هذا الكيان السياسي بالحصول على موافقة

---

[1] عبد الحي الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، المرجع السابق ، ص177.

[2] نسبة إلى الديانة الهندوسية (بالهندية ديفا نيجاري) وتسمى أيضاً البرهمية (الذات السامية). وهي ديانة وثنية تعتبر من أقدم الديانات المعاصرة وبأتباع يربون على المليار نسمة ، منهم 890 مليون نسمة يعيشون في الهند. وهي مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر. وتضمنت حكماً كثيرة في كتابهم المقدس (الفيدا) وليس في الهندوسية دعوة إلى التوحيد بل إنهم يقولون بأن لكل طبيعة نافعة أو ضارة إلهاً يعبد، ثم قالوا بوجود آلهة ثلاثة من عبد أحدها فقد عبدها جميعاً وهي البراهما أي: الموجد الخالق، وفشنوا أي: الواقي المحافظ، وسيفا أي: المهلك الهادم.

وكلمة (هندو) بكسر الهاء، وهي كلمة فارسية الأصل، استخدمها الفرس ليشيروا للقوم الذين يسكنون ما وراء نهر السند، ثم أطلق المصطلح على تلك المفاهيم الدينية الهلامية للهندوس. أنظر: البيروني : تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1403هـ/1983م، ص23-24. الشهرستاني: الملل والنحل، ج3، ص150.

[3] Parassad: medival India, p5.

[4] محمد النجرامي: العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية، ص123.

[5] شمس الدين آلتمش: المؤسس الحقيقي لدولة المماليك في الهند، كان مملوكاً لقطب الدين، جلب في صغر سنه من بخارى، وظل ينتقل من سيد إلى سيد حتى اشتراه قطب الدين ورباه في مهد السلطنة وأخذ يتدرج في المناصب حتى صار أميراً على الجند وزوجه السلطان بابنته، ثم خلف سيده في الملك سنة 607هـ/1210م وقضى حياته في حروب شتى أمتدت على مدى ربع قرن من الزمان، وكان من أثرها أن أنهكت صحته، فقضى بدهلى ودفن في مسجد قوة الإسلام الذي أتمه بعد وفاة قطب الدين وذلك في شعبان سنة 233هـ/1235م، وهو ذو منارة ارتفاعها 250 قدماً ولا تزال قائمة إلى اليوم وتعرف باسم "قطب منار" وكان يرحمه الله شديد التقوى، عادلاً باراً برعاياه. أنظر: ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج12، ص311-312. أبو الفداء: المختصر، ج3، ص122-123. أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ج2، ص598.

الخليفة العباسي المستنصر بالله[1] على قيام دولتهم واعترافه بآلتمش حاكماً شرعياً لها، وبعث له بالتقليد والخلع في أوائل سنة 626هـ/1229م[2]، فأصبح آلتمش بذلك أول ملك في الهند تسلم هذا التقليد. ومنذ ذلك التاريخ ضرب السلطان آلتمش نقوداً فضية نقش عليها اسم الخليفة العباسي بجوار اسمه، ويعتبر هذا العمل شيئاً جديداً على نظام العملة الهندية، إذ كانت تضرب بحروف هندية وتنقش عليها أشكال مألوفة لدى الهنود كالثور والسيف مثلاً، فآلتمش يعتبر أول من ضرب نقودا فضية عربية خالصة في الهند، ثم أخذ آلتمش يعمل بثبات وعزيمة على تثبيت الدولة وتوسعها حتى عظم شأنها[3].

ولم يكن ما سعى إليه آلتمش من خطب ود الخلفة إلا من باب التشريف الديني للمزيد من النفوذ بين بني قومه، فقد كان مستقلاً بدولته تمام الاستقلال عن الخلافة العباسية ببغداد، كما يدل ضربه للنقود باللغة العربية على إعجابه بالعرب وثقافتهم العربية.

وكان آلتمش من عظماء السلاطين المدبرين، وطد أركان السلطنة، وأسس مجلس من كبار أمراء المماليك عرف باسم "الأربعين" وكان الغرض منه هو تدعيم سلطان المماليك في الهند، وأكمل فتح الهند الشمالية. وأعلى من هذا كله أنه حفظ الهند من جائحة المغول[4].

وقد بدأ الخطر الداهم الذي أقبل على الهند في ركاب المغول حين ظهروا عند حدودها سنة 618هـ/1221، وتقدموا نحو بلاد البنجاب القريبة ولكنهم رجعوا خائبين بعد أن تمكن السلطان الشجاع آلتمش من صد غارتهم على بلاده وألحق بهم هزيمة منكرة[5].

---

[1] المستنصر بالله: هو أبو جعفر منصور بن محمد الظاهر بالله العباسي، ولد في صفر سنة 588هـ/1192م واستخلف بعد وفاة أبيه، جهز الجيوش ودفع المغول عن أملاك الخلافة العباسية، وقد توفي في جماد الآخرة سنة 640هـ/1242م وعمره 52 سنة ومدة خلافته 17 سنة. أنظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج23، ص155-168. الكتبي: فوات الوفيات، ج4، ص173. ابن الجزري: غاية النهاية، ص134. ابن الطولوني: النزهة السنية، ص119.

[2] أبو الفدا: المختصر، ج3، ص122-123.

[3] Lane-pool-op-cit, p53.

[4] رينيه غروسيه: وجه آسيا، تر مارون ابو سمرا ، دار التراث الادبي ، 2017، ص75.

[5] النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص84-85. ابن خلدون: العبر، ج5، ص141-142. ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص98.

وقد إمتثل جلال الدين فعلاً لنصيحة آلتمش وعاد عن المدينة، ولم يشأ جنكيز خان هو الآخر أن يترك ها السلطان الكسير وجنده العزل يهنأون بمقامهم في بلاد الهند، بل أرسل قائدين من قواده هما (بيلا وتورتاي) لاقتفاء أثره ومطاردته حتى الموت، غير أنهما باءا بالفشل ولم يستطيعا اللحاق به وخشيا التوغل في الأراضي الهندية المترامية الأطراف، ولاسيما أن فرقتهما لم تكن بالكثرة التي تسمح بالتوغل في هذه البلاد المجهولة، ولذلك اكتفيا بتخريب ضواحي ملتان ولاهور، ثم عادا فعبرا نهر السند وانضما إلى الجيش الرئيسي بقيادة خانهما الاعظم جنكيز خان[1].

وهكذا نجح آلتمش في حفظ بلاده وممتلكاته من ويلات الغزو المغولي وكان لأسلوبه في إقناع جلال الدين ما يدل على تمتعه بحسن التصرف وبعد النظر، حيث جنب بلاده خطر المغول وغاراتهم المدمرة، للعباد والبلاد خاصة وقد أدرك خطر تواجد جلال الدين في أراضيه لاسيما وأن تنقلات المغول في البلاد الإسلامية كانت مقترنة تماماً بتنقلات جلال الدين محاولين القبض عليه، حتى إذا ما تم لهم ذلك أطمأنوا إلى اخضاع دولته بكل سهولة ويسر[2]. لذلك كان من حسن تدبير آلتمش أنه رد غارة المغول على البنجاب ولكنه لم يتهور في القيام باستضافة جلال الدين ومحاولة إعادته إلى ملكه وشن الغارة على معسكر المغول مما لم تكن تؤمن عاقبته. ومن قدر الله ورحمته أن المغول لم يكن في خطتهم الاستيلاء على بلاد الهند، ولم تتجه أنظارهم إليها في وقت ما، لذلك أخذ الخطر المغولي يتضاءل بسرعة كما ظهر بسرعة[3]. ومما لا شك فيه أنه لولا فرار جلال الدين إلى الهند لما فكر جنكيز خان في إرسال هذا الجيش المغولي الصغير عبر نهر

---

[1] ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص206. الذهبي: دول الإسلام، ج2، ص92. ابن كثير: البداية والنهاية، م7، ج13، ص98.

[2] ويشير المؤرخون في هذا الصدد إلى أن طائفة الإسماعيلية النزارية قد خدمت تلك السياسة المغولية وسهلت لها نجاحها عن طريق متابعة تحركات جلال الدين عن قرب خاصة وأن بلاده تجاور قلاعهم، ومن ثم رصد أخباره وتحديد مكان تواجده، ثم الإرسال بذلك كله إلى المغول لتسهيل مهمتهم في مطاردته ولتكون فرصة القبض عليه أكبر، حتى اعتبرهم ابن الأثير السبب في ضياع جلال الدين. حيث قال: "فلما وصلت كتب مقدم الإسماعيلية إلى التتر يستدعيهم لقصد جلال الدين بادرت طائفة منهم ودخلوا البلاد. وجلال الدين لا يقدم أو يلقاهم ولا أن يمنعهم، قد ملئ رعباً وخوفاً".
أنظر: الكامل، ج12، ص496. النسوي: سيرة جلال الدين منكبرتي، ص213، 265-344، 266. ابن خلدون: العبر، ج5، ص157، 162-163.

[3] Lane-pool: op.cit, p71.

السند، فضلاً عن أن خطته الرئيسية ككانت تنحصر في مطاردة السلطان جلال الدين الخوارزمي[1].

وقد توقفت جهود شمس الدين آلتمش تلك عند سنة 633هـ/1235م التي فارق فيها الحياة[2] حيث ضعفت الدولة المملوكية التي انغمست آنذاك بالمنازعات الداخلية وانشغل سلاطينها عن مواجهة أعدائهم في الخارج، فتهيأت الفرصة للمغول والذين سمعوا عن ثروات الهند، فتطلعوا إلى بسط نفوذهم عليها لما لها من موارد اقتصادية هائلة. وقد واتتهم الفرصة بعد وفاة آلتمش والاضطرابات والقلاقل التي أعقبت وفاته. وهددوا المماليك مرة أخرى، فتقدمت جيوشهم وتوغلت حتى إقليم البنجاب سنة 639هـ/1241 وتعرضت لاهور للاعتداء المغولي، حيث قتلوا الكثير من الأهالي، ونهبوا أموالهم، ثم انسحبوا بعد تخريبهم المدينة، دون أن يصادفوا مقاوم تذكر، وذلك بسبب نفور القادة المسلمين بالهند من سلطانهم، معز الدين بهرم آشاه[3]، واستبداده وطغيانه حتى اجتمعوا عليه آخر الأمر فقتلوه سنة 639هـ/1241م[4].وولي الأمر من بعده علاء الدين مسعود شاه[5]، وفي عهده دخل المغول بلاد الهند من جديد سنة 643هـ/1245م بقيادة منكو-هو الخاقان منكو بعد ذلك- وتوغلوا في بلاد السند وضيقوا الحصار على حصن أوكا، حتى تصدى لهم قائده غياث الدين بلبن[6] فردهم عن العاصمة دهلي بعد أن إشتبك معهم في قتال مرير، وأوقع بهم

---

[1]حافظ أحمد حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول ، دار الفكر العربي ، مصر ، 1949، ص191-192.

[2] أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ج2، ص598.

[3] هو أحد أبناء السلطان آلتمش الثلاثة الذكور، وترتيبه الثاني بينهم، تولى السلطنة في الهند بعد مقتل أخته السلطانة الشهيرة رضية سنة 238هـ/1240م، وكانت أول سيدة تعتلي عرش دهلي، وأول امرأة تسلمت الحكم في الإسلام. أنظر: المقريزي: السلوك، ج1، ق1، ص368.

[4]عبد الحي الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص182.

[5] علاء الدين مسعود شاه: ابن الأمير ركن الدين فيروز شاه، حفيد السلطان شمس الدين آلتمش. تم عزله وقتله سنة 644هـ/1246م بسبب تعديه على الرعية وقتله الكثير منهم دون وجه حق. أنظر: عبد الحي الهندي: نزهة الخواطر، ج1، ص159.

[6] غياث الدين بلبن: يعتبر من أعظم حكام الهند في تاريخها الوسيط، فقد تغلب على الصعوبات الكبيرة التي واجهته، إذ وقف في وجه أمراء الهند الذين حاولوا النيل من سلطانه، وقهر العصاة والمفسدين، وتمكن من درء خطر المغول عن البلاد. وينتسب إلى قبيلة الباري التركية التي كان من أبنائها شمس الدين آلتمش نفسه، وكان أبوه من زعمائها وشيوخها المقدمين. وقد أخذه المغول من تركستان وباعوه، وانتقا من إلى يد حتى وصل إلى يد الشيخ جمال الدين البصري في بغداد، فجاء به إلى الهند فاشتراه منه السلطان آلتمش. ثم ظهر له أقرباء في حاشية السلطان، وغدا من خاصة المماليك الأربعين، وظل يترقى حتى بلغ مرتبة أمير

هزيمة منكرة، وأنزل بهم خسائر فادحة واسترد ما كان بأيديهم من أسرى كثيرين مسلمين وهندوس، وأمنت بلاد الهند الغريبة من خطر المغول، وعادت سيطرة دهلي على هذه المنطقة[1]. على أن ذلك لم يثن المغول عن معاودة هجماتهم على بلاد المماليك، ففي سنة 655هـ/1257م أقبلوا على السند يقودهم (نوبين ساتي) ولكنهم سرعان ما تقهقروا بعد أن علموا باستعداد الوزير القائد– وكان قد تولى الوصاية على السلطان القاصر ناصر الدين محمود شاه[2]– لقتالهم فعادوا من حيث أتوا ثم جربوا حظهم بعد ذلك ببضع سنين بقيادة هولاكو خان ولكن الوزير بدوره هزمهم شر هزيمة[3].

على أن العلاقات السياسية عادت وتحسنت بين الدولتين الأيلخانية والمملوكية في الهند، وأرسل هولاكو خان سفارة كبيرة إلى دهلي محملة بالهدايا الكثيرة، واتفق الطرفان على احترام السيادة الإقليمية لكل منهما وانسحب المغول من الأراضي الهندية التي كانوا قد احتلوها[4].

ومن المحتمل أن انشغال هولاكو بحروبه مع بركة خان– زعيم مغول القفجاق– قد دفعه إلى وقف التعديات على ممتلكات الدولة المملوكية في بلاد الهند، ولربما أراد بهذه التسوية أن يتصدى

الصيد عند السلطانة رضية (634هـ/1236م–638هـ/1240م). كما أقطعه السلطان معز الدين بهرام شاه حين خلف أخته رضية ولايتي "وارني وهنسي" تقديراً لإخلاصه وعونه . وتقلد الوزارة في عهد السلطان ناصر الدين محمود وتزوج من ابنته، ثم ارتقى العرش بعد وفاته سنه 664هـ/1266م وظل يحكم حتى أواخر سنة 686هـ/1287م حيث توفي بعد حياة حافلة بالأعمال والحروب وكان شجاعاً عادلاً، محباً للعلماء والأدباء، شديد التمسك بآداب الإسلام وفضائله. أنظر: ابن بطوطة: الرحلة، ج2، ص23، 34–35. عبد الحي الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص182–183.

[1] الساداتي: تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، ج1، ص35.

[2] ناصر الدين محمود شاه: هو أصغر أبناء السلطان شمس الدين آلتمش، وقد خلف ابن أخيه علاء الدين مسعود شاه بعد قتله سنة 644هـ/1246م. وكان ناصر الدين غراً في السابعة عشرة من عمره، فتقلد الوزير بلبن مهام الحكم والسلطة، وقد ذكر ابن بطوطة أن ناصر الدين هذا قد عاش عيشة الزهد، وكان يقتات من عمل يده، إذ كان ينسخ المصاحف ويبيعها، ويغطي بما يرد إليه من هذا العمل نفقاته الخاصة، وكذلك لم يتخذ خدما في بيته، إنما كانت زوجته تباشر الشئون المنزلية بنفسها بما في ذلك إعداد الطعام. وقد أجمع المؤرخون على أنه كان عادلاً كريماً زاهداً متديناً، يرعى العلوم والآداب، وقد عهد إلى المؤرخ سراج الدين منهاج الجوزجاني وظيفة كبيرة في بلاطه، ووضع هذا العالم مؤلفاً كبيراً أهداه للسلطان، أسماه "طبقات ناصري" وكافأه السلطان مكافأة كبيرة على هذا الجهد الكبير. وقد مات السلطان ناصر الدين محمود سنة 664هـ/1265م بعد حكم دام عشرين عاماً. أنظر: ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2، ص34. عبد الحي الهندي: نزهة الخواطر ، ج1، ص159.

[3] الساداتي: تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، المرجع السابق ، ج1، ص35.

[4] Munshi : The struggle for Empire, p193.

مماليك الهند لخانات مغل ما وراء النهر الذي بدأوا في شن الغارات على حدود بلاد فارس والهند معاً.

ومن المحتمل أيضاً أن الخان الكبير منكوقاآن قد لعب دوراً كبيراً في هذه التهدئة، وأنه قد أصدر أوامره إلى هولا كوخان بمنعه من التعدي على سلطنة دهلي وتدمير ممتلكاتها، وبالرحيل عنها. إذ ذكر المؤرخ ستيفن رنسيمان أن رسول ملك فرنسا لويس التاسع[1] المدعو (وليم روبرك) الذي حظى بمقابلة الخان منكو سنة 652هـ/1254م.

وهكذا عاد الأمن والهدوء إلى ربوع الدولة المملوكية، ونجح بلبن في إثبات قوته وتمكنه من الأمور السياسية والعسكرية، ولاسيما أن السلطان ناصر الدين محمود شاه قد انصرف إلى مصاحبة العلماء والدراويش تاركاً عبء الحكم كله على أكتاف وزيره القائد الذي اضطلع بها في قدرة وكفاية تامة، وحين وافى السلطان أجله سنة 664هـ/1265م جلس الوزير على العرش

[1] لويس التاسع: ويقال له الفرنسيس، واسمه لويس بن لويس (Louis Ix) ولقبه بلغة الفرنج "ريدافرنس" ومعناه ملك فرنسا، هو لويس التاسع بن لويس الثامن، وأمه الأميرة "بلانش" القشتالية Blancheof castile، ابنه الملك الفونسو التاسع "Alfons IV" ملك قشتالة (553هـ/1158م-611هـ/1214م) حكم لويس مدة طويلة من سنة (624-669هـ/1226-1270م) ويرجع ذلك إلى توليه الحكم قاصراً في الثانية عشر من عمره، فتولت أمه الأرملة الشابة بلانش الوصاية عليه حتى حكم لويس بنفسه منذ سنة 633هـ/1235م. وكان عصره من العصور الذهبية التي عاشتها فرنسا، ونجح في السياسة الداخلية والخارجية، ففي المجدال الداخلي حسن نظم القضاء وأدخل العديد من القوانين التي تحرم الثأر وقتل العبيد والأتباع دون محاكمة وأوجب المحاكمة بالأدلة والشهود محل المبارزة، وقلص محاكم البارونات. وعامل النبلاء معاملة طيبة مقابل وفائهم بما عليهم من الالتزامات لرجالهم وللدولة. وعامل رجال الدين على أنهم بشر، وعاقب المخالفين منهم وحاكمهم أمام المحاكم الملكية بعد أن قيد سلطة محاكم الكنيسة. وفي المجال الخارجي سلك سلوكاً طيباً مع جيرانه وتجنب الحرب معهم، حتى أنه رد إلى إنجلترا وإسبانيا أراضي استولى عليها أسلافه دون وجه حق، حتى أشتهر في الساحة الأوروبية باسم القديس لويس، وأصبح المحارب والسياسي البارع والتقي الورع الذي حكّمه الملوك بينهم. وكان لويس هذا قد أعد حملة صليبية ثامنة سنة 669هـ/1270م، أراد بها أولاً معاودة الكرة على مصر لولا أن أخاه شارل دي أنجو الذي كان ملكاً على جزيرة صقلية، أراد استخدام تلك الحملة في تدعيم ملكه وذلك بالاستيلاء على تونس التي كانت تحت حكم الحفصيين في ذلك الوقت، ولم تكد مراكب الفرنسيين تصل إلى الشواطئ التونسية حتى أصيب لويس التاسع بحمى شديدة مات على أثرها، وبموته انتهت الحملة دون أن تحقق أي غرض صليبي. قال عنه المقريزي: "وكان ريدافرنس هذا عاقلاً داهياً خبيثاً مفكراً" أنظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج5، ص 355. المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص363-365. ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ص129.

مكانه. وانتقل الملك بذلك من أسرة شمس الدين آلتمش إلى أسرة أخرى من المماليك وهي أسرة غياث الدين بلبن[1].

وما أن ارتقى غياث الدين بلبن على العرش المملوكي حتى عمل على أن يسترجع لمنصب السلطنة سابق هيبته ونفوذه الذي زعزعه ضعف السلاطين من أبناء آلتمش من جهة وازدياد سطوة جماعة الأربعين من أتباع آلتمش من جهة أخرى، هذا إلى جانب الخطر المغولي الذي برح يطل على إقليم السند من آن لآخر.

وكان أول عمل اهتم به بلبن في سبيل تحقيق هذه الأهداف هو الحد من طغيان جماعة المماليك الأربعين، فأعمل فيهم سياسة العنف والتفرقة حتى قضى على نفوذهم وسطوتهم. كما أقام السلطان كثيراً من المعاقل والحصون في مختلف أنحاء البلاد وعمرها بالجند والسلاح، كما أعاد بلبن تنظيم قواته وتدعيمها بالأسلحة والمعدات وأسند القيادات العسكرية إلى رجال أكفاء، حتى تمكن بها من إقرار الأمن فيما حول عاصمته وفي البنجاب، كما عمل على تأمين الطرق والمسالك في أنحاء بلاده من عبث اللصوص وقطاع الطرق الذين انتهزوا فرصة الاضطرابات الأخيرة وانبثوا في المسالك والطرقات بين دهلي والبنغال[2] يعيثون فساداً وتخريباً، فضرب على أيديهم بقوة، وشتت جموعهم، كما أزال بلبن الغابات التي كانت وكراً لتلك العصابات وشيد مكانها القلاع وأبراج المراقبة. وبذلك استتب الأمن وأصبحت الطرق أكثر أمان لنقل المؤن والبضائع من موضع لآخر، كما أمن التجار وباقي السكان على أرواحهم وممتلكاتهم[3].

---

[1] الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص182-183. الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ج1، ص132.

[2] البنغال: من مماليك الهند القديمة، وترجع في اسمها إلى شعب البنغال الذي استوطن هذه الرقعة، ويتكلم اللغة البنغالية. وحالياً هي منطقة في شرق القارة الهندية، وتنقسم إلى قسمين: البنغال الشرقية وتطل على خليج البنغال، وهي جمهورية بنغلاديش المستقلة وعاصمتها دكا. وبنغلاديش معناها: بلاد البنغال لأن ديش تعني بلاد. وهي الدولة الإسلامية الثانية في شبه القارة الهندية، إذ يبلغ عدد المسلمين فيها 85%، واللغة البنغالية هي السائدة . والعربية والإنجليزية لغات ثانوية. وأراضيها سهلة منبسطة، وأهم أنهارها نهر الكنج المقدس لدى الهندوس. والقسم الثاني: البنغال الغربية، وهي إحدى ولايات الهند الحالية، عاصمتها مدينة كلكتا. وقد دخلها الإسلام في عهد السلطان شهاب الدين الغوري سنة 602هـ/1205م على يد قائده بن بختيار الخلجي. أنظر: القرماني: أخبار الدول، م3، ص63-64. غوستاف لوبون: حضارات الهند، ص63-64.

[3] عبد الحي الحسيني: الهند في العهد الإسلامي ، المرجع السابق، ص183. الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، المرجع السابق ،ج1، ص137.

وقد عاد ذلك بدوره على ازدهار حركة التجارة، وزيادة التواصل بين كافة أقطار الهند، وانتعاش اقتصاد الدولة المملوكية.

وقد استعان بلبن على ضبط الأمور في مملكته المترامية الأطراف بشبكة محكمة من الجواسيس كانت توافيه بكل ما كان يجري في البلاد من حوادث وما كان يقوم به عماله من تصرفات في دقة وسرعة وتفصيل تام. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على تمكن بلبن من ضبط الأمور في بلاده، ونجاح سياسة التجسس التي انتهجها.

وبهذه الجهود أصبح بلبن سلطانا قوياً مهاباً يرعى جانبه رجال الدولة، ويخشون بأسه.

وقد تكلم ابن بطوطة[1] عن مهمة أصحاب الأخبار خصوصاً إذا قدم غريب على الهند فقال: "وإذا كتب المخبرون إلى السلطان بخبر من يصل إلى بلاده... عرفوه أنه ورد رجل صورته كذا ولباسه وكذا وكتبوا عدد أصحابه وغلمانه وخدامه ودوابه وترتيب حاله في حركته وسكونه وجميع تصرفاته لا يغادرون من ذلك كله شيئاً" ويضيف ابن بطوطة في نفس المعنى: "وفي مدينة ملتان قدم علينا ملك البريد واسمه دهنان وهو سمر قندي الأصل وهو الذي يكتب السلطان بأخبار تلك المدينة وما يحدث بها ومن يصل إليها".

وهذا وقد ألزم بلبن نفسه بالمقام بصفة مستمرة في دهلي لكي يقاوم أي هجوم مفاجئ من جانب المغول حتى لا تتعرض العامة لخطرهم، ولا تقاسي ما قاسته بغداد من ويلات وشرور.

وبذل كل الجهود في تأمين حدوده، وأصبحت موارد الدولة موجهة نحو تحصين البلاد ووقايتها من خطر الغزو المغولي[2].

كما أوصى ابنه بغراخان ناصر الدين[3] بعد أن ولاه بلاد البنغال سنة 678هـ/1279م بسلوك طريق الشدة والحزم مع السكان، فيما وكل ابنه الأكبر محمد خان[1] أمر الجبهة الغربية، وأمده

---

[1] ابن بطوطة : المصدر السابق، ج2، ص2-3.

[2] عصام الدين الفقي: بلاد الهند في العصر الإسلامي،المرجع السابق، ص68.

[3] بغراخان ناصر الدين: والد السلطان معز الدين كيقباد آخر سلاطين دولة المماليك التركية بالهند، وكان قد رفض ولاية العهد بعد مقتل أخيه محمد سنة 684هـ/1285م، حيث آثر البقاء في البنغال بعيداً عن مشاكل الملك بالعاصمة دهلي، وظل بها حتى وفاته

بجيش قوي حسن التدريب، وأوصاه بصد غارات المغل وقتالهم، وحفظ البلاد وتأمين الحدود، وكان لخطته الدفاعية أثرها الكبير في درء خطر المغول عن بلاد الهند[2]. وتدل هذه الإجراءات الأمنية على أن السلطان غياث الدين بلبن كان ذو شخصية إدارية قديرة، وعسكرية شجاعة وحازمة. كما أن إدراكه كان على حجم الخطر المغولي الذي أصبح يهدد دهلي ذاتها.

وقد بدأ أول صدام عسكري بين الدولة الأيلخانية ومماليك الهند سنة 678هـ/1279م حيث تطلع الأيلخان آباقا إلى بسط نفوذه على بلاد الهند لما لها من موارد اقتصادية هائلة، ويقول عصام الدين الفقي في تعليقه على هذا التطلع: "كلما قويت دولة في بلاد ما وراء النهر وخراسان، تطلعت إلى السيطرة على بلاد الهند، لأن غزو البلاد المرتفعة للسهول الفسيحة المنبسطة من الأمور السهلة الميسورة"[3].

وقد اقتحمت قوات آباقاخان إقليم السند في تلك السنة فتصدى لهم بلبن بنفسه وتمكن من تشتيت جموعهم بعد أن أنزل بهم هزيمة ساحقة أجبرتهم على الفرار إلى بلادهم لا يلوون على شيء، وتجلت معها مواهب بلبن العسكرية فاستحق بذلك لقب "ألق خان" أي الأمير القوي[4].

على أن ذلك لم يثن الدولة الأيلخانية عن معاودة تعدياتها على أملاك السلطان بلبن، ففي ربيع الأول سنة 684هـ/1285م، زحفت قوات الأيلخان أرغون إلى بلاد البنجاب ثم تقدمت إلى لاهور، فلما سمع الأمير محمد هذا النبأ، قدم بجيشه لمدافعتهم عن لاهور، والتحم بجيش الأيلخانية في قتال مرير فغلبته كثرتهم ونالته رماحهم وقتل، وقد حزن أبوه عليه حزناً شديداً[5].

سنة 688هـ/1289م. وقد احتفظ خلفاؤه من بعده بحكومة البنغال ما يزيد على نصف قرن. وبغراخان : لقب تركي، وهو اسم الناقة في اللغة التركية الشرقية، وكان الترك قبل انتشار الإسلام يطلقون اسم الحيوانات على الأشخاص. أنظر: ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2، ص35-36.

[1] ويذكر عن هذا الأمير ميله الشديد إلى مجالسة العلماء والأدباء وإقامة الندوات التي تجمعهم على دراسة كتب الشعر والتاريخ والفلسفة، وكان شاعر الهند الكبير خسرو الدهلوي-واسمه أمير خسرو بن سيف الدين الدهلوي- من بين كبار رواد هذا الأمير. أنظر: ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج2، ص35.

[2] عبد الحي الحسيني: الهند في العهد الإسلامي،المرجع السابق ، ص183.

[3] الفقي: بلاد الهند في العصر الإسلامي، المرجع السابق، ص158.

[4]Munshi : op.cit, p193.

[5] وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم الإسلامي، ج3، ص984.

وهكذا رجحت كفة مغول فارس في ثاني معركة عسكرية مع أعدائهم مماليك الهند، وكانت خسارة السلطان بلبن عظيمة، إذ فقد ابنه وولي عهده الأمير محمد، بعد أن كانت كل أماله مركزة في شخص هذا الابن، لتولي العرش من بعده، وقيادة الدولة المملوكية نحو مستقبل واعد.

وعلى الرغم من ذلك فإن خروج الأمير محمد لقتال مغول فارس ودفع أذاهم، يدل على رغبته في الجهاد في سبيل الله ونصرة الدين الإسلامي لكسب إحدى الحسنيين الشهادة أو النصر، ومحاولة طيبة لمساعدة إخوانه من مسلمي البنجاب الذي تضرروا من تعديات المغول الوثنيين.

ومهما يكن من أمر فإن السلطان بلبن لم يلبث أن توفي في أواخر سنة 676هـ/1287م[1] التي انتهى معها دورة القيادي في التصدي لقوات المغول، ويبدو أنه قد تأثر لتلك الفاجعة، فتردت صحته ثم مات، بعد حياة حالة بالأعمال والحروب، وأظهر فيها جدارة فائقة في تصريف أمور الدولة وإقرار النظام والأمن فيها، وقضى على كل ما كان يتهددها من أخطار سواء في الداخل حيث قضى على عصيان الأمراء في السند وما جاورها، أو في الخارج حيث دفع عنها عدوان المغول وحصن حدودها الشمالية الغربية في وجههم، وبعد أن جعل لسلطنة دهلي هيبة كبيرة حتى احتلت مكاناً بارزاً في تاريخ الهند الإسلامي.

علاقاتهم في عهد الدولة الخلجية(689هـ/1290م-720هـ/1221م):

لقد ظلت سلالة غياث الدين بلبن تتوارث عرش الدولة المملوكية حتى سنة 689هـ/1290م حيث خلفتهم أسرة إسلامية أفغانية عرفت بالأسرة الخلجية[2] نسبة إلى بلاد الخلج الجبلية المحكمة

[1] الحسيني: المرجع نفسه، ص184.

[2] وينسبهم بعض المؤرخين إلى خلج بن ترك بن يافث، ويرون أن أصلهم تركي، على حين يرى آخرون أنهم من أصل أفغاني، ومهم قبائل الهزرا بمناطق بلاد الأفغان الجبلية، ولا تزال محافظة على المقومات الجنسية واللغوية المغولية غالباً حتى اليوم. ويؤكد المؤرخ ضياء الدين باراني صاحب تاريخ فيروز شاهي، على أنهم أحفاد قالج (قليج) خان صهر جنكيز خان وينسبون إليه، وأنه نزل بجبال الغور بعد هزيمة شاه خوارزم، وحرف اسمه بعد ذلك إلى خلج، وقيل لورثته الخلجيون. وقد اندمجوا في الحياة الأفغانية ، واعتنقوا الإسلام في عهد سلاطين بني سبكتكين، وضم الجيش الغزنوي فرقاً منهم ساهمت في فتح بلاد الهند. وقيل أيضاً هم صنف من الهياطلة (الهون)، وقدموا في قديم الزمان إلى أرض كابل أوزابلستان التي بين الهند ونواحي سجستان وأن لقب ملوكها رنبيل، ويسميهم الأتراك قلج وينسبونهم إلى الغز، ويذكر أن قسماً منهم فقد لغته وذاب في الشعب الأفغاني وما زال بعضهم في إيران يتكلمون التركية. أنظر: السمعاني: الأنساب، ج9، ص90. لين بول: طبقات سلاطين الإسلام، ص291-299. دائرة المعارف الإسلامية، ج8، ص399.

الواقعة جنوب جبال الغور[1]. والغور مقاطعة من أفغانستان الحالية[2] وتمتد من هراة إلى تخوم كابل وغزنة، وهي جنوب هراة[3].

وكان لسلطانها جلال الدين فيروز[4] أثر كبير في إسلام عدد من الهنود، وكادت فتوح خلفه علاء الجين الخلجي[5] أن تعم الهند كلها تقريباً، مع نشر اليسر والرخاء في كل الدولة الخلجية.

[1] ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص381.

[2] أفغانستان: دولة داخلية ليس لها منفذ بحري، تقع في جنوب الجمهوريات الإسلامية في وسط آسيا. ولها حدود قصيرة مع الصين وقشمير وتحدها باكستان من الشرق والجنوب، أما حدودها من الغرب فهي دولة إيران. وسميت أفغانستان نسبة إلى قبائل الأفغان التي كانت تعيش في جزء منها، ولم يطلق عليها هذا الاسم إلا منذ أواسط القرن الثاني عشر الهجري/ أواسط القرن الثامن عشر الميلادي، وأبان العصور الوسطى كانت تعرف باسم خراسان نسبة إلى إقليم خراسان في شمال البلاد. أنظر: محمد السرياني: الوجيز في جغرافية العالم الإسلامي، دار عالم الكتب، مصر ، 2002، ص121.

[3] إحسان حقي: باكستان ماضيها وحاضرها ، دار النفائس للنشر، بيروت ، 1973، ص51.

[4] جلال الدين فيروز شاه: وهو أول سلاطين الدولة الخلجية وكان جلال الدين هذا من أمراء دولة المماليك الأفغان. وكان قد تزعم معسكر الأفغان الذي اختلف مع معسكر الأتراك أثناء مرض السلطان معز الدين كيقباد آخر سلاطين دولة المماليك بالهند. وشاء الله للأفغان أن ينتصروا، حيث تولى جلال الدين فيروز الملك، وقبض على ناصية الأمر، ودخل قصر السلطان بعد حصاره ثلاثة أيام، وقتل كيقباد على يد رجل من رجال الدين انتقاماً منه لمقتل أبيه وألقيت جثته بنهر جمنة في محرم سنة 689هـ/1290م. وبمقتله انتهى أمر سلاطين المماليك، وانتقل الملك إلى أسرة أفغانية هي أسرة الخلجي. وقد حكم جلال الدين حتى سنة 695هـ/1295 التي توفي فيها. أنظر: ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2، ص37. الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، ص185-186. الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، ص571.

[5] علاء الدين الخلجي: هو علاء الدين محمد سنجر الخلجي، ثاني سلاطين الدولة الخلجية، وصاحب دهلي، اشتهر بعلاء الدين محمد شاه الأول ولقب بالملك المسعود، كما حمل لقب سنجر تيمناً بالسلطان سنجر السلجوقي وطول مدته. كما لقبه كاتب سيرته الشاعر أمير خسرو الدهلوي بألقاب عديدة مثل "خليفة عصره" و"ظل الرحيم بالبشر" و"الإمام المعظم". كان مملوكاً للسلطان آلتمش، ثم أعتقه وجعله من خاصة أمرائه. وقد ملك دهلي بعد وفاة جلال الدين فيروز مؤسس الدولة سنة 965هـ/1295م وظل يحكم حتى وفاته سنة 716هـ/1217م وكان ملكاً عادلاً شجاعاً، كثير الخيرات والفتوح. وقد ازدهرت العمارة الإسلامية بشمال الهند في عهده فأنشأت كثيراً من القصور والحصون والخزانات. أنظر: الحسيني: نزهة الخواطر، ص107-109. لين بول: طبقات سلاطين الإسلام، ص291-299.

وكان علاء الدين قد نهج نهج سلفه العظيم غياث الدين بلبن بإقامة حصون قوية مستديمة عند الحدود الغربية وتزويدها بالجند المدرب القوي والعتاد الحربي. كما نهج كذلك نهجه في إقامة شبكة قوية من الجواسيس لتنقل إليه أخبار الناس خاصتهم وعامتهم على السواء[1].

وقد عاصر هذا السلطان اثنين من أيلخانات فارس، كان أولهما محمود غازان وثانيهما محمد خدابنده. وقد حرص غازان على مد نفوذه إلى الأقاليم المجاورة، فشدد من غاراته على ممالك الهند الشمالية، طمعاً في أن يصبح سلطان دهلي من أتباعه، وتصبح سلطنة دهلي الغنية بخيراتها ورجالها بالتالي ولاية من ولايات الدولة الأيلخانية العظيمة في ذلك الوقت.

وكان أشدها خطرا تلك الغارة التي اجتازت فيها جيوشه ممرات الهند الشمالية قاصدين دهلي سنة 698هـ/1298م بقيادة قتلغ شاه. ولما صاروا على مقربة منها جزع كبار رجال دولته وأعوانه المقربين، فنصحوه بمسالتهم وإغرائهم بالأموال والهدايا والتحف القيمة لردهم عن البلاد، غير أن السلطان لم يصغ إليهم ولم يعمل بمشورتهم، بل حاول أن يهدئ من روعهم، وبدأ في الاستعداد لمواجهة جيس الأيلخانية، لذا أمر قائده المحنك ظفر خان[2] بملاقاتهم وصدهم عن دهلي، وسار معه قائد أخر اسمه "تغلق"[3] وانضم إليهم بعض المتطوعين في الجهاد، فجمعوا صفوفهم وساروا

---

[1] عبد المنعم نمر: المرجع السابق ، ص117.

[2] ظفر خان: ذكر أمير خسرو الدهلوي أن السلطان علاء الدين الخلجي كان يخاف من قوة هذا القائد ومقدرته الحربية، ففل في سمل عينيه أو إبعاده إلى البنغال، ثم عدل عن فكرته بسبب تعديات مغول بلاد ما وراء النهر على بلاد الهند وحاجته لقائده الشجاع في التصدي لهم. ولقد لقي ظفر خان مصرعه بعد ذلك في معركة عنيفة مع مغول ما وراء النهر سنة 698هـ/1299م. أنظر:حازم محفوظ : المرجع السابق ، ص 36.

[3] تغلق: وهو السلطان غياث الدين غازي تغلق شاه الأول، ويسمى طغلق أيضاً، مؤسس الدولة التغلقية. وكان تغلق تركي الأب من قوم جغتاي بن جنكيز خان، زطي الأم من البنجان بدأ حياته جندياً بسيطاً فظل يرتقي مجده واجتهاده حتى بلغ مرتبة القيادة. وما لبث أن لمع نجمه أبان حكم السلطان علاء الدين الخلجي حين ساهم بجهود بارزة في دفع المغول عن الحدود الغربية ولذلك عرف بالملك الغازي، وقد ولاه إمارة دبيالبور وأعمالها. وقد شكل عصره قمة مجد الدولة التغلقية وأزهى عصورها. وكان رجلاً مغامراً شجاعاً، محباً لآل البيت من العباسيين ومبالغاً في إكرامهم، وكان من أهم أعماله إحياء تعاليم الإسلام في حكومته، ورد الأموال المغتصبة، كما أنشأ نظاماً محكماً للبريد، وشجع على إعمار الأرض وفلاحتها فشق كثيراً من الترع والقنوات وأصلح طرق الري. ولقد لقي هذا السلطان حتفه في ربيع الأول من سنة 725هـ/1325م على أثر انهيار أحد قصوره به وذلك بانقضاض صاعقة على البناء فهدمته. أنظر: الحسيني: نزهة الخواطر، المرجع السابق، ص110.

بجيوشهم لمحاربتهم، فقاتلوا المغول قتالاً شديداً، تمكنوا على إثره من هزيمة مغول فارس هزيمة ساحقة[1].

وبذلك سلمت سلطنة المماليك في الهند من خطر المغول وويلاتهم، ونجح السلطان علاء الدين في الوقوف في وجه قوات الدولة الأيلخاني حين حاولت اجتياح الهند وتهديد السلطنة، وتحرك سريعاً لإيقاف زحفها نحو عاصمته، بد أن أدرك حرج مركزه السياسي الذي كاد أن يتقوض، وأن أملاكه أصبحت مهددة بالزوال، خاصة مع شعوره بأن تهديد مغول فارس مستمر وخطرهم متزايد.

وبعد هذا التحسن في العلاقات ما بين الدولة الأيلخانية والدولة الخلجية أصبح للأيلخان المغولي ممثل دائم يقيم في بلاد سلاطين دهلي، وكان هذا السفير من أحفاد جنكيز خان ألا وهو الأمير ألغو، وقد رحب به السلطان علاء الدين ترحيباً حاراً وأكرم وفادته[2].

وقد بقي الأمير ألغو السفير الايلخاني مدة طويلة في بلاد الهند، واعتنق الإسلام وزوجه علاء الدين واحدة من بناته، والتحق هو وأربعمائة من أهله ورجاله بالسلطان الخلجي في دهلي بأسرهم، واستقبلوا خير استقبال، وأقام لهم سلطان دهلي عدة أماكن وجهزها تجهيزاً طيباً يتناسب مع مقامهم وهي (غايور، أندابت، كاغاري، تالوك) وقد سميت مغول بورأي: أرض المغول. وقد ذكر أمير خسرو أن هؤلاء المغول قد اختلطوا بأهل سلطنة دهلي، فانتشر الإسلام بين جماعتهم بشكل كبير، وسموا بالمسلمين الجدد[3].

وقد ظلت العلاقات السياسية بين الأيلخانية والدولة الخلجية على ما هي عليه من السلم والهدوء حتى نهاية عصر السلطان محمد أولجايتو (سنة716هـ/1317م)، إذ لم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى أي نوع من التعديات لمغول فارس على ممتلكات الدولة الخلجية، ولربما كان

[1] Lane-pool : op.cit, p96-97.

[2] عصام الدين الفقي: بلاد الهند في العصر الإسلامي، المرجع السابق، ص138-139.

[3] نفسه، ص139.

لاعتناق أولجايتو للدين الإسلامي دور كبير في ذلك، إذ منع تعدي أمراء المغول على الأهالي وأحسن معاملتهم كما عرفنا من قبل[1].

وقياساً على ذلك فمن المحتمل أنه قد منع جيوشه من التعدي على سلاطين دهلي وتدمير ممتلكاتهم وإزهاق أرواحهم بغير وجه حق.

إضافة إلى أنه قد مال إلى العمران ومناصرة الحركة الأدبية والتاريخية لرشيد الدين الهمداني وعبد الله الشيرازي المعروف بوصاف الحضرة، فانشغل بذلك عن الحروب وسفك الدماء وسياسة التوسع التي انتهجها سلفيه غازان خان ووالده أرغون خان[2].

علاقة الخلجيين مع مغول بلاد ما وراء النهر:

هذا ولم تقتصر أطماع وتعديات المغول في بلاد الهند على مغول بلاد فار س، إذ انشغل السلطان علاء الدين أيضاً بمدافعة مغول بلاد ما وراء النهر ورد غائلتهم عن البلاد، وكان أكبر عون له في حروبه هذه قائده ظفر خان ومعه القائد الكبير تغلق.

لقد بدأت هذه التعديات في السنة الثانية من حكم هذا السلطان (696هـ/1296م) حيث خرج دووا خان زعيم مغول ما وراء النهر في ذلك الوقت- في عشرة آلاف مقاتل يبغي الاستيلاء على الملتان والسند والبنجاب فتصدى له ألوك خان[3] قائد دهلي وأنزل بهم هزيمة شديدة[4] على أنه سرعان ما جدد هجومه، فعادت جيوشه إلى الهند من جديد في سنة 699هـ/1299م، وشنت حرباً على سلطنة دهلي تحدث عنها فرشته وباراني[5]، بينما لا يذكر المؤرخ أمير خسرو مجرد إشارة عن هذه الحملة، ومهما يكن من أمر فقد اخترق جيش المغول بقيادة سالد حدود الهند، فالتقى به القائد

---

[1] احمد ابرهيم علي مرزوق : اقليم الهند الاسلامي ، رسالة ماجستير ،كلية دار العلوم ، قسم التاريخ ، جامعة المنيا ،مصر ،2000، ص79.

[2] نفسه ، ص 80

[3] ألوك خان: وتكتب أيضاً ألغ خان: أي القائد القوي. وهو لقب الأمير محمد بن تغلق. وكان السلطان علاء الدين الخلجي قد ولاه إمارة الخيل، ثم جعله قائداً لجيوش سلطنة دهلي واستمر حتى عهد ابنه قطب الدين مبارك شاه (761هـ/1321م) أنظر: ابن بطوطة: المصدر السابق ، ص31-32.

[4] الساداتي:" تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ص153.

[5] احمد ابراهيم : المرجع السابق، ص102

الخلجي ظفر خان في معركة كبيرة هزم فيها المغول هزيمة نكراء وقتل أكثرهم، ولاذ من نجا منهم بالفرار، وأسر منهم ألفي، فسيقوا جميعاً إلى دهلي مكبلين بالسلاسل والأغلال ومن بينهم القائد سالد وأخيه، وأمر السلطان علاء الدين بقتل سالد وأخيه "كما جرت العادة مع أعداء السلطنة".

على أن هؤلاء الغزاة لم يثنهم عن عزمهم ما أصيبوا به من خسائر فادحة، فعادوا إلى الهند بعد قليل بقيادة زعيمهم تارغي فتصدى لهم الأمير نظام الدين[1] وفرق شملهم في مستهل سنة 702هـ/1302[2].

ولئن كانت حدة الخطر المغولي قد انكسرت على أثر هذه الهزائم المتلاحقة التي نزلت بهم، إلا أن غزواتهم طفقت مع ذلك تتوالى على مناطق الهند الغربية حتى تمكن تغلق، بفضل حنكته الحربية وشدة مراسه وما أنزله بهم من ضربات شديدة، أن يبعد خطرهم عن سلطنة دهلي تماما. فلم يحاولوا بعدئذٍ التوجه إلى الهند، وأضيف إلى اسمه بعدها لقب (الملك الغازي) فعرف باسم (الملك الغازي غياث الدين تغلق شاه)[3]. ولقد فطن السلطان علاء الدين إلى أهمية أفغانستان بالنسبة للهند لأنها قاعدة اتخذها المغول لشن محلاتهم على بلاد الهند، وأدرك أن غزنة وكابل تشكلان أهمية إستراتيجية كبيرة على أمن الهند وسلامته من ناحية الغرب، لذلك استولى على البلدتين وبسط سلطانه عليهما، وبذلك وضع حدا لما كانت تتعرض له بلاد الهند من غزوات تشن عليها من الحدود الشمالية الغربية، وأمنت بدورها سلطنة دهلي من غزو المغول الذي كان يأتيها من هذه الجهات عادة[4].

---

[1] نظام الدين: هو نظام الدين أوليا البذواني، نسبة إلى بلدة بذوان أو (بِذَانُ) من أعمال الأهواز.
كان شيخاً عظيماً ، ولياً زاهداً. وكان قد قدم بلاد السند في خدمة بعض التجار في أيام السلطان علاء الدين الخلجي، ودخل في خدمة أولوخان–أمير السند إذ ذاك– فظهرت شجاعته، وتدرج في سلك الفروسية حتى صار أمير الخيل، ولما ولي مبارك شاه (716هـ/1316–721هـ/1321م) ولاه إمارة (ديبال بور) وأعمالها. وقد ترجم له الشاعر خسرو الدهلوي كتاب سيرة السلطان علاء الدين. أنظر: خيرية بنت محمد : السلطان علاء الدين الخلجي ، مجلة العلوم الانسانية ، جامعة القصيم ن السعودية ، العدد 2، 2016، ص748.

[2] تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ج1، ص153. عصام الدين الفقي: بلاد الهند، ص111.

[3] الحسيني: نزهة الخواطر، المرجع السابق، ص110.

[4] خيرية بنت محمد: المرجع السابق ، ص 755.

علاقاتهم في عهد الدولة التغلقية (721هـ/1321م-817هـ/1414م):

لم تشأ الحوادث أن تمهل أبناء السلطان علاء الدين الخلجي ليحكموا طويلاً، فبعد سنوات قليلة من وفاته سنة 716هـ/1316م لم يكن يمثل الأسرة إلا وزراء[1] مستبدين اغتصبوا العرش وأساءوا السيرة في بلاد وسفكوا الدماء البريئة حتى لجأ الرعايا إلى تغلق الذي خلصهم من الاستبداد والظلم الواقع عليهم، فنادوا به مع العساكر والنبلاء ملكاً عليهم وقدموا له فروض الطاعة. فجلس على عرش دهلي وتلقب بغياث الدين تغلق شاه وذلك في شعبان سنة 721هـ/1321م التي انتهى فيها أمر سلاطين الأسرة الخلجية وانتقل الملك إلى أسرة تركية هي أسرة تُغلق، وتغلق هذا من الأتراك المعروفين بالقرونة الذين يقطنون بالجبال بين بلاد السند والترك، وقد ذكر ابن بطوطة أن آل تغلق قد وفدوا الى الهند قادمين من خراسان أيام السلطان علاء الدين الخلجي.

وبدأ حكم الدولة الشهيرة التي عرفت في تاريخ الهند الإسلامي بالدولة التغلقية.

وكان تغلق نفسه أول ملوكها[2]. وبذلك أنقذ تغلق مرة أخرى ملك المسلمين بالهند من محنة قاسية قاصمة، كما أنقذه من هول المغول من قبل.

وقد قام تغلق بكثير من الأعمال الجليلة، فاحتفظ بجيش نظامي قوي تقوم الدولة بالإنفاق عليه، وأعاد الأمن إلى نصابه، وأخضع الثائرين في ولايات الدكن[3]، كما سار بنفسه على رأس

---

[1] ذكر المؤرخون في هذا الصدد بأنه بعد وفاة علاء الدين الخلجي قبض وزيره كافور على زمام الأمور في يده وأجلس على العرش شهاب الدين عمرو وهو طفل لا يتجاوز ست سنوات وسمل عيون أخويه له أكبر منه سناً، وأساء معاملتهما، كما طرد أمهما الملكة واغتصب أملاكها. ولم يمض على اعتلاء شهاب الدين العرش أكثر من خمسة أسابيع حتى خرج عليه أحد إخوته وسمل عينيه واغتصب منه العرش وتلقب بقطب الدين مبارك شاه-وكان على النقيض من والده- فانصرف إلى اللهو واللعب ووقع تحت تأثير وزيره المنبوذ خسروخان الذي لم يلبث طويلاً حتى تجرأ على سيده وقتله سنة 761هـ/1321م، ثم جلس على العرش مكانه، وأخذ يسيء السيرة في البلاد ويسفك الدماء البريئة حتى استنجد الأهالي بتغلق فجمع بعض القوات ودخل دهلي وتمكن من تخليصها من يد خسرو خان وقبض عليه وقطع رأسه، ثم جمع تغلق النبلاء والعساكر واقترح عليهم اختيار أحد أمراء الأسرة المالكة. أنظر: Lane-pool : op.cit, p116-117.

[2] Lane pool : op.cit, p116-120. Morel : op.cit,p236.

[3] الدكن: ويقال الدكهن "Dekkan"، وهي كلمة هندية تعني الجنوب، وهو اسم يطلق على الجنوب الهندي فقط، في مقابل الشمال الذي يعرف باسم هندوستان. والدكن هضبة واسعة وسط شبه القارة الهندية جنوب نهر نربدا التي تضم ولاية كرناتاكا وأقساماً من

حملة إلى بلاد البنغال وجعلها تدين بالطاعة له[1]. وبذلك استطاع تغلق أن يوطد دعائم الدولة التغلقية، وأن يجعل لها كياناً سياسياً شامخاً، وثانيهما أولك خان الذي تولى العرش بعد وفاة والده سنة 726هـ/1325م، باسم السلطان محمد بن تغلق[2]، وهو سلطان دهلي في الهند الذي عاصر السلطان أبا سعيد بهادر خان، والذي أسهم بدور كبير في تقدم الدولة التغلقية، وتمكن من حكم البلاد الهند كاملة، حيث تهيأت الفرصة للتغلقيين بدور بارز في توجيه الأحداث في هذا القسم من العالم الإسلامي، مع توثيق صلاته مع الخليفة العباسي المستكفي بالله[3] المقيم في القاهرة، فتبادل الرسائل معه وطلب منه تفويضا يجعل حكمه شرعياً في بلاد الهند ليتمكن من تسكين الفتن الداخلية التي كانت تقوم ضده بين آن وأخر، وليتمكن كذلك من جمع المال عن طريق فرض الضرائب كي يستطيع تنفيذ سياسته الجديد، فأجابه الخليفة إلى طلبه وبعث التفويض مع رسول خاص.

ولايات (مهاراشترا، آندرا، برادش، تاميل نادو) ومن مدنها: حيدرآباد، بنغالوا، ناغبور، بونا. وتربة هذه الهضبة بركانية خصبة. أنظر: غوستاف لوبون: حضارات الهند، ص 73-78.

[1] Morel : op.cit, p232. 124.

[2] السلطان محمد بن تغلق: هو فخر الدين جونه الشهير بألوك خان. ولقب أبو المجاهد محمد الثاني بن تغلق شاه. كان رجلاً شجاعاً مغامراً، أديباً شاعراً كريماً لحد الإسراف، محباً لآل البيت من العباسيين ومبالغاً في إكرامهم.
وذكر له ابن بطوطة كثيراً من الفضل والعلم وأنه كان من طليعة المشتغلين بالعلوم والفنون والآداب والضليعين فيها في عصره، فمنظوماته ومنثوراته الفارسية والعربية على السواء تشهد له بالذوق الأدبي الرفيع مع حسن السبك وجمال الصورة. هذا إلى جانب عنايته الفائقة بتجويد فن الخط والنقش، وتمكنه من علوم الفلسفة والمنطق والحكمة حتى نبغ في تشخيص الأمراض وقام على علاج الناس بنفسه. كما قام بكثير من الإصلاحات الاجتماعية فبنى العديد من دور الشفاء وملاجئ العجزة. وقد عاش في بلاطه الشاعر الكبير خسرو الدهلوي الشهير (بغرّيد الهند) حقبة طويلة من عمره كتب فيها ديوانه (غرة الكمال) إضافة إلى الرحالة العربي ابن بطوطة الذي أقام في بلاد الهند ثماني سنوات، فولي قضاء دهلي كما سفر له بالصين، ثم غادرها سنة 743هـ/1342م. وقد مات السلطان سنة 752هـ/1351م إبان إحدى حملاته في السند. أنظر:
PARASSAD : op.cit, p227-228-266-267.

[3] المستكفي بالله: الثالث من خلفاء بني العباس بالديار المصرية، وهو أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أحمد بن الحسين بن أبي بكر بن الأمير علي القُبِّي بن الراشد بالله أبي جعفر المنصور، وهذا اللقب منقول إليه عن المستكفي بالله أبي القاسم عبد الله الثالث والعشرين من خلفاء بني العباس بالعراق. ولد سنة 684هـ/1285م وبويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة 701هـ/1301م، وبقي حتى توفي بمدينة قوص في آخر شوال سنة 740هـ/1339م. فكانت خلافته نحو 39سنة، وكان له من الأولاد الحاكم بأمر الله الذي بويع بالخلافة من بعده. أنظر: القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، المطبعة الحكومية، الكويت ، 1985، ج2، ص132-133. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج9، ص322.

وقد بالغ السلطان ابن تغلق في احترام هذا التفويض فخرج بنفسه لإستقبال رسول الخليفة وأحسن مقابلته وأكرم وفادته. كما أمر بذكر اسمه في الخطبة ونقشه على السكة مقروناً بكثير من المدائح. مما ساعد على قيام علاقة ودية بين مصر وبلاد الهند في سنة 726هـ/1325م

هذا ولم يكتف السلطان محمد بن تغلق بإنفاذ رسله وهداياه إلى الخليفة المستكفي بالله، بل دخل أيضاً في مراسلات مع ابنه وخلفه الحاكم بأمر الله أحمد، ليمنحه تقليداً جديداً بولايته على بلاده، فأجابه إلى طلبه وذلك سنة 746هـ/1345[1].

وإن دل ذلك على شيء إنما يدل على مكانة الخلفاء العباسيين السامية في نفس السلطان محمد بن تغلق ومدى تعلقه بأهدابهم وإجلاله إياهم على الرغم مما وصلت إليه الخلافة العباسية من ضعف وتدهور، وأصبح الخليفة العباسي في مصر مجرد رمز الزعامة الإسلامية، إلا أن ابن تغلق سعى في الحصول على الاعتراف من الخليفة العباسي لنيل السلطة الشرعية لدولته التي قامت في بلاد الهند.

كما حرص السلطان محمد بن تغلق على توطيد علاقته مع السلطان مصر، وهو السلطان الناصر محمد بن قلاوون، حيث أرسل في أوائل حكمه سفارة مزودة بالهدايا الثمينه من "التحف الهندية الفاخرة وأربعة عشر حقاً، ملئت بفصوص الماس"[2] وإن كانت هذه السفارة لم تصل إلى مصر بسبب ما دب بين أعضائها من نزاع وتقاتلوا فيما بينهم، ومما مكن الملك المجاهد صاحب اليمن من قتل من بقي منهم والاستيلاء على ما معهم من الهدايا[3]، ولما سمع الناصر محمد بما حدث لرسل محمد بن تغلق، نقم على صاحب اليمن وقبض على رسوله الذي كان متواجداً في بلاطه، ثم أرسل إليه يعاتبه على عدم اهتمامه بإرسال هدية ملك الهند إليه واستحواذه عليها[4].

---

[1] Elliot ; the history of India, p249-250. 642. 138.

[2] محمد بن علي الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، القاهرة، 1348هـ، ج2، ص180.

[3] عبد الحي الحسيني: نزهة الخواطر، المرجع السابق، ص135.

[4] أبو الفدا: المختصر، المصدر السابق ، ج4، ص101.

وكانت سياسة محمد بن تغلق الجديدة ترمي إلى وحدة بلاد الهند وجعلها مركز الحضارة الإسلامية وإلى فتح بلاد الصين وخراسان وضمها الممتلكات سلطان الهند[1]، وقد اتخذ لتنفيذ مشروعه سياسة الترحيب بالسفراء والرحالة والتجار والأدباء والعلماء الذين كانوا يفدون على الهند من شتى الأقطار الإسلامية والمبالغة في إكرامهم والحفاوة بهم وترغيبهم في الإقامة في بلاده حتى أصبحت دهلي قريبة الشبه ببغداد في أيام العباسيين[2]. وكان يرمي من تودده المسلمين في شتى البلاد إلى كسب عطف العالم الإسلامي وجذب اهتمام وتأييده له في مشروعه الجديد[3].

وهناك عامل لا يمكن إغفاله، وقد يكون من العوامل التي دفعت السلطان محمد إلى التفكير في غزو بلاد الصين وهو نشر الإسلام في غير بلاد الإسلام وبلاد الصين الوثنية خير ميدان يجاهد فيه ابن تغلق، ليرفع راية الدين في ربوع تلك البلاد الواسعة[4].

ولم تنقطع تلك الغارات في عهد ابن تغلق، بل استمرت على ما كانت عليه من قبل حيث انتهز مغول فارس فرصة اشتغاله بإخماد الثورات الداخلية في بلاده، وجددوا تلك الهجمات التي ازدادت عنفاً وشدة. فحاول السلطان محمد بن تغلق الاستنجاد بالمماليك في مصر وتكوين حلف ضد مغول فارس، وأرسل إلى سلطانهم الناصر محمد بن قلاوون في سنة 731هـ/1330هـ-732هـ/1331م وفداً يحمل بعض الهدايا الثمينة ويعرض عليه مشروعاً يقضي باتحاد الدولتين في القيام بهجوم على عدوهم المشترك[5]. وذلك بأن يهاجمهم قلاوون من ناحية الغرب، في الوقت الذي يقدم هو إلى مهاجمتهم من الشرق كما ذكر لين بول[6]، ثم كرر الدعوة مرة ثانية في سنة 742هـ/1341. غير أن هذه المحاولة كان نصيبها الفشل، فقد رفض قلاوون التعاون معه،

---

[1] Parssad : op.cit, p46. Morel : op.cit, p236.

[2] ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2، ص45-46.

[3] حسن إبراهيم: انتشار الإسلام في الهند، المرجع السابق، ص7.

[4] أبو المحاسن: المنهل الصافي، ج1، ص259.

[5] وليم موير: تاريخ دولة المماليك، ترجمة علي حسن ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1995، ص73.

[6] Lane-pool : op.cit, p308-310.

واعتذر لإرتباطه بمعاهدة صلح وصداقة كان قد عقدها سنة 723هـ/1323 مع السلطان أبي سعيد، أيلخان مغول فارس في ذلك الوقت[1].

هذا ولم يشر المقريزي صراحة إلى ما طلبه سفراء محمد بن تغلق من الناصر واكتفى بقوله أن رسل ملك الهند قدمت إلى مصر سنة 731هـ/1330م عن طريق بغداد، وأن السلطان أكرمهم وخلع عليهم[2].

ونستطيع أن نستنتج من هذا الأمر أن السلطان محمد بن تغلق قد حاول انتهاز فرصة العلاقات الطيبة القائمة بين مصر وبلاد الهند، والتي بدأت سنة 726هـ/1325م حين أرسل ابن تغلق إلى الخليفة العباسي بالقاهرة، وهو المستكفي بالله، يطلب منه تقليدا بولايته على بلاده.

إضافة إلى أنه بالرغم من انصرافه إلى تنظيم شئون دولته، وما لقيه من المتاعب في سبيل ذلك، فإن مطامعه تعدت حدود بلاد الهند، وعزم على ضم بلاد الصين وخراسان، وتوطيد علاقته بمصر ورغب في الاتحاد مع سلطانها الناصر على عدوهما المشترك مغول فارس بعد أن كانت همة أسلافه موجهة فقط إلى انقاذ الهند من شرهم.

وعلى الرغم من إخفاق محمد بن تغلق في مسعاه ضد الدولة الأيلخانية فإنه لم يكف عن معاداته لها، وحاول أن يقوم بهذا المشروع وحده، فجهز جيشاً كبيراً بلغ تعدداه ثلاثمائة وسبعين ألفاً من الجند، أبقاه تحت السلاح عاماً كاملاً وأعده لفتح خراسان أولاً، ولكن قلة دخل الدولة وسوء حالة بلاده المالية أعجزه عن القيام بحملته، بل عن دفع رواتب الجند، فاضطر إلى العدول عن عزمه تسريح جيشه[3]. وانكشف معه مدى ما توصلت إليه الدولة التغلقية من ضعف وانهيار في الأوضاع الاقتصادية أيام السلطان محمد بن تغلق فعوضاً عن تجهيز هذا الجيش الضخم الذي استنزف أموال خزائنه، كان ابن تغلق رجلاً مسرفاً يقضي أوقاته في استقبال الوفود الأجنبية التي هرعت إلى بلاده، فأنفق الأموال والكنوز والثروات التي كانت بخزائن الدولة عليهم، حتى أنه كثيرا ما خصص لوافدين على دهلي إيراد بعض القرى ليكونوا منعمين برغد العيش أثناء إقامتهم ببلاده،

---

[1] المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص422. تاريخ فرشته: ص128.

[2] نفسه ، ص422.

[3] Morel : op. cit, p236.

وليمكنوا من العودة في أيسر حال[1]، وليمدوا إليه يد المساعدة والمعونة إذا ما بدأ غزواته ضد مغول فارس[2].

والواقع أن السلطان الناصر محمد كان معذوراً في عدم قبول طلب محمد بن تغلق في الاشتراك معه في الإغارة على بلاد مغول فارس، لأن ابن تغلق بعث كتابه في وقت قامت فيه العلاقات بين مصر وفارس على أساس المودة والصفاء، إذ كان يجلس على عرش المغول إذ ذاك أبو سعيد الذي بدأ عهده بإزالة أسباب العداء القائم بين المماليك ومغول فارس وعقد معاهدة صداقة بين الدولتين في سنة 723هـ/1323م كما عرفنا من قبل[3].

وأخيرا فقد كانت العلاقات بين الدولة الأيلخانية والدولة التغلقية في عهد محمد بن تغلق، (726هـ-752هـ/1325-1351) علاقات عدائية، غلبت عليها تعديات قادة السلطان أبو سعيد على إقليم البنجاب الواقع في الطرف الشرقي لبلاد الهند، ضمن ممتلكات السلطان محمد بن تغلق الذي حاول بدوره تحطيم قوتهم العسكرية وتقويض ملكهم السياسي، لتأمين حدود بلاد الهند من الناحية الشرقية، وذلك بالتعاون العسكري مع دولة بني قلاوون في مصر.

كما تعرض محمد بن تغلق بدوره لخطر غزو مغول ما وراء النهر، وذلك أن علاء الدين ترماشين خانهم الأعظم (726هـ/1335م-735هـ/1335م)، اقتحم حدود شمال الهند سنة 727هـ/1327م على أس جيش كبير بنية ضم هذه البلاد لممتلكات مغول الجغتاي، فاستولى على لمغان والمتان عند الحدود الشمالية الغربية ثم اتخذ طريقه إلى دهلي نفسها. ولم يجد

---

[1] وكان من أبرز الأمثلة على ذلك ما ذكره ابن بطوطة عن استقبال محمد بن تغلق للأمير غياث الدين محمد سليل الخلفاء العباسيين ينتهي نسبه إلى الخليفة المستنصر بالله- حيث قال: "لما اتصل بمسامعه- أي غياث الدين- عطف هذا السلطان على العباسيين وقيامه بدعوتهم رغب في القدوم عليه وبعث إليه برسولين ليتحدثا معه في ذلك، فأكرم محمد بن تغلق وفادتهما ومنحهما خمسة آلاف دينار، كما بعث معهم بثلاثين ألف دينار ليتزود بها الأمير غياث الدين في رحيله... وظل موضع عنايته واحترامه حتى أنزله بدار الخلافة في القصر الذي بناه علاء الدين الخلجي وابنه قطب الدين، وأعد له فيه ما يحتاج إليه من أواني الذهب والفضة، وزبعث إليه بعض الفتيان والخدم والجواري، كما خصص ثلاثمائة دينار كل يوم لنفقاته، وأقطع له مدينة "سيري-Siri" وجميع ما احتوت عليه من الدور وما يتصل بها من بساتين وأعطاه مائة قرية، وعهد إليه بحكم البلاد الشرقية المضافة لدهلي. وأمر الناس جميعاً أن يكونوا في خدمته كما هم في خدمة السلطان". أنظر: ابن بطوطة : المصدر السابق، ج2، ص45-46.

[2] علي حسن: تاريخ دولة المماليك البحرية ، مكتبة النهضة ، مصر ن 1944، ص167.

[3] بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، المرجع السابق ، ص209.

السلطان محمد بدأ من مسالمته وملاطفته إذ كان يستعد ويشحذ قواه للحرب مع مغول فارس، فقد أرسل إليه رسله وزودهم بالأموال والهدايا الفاخرة يطلب مصالحته. وقد أمعن الرسل في مصانعته والتودد إليه لدفع خطره عن بلاد الهند، ونجحوا في ذلك حتى قبل ترماشين عرضهم ورجع عن بلادهم، وانسحب بجيشه منها عبر السند وعاد إلى بلاده[1].

وفي تصرف محمد بن تغلق هذا ما يشير إلى معرفته بقدراته العسكرية التي لا تقوى على الوقوف في وجه قوتين في الوقت نفسه ونقصد بهما مغول فارس ومغول ما وراء النهر. كما يشير إلى إدراكه لحجم خطر مغول فارس على بلاده لذلك اضطر إلى مسالمة ترماشين ومهادنته ليتفرغ تماماً للحرب مع أيلخانات فارس ومجابهة خطرهم الدائم على دهلي.

على أننا يجب ان نفرق هنا بين غزو ومغول فارس وغزو مغول ما وراء النهر لبلاد الهند فالأول غزو من أجل التسع وبسط النفوذ، والحصول على ما فيها من ثروات هائلة، أما الثاني وتحديدا غزو السلطان علاء الدين ترماشين، فكان جهادا في سبيل نشر الإسلام في بلاد الهند الوثنية.

وقد أثنى المؤرخون[2] على السلطان علاء الدين ودوره في نشر الإسلام وتطبيق شرائعه بين المغول في كافة انحاء دولته. فقد أمر قادته وأمراءه وجنوده من غير المسلمين أن يعتنقوا الإسلام فاعتنقوه، ولم يمض على ذلك عشر سنوات حتى عم الإسلام معظم مغول آسيا الوسطى عامتهم وخاصتهم، وذلك بتأثير طرماشين ومن التف حوله من العلماء والوعاظ والفقهاء والمشايخ والأشراف والدعاة والتجار الذين فتح لهم أبواب بلاده[3] وقد أراد علاء الدين ترماشين بعد أن عظمت جيوشه واتسعت مملكته أن يغزو البلاد المجاورة التي لا تزال على الوثنية كي ينشر فيها الإسلام، فغزا بلاد الهند الشمالية حتى وصل إلى دهلي، وأعلى راية الإسلام في كل مكان وصار يأخذ الناس بشريعة الإسلام وبدأ يهاجم جيرانه من مغول إيران[4].

---

[1] الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، المرجع السابق ،ج1، ص173.

[2] ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج5، ص600.

[3] ابن بطوطة: المصدر السابق، ص305.

[4] بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، المرجع السابق ، ص209.

وبعد وفاة السلطان محمد بن تغلق في أواخر سنة 751هـ/1350م أجمع الأمراء وكبار رجال الدولة التغلقية على تنصيب ابن عمه فيروز شاه[1]، ولكنه امتنع أول الأمر عن قبول السلطنة، وما زال القضاة وأعيان الدولة يلحون عليه حتى قبلها ثم بايعوه في محرم سنة 752هـ/1351م وتلقب بأبي المظفر كمال الدين فيروز شاه الثالث[2].

وقد استفتح حكمه بمراسلة المعتضد بالله[3]. الخليفة العباسي بالقاهرة، يطلب منه تفويضاً بتوليته سلطاناً على دهلي، ولم يتردد الخليفة في إجابة طلبه، وبعث إليه بالخلع والتشريفات وذلك سنة 757هـ/1356م[4].

وقد تحدث فيروز شاه في ترجمة حياته التي كتبها بعنوان (فتوحات فيروز شاهي) عن وجهة نظره في إذعانه للخليفة العباسي بالقاهرة فقال: وكان من أعظم ما نلته من رحمة الله أنه بفضل طاعتي وتقواي وصداقتي للخليفة ممثل النبي، توطدت سلطتي، فبتأييده تحمى سلطة الملوك، ولا يصبح أي ملك آمناً على ملكه إلا بعد أن يذعن للخليفة وينال تثبيتاً من العرش المقدس. وقد أرسل الخليفة عهدا بتثبيت سلطتي كنائب له ومرشد للمؤمنين. وإني لفخور بأن يلقبني الخليفة بسيد السلاطين، كذلك أنعم علي بخلع ولواء وسيف وخاتم، وهذه كلها تمثل شعار الشرف[5].

---

[1] فيروز شاه: ثالث سلاطين الدولة التغلقية، إذ لم يكن لمحمد بن تغلق ولد فعهد بالملك من بعده إلى ابن عمه فيروز شاه بن سباه سالا رجب–كلمة فارسية تعني مقدم العسكر أو الزعيم أو المولى– وكانت أمه السلطانة كدبانو هندوكية الأصل، فأبوه هو (راجا محل بهاتي). وقد قبلت هذه الأميرة الجميلة أن تتزوج من والد فيروز أخي غازي تغلق دفعاً للضرر عن أسرتها. وعرف فيروز بميله إلى المسالمة وبعده عن إراقة الدماء مع شغفه الشديد بمخالطة رجال الدين وأهل التصوف. وقد حكم هذا السلطان بالعدل وسار في الناس سيرة حسنة. وقد مات رحمه الله في رمضان سنة 790هـ/1388م وكان قد جاوز التسعين من عمره. أنظر: ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2، ص45–46.

[2] الحسيني: نزهة الخواطر، المرجع السابق ، ص110–112.

[3] المعتضد بالله: هو أبو الفتح أبو بكر المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله، وهذا اللقب منقول إليه عن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق طلحة السابع عشر من خلفاء العباسيين بالعراق. بويع بالخلافة بعد موت أخيه الحاكم بأمر الله في السابع عشر من شعبان سنة 753هـ/1356. وبقي حتى توفي في جمادى الأولى سنة 763هـ/1361م، فكانت خلافته 14 سنة و8 شهور وأيام. وكان خيراً متواضعاً محباً لأهل العلم. بويع بعده ولده محمد بعهد منه ولقب بالمتوكل. أنظر: ابن كثير: البداية والنهاية، المصدر السابق ، م7، ج14، ص307. القلقشندي: صبح الأعشى، المصدر السابق ، ج2، ص154.

[4] Parssad : Mediral India, p246. Allan : The Cambridge shorter History of India, p246.

[5] عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر، المرجع السابق، ص 110–112.

وتفرع السلطان كمال الدين فيروز شاه لتنظيم شئون دولته ورسم خطط الإصلاح والتعمير، التي أتاحت للأهالي قدراً كبيراً من الحياة الطيبة المستقرة، ونهض بالهند نهضة كبيرة، فسعى لنشر العمران وأسس مدينة كبيرة بالقرب من دهلي سنة 755هـ/1354م سماها فيروز آباذ[1]، كما حرص على توفير العدالة لرعاياه، وإعفائهم من الكثير من الضرائب[2]، وإبطال الكثير من العادات والعقوبات غير الإنسانية التي كان يمارسها الهندوس ومنها عادة (الساتي) حيث تقبل الأيم التي ليس لها ولد على حرق نفسها مع جثمان زوجها[3].

كما قام فيروز شاه بالكثير من الإصلاحات الاجتماعية فأنشأ ما يعرف بديوان الخيرات ليعين الفقراء والضعفاء والمرضى، كما أقام الكثير من دور الشفاء والأربطة.

وكان فيروز شاه حاكماً حر الفكر يهتم بالعلم والأدب فعنى بنشر العلوم المختلفة وتشجيع العلماء وإكرامهم، وأقام ور العلم لدراسة العلوم الشرعية والنقلية على السواء، كما عمل على إحياء الدراسات الهندية القديمة وترجمة الكثير من كتبها النافعة، مما أدى إلى تقدم الحركة العلمية والأدبية في بلاد الهند الواسعة[4].

وكان لقيام فيروز شاه بهذه الأعمال الجليلة دور كبير في ازدهار الأوضاع في بلاد الهند بوجه عام.

والواقع أن فيروز شاه بإصلاحاته ومشروعاته العمرانية المفيدة وميله إلى ما فيه خير رعاياه قد أفلح في حمل الناس على التعلق به والركون إلى الهدوء، ولكنه لم يصل بذلك إلى تدعيم هيبة الملك إذ رغبت طيبته ومسالمته على حزمه. ففي أواخر عهده عمت الفتن والاضطرابات الدولة التغلقية، ولم يستطع السلطان القضاء على هذه الفتن، وتوفي سنة 790هـ/1288م، بعد أن تدهورت سلطنة دهلي، واستقلت معظم ولاياتها، حتى سقطت في آخر الأمر وزالت نهائياً وذلك

---

[1] فِيرُوزَ آباذ: بالكسر ثم السكون، وبعد الراء واو ساكنة ثم زاي، وألف ، وباء موحدة، وآخره ذال معجمة، وتعني أتم دولة، وقيل بلاد فيروز، لأن آباذ بالفارسية تعني بلد أو بلاد. أنظر: ياقوت: معجم البلدان، المصدر السابق ، ج4، ص283. أبو الفدا: تقويم البلدان، المصدر السابق ، ص326.

[2] الحسيني: نزهة الخواطر، المرجع السابق ، ص110-112.

[3] ابن حزم: الملل والنحل، المصدر السابق ، ج3، ص150.

[4] أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، المرجع السابق ، ص287.

سنة 898هـ/1395م على يد الطاغية تيمور لنك الذي استغل وفاة السلطان فيروز شاه وانشغال خلفاءه بالصراعات الداخلية، وكان ملكها حينذاك ناصر الدين محمود شاه[1] بن ناصر الدين محمد شاه، فغزا تيمور لنك بلاد الهند، وسقطت البلاد في يده، البلدة تلو الأخرى واحتل دهلي، وأحدث فيها مذبحة مروعة، ونهب جند تيمور كل ما وقع في أيديهم من ثروات، ثم غادر تيمور دهلي وعاد إلى حاضرته سمرقند، بعد أن ترك حامية من جيشه في بلاد الهند، وعهد إلى أحد رجاله[2] بحكم إقليم الهند الإسلامي وبذلك دخلت في حوزة الدولة التيمورية وقضى نهائياً على سلطنة دهلي الإسلامية منذ ذلك التاريخ[3].

وكانت وفاة السلطان فيروز شاه سنة 790هـ/1388م ايذاناً بزوال الدولة التغلقية وانتهاء وحدة بلاد الهند، فبعد سنوات قليلة من وفاته تفككت الهند وبدأت تظهر في أنحائها دول وإمارات إسلامية مستقلة على أنقاض الدولة التغلقية المضمحلة[4].

العصر العربي الإسلامي في الهند حافلاً بالحريات الدينية والمدنية كما كان أمراء الأقاليم يسعون لإعلان استقلالهم وتأسيس الممالك الإسلامية لهم[5].

كان لتبؤ مصر تلك المكانة الدولية المميزة والمركز السياسي المرموق له ما يسوغه، إذ أنها أصبحت مركز الخلافة العربية الإسلامية، وهمزة الوصل في التجارة بين الشرق والغرب. كما

---

[1] ناصر الدين محمود شاه: كان آخر ملوك الأسرة التغلقية. وقد حكم هذا السلطان من سنة 798هـ/1395م حتى سنة 815هـ/1413م. وقد دارت بينه وبين تيمور لنك معركة حامية في بلد فيروز آباذ، وأظهر ناصر الدين شجاعة كبيرة ولكنه هزم في النهاية وهرب إلى إقليم الكجرات، فلما غادر تيمور لنك دهلي توجه إليها ناصر الدين ليستعيد عرشه ولكنه هزم أيضاً ثم مات بعدها بقليل. أنظر: ابن عربشاه: عجائب المقدور في أخبار تيمور، مطبعة كلكتا ، القاهرة ، 1817 ص68-69.

[2] وهو القائد سيد خضر خان وقد ظهرت أسرة جديدة على عرش دهلي تسمى سلاطين سادات أو السلاطين الشرفاء، وذلك على يد السلطان سيد خضر خان، خليفة تيمور لنك، لأنه كان ينتمي إلى أسرة النبي صلى الله عليه وسلم وآل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومما دعا تيمور لنك على تسليم الهند إلى سيد خضر خان أن سيد خضر قد ساعده مساعدة كبيرة في غاراته على السند. وقد استمرت هذه الأسرة تحكم الهند حتى سنة 849هـ/1445م، ثم قضى عليها السلطان بهلول لودي وأسس الدولة اللودية في بلاد الهند. أنظر: ابن عربشاه: المصدر نفسه، ص68-69

[3] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج11، ص263-264.

[4] عبد الحي الحسيني: نزهة الخواطر، ص112.

[5] لوبون: حضارات الهند ، ترجمة عادل زعيتر ، دار العالم العربي، القاهرة ، 2009. ، ص422-423.

أصبحت دولة عظيمة الشأن واسعة الحدود، وحفاظًا على استقلالها ومصالحها أقامت مع عدد من الدول القريبة والبعيدة وشائج وصلات في أشكال مختلفة، فلم تجد لذلك بدًا من إرسال السفراء إلى ملوك عدد من البلدان ومنها الهند لتكلفهم بمهام ضرورية أو تستقبل سفراءهم وتنظر فيما لديهم من المسائل والأخبار، وقد جرت العادة أن يختار سلطان مصر المملوكي سفيره من العلماء الكيسيين ذوي الأخلاق الرفيعة ويزوده بمعلومات في الموضوع الذي خرج لأجله[1] وكان السفير في الغالب يحمل هدايا قيمة إلى البلد الذي يروم زيارته، ويبدو أن الهدايا كان لها دور في بعض التقاليد الرسمية وكان لها جداول وسجلات تدون وترقم فيها وتحفظ للاطلاع عليها وقت الحاجة، وكان ذلك كله مدعاة لمعرفة مدى التواصل مع الدولة من الدول فكان السلاطين يقيمون لها وزنًا خاصًا ويجعلون لها أهمية، ونستدل منها على أمور كثير لها صلة في العلاقات بين مصر والبلاد الأخرى لاسيما الهند[2].

ويبدو أن الهدية كانت تعبر عن مدى رقي البلد وتقدم حضارته واعتزازه بصناعته الوطنية وبالوقت نفسه للتباهي بخيرات البلد وما تنتجه أرضه من موارد طبيعية، فضلاً عن كونها مظهراً يعبر عن الود والاحترام القائم بين الدول. وغالبًا ما كانت الهدايا المتبادلة بين سلاطين مصر والهند من عدد من المواد النفيسة، ومواد الزينة والبخور، والخيول والجواري وغيرها من المواد الأخرى[3].

بالمماليك وإرسالهم السفارات في سنة 667هـ/1268م وسنة 674هـ/1275[4]. فقد بادر سلاطين الهند الإسلامية بإرسال سفاراتهم إلى مماليك مصر تأكيدًا على احترام النظام القائم فيها، مما يدل على مكانة المماليك السياسية، ففي سنة 682هـ/1283م وصلت أول سفارة من الهند

[1] يبدو أن عملية اختيار السفير كانت تخضع لمداولات من قبل السلاطين، فالسفير كان يعبر عن سياسة الدولة وينقل صلات الود والاحترام من حكومته إلى الدولة التي أرسل إليها، فلابد أن يتوافر فيه صفات الصدق والأمانة والاستقامة. فكان مثلاً ملوك الفرس إذا ما وردهم سفير من الهند أو الترك أو الروم أقاموا له الضيافات والمعازف فإن أجاب إلى ذلك طمعوا فيه واطّلعوا على أسراره جميعها وهان عليهم، وإن امتنع نبل قدره عندهم. أنظر: الحسن بن عبد الله: آثار الأُول في ترتيب الدول، مطبعة بولاق، القاهرة،1878، ص94.

[2] محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك، مطبعة المتوكل (القاهرة–1947)، القسم الثاني، ص 265، 209.

[3] نفسه، ص265.

[4] المقريزي: السلوك، المصدر السابق ،ج1، ق2، ص595.

إلى مصر وهي مؤلفة من سفيرين يمثلان صاحب إقليم كنباية[1] من بلاد الهند وهما (أمين الدين أبو عثمان والشيخ علي كونتي) ومعهما كتاب من سلطان كنباية عبارة عن لوحة من الذهب مكتوبة بخط سلطانهم "حتى تعذر في مصر وجود من يعرّبها"[2]، وبعد أن رتبت لهم مراسيم الإقامة سئلوا عن مضمون الكتاب فقالوا أنه يتضمن عبارات المحبة والسلام للسلطان، وإن سلطانهم الهندي قد ترك محبة وصحبة سلطان اليمن وتعلق بمحبة سلطان مصر (المنصور قلاوون) ويريد أن يتوجه إليه سفير من مصر من أجل إقامة علاقات مشتركة بينهما، كما تحدث السفيران أمام السلطان عن خيرات الهند وما تحتويه أرضهم من توابل وجواهر وغيرها[3]، فما كان من السلطان قلاوون إلا أن أكرم السفيرين وأحسن إليهما وبعث معهما جوابًا لائقًا إلى سلطان كنباية[4] مما يدل على سعيه في إقامة علاقات تجارية مع الهند وإدراكه لأهمية العلاقة مع سلطانها.

ومن الواضح أن هذه السفارة كانت فاتحة خير وبداية موفقة لمسيرة العلاقات المصرية الهندية، فقد تعددت أهدافها ما بين أهداف سياسية واقتصادية فضلا عن محاولة كسب ود مصر ذات لموقع والأهمية في العالم الإسلامي، كما كانت أول استجابة للمرسوم الذي أصدره المنصور قلاوون سنة 682هـ/1283م والذي شجّع فيه الأمم والممالك على القدوم إلى مصر ومزاولة التجارة معها، وبعد وفاة المنصور قلاوون سنة 690هـ/1290م تولى السلطنة ابنه السلطان صلاح الدين خليل (689-694هـ/1290-1294م)[5]، الذي كان حسن السيرة متمكنًا من ضبط السياسة والإدارة ومع كل هذا لا توجد إشارة تدل على تواصله بالعلاقات مع الهند، ربما لقصر مدة حكمه البالغة ثلاث سنوات. أما في الهند فقد حكمت أسرة الخلجيين كثاني سلطنة إسلامية في دلهي، والتي لم تكن لها علاقات تذكر مع دولة المماليك في مصر بسبب انشغال سلاطينها في

---

[1] هي أحد أحسن أقاليم الهند الشمالية المشهورة في إتقان البناء وعمارة المساجد، وأغلب أهلها وساكنيها من التجار الأجانب. أنظر: ابن بطوطة ، المصدر السابق، ص550.

[2] ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات: تاريخ الدول والملوك، المجلد السابع، تحقيق قسطنطين رزيق، المطبعة الأمريكية ، بيروت،1936، ص261.

[3] أحمد بن القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط1 ، دار الكتب، بيروت،1987، ج8، ص77-79.

[4] محي الدين ابن عبد الظاهر: تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1890، ص52.

[5] ابن القوطي: المصدر السابق، ص467.

فتح مناطق جديدة ومتعددة من الشمال الهندي وضمها تحت السيادة الإسلامية[1]، تلك الفتوحات الواسعة التي بدأت منذ عهد مؤسس هذه الأسرة السلطان جلال الدين الخلجي الذي لُقب بملك الرحمة وكان حاكمًا في البنجاب فوسع حكمه نحو الدكن وما وراء الجبال وتمكن من السيطرة على البلاد، غير أن السلاطين من بعده لم يسيروا على خطاه في الفتح والتوسع مما أدى بهم إلى الضعف حتى انقرضت أسرتهم. وعندما قامت أسرة التغلقيين استطاع مؤسسها السلطان غياث الدين تغلقشاه النهوض بالبلاد نحو الرقي والتقدم وإصلاح الإدارة على الرغم من شيخوخته وكان لابنه جونا محمد تغلق[2] علاقات وطيدة مع دولة المماليك في مصر بخاصة بعد أن قضى على التمردات الداخلية في بلاده ونقل العاصمة إلى ديوجير وسمّاها دولة آباد[3].

701هـ/1261-1302م) وحصل نته على تفويض بالحكم فسكّ عملة البلاد باسمه وقرأ له الخطبة[4].

وفي حكم السلطان محمد تغلقشاه الذي كان يريد إظهار الدعوة العباسية في الهند[5] أدرك أن حكمه لا يمكن أن يكتسب الصفة الشرعية ما لم يبادر في الحصول على تفويض شرعي من الخليفة العباسي في القاهرة فتبادل الرسائل والسفارات مع الخليفة المستكفي بالله (701-741هـ/1302-1340م) وطلب منه تفويضًا لحكمه فأجابه الخليفة على طلبه وأرسل إليه خلعة الحكم مع هدية جليلة لم تذكر المصادر نوعيتها، وعندما وصلت الخلعة إلى الهند بالغ السلطان

---

[1] A.L.Basham: The Winder that was India, London'1962, p76.

[2] كان هذا السلطان أحب الناس في إسداء العطايا وإراقة الدماء فلا يخلو بابه من فقير يغنى وحي يقتل وقد اشتهرت حكاياته بين الناس ما بين الكرم والشجاعة والبطش والتعسف ضد ذوي الجنايات . واصل فتوحاته وتكاثرت جيوشه وخطب له على منابر بلاده جميعها واتخذ ألقابًا عديدة منها: سلطان الإسلام، واسكندر الزمان، ويدعي بعض المستشرقين أن قسوته وتعصبه قادت البلاد إلى الدمار مع استمرار حركات التمرد ضده. أنظر: ابن بطوطة، المصدر السابق، ص441.

[3] هي مدينة قديمة في جنوب الهند جددها السلطان محمد تغلق وسماّها قبة الإسلام وأنشأ فيها مؤسسات قضائية وإدارية فضلا عن الأسواق والمساجد. ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى ،المصدر السابق، ج7، ص67.

W.H. Moreland : A Short History of India, London, 1968, p162.

[4] Maqbul, op.cit, p73.

[5] استهل هذا السلطان حكمه باستقبال الأمير غياث الدين محمد بن الخليف المستنصر بالله العباسي، فأكرمه وأقطعه قرى عديدة وأعدّ له كل ما يحتاج إليه من وسائل الراحة، أنظر: ابن بطوطة : المصدر السابق، ص459، الحسني: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظرالمردع السابق، ج2، ص131.

محمد تغلق في احترام هذا التقليد فأمر بنقش اسم الخليفة على عملة بلاده، فظل اسم الخليفة ينقش على العملة مصحوبًا بدعاء "أطال الله بقاء الخليفة". فضلاً عن ذلك فقد انتهز السلطان محمد تغلق علاقته الطيبة مع مصر فرغب في توسيع نطاق حكمه نحو الصين وخراسان ورمى من وراء ذلك إلى اضعاف نفوذ المغول ودرء خطرهم على دولته فأرسل إلى سلطان مصر المملوكي الناصر محمد بن قلاوون سنة 730هـ/1331م سفارة تحمل كتابًا ومقلمة من ذهب مع هدايا أخرى ثمينة من الجواهر والماس، ولكن رسله اختلفوا فيما بينهم فقتل بعضهم بعضًا وهم على السواحل العربية قرب اليمن، ولما سمع سلطان اليمن بالخبر قتل الباقين وظفر بالهدية[1]، ولما سمع الناصر محمد بن قلاوون بذلك أرسل إلى سلطان اليمن كتابًا يؤنبه فيه على فعلته تلك التي لا تليق بالسلاطين داء فيه أنه "أمسى من الملوك وأصبح من قطاع الطرق"[2].

وقد استمرت المراسلات والسفارات بين مصر والهند من أجل تنسيق المصالح المشتركة بينهما، ففي سنة 731هـ/1332م وصلت إلى مصر سفارة أخرى من السلطان محمد تغلق تتكون من سبعة أشخاص أكرمهم الناصر محمد وأحسن إليهم طيلة فترة بقائهم في مصر والبالغة عشرة أيام[3]. ويبدو أن هذه السفارة كانت قد تضمنت مشروعًا للتحالف بين مصر والهند للقيام بهجوم مشترك ومتزامن ضد المغول في مناطق غرب إيران وتضييق الخناف عليهم، وبالرغم من علاقات المودة القائمة بين مصر والهند إلا أن السلطان الناصر محمد لم يستجب لهذا التحالف العسكري لأن علاقة مصر مع حكام إيران المظفريين (715-795هـ/1314-1393م) كانت جيدة ووطيدة بدليل أن مصر عقدت معاهدة صداقة وسلام مع حكام إيران سنة 734هـ/1334م[4]، إذ كان الناصر محمد ينتهج سياسة محددة تتفق مع مصالحه تجاه الدول التي لها علاقات طيبة مع دولته، وموقف الناصر هذا بصورة الحليف والصديق يعطي هذه الدول أملاً كبيرًا في تحقيق ما تريده في المستقبل، ونتيجة لذلك تسعى على الدوام لتوطيد علاقاتها مع كثير من دول العالم

[1] شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد،1972، ج5، ص204-205.

[2] ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة، القاهرة،1894، ص49.

[3] المقريزي: المصدر السابق، ج1، ق2، ص333.

[4] S.Lane Poole: Egypt in the Middle ages, Holland-1968, pp.,174, 310.

الخارجي واستخدام تلك العلاقات كورقة رابحة لمصلحة بلاده عند الحاجة في تعامله مع الدول الأخرى[1].

وعندما تولى الخليفة الحاكم بأمر الله الخلافة في مصر سنة 741هـ/1341م، أدرك ارتباط تغلق بالخلافة وولائه للخليفة فأرسل إليه خلعة أخرى بيد سفيره (حاجي سعيد صرصري) سنة 744هـ/1344م وعندما وصلت هذه السفارة إلى الهند خرج محمد تغلق بصحبة النبلاء والأمراء في بلاطه وقابل الوفد بمظاهر الحفاوة والاحترام فعبر ذلك الموقف عن المشاعر الحقيقية للمسلمين الهنود تجاه الإسلام والخلافة العباسية[2].

وعندما توفي السلطان محمد تغلق خلفه ابن عمه فيروز شاه تغلق (752-790هـ/1351-1388م) فنقل العاصمة إلى كلبركة واستطاع التوسع بالبلاد إلى إقليم ما وراء النهر فكانت فتوحاته موضع إعجاب الخلافة في القاهرة[3] فحذا حذو سلفه السلطان محمد تغلق واكتسب الصفة الشرعية بالحكم من الخليفة المعتضد بالله العباسي (753-763هـ/1352-1362م) الذي أجابه على طلبه وأرسل إليه خلعة مماثلة للخلعة التي أرسلت إلى السلطان محمد تغلق، كما أرسل إليه خطابًا يتضمن الكثير من عبارات المدح والاحترام، وقد وصل هذا التقليد إلى سلطان الهند سنة 756هـ/1355م، وقد بالغ السلطان فيروزشاه في احترام هذا التقليد وتقدم بخطوة أخرى فسك عملة البلاد باسم الخليفة المعتضد بالله وبعث إليه بعينة منها كي يرد جميله الذي أنعم عليه[4]. كما استحدث لقبًا سياسيًا جديدًا هو (نائب الخليفة) في الحكم على أقاليم الهند وذلك تعبيرًا على مكانة سلطنة دلهي عند الخليفة واحترامًا للنظام السياسي القائم في مصر والهند على حد سواء ولكي يغطي ضعفه السياسي أضفى عليه الجانب الشرعي لتقوية لحكمه[5].

---

[1] حياة ناصر الحجي: العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الإسبانية، الطبعة الأولى، مؤسسة الصباح، الكويت،1980، ص161.

[2] محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر، القاهرة،1947، ص97-98.

[3] W.H. Moreland: op.cit, p310

[4] ب.ن تشوبرا: العلاقات الثقافية بين الهند والجمهورية العربية المتحدة، مجلة ثقافة الهند، ع4، سنة 1962، ص106.

[5] Maqbul, op.cit, p75.

وقد تحدث السلطان فيروز تغلقشاه في سيرته على احترامه وتقديره للخلافة قائلاً "كان أعظم ما نلته من رحمة الله أنه بفضل طاعتي وتقواي وصداقتي للخليفة ممثل النبي صلى الله عليه وسلم توطدت سلطني، فتأييده تحمي السلطات ولا يصبح أي ملك آمنًا على ملكه إلا بعد أن يذعن للخليفة وينال تثبيتًا من العرش المقدس، وقد أرسل الخليفة عهدًا بتثبيت سلطتي كنائب له ومرشد للمؤمنين وإني لفخور بأن يلقبني الخليفة بسيد السلاطين، كذلك أنعم عليّ بخلعة ولواء وسيف وخاتم، وهذه كلها تمثل شعار الشرف"[1].

ويمكننا أن نستدل من هذا النص على مدى ترسخ مكانة الخلافة العباسية في نفوس السلاطين الهنود ومدى سعيهم لكسب ود الخلافة في القاهرة فضلاً عن مدى تقدير الخلافة لجهودهم بإرسالها الهدايا والألقاب إليهم. وعندما مات السلطان فيروزشاه سنة 790هـ/1388م تولى السلطنة السلطان غياث الدين تغلقشاه الثاني فحدثا في عهده اضطرابات داخلية وأحداث أدت في النهاية ضعف السلطنة، ودام ذلك حتى دخول تيمورلنك[2] البلاد سنة 801هـ/1398م[3]، فكانت هذه الصراعات والاضطرابات عاملاً ساعد تيمورلنك على اختراق البلاد واحتلالها وممارسة أعمال التعسف والقتل والتخريب فيها[4] وبعد أن حقق تيمورلنك مطامعه من الهند تركها بعد أن خلّف فيها نائبًا عنه هو سيد خضر خان[5] الذي أسس أسرة السادات في دلهي، وفي ذلك الوقت كان السلطان الظاهر برقوق قد أسس دولة المماليك الجراكسة في مصر سنة 784هـ/1382م بعد أن قضى على الحكم القلاووني من المماليك البحرية وقد اعترفت بها العديد من الدول الإسلامية حال قيامها وكتبوا إلى الظاهر برقوق بإعلان احترامهم وتقديرهم لدولته، فأرسل إليهم ما يؤيد تواصله معهم ويجدد ما بدأته الدولة الأولى (البحرية) من علاقات مع الدول المجاورة والصديقة. ومثلما بعث إليه عدد من ملوك الغرب (كممالك الإيطالية والإسبانية) بالهدايا دلالة على صلات

---

[1] سرور: المرجع السابق، ص100.

[2] كان تيمورلنك أحد الأبناء المزارعين البائسين ممن يسرق ويقطع الطريق، وقد خدم في اصطبلات خيل السلطان إلى أن ترقى إلى ما ترقى إليه فبد بهجماته منذ سنة 773هـ/1371م. انظر: الإسحاقي: المصدر السابق، ص133.

[3] الحسني: الهند في العصر الإسلامي، ص200.

[4] شهاب الدين أحمد بن محمد بن عربشاه: عجائب المقدور في أخبار تيمور، المطبعة العثمانية، القاهرة،1305هـ، ص68، ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج12، ص262.

[5] كان خضر خان يدعي أن نسبه يصل إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم. انظر: الندوي: تاريخ الصلات، ص154.

الود والمحبة[1] فقد استمرت هذه العلاقات قائمة بين مصر والهند في عهد الدولة المملوكية الثانية، وتشير عدد من المصادر التاريخية باجتماع كبير جرى بين سفراء من القاهرة ودلهي ومكة عند سلطان اليمن في يوم واحد وذلك سنة 800هـ/1397م[2]، ويبدو أن ذلك الاجتماع أسفر عن تعزيز الروابط الودية بينهم والتداول والاتفاق لما فيه صالح هذه البلاد خدمة لرعاياها.

وفي سنة 801هـ/1398م توفي الظاهر برقوق وتولى ابنه السلطان فرج أبو السعادات (801-808هـ/1398-1405م) السلطنة، وفي عهده سيطر تيمورلنك على جهات واسعة من بلاد الشام كحلب ودمشق وحماة وغيرها[3].

وعلى الرغم من ضراوة هذه الأحداث فقد استمر ملوك الهند يستمدون التفويض بالحكم من الخليفة العباسي بالقاهرة لإضفاء الشرعية على حكمهم، ففي سنة 813هـ/1410م عهد الخليفة المستعين بالله العباسي (808-816هـ/1406-1414م) بالإجابة لطلب أحد ملوك الهند المسلمين وهو السلطان مظفر شاه (793-814هـ/1391-1411م) حاكم إقليم كوجرات فأرسل إليه الخليفة الخلعة والتقليد[4].

كما أرسل السلطان غيان الدين أعظم شاه (792-814هـ/1390-1411م) سلطان إقليم بنغالة إلى الخليفة المستعين بالله يطلب تفويضًا مماثلاً وخلعة وبعث إلى السلطان فرج بن برقوق ملاً وهدية ثمينة وذلك سنة 814هـ/1411م[5] ولكن سرعان ما وافته المنية بعد أن خلّف آثارًا جليلة تشهد لها مكة والمدينة من مدارس ومساجد[6].

وتعد المدة الواقعة بين 814-825هـ/1411-1423م فترة جمود وانقطاع نسبي في تاريخ العلاقات المصرية الهندية، ففي مصر تولى السلطان المؤيد شيخ الحكم وانشغل بقمع التمردات

---

[1] المقريزي: المصدر السابق ، ج3، ق2، ص652.

[2] علي بن الحسن الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح محمد بسوني علي، مطبعة الهلال، القاهرة، 1914، ج2، ص297.

[3] عبد الله الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن وليّ مصر من الخلفاء والسلاطين، مطبعة الحلبي، القاهرة،1891، ص135.

[4] القلقشندي : المصدر السابق ، ج10، ص129-134.

[5] جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة،1952، ص508.

[6] ابن حجر العسقلاني: أنباء الغمر بأبناء العمر، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد،1972، ج2، ص47.

والثورات الداخلية في مصر وبلاد الشام وتمكن من تهدئة الأوضاع فيها ولكن الأخطار الخارجية كانت ما تزال محدقة بالدولة المملوكية فاستمرت حروب المؤيد شيخ ضد الإمارات التركمانية[1] من سنة 815-819هـ/1412-1416م حتى تمكن ابنه إبراهيم من تهدئة الأوضاع وتحقيق الاستقلال.

وفي سنة 824هـ/1422م تولى الحكم في الدولة المملوكية السلطان الظاهر ططر Tatar وكان عارفًا بأحوال الناس والعامة وقريبًا من الفقهاء والعلماء في مصر والشام[2] ولم يحكم أكثر من سنة واحدة ولكن سرعان ما عادت العلاقات إلى عهدها السابق وذلك أثر تولي السلطان أشرف برسباي الحكم سنة 825هـ/1423م إذ عرف باهتمامه وتشجيعه على إقامة النشاطات التجارية مع الهند وتنظيم احتكارها فبعد سنوات من توليه الحكم وصلته سفارة من السلطان محمد بن فندو صاحب بنغالة محملة بالبضائع والهدايا الثمينة لتعزيز الروابط الودية القائمة بين البلدين طالبة التشريف بالعهد من الخليفة العباسي المعتضد بالله (816-845هـ/1414-1441م) الذي استجاب لهذا الطلب بعدما سمع بما قام به هذا السلطان من محاسن وخيرات في الديار الإسلامية المقدسة فضلاً عن إقامته شعائر الإسلام على أصولها في الهند[3]، وعندما وصل هذا التفويض إليه بادر بإرسال هدية ثمينة إلى الخليفة سنة 834هـ/1430م تعبيرًا عن احترامه لمكانة الخلافة[4].

ويتضح مما سبق أن تلك السفارات لم تكن تأتي من سلطنة دلهي فحسب وإنما كانت تأتي من قبل سلاطين الأقاليم الشرقية والغربية للهند، وحتى والأقاليم البعيدة منها، إذ تشير المعلومات إلى وجود صلات قوية بين الخلافة العباسية في القاهرة وبين السلطان محمود الخلجي (839-874هـ/1435-1460م) حاكم إقليم مالوا الإسلامية والذي عرف قائدًا مسلمًا واجه تمردات عديدة

---

[1] هي تلك الإمارات التي قامت في أواسط وشرق آسيا الصغرى وأذربيجان وبلاد فارس والعراق وكانت تابعة إداريًا لحلب ودمشق وأبرزها إمارة دلغادر وإمارة قرة قوينلو وإمارة آق قوينلو. ينظر: محمد بن أحمد البدر العيني: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر، تحقيق هانز ارنست، مطبعة الحلبي القاهرة،1962، ص4-5.

[2] العيني: المصدر السابق، ص19.

[3] شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة الحياة، بيروت، ج8، ص280.

[4] استمر هذا السلطان بأعماله الخيرية حتى وفاته سنة 837هـ/1433م وتولى السلطنة ابنه السلطان المظفر أحمد شاه الذي سار على خطى والده . أنظر: علي بن داود الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، دار الكتب، القاهرة،1973، ج3، ص 297-298.

وحارب إلى جانب المسلمين في أقاليم مختلفة لاسيما كوجرات وأجمير وراجبوتانا. وقد راسل الخليفة العباسي المعتضد بالله الذي اعترف به سلطانًا على وسط الهند وأعطاه تفويضًا شرعيًا بحكمه على إقليمه مالوا.

وعندما تولى السلطان جقمق الحكم في مصر (842-857هـ/1438-1454م) انقطعت تلك العلاقات لمدة مؤقتة بسبب انشغال السلطان بإرسال عدة حملات بحرية ضد جزر بحر الشام لاعتدائها على السفن العربية الإسلامية[1].

وفي سنة 857هـ/1453م تولى السلطان أبي النصر اينال الحكم في مصر وفي عهده كانت أسرة السادات في الهند قد تلاشت نتيجة للصراعات المحلية والمشاكل الداخلية، فأسس السلطان بهلول اللودي أسرة جديدة في دلهي وهي أسرة اللوديين التي بدأت علاقات سياسية جديدة مع دولة المماليك في مصر. فعندما كان السلطان بهلول اللودي يعاني من تهديد حاكم العراق السلطان حسن الطويل[2] أرسل سفارة إلى السلطان اينال يعرض فيها شكواه ويطلب منه تدخله لحسم الأمر فسرعان ما ردّ عليه السلطان اينال بمكاتبة أخرى وصلته سنة 860هـ/1455م[3] غير أن المصادر لم تشر إلى فحوى تلك المكاتبة.

والجدير بالذكر أن السفارات والهدايا القادمة من بلاد الهند لم تكن موجهة حصرًا إلى السلاطين والخلفاء في القاهرة وإنما تعدتها لتشمل الأمراء والفقهاء ومجموعة من الشخصيات المهمة. فتدلنا عددًا من المصادر التاريخية على ما كان يصل من هدايا وبضائع ثمينة من

---

[1] اليوزبكي: المرجع السابق، ص28-29.

[2] هو أحد أشهر أعضاء قبيلة الآق قوينلو التركمانية التي هاجرت من تركستان ثم سكنت نواحي ديار بكر ثم أمد والموصل وكونوا دولتهم في أواخر القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، توفي سنة 882هـ/1478م أنظر: سليمان: المرجع السابق، ج2، ص539.

[3] محمد بن أحمد بن أياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية بولاق، القاهرة،1894، ج2، ص560.

سلاطين الهند إلى الأمير سيف الدين جانبك بن عبد الله الظاهري[1] سنة 867هـ/1464م وما كان يصل إلى غيره من الأمراء.

فضلا عن ذلك فقد أخذت العلاقات المصرية الهندية بالاستمرار والتواصل منذ زمن حكم السلطان الأشرف قايتباي الذي يعد عهده من العهود المميزة في تاريخ مصر في العصور الوسطى الإسلامية ليس لطول عهده (872-901هـ/1468-1495م) فحسب، وإنما لحسن تدبيره الأمور وقوة الدولة المملوكية في عهده، فضلاً عن اهتمامه بإقامة العلاقات السياسية والتجارية مع الهند، فما أن تولى الحكم حتى وصلته سفارة من لدن سلطان الهند سنة 873هـ/1469م وحملت إليه رسالة تضمنت مشاعر الود والاحترام لسلطان مصر وللخليفة العباسي المستنجد بالله (859-884هـ/1455-1479م).

وكان السلطان الأشرف قايتباي يحسن استقبال السفراء الوافدين إلى بلاطه فترك محل إقامته في القلعة وتوجه إلى خانقاه سرياقوس[2] وأمر بنصب الخيام الكبيرة فيها والتي ما كانت تقام إلا عند حضور السفراء الكرام من الدول الصديقة والسلاطين العظام[3] فوصفها ابن تغري بردي بأنها "كانت عزيمة هائلة أذهلت عقول الحاضرين جميعهم"[4].

ولم تكد تمضي ثلاث سنوات على هذه السفارة حتى وصل سفير من إحدى جهات الهند الإسلامية، مصحوبًا بالهدايا النفيسة إلى السلطان قايتباي وإلى الخليفة المستنجد بالله ومعه رسالة يطلب فيها التفويض لحكمه على إقليمه فأكرم السلطان السفير وكتب الخليفة التفويض له وخلع عليه التشاريف السلطانية وعندما وصل هذا التشريف إلى سلطان الهند بالغ في احترام هذا التقليد

---

[1] هو الدوادار أو الكاتب المعروف بنائب جدة ومستحصل الضرائب فيها. أنظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج16، ص323.

[2] هي قاعة كبيرة أنشأها السلطان الناصر محمد بن قلاوون خارج القاهرة من شمايها سنة 723هـ/1322م. أنظر: المقريزي: الخطط.، ج2، ص420.

[3] الظاهري: المصدر السابق، ص36، ابن أياس: المصدر السابق، ج2، ص102.

[4] ابن ثغر البردي: المصدر السابق، ج3، ص280.

وأرسل هدايا جميلة إلى الخليفة والسلطان كان من جملتها فيلٌ عظيم الخلقة، وخيمة كبيرة دشنها السلطان مع أمرائه وحاشيته في وليمة كبيرة في خليج الزعفران وأقام فيها لثلاثة أيام[1].

واستمرت صلات الود والمجاملة تلك قائمة طيلة عهد السلطان قيتباي إذ وصلت إلى بلاطه سفارات مماثلة من عدد من سلاطين الهند الإسلامية أعوام 884هـ/1479م، و888هـ/1483م فواصل السلطان سياسته في إكرام السفراء والوفود والقيام بما هو واجب لراحتهم[2]. وفي تلك المدة كانت الأسرة اللودية في الهند قد اضمحل دورها بسبب الفتن والاضطرابات في الهند وقيام الدويلات المحلية في أرجاء مختلفة من الهند الإسلامية. وفي مصر توفي السلطان قايتباي سنة 901هـ/1495م بعد أن كان أكثر السلاطين الجراكسة ميلاً إلى قلوب الرعية التي عاشت في ظله عيشًا هنيئًا[3] كما ارتاح له الكثير من السلاطين في الهند وملوكها مما يفسر لنا جمود العلاقات السياسية بين الدولتين بعد وفاته، إذ تولى الحكم في مصر عدد من السلاطين غير المؤهلين الذين لم يكن لهم سوى تحقيق المطامع الشخصية فضلاً عن انشغال بعضهم بالتصدي للأخطار الخارجية المحيطة بالدولة المملوكية.

وحاكم كاليكوت المسمى بـ(الزامورين) بمراسلاتهم وسفرائهم إلى السلطان الغوري طالبين منه إرسال قوى بحرية إلى سواحل الهند وتنظيم خطة دقيقة يتم بموجبها إقصاء البرتغاليين عن المنطقة[4]، وبالفعل فقد استجاب السلطان الغوري لهذا النداء وجهز أسطولاً كبيرًا بقيادة الأمير حسين الكردي[5]. وانطلق الأسطول المؤلف من ثلاث عشرة سفينة من السويس إلى ميناء جدة سنة 911هـ/1505م وكانت خطة قائد الحملة سهلة هدفها الأول السيطرة على ميناء ديو[6] واتخاذها قاعدة له يستطيع من خلالها الاتصال بأساطيل الهند والقيام بهجوم مشترك على الأسطول البرتغالي، وهذا ما جرى فعلاً، ففي سنة 914هـ/1508م التقى الحلفاء بالبرتغاليين في معركة

---

[1] ابن أياس: المصدر السابق، ج2، ص131.

[2] نفسه، ج2، ص225، 190، 151.

[3] الإسحاقي: المصدر السابق، ص137.

[4] المعبري: المصدر نفسه، ص40، .Bosworth : op.cit, p200

[5] هو نائب جدة عينه السلطان الغوري مستوفيًا لجباية ضرائب تجار الهند، وكان يعسف بالتجار فيأخذ من تجارة الهند المثل بعشرة أمثال. أنظر: ابن أياس: المصدر السابق، ج3، ص60.

[6] هو أحد الموانئ الساحلية المهمة على المحيط الهندي. أنظر: .Tossaint : op.cit, p104

تشاول وهي منطقة جنوب مدينة بومباي على السواحل الهندية، وكانت معركة كبيرة أسفرت عن هزيمة أسطول البرتغاليين وقتل قائدهم لورينزو دا الميدا[1] على أن البرتغاليين تعلموا درسًا من هزيمتهم فهززوا من سفنهم وجنودهم وعينوا عليهم قائدًا جديدًا هو ألفونسو البو كيرك[2]. فباغتوا الأساطيل المصرية الهندية بهجوم سريع في موقعة دية البحرية سنة 915هـ/1509م وأغرقوا السفن المصرية والهندية في مياه المحيط الهندي[3].

السلطان المظفر شاه وقدم السفراء الهدايا الثمينة للسلطان الغوري وطلبوا من الخليفة المتوكل على الله (914-922هـ/1508-1516م) تفويضًا شرعيًا لحكم سلطانهم كي يتولى مسؤولية مقاومة الأسطول البرتغالي فأعطاهم الخليفة الخلعة وأكرمهم السلطان. كما وصلت سفارة أخرى إلى مصر سنة 918هـ/1516م من سلطان الهند، حملت مشاعر الود والمحبة فضلاً عن هدايا كان من جملتها فيلان عظيمان مجهزين بسراجين ومزينان بالديباج وعرضا على السلطان في موكب كبير وبجو احتفالي عظيم[4]، وكان حماس السلطان الغوري لا يقل عن دوافع السلاطين الهنود في طرد البرتغاليين من المحيط الهندي[5]. فقرر إعداد حملة جديدة تتعقب البرتغاليين في الموانئ الهندية وتضيق الخناق عليهم وقام بزيارة إلى ميناء السويس سنة 920هـ/1514م لمشاهدة المراكب التي أنشأها[6] كما أمر قائد الحملة الأمير حسين بتحصين سواحل المدينة المنورة ومدينة جدّة وينبع وبنى أسوارًا منيعة لحمايتها من البرتغاليين العابثين[7]. وقد وصلت الحملة إلى ميناء كوجرات وجرى الاتفاق على طرد البرتغاليين من عدد من الموانئ الهندية بين الأمير حسين

---

[1] المعبري: المصدر السابق، ص40.

[2] هو القائد البرتغالي الذي اتصل بنجاشي الحبشة وحاول الاتفاق مع على تحويل مصب النيل ليميت مصر لشدة كراهيته للإسلام. أنظر: المعبري: المصدر السابق، ص41، سليم: الأشرف قانصوه الغوري، ص116.

[3] سرهنك: المرجع السابق، ج2، ص36، Tossaint : op.cit, p105.

[4] سليم: عصر سلاطين المماليك، ق2، ص321.

[5] يذكر ابن أياس أنه عندما اشتدت حاجة السلطان إلى أخشاب لصنع السفن لحرب البرتغاليين فإن رجاله صاروا يقطعون أشجار الناس من الحدائق والبساتين ويرسلونها إلى السويس لأجل عمارة المراكب هناك. أنظر: بدائع الزهور، ج3، حوادث سنة 920هـ.

[6] ابن أياس: المصدر السابق، ج8، ص892.

[7] لقد كان للغوري جملة أساطيل في البحر المتوسط حتى أنه في سنة 918هـ/1512م عندما التجأ إليه الأمير كركود أخو السلطان سليم الأول العثماني طالبًا مساعدته على أخيه فأمده الغوري بعشرين سفينة تساعده على نزع السلطنة من أخيه. أنظر: سرهنك: المرجع السابق، ج2، ص35.

وسلطان كوجرات، غير أن الحملة باءت بالفشل مرة أخرى إذ وصلت الأخبار من الهند سنة 922هـ/1516م بأن السفن التي أرسلها السلطان الغوري قد هزمت[1]. ثم توالت النكبات على دولة المماليك في وقت واحد عندما ظهرت دولة قوية منافسة لهم في الميدان السياسي وهي الدولة العثمانية حتى انتهى أمرهم على يد السلطان العثماني سليم الأول في معركة مرج دابق سنة 923هـ/1517م.

على أية حال فقد كان للروابط التاريخية القديمة بين مصر والهند أثر كبير في المجال السياسي، إذ لم يكن ذلك الاتصال جديدًا في الفترة المملوكية، وهذا ما لمسناه منذ السفارة الأولى وحتى السفارة الأخيرة بينهما، إذ حملت تلك السفارات جميعها طابع الود والمجاملة بشكل متواصل، بل وأكثر من ذلك فهناك من سلاطين الهند من عدّ البلدين بلدًا واحدًا[2].

وحول تأثير هذه السفارات فقد كان هناك اثنتان وعشرون سفارة بين البلدين لم يكن للجانب المصري منها نصيب سوى ثلاث سفارات مما يؤكد تأثير مصر السياسي في نظر العالم الإسلامي، وإذا كانت السفارة الأولى تهدف إلى تحقيق التعاون والمنافع بلين البلدين فإن السفارات التي تلتها قد بدا فيها ملوك وسلاطين الهند يلتمسون الحماية والأمن من الخلافة ويضفون الشرعية على حكمهم باعتبار أن الخلافة أعلى سلطة روحية، وفي الوقت الذي كان السلاطين المماليك في مصر يعدون مسألة أخذ البيعة من (الخلفاء) أمرًا شكليًا من أجل تعزيز سلطتهم، كان السلاطين في مختلف البلدان الإسلامية ومنها الهند ترسل سفراءها وتبعثهم من أجل الحصول على التفاويض لجعل حكوماتهم شرعية في نظر المسلمين[3]. وهكذا نستدل من كل ذلك أن الهدف كان واحدًا سواء لسلاطين المماليك أو لغيرهم من حكام المناطق الإسلامية آنذاك.

لم تكن واردات تجارة الهند وموقع مصر البحر خافية عن أذهان السلاطين المماليك، فأخذوا يشجعون تلك التجارة، واتخذوا عدة سياسات كان الهدف منها ضمان استمرار تجارة مصر، ولعل أبرز تلك السياسات:

---

[1] الحنبلي: شذرات ، ج8، ص115.

[2] القلقشندي: صبح الأعشى ، المصدر السابق، ج8، ص79.

[3] تشير عدد من المصادر التاريخية أن هناك سلاطين من المماليك قطعوا الخطبة للخلفاء العباسيين على المنابر، لا بل هناك من السلاطين من تدخل في سلطة الخليفة وأمر وعزل بحسب ما يرى. أنظر: الشرقاوي: المصدر السابق، ص130.

لم يكد يخلو أي طريق بحري في العصور الوسطى الإسلامية من خطر قطاع الطرق الذين وجدوا من أعمال السلب والنهب مهنة مناسبة تكفل لهم دخلاً غير مشروع، وغالبًا ما كانت السلطات تطاردهم ونحد من قرصنتهم، وقد حرص السلاطين المماليك على تأمين طرقهم التجارية مع الهند اقتداء بسلاطين الدولة الأيوبية من قبلهم[1]. فقد شهد عهد السلطان المنصور قلاوون نزاعات واضطرابات داخلية بين عدد من القبائل العربية الساكنة في صحراء عيذاب على البحر الأحمر وعندها أمر السلطان حاكم تلك الثغور بأن يوفق بينها على سبيل المصالحة خوفًا على فساد الطريق وذلك سنة 680هـ/1281م[2]. وذلك يدل على النشاط السياسي الذي بذله السلاطين المماليك من أجل تأمين طرق التجارة ليس من خطر الأعداء فحسب وإنما من النزاعات الداخلية أيضًا.

كما قامت مصر بتأمين رحلات تجارية في البحر الأحمر والبحر المتوسط (الشام) بشكل مضمون[3] وذلك بوضع نظام دقيق لجوازات المرور، فلم يكن أحد باستطاعته أن يترك الناحية التي يقيم فيها إلى ناحية أخرى من دون أذن من السلطات، وكذلك لابد بتصريح أو جواز الخروج من مصر. ويدرج في هذا الجواز كل من يرافق المسافر حتى ولو كانوا عبيده[4]. ولهذا النظام فوائد عديدة للتجار وللحكومة فبواسطته تدون أسماء التجار وأماكن إقامتهم ومواعيد دخولهم وخروجهم

---

[1] وذلك في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي طهر السواحل المصرية في عيذاب من خطر قطاع الطرق سنة 578هـ/1179م. ينظر: جمال الدين محمد بن واصل: مفرج الكروب في مناقب بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيّال، المطبعة الأميرية،القاهرة،1957، ج2، ص128، شهاب الدين عبد الرحمن أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، دار الجيل، بيروت، ج2، ص240.

[2] المقريزي: السلوك ، المصدر السابق، ج2، ص705.

[3] لقد كانت الملاحة في النيل مهمة وسريعة في العصور الوسطى الإسلامية على نحو غير اعتيادي ولم تكن الإمدادات والبضائع تأتي إلى القاهرة إلا عن طريق الملاحة النيلية التي كانت دائما نشطة. ينظر: جاستون فييت: القاهرة مدينة الفن والتجارة، ترجمة مصطفى العبادي، مؤسسة فرنكلن للطباعة والنشر، بيروت،1968، ص102.

[4] اليوزبكي: المرجع السابق، ص68.

مما يسهل على الحكومة الاطمئنان على حياتهم وراحتهم كما يضمن صحة الضرائب التي تستوفى منهم[1].

ب/ الاهتمام بالعلاقات الخارجية:

إن مما ساعد على ازدهار تجارة مصر مع الهند هو أن سواحل البحر الأحمر كانت تدين لهم بالتبعية ولو اسميًا طيلة مدة حكم المماليك، وعمل عدد من السلاطين المماليك أمثال الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون على تأكيد تلك التبعية عن طريق إقامة علاقات طيبة مع سلاطين اليمن، تلك العلاقات التي استمرت حتى عهد الدولة الرسولية في اليمن (626-858هـ/1229-1454م) حرصًا على سلامة التجارة والتجار[2]. ومثل هذا الكلام يقال على سياسة المماليك تجاه بلاد الحجاز التي ظلت تدين بالتبعية لسلطان المماليك الذي يخطب له على منابرها باسم (حامي الحرمين)[3] حتى أصبحت مصر بفضل تلك السيادة البلد الأغنى في الدول العربية الإسلامية بتجارتها مع الهند[4].

فضلاً عن ذلك فقد عقد المماليك عددًا من الاتفاقيات التجارية مع مجموعة من الممالك الإسبانية والجمهوريات الإيطالية التي كان الهدف منها تحقيق الربح المادي وتنشيط حركة التبادل التجاري معها[5] وساروا على سيرة أسلافهم الأيوبيين فأقاموا عناصر تشرف على شؤون أفراد الجاليات الأجنبية ومصالحها التجارية[6]. وقد أوردت عددًا من المصادر نصوصًا تشير إلى إبلاغ السلاطين المماليك لنوابهم على الموانئ والمد التجارية لحسن معاملة التجار والتودد إليهم[7] ومنها المرسوم الذي أصدره المنصور قلاوون سنة 678هـ/1279م ووجه إلى ملوك وسلاطين بلاد الهند واليمن والصين وتجارها ليحثهم على القدوم إلى مصر وإقامة علاقات تجارية معها[8] فيقول فيه

---

[1] المرجع نفسه، ص69.

[2] المقريزي: السلوك، ج1، ص621، 581، 563.

[3] الظاهري: المصدر السابق، ص16.

[4] J.J. Saunders: A History of Medievel Islam, (London-1980), P166.

[5] الحجي: المرجع السابق، ص2.

[6] الظاهري: المصدر السابق، ص41.

[7] القلقشندي: صبح الأعشى ، المصدر السابق، ج11، ص421.

[8] ابن الفرات: المصدر السابق، م8، ص65، المقريزي: السلوك، ج1، ص742.

"ومن يؤثر الورود إلى مماليكنا إن قام أو تردد فليعزم عزمًا من قدّر الله له في ذلك الخير والخبرة ويحضر إلى بلاد لا يحتاج ساكنها إلى ذخيرة لأنها في الدنيا جنة عدن لمن قطن ومسلاة لمن تغرّب عن الوطن، فمن وقف على مرسومنا هذا من التجار المقيمين في الهند واليمن والصين لا يخشون فيها من يجور فإن العدل قد أجار..."[1]. وذلك المرسوم إن دلَّ على شيء فإنه يدل على حرص المماليك على ضمان حرية تجارتهم مع الهند عبر الطريق البحري فضلاً عن الإشادة بموقع مصر التجاري كوسيط في التجارة الدولية[2].

ج/ سياسة المماليك مع التجار:

تقرّب السلاطين المماليك من التجار وتوددوا إليهم وكانت طبقة التجار من أعلى طبقات المجتمع المملوكي، وكان ترددهم إلى البلاط دائمًا ومستمرًا فهم أصدقاء السلاطين وحاشيتهم وهم على درجات في الاحترام لدى السلطان فمنهم "الجناب العالي، والصدر الكبير، والخواجكي، وثقة الدولة وجمال الأعيان"[3].

فكانت مراسلات السلاطين لهم لا تخلو من عبارات الإجلال والاحترام فهم دون شك أسهموا في نهضة البلاد وعمرانها بخاصة أولئك التجار المسالمين الذين ينفقون جزءًا من أموالهم في الأعمال الخيرية[4].

هذا وكان من مظاهر النشاط التجاري في مصر والشام ومنذ العصر الأيوبي بناء الخانات والفنادق[5] لتكون محطات لاستراحة المسافرين ولإيواء التجار ومبيتهم وذلك في المدن والموانئ

---

[1] القلقشندي: صبح الأعشى، ج13، ص340-341.

[2] الحجي: المرجع السابق، ص38.

[3] القلقشندي: صبح الأعشى، ج6، ص158.

[4] ومن أمثلة مراسلات السلاطين التجار: "إلى عمدة التجار المنقطعين، قدرة الأكابر المعتبرين، محب الفقراء والمساكين، كهف الأرامل والمنقطعين، من فاق بحسن سيرته النجوم الزواهر وبجميل طلعته البدور السوافر وشاع في الخافقين ذكره وثناءه على الرغم من أنف كل مكابر". أنظر: مرعي الشيخ حماد الحنبلي: بديع الإنشاءات والصفات والمكاتبات والمراسلات، مطبعة أنستاس الكرملي، القاهرة ،1917، ص23.

[5] الفندق هو عدد من الحوانيت ومستودع للبضائع تحيط عادة بفناء واسع أو تكون أحيانًا على هيئة رواق مغطى حيث يحتفظ التجار بسلعهم، ولم يكن غرب الدولة العربية الإسلامية فنادق للغرباء والتجار حتى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي وإنما كانت أشبه بأسواق يضعون في أسفلها بضائعهم وينامون في أعلاها. أنظر: ميتز: المرجع السابق، ج2، ص284.

الرئيسية' وقد تابع المماليك تلك السياسة وبنوا فنادق متعددة تشهد لها مدن الإسكندرية ودمياط وغيرها وكانت التوصيات تأتي من السلاطين المماليك إلى حكام الثغور والموانئ لتؤكد الحفاظ على راحة التجار في الفنادق وحفظها من التخريب والأذى، تلك الفنادق التي خُصص بها لإقامة التجار الهنود واليمنيين وخُصص البعض الأخر للتجار الأوروبيين[1]. ومن الطبيعي أن تكون هذه الفنادق قد أنشئت قرب الأسواق والأماكن التجارية وقد وجد في بعضها أماكن للصلاة والعبادة، ومن أبرز الفنادق في العصر المملوكي فندق الفسطاط، وخان الخليلي[2].

فضلاً عما سبق ذكره فقد اتبع المماليك سياسة اقتصادية تهدف إلى جمع أكبر قدر ممكن من المال من دون النظر إلى العواقب ففرضوا على التجار عددًا من الضرائب غير الشرعية التي تؤخذ منهم فوق الحد المقرر لها على مجموعة السلع، وهذا ما يسمى بالمكوس[3]. فمثلاً كانت نسبة الضرائب المفروضة على البضائع الواردة من الهند إلى الإسكندرية ودمياط تصل نسبتها بين عشرة إلى خمسة وثلاثون بالمائة فتدفع السفينة التجارية ضريبة تربو إلى أربعين ألف دينار[4].

كما جنت مصر من ضريبة العشر أرباحًا طائلة حتى يقال أن ناظر جدة حمل سنة 828هـ/1424م إلى الخزانة المصرية ما يزيد على سبعون ألف دينار ثم وصل هذا المبلغ سنة 850هـ/1446م إلى مائتا ألف دينار[5].

وبهذا نلاحظ أن نسبة الضريبة تتغير تبعًا للظروف الاقتصادية وكمية البضائع والعرض والطلب كما يمكننا أن نستنتج أيضًا أن سياسة المكوس التي فرضها المماليك والتي كانت سببًا في الانتعاش الاقتصادي لمصر كانت قد حملت في طياتها عوامل الاضمحلال والتدني في علاقاتها مع البلدان التجارية فنلاحظ أن تجارة المماليك تأرجحت في مدد مختلفة ما بين النمو والتقدم

---

[1]شافع بن علي: الفضل المأثور في سيرة الملك المنصور، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت،1998، ص122.

[2] نسبة إلى جهاركس الخليلي أحد أمراء السلطان برقوق، بناه في موضع كان مقبرة للخلفاء الفاطميين فأخرج عظام الأموات ورتب الموقع وبنى الخان. أنظر: المقريزي: الخطط، ج2، ص94.

[3] نفسه ، ج2، ص121.

[4] شارل مورتيل: الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العهد المملوكي، جامعة الملك سعود، الرياض،1985، ص84.

[5] نفسه، ص84.

والازدهار وبين الانكماش والتأخر والانحطاط نتيجة لما فرضه السلاطين المماليك من مكوس عالية على التجارة الخارجية الأمر الذي دفع عدد من تجار الهند ومجموعة من أرباب المتاجر الأوروبية في جنوا والبندقية إلى سحب قناصلها ووقف التعامل مع مصر تجاريًا، وعندما أحس المماليك بخطورة الأمر بدأوا يغيرون قليلاً من سياستهم فمارسوا سياسة جديدة هي سياسة أسقاط المكوس أو تخفيضها وأول من بدأ بها من المماليك هو السلطان الناصر محمد بن قلاوون وذلك اقتداءًا بالسلطان صلاح الدين الأيوبي الذي أسقط المكوس عن مصر سنة 765هـ/1167موجعل تجارة مصر حرة[1] فقام الناصر محمد بإلغاء المكوس عن التجارة والبضائع والسلع في التجارة الداخلية والخارجية كالملح والسكر وتجارة الرقيق وخفض ضريبة المرور في النيل وسهّل توريد السلع الأجنبية إلى مصر وعاقب كبار الأمراء والتجار الذين امتنعوا عن تنفيذ هذا المرسوم، كما أعاد إلى الخلافة السلطانية كلّ ما جمع ظلمًا وتعسفًا من الأموال فانتعشت البلاد في عهده أيّما انتعاش[2]. ولم تقتصر سياسة الناصر محمد على مصر فحسب بل طبقها على الحرمين الشريفين في مكة والمدينة ومتاجرها وذلك عندما ذهب للحج في ولايته الثالثة سنة 732هـ/1331م فجعل سعر أردب القمح خمسة دراهم والشعير ثلاثة دراهم[3].

وعززّ السلطان الظاهر برقوق من السياسة نفسها فأسقط الكثير من المكوس عن التجار أوقات الأزمات وفرح الناس بها كثيرًا[4]. ومن جانب آخر فقد اعتنى السلاطين المماليك باختيار نظام الدواوين عناية فائقة وبخاصة أولئك الذين يأخذون الضرائب بانتظام من تجار الواردين إلى الموانئ المملوكية. وقد أوردّ ابن مماتي تعريفًا بمستوى الضرائب قائلاً: "هذا كاتب يكون صاحب مجلس في الديوان يطالب المستخدمين فيما يجب عليهم رفعه من الحساب في أوقاته وينبه متولي الديوان على ما يجب استخراجه من المال في أعيانه ويقيم الجرايد ويقابل بكل ما يرد عليه من حساب ويستوفيه ويخرج ما يجب تخريجه فيه"[5].

---

[1] ابن واصل: المصدر السابق، ج2، ص473.

[2] Poole: op.cit, p312.

[3] أحمد بن يوسف القرماني: أخبار الدول في آثار الأُول، مطبعة عالم الكتب، بيروت، ص302.

[4] الحنبلي: شذرات، المصدر السابق ، ج7، ص6.

[5] المصدر السابق، ص301.

ونستنتج من ذلك تعدد مهام مستوفي الضرائب وجهده فغي استخلاص الضريبة مع الإشارة إلى دقة عناية الدولة في اختياره وثقتها به، ومن أبرز نظار الدواوين في العهد المملوكي الأمير سعد الدين بن ابراهيم بن المرّة الذي أرسله السلطان برسباي سنة 831هـ/1428م لأجل ضرائب تجارة الهند في ميناء جدّة فقام بأعمال عمرانية واسعة وبنى فيها جامعًا وعندما لاحظ السلطان هذا الاهتمام منه بادر بإرسال قوة عسكرية لدرء الأخطار المحيطة بجدّة وحمايتها من السلب والنهب[1]. وكان مستوفي الضرائب يمثل السلطان المملوكي في منطقة حكمه وينفذ الأوامر والتعليمات الصادرة إليه من الناحية الإدارية[2].

ولم تختلف الظروف والسياسة الاقتصادية التي اتبعتها الهند في سبيل تيسير تجارتها واستغلال مواردها كثيرًا عنها في مصر، فقد اهتم سلاطينها بالتجارة والتجار[3] معًا وأقاموا علاقات تجارية وثيقة مع بلدان سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي كافة والدليل على ذلك هو أن الهند كانت أول من استجاب إلى المرسوم الذي أصدره السلطان المنصور قلاوون، فبعد سنوات قليلة من إعلانه جاءت إلى مصر سفارة من الهند تطلب إقامة العلاقات التجارية بين البدين لتمهد لنشاط تجاري واسع بينهما[4]. كما اهتم السلاطين الهنود بالتجار وسياسة التعامل معهم فقد تقرّبوا إليهم بالرعاية والعناية التامة بخاصة من اشتهر منهم بالأمانة والإخلاص، وعن ذلك فقد قدّر لنا

[1] ابن حجر: أنباء ، المصدر السابق، ج8، ص147.

[2] وكمثال على ذلك فقد كتب السلطان الأشرف برسباي سنة 837هـ/1434م إلى الأمير سودون المحمدي ناظر مكة أن لا يؤخذ من تجار الهند سوى العشر وأن يؤخذ من تجار ومصر والتجار الشاميين العشرين، إذا وردوا ببضائع اليمن، وإذا جاء تجار اليمن ببضائع جدّة تصادر بضاعتهم كلها وذلك بسبب سوء المعاملة التي يفرضها حكام بندر عدن على تجار الهند فتركوا المرور بعدن واتجهوا إلى جدّة ولكن حمّلت عليهم ضريبة العشر ورسوم القبان وأجرة الناظر مما دفعهم إلى التذمر من المكوس العالية فخاطبوا رجال القلم والفقهاء في مصر ورفعوا هؤلاء بدورهم دعوى إلى السلطان تنص على استعدادهم لدفع أي مبلغ يفرض عليهم مقابل تعهد السلطان بتأمين طرق التجارة وحماية التجار بصرف هذه المبالغ على إرسال جيش مرابط في الموانئ، فأفتى الفقهاء الأربعة بجواز أخذ العشور وإنفاقها في المصالح، وقرئت الفتوى في موسم الحج. أنظر: الصيرفي: المصدر السابق، ج3، ص303.

[3] A.B .Serjeant: The Portuques in the South Arabian Coast (oxford-1963), p12.

[4] القلقشندي: صبح الأعشى، المصدر السابق ، ج11، ص421، ابن الفرات: المصدر السابق، ص261.

الرحالة ماركوبولو في رحلته سجايا التجار الهنود تقديرًا حسنًا إذ قال عنهم: "إنهم أفضل وأنبل ما يمكن فهم لا يكذبون وإن كانت حياتهم متوقفة على الكذب"[1].

ومن جانب آخر فإن مصر لم تكن وحدها تقيم الفنادق والخانات لاستقبال المسافرين والتجار بل كان سلاطين الهند الإسلامية يلقون بالمثل التجار المصريين وغيرهم، الذين يفيدون إلى ديارهم ويلقون عندهم العناية والرعاية فقد ذكر ابن بطوطة أن بلاد الهند آمن البلاد وأحسنها حالاً للمسافرين فإذا كان معهم الأموال الكثيرة فلا يخافون عليها، وترتب على ذلك أن يكون لهم فندق يسكن فيه جماعة من الفرسان ومدير للفندق، فإذا جاء وقت الليل جاء المدير ومعه كاتبه ليدون أسماء من يبيت به من التجار، وكان من عادة أهل الهند أن يضيّفوا زائرهم ثلاثة أيام إكرامًا لسلطان الهند وبالمقابل كان التجار يعطون ضريبة تسمى (حق بندر المرسى) للسلطات[2].

طرق التجارة وموانئها:

شهدت التجارة مع الهند انتعاشًا إضافيًا إثر تولي المماليك الحكم في مصر سنة 648هـ/1250م، ومع انتهاء الحرب الصليبية أصبح الأوروبيون شديدي الحرص للحصول على منتجات الشرق، الأمر الذي أعاد طرق التجارة المتبادلة في البحر الأحمر والبحر المتوسط والمحيط الهندي إلى ما كانت عليه قبل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر للميلاد في النشاط والحركة[3] وكان من أهم الطرق التجارية الموصلة بين مصر والهند الطريق البحري المعروف الذي يأتي من سواحل الهند ويستمر حتى يصل موانئ البحر الأحمر (القلزم) ومن هناك تنزل السفن حمولتها في ميناء عيذاب[4] حيث تنقل البضائع على ظهور الجمال التي تتهادى في مشيتها لمدة ثلاثين يومًا لتصل إلى شواطئ النيل ثم إلى القاهرة ومنها إلى الموانئ المصرية[1].

---

[1] ريتشارد. جي. ولش: ماركوبولو رحلاته، واستكشافاته، ترجمة حسن حسين الياس، منشورات دار البصري، بغداد،1979، ص112.

[2] ابن بطوطة: المصدر السابق، ص252، 187.

[3] وليد جرادات: الأهمية الإستراتيجية للبحر الأحمر، دار الثقافة، الدوحة، 1986، ص19.

[4] هي بلدة صغيرة تقع على ساحل البحر الأحمر الغربي وهي مرسى للسفن القادمة من الهند والصين، وقد اختلف المؤرخون القدامى في أمر تبعيتها فقسمًا منهم ينسبها إلى البجاة إحدى نواحي الحبشة، والقسم الآخر ينسبها إلى حدود مصر وهو الأصح لأنها من أعمال مصر حقيقة، وصار ميناء هذه البلدة مسلكًا للتجار والحجاج معًا يمرون به حتى يصلون إلى الصحراء الشرقية،

والطريق الآخر يأتي من الصين فالهند ثم إلى الخليج العربي حيث يتفرع إلى البصرة وبغداد ثم يتجه في اتجاهين شمالاً إلى ديار بكر، وغربًا إلى دمشق ومنها إلى الموانئ المملوكية على البحر المتوسط ثم يسير بمحاذاة الساحل إلى غزة ويعبر الصحراء إلى القاهرة. فضلاً عن ذلك كان هناك طريق آخر يبدأ من بولاق–القاهرة ويستمر بالنيل جنوبًا إلى ميناء قوص[2] ومنها شرقًا إلى عيذاب على البحر الأحمر ثم يدخل المحيطالهندي والسواحل الهندية، إلا أن هذا الطريق بطل استخدامه منذ أوائل القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد لطوله وكثرة تفرعاته[3].

وهكذا كان الطريق الأول (طريق البحر الأحمر) هو الأساس في التجارة بين مصر والهند وربما كان هذا الطريق معقدًا وصعبًا لكنه كان أقصر الطرق وآمنها[4]. وبعدما كانت السلع والبضائع الهندية تصل إلى موانئ القاهرة ينقل بعضها إلى الموانئ الإيطالية بعد أن تجتاز جبال الألب وتنحدر إلى وادي الراين لتصل إلى ميناء بروج ملتقى تجار أوروبا.

وبذلك استطاعت مصر أن تحافظ على تجارتها مع الهند وأوروبا وتحتفظ بالوقت نفسه باليد الطولى في حروبها مع الصليبيين وتظل مركز الثقل في التجارة الدولية، لذلك حاول المماليك الإبقاء على طرق التجارة مع الهند وأسرارها وقفا عليهم وعدم تسربها إلى غيرهم فحظروا على جميع السفن غير الإسلامية من القيام بأي نشاط تجاري في البحر الأحمر متذرعين بالحرص على سلامة وحماية الأماكن الإسلامية المقدسة، وأنزلوا أشد العقوبات بالسفن التي تتعدى ذلك

كما استمرت بضائع الهند تحمل من عيذاب إلى المحطات التجارية الأخرى حتى سنة 760هـ/1361م إذ غالى حكام هذه البلدة في فرض الضرائب وسوء المعاملة على التجار الهنود الذي حاولوا التحرر من هذه المعاناة في تجارتهم. أنظر: محمد بن أحمد بن جبير: رحلة ابن جبير، دار الكاتب اللبناني، دار الكاتب المصري، بيروت، ص67–68، الحموي: المصدر السابق، م4، ص171.

[1] نعيم زكي فهمي: طرق التجارة بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة،1970، ص124.

[2] تقع على الشاطئ الشرقي للنيل وكانت ملتقى القوافل من بلاد النوبة والحبشة وكانت المركز الرئيس للتجار القادمين من الهند. ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى، المصدر السابق، ج3، ص341..

[3] فهمي: المرجع السابق، ص133.

[4] كان هذا الطريق مسلكًا للحجاج لأكثر من مائتي سنة، وكان تجار الهند يردون إلى عيذاب ثم إلى قوص ثم إلى القاهرة، غير أنه لم يكد يخلو من صعوبات تعترض الملاحة فيه لاسيما المسافة الكبيرة من الهند إلى البحر الأحمر وما فيها من تيارات بحرية وهوائية متعارضة فضلاً عن كثرة الشعاب المرجانية في البحر الأحمر. ينظر: المقريزي: الخطط.،ج1، ص12.

Basham : op.cit, p228.

الحضر وأدى ذلك إلى أن أصبحت الملاحة في البحر الأحمر حكرًا على السفن الإسلامية والصديقة[1].

ونظرًا لوقوع حدود الدولة المملوكية على سواحل البحر الأحمر والبحر المتوسط فقد زخرت بعدد من الموانئ والمرافئ البحرية لتكون محطة لاستراحة التجار والسفن ولتكون ساحة للتبادل التجاري وعرض السلع، فضلاً عن الموانئ المذكورة كانت موانئ الإسكندرية[2] ودمياط[3] هي الوجه البحري للتجارة مع أوروبا، وموانئ مصوع وسواكن فهي تختص بنقل تجارة الحبشة وبلاد النوبة[4].

ومن موانئ البحر الأحمر الأخرى ميناء القصير الذي يقع من جهة الشمال عن عيذاب وتصله القوافل شرقًا من الصحراء حيث تستغرق سبعة عشر إلى عشرين يومًا[5]، ثم ميناء الطور جنوبي غربي شبه جزيرة سناء حيث تأتيه السلع من جدّة[6] وعدن[1] وزادت أهميته بعد خراب ميناء

---

[1] ظل الأوروبيون على جهل بأوضاع الملاحة في المحيط الهندي والبحر الأحمر لمدة طويلة وكانت معلوماتهم مشوشة يعوزها الكثير من الدقة. أنظر: محمد نجيب: المرجع السابق، ص80.

[2] هي مدينة كبيرة لها أربعة أبواب موزعة على جهاتها ولها أسواق واسعة تعد من أكبر الأسواق في العالم لتصدير التوابل الهندية وكانت تسمى بمخزن العالم وتبعًا لأهميتها في التجارة فقد زارها الرحالة ابن بطوطة وأعجب بمرساها الطويل حتى أنه جعلها بنفس مرتبة الموانئ العالمية الأخرى التي زارها في الهند وغيرها. وبهذا يمكن القول أن القاهرة كانت مركز الثقل السياسي في حين كانت الإسكندرية العاصمة التجارية بلا جدال، إذ تقع فيها الأعمال التجارية والتبادلية بين التجار وكانت السلطنة المملوكية تؤكد على حكام مينائها بملازمته وتنظيف مرساها وبحره والمطالعة بما يتجدد فيه من منفعة ونمو. أنظر: ابن بطوطة: المصدر السابق، ص20، رشيدة بسرور: الإسكندرية في عهد المماليك، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الآداب، منوبة، تونس،1986، ص11.

[3] أحد الموانئ المهمة على النيل وتعرض لعدة هجمات من قبل الصليبيين أثناء الحكم الأيوبي لمصر ولكن تمت إعادة بناءه في العصر المملوكي حيث تنقل البضائع منه إلى منطقة الفرما ثم تحمل على الدواب إلى السويس الذي يقع شرق مصر نهاية البحر الأحمر حيث تحمل منه البضائع إلى الحجاز، وقد أنشأ فيه الأيوبيين ميناءًا تجاريًا. أنظر: الاصطخري: المصدر السابق، ص30، المقريزي: الخطط ، المصدر السابق، ج1، ص212، اليوزبكي: المرجع السابق، ص80.

[4] فهمي: المرجع السابق، ص141.

[5] نفسه، ص143.

[6] ازدادت أهمية ميناء جدّة في التجارة المصرية الهندية منذ سنة 825هـ/1422م إذ أصبحت السفن التجارية القادمة من الهند تبحر إليها مباشرة دون المرور إلى ميناء عدن، وذلك بفضل جرأة تاجر هندي يدعى (الناخذاه إبراهيم) الذي اندفع بسفينته داخل البحر الأحمر دون أن يرسي في عدن فنزل بجدّة ولقي معاملة حسنة من رجال الشريف حسن بن عجلان (729-775هـ/1373-1426م) أمير مكة. وعندما ازدهر هذا الميناء وراجت تجارته خشية السلطة المملوكية من أن تفلت من يدها الضرائب والمكوس الكبيرة التي تشكل موردًا كبيرًا في ميزانيتها فوضعت جدّة تحت الإدارة المصرية المباشرة وصار يتوجه إليها كل عام أمير مملوكي للجباية بأمر السلطان. أنظر: مورتيل: المرجع السابق، ص183.

عيذاب سنة 760هـ/1359م فأصبح مركزًا للسلع الآتية من الهند[2]. وفضلاً عن ذلك الموانئ الرئيسية فقد ارتبط بها عدد من الموانئ والمرافئ الفرعية الأخرى والتي أدت دورًا في العلاقات التجارية بين مصر والهند كميناء ينبع كثير العمائر والأسواق وميناء أيلة على الطرف الشرقي بالبحر الأحمر في مقابلة القلزم[3].

أما أبرز موانئ الهند التجارية فهي الموانئ الواقعة على ساحل المحيط الهندي الطويل لاسيما ميناء كوجرات وهي من أهم المناطق الإسلامية البحرية، إذ كان التجار العرب يترددون إليها منذ أقدم العصور ويعرضون بضائعهم في أسواقها الكبيرة. وبالقرب من كوجرات يقع ميناء ديو الشهير الذي اكتسب أهمية كبرى في التجارة نهاية العصور الوسطى الإسلامية حيث استطونت فيه جاليات عربية، وكان أغلب سكانه يعملون في التجارة، وكان يصله من بلاد المماليك الذهب والفضة والأسلحة والأصواف الإيطالية ومجموعة من المواد الأخرى[4]، وعلى ذلك الساحل الطويل هناك ميناء كنباي الذي يستقبل السفن المصرية محملة بالخيول والقطن وعدد من المنسوجات لتعود تلك السفن بالتوابل والأحجار الكريمة وغيرها من البضائع الهندية[5].

كما ضم ذلك الساحل الكثير من المراسيم والمدن التجارية الأخرى لاسيما كاليكوت[6] وسندان ونلهورة وسومنات وغيرها[7].

---

[1] اشتهر ذكرها في المصادر التاريخية والجغرافية، وعلى الرغم من أنها تقع خارج السلطة المملوكية إلا أنها كانت المستودع الرئيس لتجارة الشرق ومثلت نهاية الخط الملاحي للسفن الهندية، ولكن أهمية هذا الميناء تناقصت بسبب سوء معاملة حكام اليمن الرسوليين لتجار الهند وفرضهم الضرائب الباهظة عليهم أواسط القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. أنظر: أحمد دراج: عيذاب من الثغور العربية المندرسة، مجلة المرخ العربي، ع7، بغداد،1987، ص63-64.

[2] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص152.

[3] فهمي: المرجع السابق، ص140.

[4] Serjeant :op.cit, p12, Toussant : op.cit, p71

[5] القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص70، 73.

[6] تقع على ساحل مليبار الشهير بإنتاجه لأصناف جيدة من التوابل، وتمثل السوق التجارية الكبرى للعرب في الهند، وسيطر عليه العرب تجاريًا بعد أن قاموا فيها ووسعوا تجارتهم حتى صارت من موانئ الهند المشهورة على الرغم من صغر مينائها. أنظر: القزويني: المصدر السابق، ص123.

[7] الندوي: تاريخ الصلات،المرجع السابق، ص164-165.

أسلوب التعامل التجاري:

أشارت المصادر إلى وجود طرائق متعارف عليها لتقييم ثمن البضاعة على الرغم من وجود نظام نقدي تجري على أساسه العمليات التجارية[1]. وبما أن التبادل التجاري قام في بداية أمره على استخدام المعادن النفيسة سواء كانت عملات ذهبية أم فضية فإن ذلك لم يكن جديدًا في تجارة العصور الوسطى[2].

وفي مصر استخدمت الدولة المملوكية النقود الكاملية نسبة إلى الملك الكامل الأيوبي ولمدة طويلة حتى وليّ الملك الظاهر بيبرس السلطنة فضرب الدراهم الظاهرية وجعل كل مائة درهم تحتوي على سبعين بالمائة ذهبًا وثلاثين بالمائة نحاسًا وجعل على وجه العمل رنكة أي شعار وهو يمثل صورة سبع. وظلت هذه الدراهم فضلاً عن النقود الكاملية تستخدم في مصر حتى سنة 781هـ/1382م[3]. وقد تغيرت العملات المملوكية تبعًا لكل سلطان سكّ عملة البلاد باسمه فعندما وليّ الظاهر برقوق السلطنة ضرب العملة باسمه، كما سكّ السلطان الأشرف برسباي الدنانير الأشرفية وهكذا[4].

ومن جابن آخر فقد ظهرت الحاجة في بعض الأحيان بالعودة إلى نظام المقايضة في البيع والشراء بخاصة في مناطق صعيد مصر، وأوقات الأزمات وهذا ما أطلق عليه بالتعامل بالكودة[5]، ولم تقتصر هذه الطريقة في التعامل على مصر وحدها بل كان بعض أهل الهند يقابلون عددًا من المواد والسلع بالمواد الأخرى، كما استخدمت التوابل والفواكه والمعادن غير النفيسة أساسًا لهذا التعامل وكان التجار أيضًا في مصر يبادلون بضائع الهند والصين بمنتوجات مصر والحبشة الواردة إلى موانئهم، واستمر ذلك حتى سنة 770هـ/1371م[6]. وكان التعامل بالنقود الذهبية

---

[1] شوقي عبد القوي عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،1980، ص211.

[2] توفيق اسكندر: نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، ع6، 1957، ص38-39.

[3] المقريزي: شذور العقود بذكر النقود، تحقيق محمد السيد علي بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف ، ص30-31.

[4] نفسه، ص31.

[5] هي الدرع الذي يستخرج من صدفات البحر، وكانت وسيلة للتعامل بالتجارة الداخلية. أنظر: المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيّال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1940، ص69.

[6] نفسه ، ص69.

معرضًا للغش والتزوير في كثير من الأوقات، فكان السلطان يعاقب جماعة من المدلسين الذين يغشون في العملة فيقطع أيدهم، كما حدث في عهد السلطان قايتباي سنة 860هـ/1455م عندما قبض على مجموعة منهم وعاقبهم ثم أصلح العملة[1].

أما في بلاد الهند فقد كانت عملة البلاد الأساسية تسمى (تَنْكَة)[2] وكان التعامل بها قائمًا طيلة القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد. فضلاً عن مجموعة من العملات التي سكّها سلاطين الهند الإسلامية بأسماء الخلفاء العباسيين في القاهرة كما مرَّ بنا.

السفن:

أما ما يتعلق بالسفن بالتجارية فقد اختلفت تسمياتها وأشكالها وطريقة صناعتها بحسب طبيعة البحار التي تبحر فيها، فكانت سفن المحيط الهندي والبحر الأحمر كبيرة[3] وتتكون من دفة واحدة وشراع واحد وليس فيها سطح ولكن مجرد غطاء ينشر فوق الحمولة بعد شحنها[4]. وقد استخدمت طريقة مختلفة في صناعتها إذا كانت الألواح تخاط بحبال من ليف النارجيل وتشد بإحكام إلى أن تسد الثغرات جميعها وتتخلل الألواح بعيدان النخيل ثم تطلى بدهن الخروع أو دهن القرش (الحوت) وهو الأفضل لسد الفتحات[5]. ولم تكن المسامير تستخدم في بناء هذه السفن (على عكس سفن البحر المتوسط) "وذلك خوفًا من تأكلها بماء البحر المالح"[6]. وبما أن البحر الأحمر يحتوي على صخور وتيارات بحرية وأعاصير فقد تطلب ذلك تغييرًا في بناء السفن التي تسير فيه، فكان الخطر الوحيد الذي تخشاه السفن ذات الأحجام الكبيرة في مياه البحر الأحمر والمحيط الهندي هو تقلب الظروف الجوية لذلك لم تكن السفن تبحر حتى تتأكد من الظروف الجوية المساعدة. وعلى الرغم من ذلك فقد كانت الرحلة إلى الهند من السواحل العربية ممكنة طوال العام حتى يمكن القيام

---

[1] ابن اياس: اللمصدر السابق، ج2، ص56، 61.

[2] التنكة تساوي ثمانون درهمًا مصريًا، وكانت التنكة هي العملة السائدة والمتداولة في عهد السلطان محمد تغلقشاه. أنظر: المقريزي: الخطط، ج2، ص174.

[3] يذكر أن السفينة الهندية الواحدة المخصصة لنقل التوابل يمكنها أن توسق حمولة تفوق ثلاث مرات طاقة نقل ثلاث سفن إيطالية وأوروبية آنذاك دلالة على حجمها وسعتها. أنظر: بسرور: المرجع السابق، ص206.

[4] اليوزبكي: المرجع السابق، ص88.

[5] ابن جبير: المصدر السابق، ص67-68.

[6] المسعودي: المصدر السابق، ج1، ص136.

برحلتين ذهابًا وإيابًا إلى الهند[1]. وتبدأ الرحلة الأولى في شهر آذار من السنة ثم تبدأ الرحلة الثانية في شهر أيلول.

وعن طبيعة الملاحة في البحر الأحمر يقول الرحالة ابن بطوطة: "هذا البحر لا يسافر فيه في الليل لكثرة أحجاره وإنما يسافرون عند طلوع الشمس إلى غروبها ويرسون وينزلون إلى البحر فإذا كان الصباح صعدوا إلى المراكب..."[2]. لذلك احتاجت تلك السفن أنواعًا معينًا من الأخشاب امتازت بصلابتها لتقاوم التيارات البحرية القاسية[3].

وعلى الرغم من استعانة الربان والسفانين بالنجوم للتأكد من الطريق الذي يسلكونه إلا أنهم استخدموا البوصلة في طريقهم، فضلاً عن معرفتهم بانتظام هبوب الرياح الموسمية[4]. وبذلك يتبين أن الطريق البحري وموانئه وسفنه آنذاك لا تكاد تختلف كثيرًا عما كانت عليه إبان المدد الإسلامية السابقة[5].

أهم الصادرات والواردات:

إن دور مصر كوسيط تجاري بين الهند وأوروبا يبين قلة ما كان يصدر منها إلى الهند فكان لا يتعدى على مجموعة من المنتوجات الزراعية والمصنوعات، لاسيما القطن والكتان والمنسوجات الحريرية إذ كانت صناعة النسيج في مصر من أهم الصناعات التي لقيت رواجًا عالميًا فكان أبناء الطبقات الراقية في الهند وأوروبا يرتدون الملابس الحريرية المنتجة في مصر[6]. هذا وقد صدّرت أنواعًا من الخيول فضلاً عن ما كان يصلها من عدد من المناطق كالذهب والمعادن

---

[1] عثمان: المرجع السابق، ص92.

[2] ابن بطوطة : المصدر السابق، ص172.

[3] فكانت هياكل السفن تصنع من خشب الساج وخشب جوز الهند المتين لأنه يكاد يمتنع عن التلف فإذا كان في ماء البحر يبقى مائتي سنة وإذا خرج من الماء شرع بالتلف. أنظر: المسعودي: المصدر السابق، ج1، ص124.

[4] اليوزبكي: المرجع السابق، ص89.

[5] Hussain Ali Tahtooh : Commercial Relations Between The Arab World and India (3rd and 4th/ 9th and 10th C), St. And rows U.K-1986, PP97-116.

[6] حسن : المرجع السابق، ص129.

النفيسة والأسلحة' ومجموعة القراطيس التي اشتهرت بها مصر فضلاً عن مواد أخرى كمعدن الزبرجد ودهن البلسان[1].

أما الواردات المصرية، فيبدو أن البضائع الهندية كانت عاملاً مساعدًا على رواج التجارة والتنافس البحري بين الأمم من أجل الحصول عليها بأنواعها المتميزة. وقد تنوعت هذه البضائع لتمتع أرض الهند بتوافر الكثير من المعادن والجواهر والمنتجات الزراعية التي زخرت بها أيضًا المتاجر الكبيرة التي اقترنت باسمها[2] ويقف في مقدمتها:

وتعد من أهم ما تنتجه أرض الهند بكميات ضخمة وفي مختلف الممالك الهندية لاسيما في سواحل مليبار إذ تتوافر فيها أشجار الفلفل العالمية وتتدلى عناقيدها على الأغصان حتى إذا هبت الريح سقطت على الأرض فيجمعها الناس وعلى الرغم من أن حكام عدد من المناطق التي تتوافر فيها التوابل كانوا من الهندوس إلا أن ذلك لم يمنع من قيام صلات تجارية عميقة مع التجار المصريين الذين نقلوا بأنفسهم كميات كبيرة من التوابل إلى موانئ عدن والإسكندرية[3]. ومنذ القرن الخامس للهجرة/ العاشر للميلاد أضيف إلى بلاد الإسلام أجزاء كبيرة من بلا د الهند (الفتح الغزنوي) ذات الشأن التجاري العظيم حتى أصبحت تجارة الشرق أكثر توسعًا وأهمية في الاقتصاد العالمي فصارت أغلب موانئ الهند في كوجرات والبنغال تحت حكم المسلمين[4].

تتألف التوابل الواردة من بلاد الهند من مواد مختلفة منها: الفلفل بأنواعه[5] والزنجبيل[1] والكافور[2] والقرنفل[3] والخولنجان[4]وغيرها.

---

[1] هو شجر ينبت في حصن بابليون في مصر وأن جميع فوائده طبية. ينظر: بن هاو: المرجع السابق، ص16، فضلاً عن ذلك فقد صدّرت مصر في فترات سابقة للعصر المملوكي أنواعًا من الهماليج وهي أنواع من الحمير الجيدة لنقل البضائع والأمتعة. ينظر: اليوزبكي: المرجع السابق، 94.

[2] المقدسي: المرجع السابق، ص474.

[3] القزويني: المصدر السابق، ص123.

[4] ميتز: المرجع السابق، ج2، ص274.

[5] أجوده النظيف مر الدق والتراب السالم من العفونة، ومنه الفلفل الأبيض فإنه جنس يخالف الألوان في لونه وشكله وهو يدخل في صناعة الأدوية ولا يدخل في الأغذية وأفضله ما نبل حبّه وقلة قشوره. أنظر: أبي الفضل جعفر بن علي الدمشقي: الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق البشري الشوربجي، الطبعة الأولى، مطبعة الغد، القاهرة، 1977، ص41.

وعلى الرغم من تعددها فإن الفلفل والزنجبيل ركز عليهما النشاط التجاري وحظيا باهتمام استثنائي في العقود التجارية، وكان الفلفل يفرز مثل بقية أنواع البهار، لفصل النوع الجيد من اسقاطاه التي تقل قيمتها. وقد تأرجحت كمية الفلفل المعروضة في أسواق القاهرة والإسكندرية وربما يعود ذلك إلى مدى توافره في مصدره الهندي لأننا نفتقر إلى معطيات الكميات الجملية المردة من الهند ولا نملك المعطيات عمّا يتركه المماليك لاستهلاكهم الخاص، أو ما يحول إلى موانئ بلاد الشام، ولكنها كانت كميات ضخمة عمومًا[5].

وهكذا كانت تجارة التوابل الهندية من العوامل المهمة في ازدهار الاقتصاد، إذا درّت ربحًا هائلاً الطرفين بوصفها سلعًا يشتد طلب الناس عليها جميعًا[6]. وقد كانت لهذه التوابل خزانة خاصة في مصر تسمى ب(خزانة التوابل) وخصص لها ناظر ينظر بأمر صادرها وواردها[7]. وكان انقطاع أو ندرة وصول هذه التوابل يسبب ضائقة اقتصادية شديدة وركودًا تجاريًا لمصر والمتاجر الأوروبية على حد سواء، فمثلاً في سنة 748هـ/1346م قلّ وجود الفلفل في القاهرة حتى بلغ سعر الرطل منه ستة وأربعون درهمًا وعندما انفرجت الضائقة بقدوم الحجاج عن طريق عيذاب منزل سعره إلى خمسة دراهم للرطل الواحد[8].

---

[1] نوع من التوابل خال من العفونة وطري ويستورد من سهول الهند ويأتي بعد الفلفل بحسب الكميات المصدرة منه. أنظر: الدمشقي: المصدر نفسه، ص42، بسرور: المرجع السابق، ص216.

[2] مادة تدخل في صناعة الأدوية والطيب هو يستخرج من شجرة سفحية بحرية بأطراف الهند وهو على عدة أصناف واستعماله يسرع السيب ويمنع الرعاف والصداع. ينظر: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، مطبعة كوستاموس، القاهرة، ج12، ص292–293.

[3] نبات يجلب من بلاد سفالة الهند وأقاصيها له رائحة زكية جدًا وهو حار يابس ومقو للقلب والكبد وقاطع للغثيان ويدخل في صناعة الأدوية. أنظر: النويري: المصدر السابق، ج12، ص45–46.

[4] هو عروق متشعبة ذات عقد لونها بين السواد والحبرة شبيهة بأصول النوع الكبير من السّعد وهي حرفية الطعم وفيها مادة عطرية تجلب من الهند. أنظر: بسرور: المرجع السابق، ص207.

[5] بسرور: المرجع نفسه، ص207–211.

[6] ك. م. بانيكار: آسيا والسيطرة الغربية، تر عبد العزيز جاويد، دار المعارف، (القاهرة–1962)، ص21.

[7] المقريزي: الخطط ، المصدر السابق، ج2، ص422.

[8] نفسه، ج2، ق3، ص725.

وإن كانت نوعية هذه التوابل وجودتها مثار إعجاب تجار مصر والإسكندرية فإن أسعارها العالية لم تكن موضع دهشة أحد في أسواق أوروبا فقد استخدموها لحفظ الأطعمة خلال فصل الشتاء الطويل كما ازداد استخدامها في صناعة المراهم الطبية، فهي للتطيب والتطبب، وعن أهمية التوابل يقول أحد المستشرقين: "لعله ليس للفلفل الآن أهمية كبيرة بيد أنه كان في العصور الوسطى يقف مع قدم المساواة مع الأحجار الثمينة، فإن الناس كانوا يجابهون مخاطر البحار ويقاتلون ويموتون في سبيل الفلفل".

الفصل الثالث

النظم الإٍجتماعية

1) عناصر المجتمع في الهند

2) الطوائف الدينية

3) مظاهر الحياة الاجتماعية

4) المرأة في المجتمع الهندي في ظل الاسلام

5) العمارة الهندية ودور السلاطين فيها

يقسم توماس ارنولد في كتابه الدعوة الى الاسلام الجماعة الاسلامية في الهند إلى ثلاث طوائف، الاولى طائفة المسلمين الذين رحلوا الى الهند ونشروا الاسلام فيها وقد جاءوا من البلاد الواقعة شمال غربي الهند، واستوطنوا اقليم السند والبنجاب. وبعضهم من بقايا الجيوش الاسلامية التي غارت على هاته البلاد في ازمنة مختلفة [1] الثانية طائفة الهنود الذين كانوا يدينون باديان مختلفة ثم اعتنقوا الاسلام [2] اما الثالثة فهي طبقة المسلمين الذين جاؤوا الى الهند من البحر ونزلوا الساحل وهم من اصل عربي، ويذكر توماس ارلوند ان غالبية سكان البلاد الاصليين قد اعتنقوا الاسلام واندمجوا في الطبقة الارستقراطية الاسلامية [3] وقد كان كذلك المجتمع الهندي يتألف من طبقتين عظيمتين متباينتين [4]، الطبقة العليا التي تتألف من السلاطين ومن حولهم من الأمراء، والحجاب، والوزراء وكبار رجال الدولة أصحاب الألقاب الرفيعة من الخانات والملوك، ويعرف أبناء هذه الطبقة بالراجبوت، وهم سلالة الملوك وحكام القدامى، أشراف البلاد وسادتها وهم الذين إهتموا بتنشئة أبنائهم على الفروسية وتقليد الآباء والأجداد من الأبطال على إعتبار أنهم المثل الأعلى، وكانت بأيديهم الثروات كلها وهم أصحاب السيطرة والسطوة الذين يتمتعون بالترف والتعيم في الظل خيرات البلاد.

أما الطبقة الثانية فهي الطبقة الدنيا، طبقة السواد الأعظم من الهندوس، ويمثلها الشودرا أو الطائفة المنبوذة، التي ليس لها مهنة خاصة، ولا عمل معين إلا خدمة الطبقة العليا. وكان أبناؤها يعانون الفقر والجوع والفاقة وهم أصحاب البلاء والمحن وبخاصة أوقات المجاعات والكوارث التي كانت تتعرض لها البلاد، وما يصاحبها من الغلاء والفتن العارمة. وكان بنو تغلق يبذلون جهودا مضنية من أجل التخفيف من غلواء الجماعات وآثارها في هذه الطبقة، فلما تعرضت البلاد للجذب وضاقت الأحوال وعظم الخطب على عهد السلطان محمد شاه تغلق، أمر هذا السلطان أن

[1] توماس ارلوند: الدعوة الى الاسلام ،تر حسن ابراهيم حسن ،مكتبة النهضة ، القاهرة ، 1947، ص 221

[2] حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام في الهند ، مجلة كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، مج 7 ، 1944، ص 3

[3] توماس ارلوند : نفس المرجع ،ص 223

[4] كان التقسيم الطبقي للمجتمع الهندي القديم يقوم على أساس ديني ويتألف من طائفة البراهمة أي الكهان ، وطائفة الأكشترية المحاربين ، وطائفة الفيشية وهي طائفة الزراع والتجار التي توفر مسائل العيش للكهان والمحاربين ، وطائفة الشودرا وهي أسفل الطبقات ، وكانت الفواصل بين هذه الطبقات غير شاسعة ، ثم أخذت على مر الأيام تتسع وتتشكل ويوضع لها نظام وحدود وإنتهت إلى طبقتين كبيرتين على عهد بني تغلق .انظر : عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان 1404هـ/1981م .ص50.

يصرف لجميع أهل دهلي نفقة ستة أشهر، فكان القضاة والكتاب يطوفون الشوارع والحارات يكتبون الناس، ويعطون لكل عائلة نفقة ستة أشهر بحساب رطل ونصف من أرطال المؤن في اليوم [1].

كان النظام الطبقي في المجتمع الهندي يفرض قيودا صارمة على أصحاب كل طبقة إتجاه الأخرى، فلم يكن يحق للرجل التزوج من طبقة الشودرا وإلاّ أصبح منبوذا يطرد من عائلته فلا يتزوج نساء الشودرا إلاّ رجال الشودرا خطر داهم يؤدي حتما إلى الأمراض الخبيثة، ولذلك يجب عدم الزواج منهم أو محاولة الإرتفاع بهم عن طبقتهم السفلى، كما كان حرم على الشودري أن يجمع ثروة زائدة ولو كان يملك القدرة على ذلك. وفضلا عن ذلك كان الرجل يسقط من مكانته إذا جلس مع الشودري على متكأ واحد أو تناول معه الطعام.

رسخت فكرة الطبقية بمرور الزمان وأصبحت كل طبقة أشد إيمانا وتمكينا بموقفها من غيرها، فمن ذلك فإن الشودرا المنبوذين كانوا يتخذون مساكن لهم في أطراف المدن في غاية الحقارة والضعة بعيدا عن غيرهم من الأهالي، وهم يتميزون بالجهل الشديد ولا يحاولون الإرتقاء بمستواهم، فقد رضوا بالذل والمهانة، وكانت جل سعادتهم هي خدمة أفراد الطبقة العليا.

ولا شك في أن موقف الحكام المسلمين من هذه الطبقة كان له أثر كبير في تأكيد تدنيها وبقائها على حالها، فلم يحاول هؤلاء الحكام الذين تربعوا على عرش الهند أكثر من ثمانية قرون أن يرتقوا بمستواهم أو إنقاذهم من عبوديتهم، فظل المنبوذون داخل نطاق لا يرتفعون عنها، وكان الأولاد يرثون الآباء في ضعتهم ومهانتهم[2] ومكانتهم الوضيعة.

1- عناصر المجتمع في الهند:

تضم الهند طوائف وأجناس شتى فعلى الرغم من حمايتها بحواجز طبيعية إلا أنها شهدت هجرات كثيرة من شعوب متباينة وبخاصة من جهة الغرب، حيث توجد الممرات التي مهدت السبي لجيرانها، واستمرت الهجرات على مدار تاريخها عبر الحدود الشمالية التي استقرت في السند،

---

[1] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 487-489.

[2] عبد المنعم النمر : المرجع السابق ، ص56.

والهجرات التي جاءت عن طريق البحر من الساحل الغربي واستقرت في البنجاب وما حولها فضلا عن استقرا مقاتلة المسلمين في أعالي الهند وهضبة الدكن.

شجعت مساحة الهند الكبيرة وتباين المناخ فيها وما اشتهرت به من كنوز وخيرات الهجرات المختلفة من شعوب شتى، الأمر الذي أدى إلى ذلك التباين في إختلاف السكان في اللغة والدين، فضلا عن إختلاف الهنود في ألوانهم وأجناسهم وطبائعهم وعاداتهم، ومن الغرب حقا أن كل هذا الشتات صار يؤلف شعبا واحد ينتمي إلى أرض هذا الوطن.

كانت أهم العناصر العرقية التي أدت دورا بارزا في الهند تتألف من العرب والأفغان والترك والفرس والذين جاؤوا للتجارة وأنشأوا المستودعات وسيطروا على بعض البلاد الهندية في السواحل الغربية نحو مصب نهر السند[1]. وقد ذكر فريزر ان الجانب الغربي للهند من جهة السند قد تعرض لغزو المحمديين باستمرار ويذكر ان سبب ذلك التواصل في الغزوات هو الجهاد[2]

أ- العرب:

يذكر لنا ابن خلدون ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على نسبة القادمين بها في القلة والكثرة، والسبب في ذلك ان الملك انما يكون بالعصبية، وأهل العصبية هم الحامية الذين ينزلن بممالك الدولة وأقطارها وينقسمون عليها [3] وفي الواقع أن الاستطان العربي في الهند قد بدأ مع الحجاج بن يوسف على السند حيث وفد العرب بعائلاتهم وكان ذلك مستمرا عن طريق السند برا، وعن طريق سواحل الهند من شمالها إلى جنوبها بحريا، وشجع على إزدهار التجارة بين الطرفين إنفتاح الهند وتشجيع ملوك وسلاطين دهلي [4]. وقد جاء العرب في البداية الى الهند واكرم الهندوس وفادتهم ذلك لانهم جاءوا برخاء وتجارة مزدهرة، وقد سمح لهم ببناء المساجد والزوايا وبهذا تحول الكثير من الهنود إلى الاسلام وتبع زواج التجار العرب بهنديات[5] و نشأت بين العرب والهنود

---

[1] غوستاف لوبون: حضارة الهند ، تر عادل زعيتر ، دار العالم العربي ، القاهرة 2009 ،ص 130

[2] Frazer :Aliterary History of India. London.1915.p333

[3] عبد الرحمان ابن خلدون :العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ج 7، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1971،ص 28

[4] محمد يونس : الدولة التغلقية في الهند ، دار الكتب ،القاهرة ،2001 ، ص 55

[5] مانوراما موداك : الهند شعبها وارضها ، تر ، محمد عبد الفتاح ابراهيم ، مكتبة النهضة المصرية ،1964،ص 115

صلات قوية قبل الإسلام من خلال الرحلات التجارية التي إرتادها العرب بين آسيا وأوروبا، وأقامت بعض الجاليات العربية في الهند وتمتعت بمكانة خاصة عند الهنود بعد أن أطلعوا من خلالها على العادات والتقاليد العربية السامية، فلما ظهر الإسلام في الجزيرة العربية إزدادت مكانة العرب في قلوب الهنود المتعاملين معهم بعد أن عرفوا الشيء الكثير عن مبادئ الإسلام السامية.

وكان العنصر العربي يتمتع بمنزلة كريمة ومكانة مرموقة، ذلك أن السلاطين كانوا لا يفرقون بين المسلمين من عناصر عربية والعرب على إعتبار أنهم حملة لواء الإسلام وهم جند الفتح، لذلك كان يطلق على العرب لقب الأعزة (من الإعزاز والتكريم والمحبة) فأقام كثير منهم في البلاد، وتولوا الوظائف الكبيرة والأعمال الهامة، وكانت لهم حرية العمل والتجارة، فمن ذلك أن إبن بطوطة لقي خلال إقامته بالهند كثيرا من التجار العرب من بينهم أبو الحسن العبادي العراقي الذي أكرم وفادته، فضلا عن سيطرة التجار العرب على الأسواق في دهلي حيث إلتقى ابن بطوطة تاجرا كبيرا واسع التجارة من أهل العراق إشترى منه ثلاثين فرسا، وجملا عليه حمل من النشاب، كما لقي في وسط الهند شريفا بغداديا يشتغل بالتجارة وشيخا صالحا من شيوخ بغداد ينتسب إلى العباس رضي الله عنه يدعى السامري، كان يجلس على مائدة السلطان ويخاطبه محمد شاه ((يا ولدي))[1]

كذلك كان لعرب الشام روابط مع الهند، فلما قام الأمير سيف الدين بن هبة الله أمير عرب الشام بزيارة الهند، أكرمه السلطان إكراما عظيما وأنزله في قصر من قصور السلاطين. وكان أحد تلاميذ تقي الدين بن تيمية قدم على السلطان، فأكرمه وأحسن إليه وهو الشيخ عبد العزيز الأردبيلي الذي سرد على السلطان أحاديث في فضل العباس وابنه وشيئا من مآثر الخلفاء، فأعجب ذلك السلطان لحبه بني العباس، كما أن الشيخ الأردبيلي كان قد أخذ عن جمال الدين المزي والحفاظ الذهبي، فلاغرو إذا إستفاد الملك ورجال حاشيته من علمه، وأفاد الشيخ من اتصل به من العلماء والطلاب، وأخذ بيد السلطان، وشد عضده في رفع شأن السنة، وإزهاق باطل البدع. ومن ناحية أخرى إهتم السلطان محمد شاه باللغة العربية فكان السلطان يعرف العربية ويستطيع أن يتحدث ويفهم بها. ويذكر ابن بطوطة أن السلطان وحاشيته كانوا يفهمون الشعر العربي ويتذوقونه،

---

[1] ابن بطوطة : المصدر نفسه ، ص 413-417.

كما كان السلطان محمد شاه يكرم الشعراء كذلك كان يحفظ كثيرا من آيات القرآن الكريم ويستشهد بها [1].

ب- الأفغان:

ذكر الافغان لاول مرة في التاريخ المدون في تاريخ العتبي المسمى تاريخ اليميني. وقد ذكرهم البيروني في الوقت نفسه تقريبا، ولم يذكرهم الادريسي في نهاية القرن الحادي عشر حتى في كلامه عن كابل وقندهار، ويروي العتبي أن سبكتكين جند الأفغان في جيشه، وأن محمود قاد جيشا متكونا من الهنود والخلج والافغان والغزنويين في غزوة طخارستان، وأنه غزا الافغان زمن أخر وأدبهم[2]. وعلى الرغم من الفتن والحروب التي وقعت بين الهند وبلاد الأفغان إلا أن جماعة من الأفغانيين كانوا يقيمون في بعض مدن الهند وكان بعضهم يسكن جبالا منيعة على مقربة من مدينتي

و كنبايةkenbaya بلوذرة – bloudhrah

وذلك لحماية أنفسهم من بطش الحكام، وكذلك لانهم كانوا يتعرضون للإضطهاد إذا ما ساءت العلاقات الأفغانية التغلقية، فمن ذلك أن شاه أفغان كان قد خالف السلطان محمد شاه تغلق بأرض الملتان، واعتدى على أميرها زاد وقتله، وادعى السلطان لنفسه، فلما علم بذلك السلطان ثار وكتب إلى عماله بمدينتي كنباية وبلوذرة أن يقبضوا على من وجدوه من الأفغان ببلاده، كما كتب السلطان إلى نائبه بإمارة دولة أباد نظام الدين أخي قطلوخان أن يقبض على الأفغان القاطنين بإمارته، وبعث إليهم بأحمال كثيرة من القيود والسلاسل، غير أن الأفغان إستطاعوا التصدي لنظام الدين وأتباعه وحملوا عليهم، ودخلوا المدينة، إستولوا على خزائنها، وإختاروا أحد قادتهم أميرا عليهم وهو ناصر الدين بن ملك.

غير أن السلطان خرج بنفسه على رأس الجيش لتأديب الأفغانيين الذين غلبوا كنباية ودولة أباد، واستطاع أن يتغلب عليهم، وأقام بدولة أباد، وبعث إلى الأفغانيين الذين تحصنوا بقلعتها أن

---

[1] نفسه ، ص 534.

[2] دائرة المعارف الاسلامية ، تعريب ابراهيم خورشيد وأخرون ، مج 2 ، العدد 6 ،1936، ص 351

ينزلوا على حكمه، فأبوا أن ينزلوا إلا على الأمان [1]. ولا يوجد نص على ان الافغان كانوا متواجدين آنذاك في غرب غزنة او في وادي كابل او في قندهار التي كانت قسما من دولة هندية[2]

ج- الترك والفرس:

خضعت الهند في القرون الخمسة التي دام فيها سلطان المسلمين فاتحين من العرب والترك والافغان والمغول بغزواتهم في عهد سلطنة دهلي، والذين يدينون جميعا بدين محمد صلى الله عليه وسلم[3]، كان للترك أثر كبير في الحياة السياسية والإجتماعية في ذلك العصر، فقد كان أغلب الخانات من الترك، غير أن هذا العنصر كان يشكل المصدر الأساسي للقلق حيث تنازع الترك كثيرا مع العناصر والجنسيات الأخرى لعد تجانسهم، فانتشر الفساد في البلاد وعمت الفوضى. ولا شك أن الفساد السياسي ينعكس تأثيره على استقرار الحياة الإجتماعية لطبقات المجتمع، وبخاصة الطبقة الشعبية الكادحة فهي على الدوام التي تدفع الثمن، ذلك أن المتناحرين من هذه العناصر كانوا يلجؤون إلى فرض الأتاوات والضرائب على عامة الناس لتجهيز أتباعهم عسكريا، مما أدى إلى تدهور الحالة الإقتصادية بسبب نفقات الحروب الأهلية [4].

أما أهل فارس فكانوا يباشرون نشاطا كبيرا في البحر والتجارة في ميناء (لاهري) على نهر السند، وكذلك كان نشاطهم في مدينة ((منجرور)) التي تقع على أكبر خور في بلاد ((لاماليبار)). ومن هذه البلاد كانت السفن تحمل الناس والبضائع إلى عمان وفارس واليمن، وكان أهل اليمن يشاركون بقدر كبير في هذه النشاط التجاري لمينائي ((لاهري ومنجرور) [5].

ولعلنا نجد من ابرز اولئك المولدين غازي ملك تغلق الذي ارتقى عرش دهلي سنة 1328م وهو من الترك من اب تركي وأم هندية من البنجاب [6]

---

[1] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 510.

[2] دائرة المعارف : المرجع السابق ، مج 2، ص 361

[3] لوبون : حضارة الهند ، المرجع السابق ، ص 74

[4] Minshi .op.cit.pp.147-148.

[5] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 421.

[6] الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ، ج1، المرجع السابق ، ص 139

د- الرقيق:

شكل الرقيق عنصرا أساسيا من عناصر السكان في سلطنة دهلي، وبسبب كثرة الحروب زاد عددهم بكثرة وكان اغلبهم من الهنود وقد استخدموا في الاعمال اليدوية كالزراعة او الصناعة او التجارة، وكانت قصور السلاطين والأمراء والعظماء والأغنياء تأوي الكثير منهم، وعلى الأخص الجواري اللائي كن من أجناس متنوعة، تختلف في العادات والطباع واللغات، وقد تجلت في ذلك العصر ظاهرة تعليم الجواري الغناء الذي إنتشر إنتشارا عظيما، حتى أصبح من الحاجات الإنسانية الضرورية، وكانت العناية بتعليم الجواري قد إزدادت لتحقيق المكاسب التجارية، لأن الجارية المتعلمة المتقنة للرقص والغناء، كانت تقوم بأضعاف غير المتعلمة، وزاد من قيمتهن أن السلطان كان يهبهن للأمراء والأعزة في المناسبات المختلفة، كما يهبهن لأقاربه وأصهاره، فضلا عن إهدائهن للملوك والسلاطين، فكانت الهدية التي حملها ابن بطوطة إلى ملك الصين تشمل على مائة مملوك ومائة جارية وراقص من كفار الهند وخمسة عشر من الفتيان [1].

ومنهم من كانوا جنودا وقوادا تستعين بهم الدولة في حروبها، وقد وصل كثير من الأرقاء المعتقين إلى مراكز سامية، فمنهم من تولى قيادة الجيوش ومنهم من حكم الولايات، فكان ترك تاج الملك نصرة خان نائبا عن السلطان محمد شاه تغلق ببلاد التلنك وهو من قدماء خواصه. [2]

2- الطوائف الدينية:

كانت المذاهب الدينية الاسلامية السنية الاربعة معترف بها في الهند في عهد السلطنة، وكان لكل منها قضاة وتابعين من الرعية المسلمة في سلطنة دهلي، وهذا لا يمنعنا من القول بان المذهب الحنفي كان له التفوق وقد يكون ذلك راجعا الى انه كان له نفس هذا التفوق في عاصمة الخلافة بغداد، حيث أنه كان هو المذهب الاكثر انتشارا بين الترك في بلاد ماوراء النهر وخرسان في عصر السامانين أما في عهد سلاطين دهلي فقد ضمت طوائف دينية عدة من المسلمين، أهل السنة والشيعة والصوفية، وغير المسلمين من البراهمة والسامرة والسحرة الجوكية.

[1] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 542.

[2] نفسه ، ص 501.

أهل السنة:

عندما اتضح لدى اهل الهند، مزايا الاسلام، فهو دين الوسطية والعمل ولا رهبانية في الاسلام، كان لكل من العلماء والفقهاء والاحناف ثم الشافعية على التوالي تأثير كبير في تدعيم هيبة الدولة وشرعيتها امام الرعية المسلمة و كان مسلمو الهند من أهل السنة يتمتعون بالإحترام والتقدير من الملوك والسلاطين والأمراء، كما ان العاطفة الدينية كانت عندهم قوية راسخة عميقة، ويتجلى ذلك في تقدم القضاة والمؤذنين المواكب السلطانية.

ولهذا أقبل الهنود على اعتناق الدين الاسلامي، وتخلصوا من الخرافات والاوهام، ومن العقائد التي تكلف الانسان مالا يطيق من الزهد والتقشف وتمنع الناس من العمل والانتاج[1]، وكان السلطان محمد شاه تغلق يهتم كثيرا بعلماء المسلمين بحيث صنع لهم منبر من الصندل الأبيض جعلت مساميره وصفائحه من الذهب، وألصق بأعلاه حجر ياقوت عظيم، ليقف عليه الواعظ نصر الدين الترميذي، وأغلق عليه بحوامل الكتب الذهبية، وكان بعد كل خطبة يعانق الواعظ ويركبه فيلا ويأمر الحضور بالسير بين يديه [2].

وقدعاش سكان الهند المسلمين وغير المسلمين، كل فريق منهم بمعزل من الآخر للإختلاف والتباين في المعتقدات والعادات والتقاليد، ذلك أن الهندوس البراهمة كانوا يقدسون البقر ويحرمون ذبحها وكان الجزاء الرادع الذي يلقاه من يذبحها أن يخاط في جلد البقرة ويحرق. ولكن العلاقات بين المسلمين والهندوس كانت تمر بفترات هدنة في بعض عهودها، ويرجع ذلك بالضرورة لاتجاهات الحكام المدافعين عن الإسلام فالناس على دين ملوكهم. ففي عهد السلطان فيروز قل بناء المعابد الهندوسية بعد أن حدد موقف الشرع منها [3].

[1] الفقي : بلاد الهند ، المرجع السابق ، ص 312

[2] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 475.

[3] علي بن عبد الكافي السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، دار احياء الكتب ، مصر ، 1964، ج 3،ص16.

ومن ناحية أخرى حاول الهندوس التقرب من المسلمين، ويتجلى ذلك في إستخدام بعض الهندوس لعادة حجاب المرأة والأزياء الإسلامية، وعدم حرق جثثهم ودفن الموتى وإستخدام الألفاظ العربية والفارسية والتركية مما أدى إلى ظهور لغة جديدة هي اللغة الأوردية [1].

ومما تجدر الإشارة إليه أنه على الرغم من أن المسلمين والهندوس قاتلوا جيش تيمور متحدين فيما بينهم في بلدة بهتنير إلاّ أنهالم تكن حروبا دينية يقاتل فيها المسلمون والهندوس لإعلاء كلمة الله، بل حروب شخصية أو أهيلة، أوقدوا نيرانها لتوطيد دعائم مملكتهم، فانحاز المسلمون والهندوس إلى حلفائهم من أجل الظفر بالمناصب والوظائف الهامة.

وقد انتشر اهل السنة في كافة انحاء الهند، واصبحت مناطق مثل لاهور ودهلي والبنغال، مركزا هاما لهم كما بنوا العديد من المساجد، وقد اشتهروا بالحمية الدينية ومحاربة اهل البدع والتطرف، وتميزوا بإحياء مناسبتي عيدي الفطر والاضحى بشيئ من الابهة والاجلال [2].

الشيعة:

دخل المذهب الشيعي الى الهند في سنة 767م /151هـ، على يد أحد رجاله ويدعى عبد الله بن محمد بن عبد الله الاشتر [3]، وقد انتشر هذا المذهب وعم أنحاء كبيرة من الهند حتى ان المقديسي الذي زار الهند ذكر ان اهل مدينة الملتان قد تحولوا جميعا الى المذهب الشيعي[4]، ونتيجة لازدياد عدد الشيعة فقد أصبح لهم في دهلي احياء خاصة بهم تقيم بها عائلات الاشراف وهي الاحياء التي نجت من تدمير تيمورلنك حينما غزا دهلي، وفضلا عن ذلك فقد خلقت السادات حكم السلطنة بعد عودة تيمورلنك الى بلاده[5] وقد وجدت دعوة الشيعة التي قامت على أيدي الرواد الأوائل من دعاتها أرضا خصبة في بلاد الهند، واستطاعت أن تستميل فئات غير قليلة من الهنود في مناطق مختلفة من شمال البلاد وجنوبها. ويرجع السبب في ذلك إلى القدرات التأثيرية للدعاة

---

[1] ELLIOT AND DOWSON: the History of India as told by ets own Historains,(Mohammed Period) ,8.vols,london, 1867-1877,vol.II , P,386.

[2] عبد المنعم النمر : المرجع السابق ، ص 133

[3] الطبري : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 16

[4] المقديسي : المصدر السابق ، ص 484

[5] عبد المجيد العبد : المرجع السابق ، ص 28

في عقول مريديهم وقلوبهم، وإقناعهم بإعتناق الإسلام على المذهب الشيعي، فضلا عن دراسة الدعاة لعادات وتقاليد وعقائد الهنود ومحاولة التقريب بينها وبين تعاليم الشيعة الأثني عشرية [1]، والإسماعلية [2] بشقيها النزارية والمستعلية.

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها الدعاة الأوائل وما كان لها من فضل تحول كثير من الهندوس إلى الإسلام، إلاّ أن بعض الدعاة إستغلوا فرصة كثرة الأتباع في تحقيق أغراض سياسية بعيدة عن الدعوة الدينية، وكان من بينهم نور الدين ترك – الذي إستطاع أن يجمع شيعة الهندستان في دهلي ويجعل منهم قوة ذات نفوذ، والداعي شمس الدين الفارسي الذي وصل الهد أوائل القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي قادما من إيران [3]، وتمكن هذا الداعي من كسب ثقة أتباعه بمشاركة أهالي البلاد في عاداتهم طبقا لخطة محكمة بدأت بدراسة تقاليدهم واحتفالاتهم، ومحاولة خلطها بالتقاليد الإجتماعية الإسلامية، فلما كثر أتباعه ومريدوه كون لهم فرقة خاصة نسبت إليه وعرفت باسم فرقة الشمسيين، وصار للشمسيين قاعات خاصة يجتمعون فيها تسمى (جماعات خان)، تدار في المناقشات، وتجبى فيها الهبات والعطايا التي يقدمها التباع. لكن الشمسيين استفحل خطرهم وصاروا أشبه بدولة مستقلة داخل الدولة [4]، مما اغضب الحكام عليهم، لذلك اتجهوا للعمل في الخفاء مع الفئات الأخرى وتحولوا إلى مذهب الباطنية المتطرفة [5]

---

[1] الإثنا عشرية :يرى زعماء طائفة الشيعة الإثني عشرية أن الإمامة انتقلت بعد الإمام علي للحسين ثم لعلي زين العابدين ثم لإبنه محمد الباقر ثم إبنه جعفر ل صادق ثم لإبنه موسى الكاظم ثم لعلي الرضا ثم لمحمد الجواد ثم لعلي الهادي ثم للحسن العسكري ثم لإبنه محمد ، وهو الإمام الثاني عشر ، ويعتقدون أنه دخل سردابا في دار أبيه بسر من رأى (سامرا) سنة 360هـ وأنه سيظهر ويملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا .

[2] الإسماعيلية : هم الذين جعلوا الإمامة بعد جعفر الصادق لإبنه إسماعيل ، ولما كان إسماعيل قد توفي في حياة أبيه ، لذلك نقلوا الإمامة إلى محمد المكتوم بن إسماعيل ، وقالوا أيضا برجعته بعدغيبته ، وانقسمت الإسماعلية إلى فريقين :

النزارية : أنصار نزار الإبن الأكبر للمنتصر بالله – الذي أكرهه أخوه على التخلي عن الإمامة .

المستعلية : أنصار المستعلي أبي القاسم أحمد –الذي إغتصب الإمامة من أخيه .

أنظر عبد الله الأمين : دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة ، بيروت 1406هـ/1986م،ص 61.

[3] HOLLISTER : the shia of India , london , P77.

[4] عبد العزيز الزكي : الفكر الهندي من الهندوكية إلى الإسلام ، عالم الفكر ، المجلد السادس ، العدد الثاني ، الكويت 1975م ،ص 444.

[5] الباطنية : هم الذين لا يقبلون الأخذ بظاهر القرآن ، ويقولون إن القرآن له ظاهر وباطن ويعتقدون بأن المراد منه الباطن دون الظاهر ، وهم يخفون أفكارهم في نفوسهم ويظهرونها بين الحين والحين حينما يجدون الأرض الخصبة لأفكارهم.

لتحقيق أغراضهم السياسية وقاموا بنشر القلاقل والإضطرابات، ولإجتذاب مزيد من الأتباع أشاعوا الإباحية والتحلل من القيم الأخلاقية والشعائر الدينية، فلما إستفحل خطرهم، تصدى لهم فيروز شاه التغلقي وأمر بإحراق كتبهم علانية وعاقب زعمائهم. يقول فيروز شاه: ((فأخذناهم بأعمالهم المنكرة أخذا وعاقبناهم عقابا، وأمرنا بإحراق كتبهم على مرأى من الناس ومسمع))[1].

ونتيجة للدعوة السلمية التي تبناها فيروز شاه تغلق اثر كبير في ظهور طوائف دينية عديدة وانتشارها، وكان منها طائفة من الباطنية المتطرفة التي قام اتباعها بالقدح في الخلفاء الراشدين وفي اعيان الاسلام، فتصدى لهم السلطان فيروز شاه، وتتبعهم وبخاصة من ظهر منهم في دهلي[2]

وفي الواقع ان الباطنية انقسموا الى باطنية الرافضة والتي كانت مرفوضة والفرقة الثانية كانت باطنية صوفية وهاته ارتبطت بالتشيع الذي كان له اثر في ازهار الطرق الصوفية[3].

الصوفية:

التصوف هو العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من ملذة ومال وجاه[4]، وتعد حركة التصوف من أكبر الحركات العقائدية التي إستطاعت أن تكسب لها قاعدة واسعة من الهنود، وذلك أنهم وجدوا في حياة التقشف والورع الصوفية ما يتماشى مع اليوجا الهندوكية [5]، التي تقوم على قهر الشهوات

انظر : محمد علي الصابوني : التبيان في علوم القرآن ، دار عمر بن الخطاب ، الإسكندرية 1390هـ/1971م ، ص 203-205.

[1] خادم حسين بخش: اثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع الاسلامي بشبه القارة الهندية ،دار حراء ،السعودية ، 1988 ، ص 37.

[2] نفسه ، ص 37

[3] ابن تيمية محمد:درء تعارض العقل والنقل، مجلد 3،دار النوادر ، السعودية ، 1991، ص 235

[4] ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 437

[5] اليوجا :المذهب اليوجي أسسه باتانجاليpatangali ، وهو يقوم على ثنائية الروح والمادة ، والروح هي التي تزود الحياة بالشعور والوعي وتمكن المادة من معرفة ذاتها ، لكن المعرفة لا تتم إلاّ إذا تحررت الروح من المادة .

الزكي : المرجع نفسه ، ص 384.

وترويض النفس والضبط الروحي. وقد تأثر الهنود بزعماء التصوف الذين وفدوا على الهند في فترات متتالية، وصارت لهم قدسية في عقول وقلوب مريديهم فالتفوا حولهم للتبرك بمجاورتهم.

ظهرت الصوفية في بلاد الهند بشكل جديد حيث آثر مشايخها الهدوء والبعد عن النزال والحركة، والتفرغ للتعبد، فنشأت الرغبة في الإنقطاع والتجرد. فمن ذلك أن الأمير الصوفي سارنك الكهنوتي الذي كان من أمراء السلطان فيروز شاه، ترك الإمارة وصحب الشيخ قوام الدين بن ظهير الدين الكردي وتلقى الذكر منه، واقتدى به أتباعه، فنفروا من العلم وأهله، وانقطعوا للذكر والمجاهدة التي تستولي على جميع النفس وتعطل عمل الجوارح وتقتل الهمة والإرادة الإنسانية، مما يؤدي إلى فناء عقيدة الجهاد والعمل على تبليغ الدعوة إستغراقا وتفرغا حتى تتوارد على قلب السالك ما أسموه بالنفحات الربانية، وذلك أن المريد إذا رغب في الإستمرار والتدرج في طريق الصعود، فعليه المواظبة لما يردده الشيخ من أدعية وأذكار، وعليه أن يكون في كل علاقاته بشيخه كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء [1]، لا حركة ولا تدبير حتى يصل به شيخه نحو آخر المطاف في الطريق [2].

وفي تطور آخر أباح شيوخهم السكر، وشرب ما يذهب العقل لمن لم يصل إلى درجة الوجد والطرب (كنه الحقيقة)، وضرورة الإيمان بمذهب بديع الدين المدارجلي الذي ادعى أنه أحد الأقطاب الذين عليهم مدار العالم، وأن تصرفات الكون لا تعدوه، وأنه يحي الموتى ولا يحتاج إلى طعام، فامتزج دين التوحيد الخالص بالعقائد الوثنية وأوهام المتصوف. وبلغ من تمسكهم بعقائدهم الممزوجة بخرافات الوثنية وإيمانهم بها أن وضعوا أنفسهم شارات وعلامات ورايات، واتخذوا طبولا ودفوفا، وخلطوا ذكر الله تعالى والصلاة على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، بقرع الطبول والضرب بالسيوف والسهام ففي بعض أجزاء الجسم كالبطن والرأس والفم.

وفضلا عن ذلك عمدوا إلى القيام بحركات غير متوازنة في أثناء الذكر، كإدخال النار في الفم، والتعذيب الجسدي، والإيهام بالقدرة على فعل الخوارق، فضلا عن التلطخ بالدماء النجسة وشربها وسقيها للآخرين، مما أدى إلى فتنة الناس وإدخال الشبهة في عقيدتهم، أصبحوا نماذج

[1] القشيري : الرسالة الشيرية ، تحقيق د.عبد الحليم محمود ، الطبعة الأولى ، القاهرة 1963م ، ص 120.

[2] عبدالله الأمين : المرجع نفسه ، ص 248.

إفساد في المجتمع يمارسون الرقص في حلقات والتصفيق في مجموعات الذي يشبه ما كانت عليه أساليب الوثنية في الجاهلية، المكاء والتصدية وقد قال في ذلك جوستاف لوبون (ويظهر للباحث عن دراسة الإسلام في الهند أن هذا الدين قد مسخ مسخا وشوه تشويها)[1].

تصدى السلطان فيروز شاه لهذه الفتنة وقضى على رأسها الذي كان قد تلقب بالمهدي، وتعقب أتباعه ونكل بهم. يقول فيروز شاه (رجل إدعى النبوة وتقلب المهدي في دهلي، فتبعه خلق كثير وإستفحل أمره وعظم شره حتى جيء به إلينا، فاعترف بالإثم غير وجل، فأمرنا بقتله، وقتل كل من يقتفي أثره وتقطيع لحومهم واجسادهم إربا إربا، وبذلك جعلناهم مثلا لكل من ينفخ في أوداجه الشيطان، فانطفأت جذوة الشر، ونجا الناس من ظلالاتهم[2].

يرجع السبب في ظهور هذه الطوائف المتطرفة إلى المنهاج التعليمي، الذي جرى العمل به في عصر الحكومات المسلمة الهندية قبل عصر بني تغلق، في بقاء الآلاف المؤلفة من المسلمين الجدد على عقائدهم الباطلة وعاداتهم الممزوجة بخرافات الوثنين، فإنهم لم يعيروا التعليم الديني حقه من العناية، ولم يهتموا أصلا بتثقيف الناشئة، لأن الهند أصيبت بملوك لا يعرفون من الإسلام إلاّ إسمه، ومعظمهم لا يعرفون لغة القرآن الكريم وسنة نبيه صلى اله عليه وسلم. يقول مسعود الندوي: المؤلم في تاريخ الإسلام في الهند إنما هو ضآلة نفوذه وعدم تغلغله في أفكار الأهالي، وقلة أثره في حياتهم الإجتماعية[3].

غير المسلمين:

كان من اهم واجبات السلطان الدهلوي باعتباره المحتسب الاكبر للمسلمين في السلطنة، وان يعمل هو ومن يعينهم من المحتسبين على التمسك بنقاء العقيدة ومقاومة الهرطقة، وقد أدت التطورات السياسية التي شهدتها الهند خلال هاته الفترة الى تقوية شأن القرامطة من جديد فدخلوا

---

[1] جوستاف لوبون : حضارة الهند ، ص 310.

[2] الندوي : المرجع السابق ،ص 34.

[3] نفسه ، ص 52

دهلي بعد ان بعث الخليفة الفاطمي برسالة الى السلطان ألتمش فلم يخضع له[1]. ومن الطوائف الغير مسلمة نجد:

السامرة: هي طائفة من باقي الطوائف التي كانت تعيش في الهند قبل ان يفتحها محمد بن القاسم الثقفي، وهاته الطائفة تسكن مدينة جنائر[2] القريبة من نهر السند. ومن معتقداتهم انهم يؤمنون بالتناسخ، وعندهم ان الانسان يرجع بعد اربعين يوما، الا ان روحه تعود في صورة كلب او حمار او بقرة او فيل، ومنعاداتهم ايضا لا يأكلون مع أحد، و لا ينظر إليهم أحد حيث يأكلون، ولا يصاهرون أحدا من غيرهم، ويترأسهم أمير منهم اسمه (ونار)[3]، فالسامرة صف من اليهود[4].

السحرة الجوكية: وهي من الطوائف التي كان لها مكانة ومنزلة عند السلاطين، فقد كان يجالسهم السلطان محمد شاه تغلق، ويعظمهم، وكانت هاته من اعجب الطوائف، حيث كانوا يسكنون في حفر تحت الارض، فمنهم من يقيم مددا طويلة لا يأكل ولا يشرب، وكثير منهم تحفر به حفرة في الأرض ثم يهال عليه التراب ويترك له موضع يدخل منه الهواء. والجوكية يلبدون شعورهم ويطلقونها، ويصنعون حبوبا يأكلون منها فلا يحتاجون إلى طعام ولا شراب، وأكثرهم لا يأكل اللحم. ومنهم من يقتصر في طعامه على البقل، ويعتقد الناس أن الأبرص والمجذوم إذا أقام عندهم مدة طويلة برأ. ويذكر ابن بطوطة أنه شاهد من هذه الجماعة نحو الخمسين امر لهم السلطان طرمشيرين ملك تركستان بحفر غار تحت الأرض يقيمون فيه لا يبرحون إلا للضرورة، ولهم شبه القرن يضربونه أول النهار وآخره وبعد العتمة [5].

ويتميزون بأنهم عودوا أنفسهم الرياضة، ولا حاجة لهم في الدنيا وزينتها، ومنهم من ينظر إلى الإنسان فيقع ميتا من نظرته، وأكثر ما يكون هذا من النساء، والمرأة التي تفعل ذلك تسمى كفتار[6]

---

[1] احمد رستم :الحضارة الاسلامية في الهند، دار السويدي للنشر ،الامارات،1985،ص 272

[2] جنائر : وهي مدينة حسنة على نهر السند ، واستوطنها السامرة قديما . انظر ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 515

[3] الموسوعة المسيرة في الأديان ، الرياض ، الطبعة الثانية ، 1409هـ/1989م ، ص537-537.

[4] المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ، مطبعة بريل ، 1877،ص 42

[5] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 555- 556.

[6] نفسه ، ص 555

طائفة البراهمة: هم الذين يقدسون البقر ويحرمون أكل اللحوم تاتا، وتعد من أكثر الطوائف الدينية إنتشارا في بلاد الهند ومن أقدمها وهي تنسب إلى رجل منهم يقال له برهام[1]، كان قد مهد لهم نفي النبوات واستحالتها في العقول. وينقسم البراهمة إلى عدة أصناف فمنهم أصحاب البددة، ومعنى البد عندهم شخص في هذا العالم لا يولد، ولا ينكح، ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت، وأول ((بد)) ظهر في العالم إسمه (شاكمين) وتفسيره السيد شريف. وزعموا أن البددة أتوهم من نهر الكنج المقدس وأعطوهم العلوم وظهروا لهم في أجناس وأشخاص شتى، ولم يكونوا يظهرون إلاّ في بيوت الملوك لشرف جوهرهم. ومنهم أصحاب الفكرة والوهم وهم الأعلم بالفلك والنجوم وأحكامها ويعدون زحل السعد الأكبر، وذلك لرفعة مكانته وعظم جرمه، وهو الذي يعطي العطايا الكلية من السعادة، والجزئية من النحوسة، وهؤلاء من أصحاب الفكرة، يعظمون الفكر ويقولون إنه المتوسط بين المحسوس والمعقول.

ومنهم اصحاب التناسخ تعتمد فكرتهم على تجوال الروح، فلامحالة يصل رأس الفرجار إلى ما بدأ ودار دورة ثانية على الخط الأول، والنجوم والأفلاك دارت على المركز الأول، وما إختلفت أبعادها وإتصالاتها ومناظراتها ومناسباتها بوجه عام، فيجب أن لا تختلف المتأثرات الباديات منها بوجه عام ن وهذا هو تناسخ الأدوار والأكوار. وعلى ذلك ففكرة التناسخ تعتمد على تجوال الروح، فهم يعتقدون أن الأرواح حائلة متنقلة في أطوار شتى من الوجود، تنتقل من جسد إلى آخر، سواء أكان في الإنسان أو الحيوان، في طريقها إلى هدفها الأخير، ومن البراهمة حكماء على غرار حكماء اليونان[2].

تطورت البرهمية على يد المفكرين نيمباركا الذي ظهر في القرن الحادي عشر الميلادي، ومادااف الذي ظهر في القرن الثالث عشر الميلادي، فعرضا لعقائدها في صورة بسيطة تخلو من التعقيد، وتتمشى مع القبول العقلي المنطقي، فقالا إن الحقيقة الكبرى مصادر المعرفة جوهرها برهمان، إنه أعظم حقيقة بل هو الحقيقة الوحيدة، وإنه شيء كل الأشياء، وإنه الحقيقة المطلقة

---

[1] يقول الشهر ستاني : من الناس من يظن أنهم سموا براهمة لإنتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام ، وذلك خطأ ، فإن هؤلاء هم المخصصون بنفي أصلا رأسا فكيف يقولون بإبراهيم عليه السلام ، انظر – الملل والنحل ، تحقيق قمر سيد نحيلان ، دار المعرفة ، بيروت ،1962، مجلد 2 ، ص 250.

[2] الفقي: بلاد الهند ،المرجع السابق ، ص 304.

فوق مستوى الإدراك واجب الوجود، تام الكمال، قادر على كل شيء، مصدر كل شيء، وبرهمان هو الذي يعطي الشيء ذاته ووظيفته، وهو مصدر كل فعل، فهو الذي خلق الأشياء التي يصدر عنها أفعال، وهي كذلك عقيدة راسخة م يستطع الاسلام التأثير فيها أو التغيير فيهم كما حدث في الاقطار التي بلغ اهلها التوحيد[1]، وقد إجتهد مفكرو البرهمة لتوكيد أن الوحدة الإلهية نبعت من صميم الفكر البرهمي الهندي ولم تفد إليها من الفكر الإسلامي، وذلك في محاولة منهم لخلق معارضة لانتشار الإسلام، ولبعث العقيدة القديمة وإحيائها.

كان للبراهمة عادات ومعتقدات غريبة، فكثير من رجالها كانوا يغرقون أنفسهم في نهر الكنج[2] الذي يزعمون أنه مقدس وانه ينبع من الجنة، ذلك كانوا يغرقون أنفسهم فيه تقربا إلى الله فإذا مات أحدهم أخرجوه وأحرقوه وذروا رماده فوق ماء النهر، أما نساء البراهمة فكن يحرقن أنفسهن حزنا على أزواجهن وفق طقوس وتقاليد متوارثة.

كانت طقوس الحرق تتم بعد ثلاثة أيام من الغناء والطرب والكل والشرب وداعا للدنيا، وكانت المرأة يوم التحريق تتزين وتتعطر وتأتي إلى المكان راكبة فرسا وفي يمناها جوزة نارجيل تلعب بها، وغي يسارها مرآة تنظر فيها إلى وجهها، والبرهمة يحفون بها وأقاربها معها، بين يديها الطبول والأبواق والأنقار، وكل إنسان من المرافقين لها يوصيها: (أبلغي السلام إلى أبي وأخي أو أمي أو صاحبي، وهي تقول: نعم، وتضحك إليهم، وكان هناك موضع خاص لأداء هذه الطقوس).

كان موضع الطقوس عبارة عن مكان مظلم كثير المياه والشجار متكاثف الظلال وبين أشجاره أربع قباب في كل قبة صنم من الحجارة، وبين القباب صهاريج ماء قد تكاثفت عليه الظلال، فإذا وصلت المرأة إلى تلك القباب نزلت إلى الصهريج وانغمست فيه وجردت ما عليها من ثياب وحلي فتصدقت بها، وإرتدت ثوبا من قطن خشن غير مخيط ربط بعضه على وسطها وبعضه على رأسها وكتفها، والنيران قد أضرمت على قرب من ذلك الصهريج في موضع منخفض

---

[1] الندوي:تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ، المرجع السابق ، ص 4.

[2] نهر الكنج : هو النهر المقدس لدى الهندوس – الذين يغتسلون في مياهه ليتطهروا من ذنوبهم – وتتدفق مياهه من جبال الهمالايا من إرتفاع أربعة آلاف متر ويعبتر الصعود إلى هذا المكان من أعظم القربات .

جوستاف لوبون : المرجع نفسه ، ص 38.

وصب عليها الزيت فزاد في إشتعالها، وهناك نحو خمسة عشر رجلا بأيديهم حزم من الحطب الرقيق، وأهل الأطبال والأبواق وقوف ينتظرون مجيء المرأة، وقد حجبت النار بملحفة يمسكها الرجال بأيديهم لئلا يدهشها النظر إليها، فإذا وصلت المرأة إلى الملحفة نزعتها من أيدي الرجال بعنف وقالت: أبالنار تخوفونني ثم جمعت يديها على رأسها تحية للنار ورمت بنفسها فيها، وعند ذلك تضرب الأطبال والأبواق، ويرمي الرجال ما بأيديهم من الحطب عليها فترتفع الأصوات ويكثر الضجيج [1].

الهندوسية: تولدت من تنظيم الاريين لحياتهم بعدما وفدوا على الهند واستعمروها وتغلبوا على سكانها الاصليين وطردوهم من ميادين الحياة[2].

وهي ديانة السواد الاعظم من هنود سلطنة دهلي الاسلامية الذين ظلوا على وثنيتهم، وهي مزيج من الزهد والوثنية والاراء الفلسفية، وقد وفدت على الهند عن طريق الاريين، وتقوم على عبادة البقرة والاجداد وقوى الطبيعة، وتقوم معتقداتها الاساسية على دعائم رئيسية كتناسخ الارواح والنظام الطبقي، ووحدة الوجود، وتقديم القرابين والزهد في الدنيا والصوم[3]، ولما امتد نور الاسلام الى الهند، قارن الهندوس بين الاسلام دين المساواة والعقيدة الواضحة التي ليس فيها خرافات واوهام، واقبلوا على الاسلام، وتخلوا عن وثنيتهم[4].

مظاهر الحياة الإجتماعية:

أ- مواكب الأعياد:

تكثر في الهند الاعياد الدينية التي تملأ السنة الكهنوتية، فكان الناس يمرحون مرحا عظيما، وكانوا يسيرون في مواكب عظيمة او افواجا من الحجاج قاصدين الاضرحة القديمة، ولم يكونوا

---

[1] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 430- 431.

[2] عبد المنعم النمر : المرجع السابق ، ص 26

[3] الفقي : بلاد الهند ، المرجع السابق ، ص 304

[4] ابو الريحان البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، دائرة المعارف العثمانية ،الهند ، 1957، ص 40

ليفهموا ما يقال من عبارات الصلاة في تلك المعابد، لانها كانت تقال بالسنسكريتية[1]. كانت مراسم الإحتفال بعيدي الفطر، والأضحى، تبدأ ليلة العيد حيث تزين الفيلة بالحرير و الذهب والجواهر، منها ستة عشر مخصصة لدعوى السلطان يرفع على كل واحد منها ستر من الحرير مرصع بالجواهر، قائم كل ستر منها عمود من الذهب الخالص، وعلى كل فيل مرتبة من الحرير مرصعة بأنفس الجواهر، ويمشي بين يدي السلطان عبيده ومماليكه، وعلى رأس كل واحد منهم شاشية مذهبة، وفي وسطه منطقة من الذهب، وبعضهم يرصعها الجواهر، ويمشي بين يديه النقباء على راس كل واحد منهم أقروف [2]، من الذهب، وعلى وسطه منطقة من الذهب وفي يده كقرعة يدها من ذهب.

فلما كان يوم العيد ركب الخطيب على فيل، وقد مهد له ظهره شبه السرير، وركزت أربعة أعلام في أركانه الربعة، ولبس الخطيب ثياب السواد، وركب المؤذون على الفيلة يكبرون أمامه، وركب فقهاء المدينة وقضاتها، وكل واحد ولكل واحد منهم يستصحب صدقة بها يتصدق بها حين الخروج إلى المصلى ونصب على المصلى صيوان (خيمة كبيرة) قطن، وفرش ببسط، واجتمع الناس ذاكرين الله تعالى، ثم صلى بهم الخطيب، وينصرفون إلى دار السلطان.

كان قصر السلطان يفرش كل يوم من أيام العيد ويزين بأبدع زينة وتضرب (الباركة) على المشور كله، وهي شبه خيمة عظيمة تقوم على، أعمدة ضخمة كثيرة وتحفها القباب من كل ناحية وتصنع أشجار من حرير ملون ترسم عليها الأزهار وتجعل في ثلاثة صفوف بالمشور، ويجعل بين كل شجرتين كرسي من الذهب عليه مرتبة مغطاة، وينصب (السرير الأعظم) الذي يجلس عليه السلطان في صدر المشور من الذهب، وقوائمه كلها مرصعة بالجواهر طوله ثلاثة وعشرون شبرا وعرضه نحو النصف من ذلك، فإذا فرغ الناس من السلام وضع لهم الطعام على حسب مراتبهم [3].

ومن مراسم الإحتفال بالعيدين، نصب المنجرة العظمى وهي شبه برج من الذهب الخالص منفصلة أجزاءه ثم توصل، والقطعة الواحدة منه يحملها جملة من الرجال، وفي داخل البرج ثلاثة

---

[1] ويليام ديورانت : قصة الحضارة ، ج 2، المرجع السابق ، ص 224

[2] الندوي : الهند في العهد الاسلامي ، المرجع السابق ، ص 312 .

[3] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 520-522.

بيوت يدخلها المنجرون يوقدون العود والعنبر حتى يعم عبيرها المنشور كله، وهناك فتيان يحملون براميل الذهب و الفضة مملوءة بماء الورد وماء الزهر يصبونه على الناس صبا، ويقف على الباب خدم في يدهم عصي من الذهب والفضة يدخلون الناس على السلطان، فكانوا يدخلون إلى السلطان على قدر مراتبهم.

وكان الإحتفال بحلول شهر رمضان مثالا للروعة والبهاء، فكان بنو تغلق يعدون العدة للإحتفال به في الأيام الأخيرة من شهر شعبان في كل سنة حيث يبدأ المستخدمون والعمال بإعداد آلات موكب السلطان، من الأسلحة والصنوجات وغيرها، وفي اليوم السابق لدخول شهر رمضان يتأهب السلطان لعرض الخيل، ، وإذا فرغ من عرضها يتلو القراء آيات القرآن الكريم الخاصة بصيام شهر رمضان المبارك.

وفي صباح أول رمضان يركب الخانات والملوك والأمراء مرتدين الثياب الفاخرة متقلدين سيوفهم إلى قصر السلطان، وبين أيديهم العسكر ركبانا ومشاة شاكين في لسلاح، وحينئذ يشرع السلطان في الخروج حوله خاصته وحاشيته، ويسير الموكب السلطاني في الشوارع دهلي وخلفه الطبول والصنوج حتى يصل إلى المسجد الكبير بالحاضرة، وهناك يأمر بتوزيع الهدايا الجليلة على الأمراء وكبار رجال الدولة فضلا عن خطيب المسجد ومؤذنيه [1].

أما في ليلة النصف من شعبان فكان يحتفل بإضاءة جميع المساجد، بعد غروب الشمس ويخرج الناس إلى المسجد الكبير الذي كان يبدو في أبهى صورة، ويعقد في صحنه مجلس حافل من المشايخ والمفتين برئاسة قاضي القضاة[2].

3- المأدبة السلطانية:

الطعام بدار السلطان على صنفين الطعام الخاص والطعام العام، فأما الخاص فهو طعام السلطان الذي يأكل منه، وعادته ان يأكل في مجلسه مع الحاضرين، وكانت الموسيقى ممثلة خير

[1] إبن فضل الله العمري: المصدر السابق ، ج 3، ص 142.

[2] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 535.

تمثيل في البلاط حيث مغنين وراقصين جملوا المأدب[1]، و كانت المآدب والأسمطة مظهرا من مظاهر الإحتفال بالمواسم والأعياد في عهد بني تغلق، فقد عني سلاطين بني تغلق بتنظيمها عناية خاصة، كما بالغوا في إعدادها، فكانت موائد السلطان محمد شاه تغلق تمد في قاعات إستقبال ضخمة يخصص منها قاعات ارستقبال للعامة وأخرى للخاصة، ويتجلى من وصفها أثر الحالة الإقتصادية والتركيبة الإجتماعية في تقسيم الطعام على اساس طبقات المجتمع، فكان هناك مطبخان مطبخ الخاصة ومطبخ العامة فأما الخاص فيقوم بإعداد الطعام السلطان الذي يأكل منه، وعادته ان يأكل في مجلسه مع الحاضرين، ويحضر لذلك الأمراء الخواص، وأمير حاجب إبن عم السلطان، وعماد الملك (سرتيز) وامير المجلس، ومن شاء السلطان تشريفه أو تكريمه من الأعزة أو كبار الأمراء دعاه، فيأكل معهم، وإذا أراد السلطان تشريف أحد من الحاضرين أخذ إحدى الصحاف بيده، وجعل عليها خبزة، وأعطاه إياها وربما بعث من ذلك الطعام إلى من هو غائب عن المجلس.

أما الطعام العام، فيؤتي به من المطبخ، وأمامه النقباء يصيحون: ((بسم الله)) نقيب النقباء أمامهم بيده عمود ذهب، ونائبه معه عمود فضة، فإذا دخلوا قام الجميع إجلالا وإحتراما، ولا يبقى من الجلوس أحد إلاّ السلطان، فإذا وضع الطعام إصطف النقباء صفا، ووقف أميرهم أمامهم، فيقدم التحية للسلطان، ويؤدي النقباء التحية، ويفعل ذلك جميع الحضور من كبير وصغير، وعادتهم ألا يتحرك أحد حتى يفرغ نقيب النقباء من مدح السلطان والثناء عليه، وبع الفراغ من ذلك يجلس الناس للطعام، وجل طعامهم الرقاق والشواء والقراص ذات الجوانب المملوءة بالحلواء والأرز والدجاج والسمبوسك [2].

كان كبار رجال الدولة يحضرون أيضا الطعام العام لمشاركة العامة أفراحهم وسرورهم فيجلس في صدر سماط الطعام القضاة والخطباء والشرفاء والمشايخ، ثم أقارب السلطان ثم الأمراء الكبار، ثم سائر الناس، ولا يجلس أحد إلا في موضع معين له، فلا يكون بينهم تزاحم البتة فإذا جلسوا أتى الشربدارية (السقاة) وبأيديهم أواني الذهب والفضة والنحاس والزجا مملوءة بالنبات

---

[1] احمد رستم : المرجع السابق ، ص 304

[2] السمبوسك : لحم مهروس مطبوخ باللوز والجوز والفستق والبصل يلف برقاق مقلية بالسمن.

ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 425- 472.

المحلول بالماء، فيشربون ذلك قبل الطعام فإذا شربوا قال الحجاب: (بسم الله) ثم يشرعون في الأكل، ومن عاداتهم أن يجعل أمام كل إنسان من جميع ما يحتوي عليه السماط، يأكل منهم وحده، ولا يأكل أحد في صفة واحدة، فإذا فرغوا من الأكل أتى بالفقاع [1] في أكواز القصير، فإذا أخذوه قال الحجاب: (بسم الله) ثم يؤتى بأطباق من التنبول [2] والفوفل، فيعطى كل واحد إنسان غرفة من الفوفل [3] والمهشوم وخمس عشرة ورقة من التنبول مجموعة مربوطة بخيط حرير أحمر، فإذا أخذ الناس التنبول قال الحجاب: (بسم الله) فيقومون جميعا ثم ينصرفون.

أما الموائد في البيوتات الكبيرة فيتجلى من وصفها مدى الذبح والترف الذي كان ينعم به أهل السيادة، فجل طعامهم الأرز والدجاج، وكان يؤتى بمائدة من النحاس يسمونها (خونجة) يوضع فوقها طبق من النحاس يسمى (الطالم) وتقوم جارية حسناء ترتدي ثوبا من الحرير بصب الطعام في قدور الآكلين بواسطة مغرفة كبيرة، فتغرف بها من الأرز مغرفة واحدة تضعها في الطالم وتصب فوقها السمن، ومعه الفلف والملح والزنجبيل الأخضر والليمون المملح والمنجو المملحة، فإذا فرغ الصحن، غرفت الجارية غرفة واحدة أخرى من الأرز وفوقها دجاجة مطبوخة يأكل بها الأرز، فإذا إنتهى الدجاج، أتوه بألوان من السمك يأكلونه بالأرز أيضا، فإذا إنتهى الآكلون من السمك قدمت الخضر المطبوخة بالسمن، فيأكلون معها أرزا ثم يقدم الكوشان(اللبن الرائب) وبه يختتمون الطعام، وتقديمه علامة على أنه لم يبق من الطعام شيء وبعد ذلك يشربون المشروبات الساخنة[4].

---

[1] الفقاع : نوع من الشراب يعمل من أصناف متعددة ، من الشعير والعسل والكرفس والنعنع .
ابن فضل الله العمري : مسالك البصار ، المصدر السابق ،ص121.

[2] التنبول : عبارة عن أوراق ارسمها العلمي piper petle لها طعم القرنفل عطري حريف تستعمل بطريقة المضغ ، وتفيد في حالة الشفاء من مرض الدوسنطاريا ، وهي تركب مع بعض التوابل ، ويصنع منها مضغة توضع في علبة من الفضة وتقدم للضيوف والزبائن . انظر : جوستاف لوبون : حضارة الهند ، المرجع السابق ، ص 79.

[3] الفوفل : نوع من النخيل تكثر زراعته في بلاد الهند ، وفي سرندب (سيلان) واسمه العلمي Arecacaechw وهو عبارة عن حبات حمراء أو سوداء في كبائس (تشبه كبائس التمر) ، ويستعمل بعد دقه ، ويخلط بالدخان والقرنفل . ابن منظور : لسان العرب ، المصدر السابق ، ج7 ،ص 103. المنجد في اللغة الإعلام ، دار المشرق ، بيروت ، ط 35 ،1973م ،ص 599.

[4] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 472.

كانت الأسواق تعج بالأطعمة والشربة الجاهزة، فكان يباع فيها الأطعمة المتنوعة كالشواء والأرز والمطجن والمقلي والمنوع، والحلوى المتنوعة خمسة وستين نوعا، ومن الفقاع والأشربة ما لا يكاد يحصى، مما يدل على وفرة السلع الغذائية والخضروات والفاكهة، ومنها الباذنجان والهليون والزنجبيل، وهم يطبخونه كما يطبخ الجزر، وله طعم لا يعادله شيء، وبها السلق والبصل والثوم والثمار وغيرها [1].

ومما تجدر الإشارة إليه أن رخص أسعار السلع يعكس مدى وفرتها في الأسواق، وبالتالي رخاء الحالة الإقتصادية، الأكثر إرتباطا بالحياة الإجتماعية، وبخاصة أن متوسط رواتب رعايا الدولة كان يبلغ عشرة آلاف تنكة سنويا بينما لم يقل الراتب عن ألف تنكة أي ثمانية آلاف درهم [2]. فكان كل من القمح بدرهم ونصف هشتكاني، والشعير كل من بدرهم واحد ولحم البقر والمعز سعر واحد، يباع كل ستة طيور بدرهمين هشتكانيين [3]، والدجاج كل أربعة طيور بدرهم هشتكاني، والسكر خمسة أشيار (70مثقالا) بدرهم هشتكاني، والنبات كل أربعة أشيار بدرهم، ورأس الغنم الجيد، السمين الفائق بتكنة[4] واحدة، ورأس البقر الجيد بتنكتين، وربما كان أقل.

ومن ناحية أخرى نجد ضروبا من التفنن عند الأمراء وكبار رجال الدولة في التمتع بتناول الطعام، تجلى في أن الأمير كان يجلس في أسفاره البحرية على مقعد يصعد إليه على درج فوق ظهر السفينة، ويقف مماليكه عن يمينه ويساره، والسفينة يسيرها نحو أربعين من المقدفين، وتسير عن يمينها ويسارها أربع سفن تحمل الطبول والبواق، وأهل الغناء والطرب يعزفون ويغنون الطبول

---

[1] Smith :op.cit.p.246.

[2] ابن فضل الله العمري : المصدر السابق ، ص 133.

[3] درهم هشتكاني : أحدى العملات المستخدمة في بلاد الهند ، وكانت لهم أربعة دراهم يتعاملون بها ، أحدها – الهشتكاني : وهو وزن الدرهم النقرة في مصر ، يساوي الدرهم الهشتكاني ثمانية جتيلات ، كل جتيل أربعة أفلس ، فيكون إثنين وثلاثين فلسا ، والثاني –الدرهم السلطاني : ويسمى وكاني ، وهو ربع درهم هشتكاني ، وكل درهم من السلطانية عنه جتيلان ، ولهذا الدرهم السلطاني نصف يسمى جتيلا واحدا ، والثالث –الششتكاني : وهو ثلاثة أرباع الهشتكاني ، ويكون تقديره بالدراهم السلطانية ثلاثة دراهم ، والرابع – الدرهم الدرازدهكاني : وهو يساوي الدرهم الششتكاني .

إبن فضل الله العمري : المصدر نفسه ،ص 132.

[4] التنكة : نقد ذهبي أو فضي يعادل ثمانية دراهم هشتكانية ، ويعبر عن تنكة الذهب بالتنكة الحمراء ، وعن تنكة الفضة بالتنكة البيضاء ، وكل مائة تنكة من الذهب أو الفضة تسمى لكا ، إلاّ أنه يعبر عن لك الذهب باللك الأحمر ، وعن لك الفضة باللك الأبيض .

والأبواق تضرب، وتظل الحال على ذلك من أول النهار إلى وقت الغداء، فإذا جلس للغداء صفت السفن بعضها إلى بعض وقدم المغنون والمطربون إلى سفينة الأمير، فأخذوا في الغناء إلى أن يفرغ من طعامه، ثم يأكلون ويعودون بعد ذلك إلى سفنهم، ثم يستأنف السير على هذا النحو إلى الليل، وينزل الأمير في حملة تضرب له على الشاطئ فيدخل مضاربه ويمد السماط بالطعام فيأكل معه أكثر أتباعه من الحرس، وبعد صلاة العشاء يجيء السمار بالتناوب إذا إنتهت نوبة فريق منهم نادى المنادي معلنا الأمير بما مضى من الليل، وهكذا يفعل أصحاب النوبة الثانية حتى يطلب إليهم الأمير أن يكفوا [1].

4- الأعراس وزيارة القبور:

أ- مراسم الأعراس في العائلة السلطانية:

يقول ابن خلدون ان من أثار الدول الاعراس والولائم ولعل خير مثال على عادات الاعراس في العائلة السلطانية وما كان يصاحبها من بذخ وترف ما ذكره ابن بطوطة عن عرس الامير سيف الدين ابن هبة الدين بن مهنا الذي زوجه السلطان محمد ابن تغلق بأخته[2]، فعندما تقدم الأمير سيف الدين بن هبة الله ابن مهنى – أمير عرب الشام [3] للزواج من أخت السلطان فيروز خوندة، ضربت في أفنية القصر صيوانات كبيرة أقيمت فوق كل منها قبة ضخمة، وفرش ذلك كله بالفرش الحسان، وأحضر المغنون والمغنيات والراقصات، كما أحضر الطباخون والخبازون والشواؤون، وصناع الحلوى والشراب، وذبحت الأنعام والطيور، وأقاموا يطعمون الناس خمسة عشر يوما ليلا ونهارا [4]، ويحضر الكبار والأعزة ليلا ونهارا.

---

[1] محمود الشرقاوي : رحلة إبن بطوطة من طنجة إلى الصين ، المرجع السابق ،ص287.

[2] ابن خلدون : المصدر السابق ، مج 1،ص 316

[3] كان الأمير سيف الدين هبة الله قد قدم على السلطان فأنزله بقصر منيف داخل مدينة دهلي ، ويعرف (بكشك لعل)أي القصر الأحمر ، وكان السلطان محمد شاه تغلق شديد المحبة للعرب مؤثرا لهم ، فلما وصل هذا الأمير أجزل له العطاء وأحسن إليه = =إحسانا عظيما وأهداه عشرة من الخيل مسرجة بالسروج المذهبة ، وعليها اللجم المذهبة .أنظر إبن بطوطة : المصدر السابق ،ص 482.

[4] نفسه ، ص 483.

وكذلك كان القصر يزين ويفرش بأحسن الفرش ويأتى بالمطربين والراقصات وكلهن مملوكات السلطان، ثم يأتى الأمير العريس تحيط به عظيمات النساء من دار السلطان فيجلسنه على مرتبة خاصة وذلك بأمر السلطان الذي أمرهن أن يقمن مقام أمه وأخته وعمته تأنيسا له وتكريما، وقبل العرس بيومين يجلس الامير على مرتبة خاصة و تقوم النساء بجعل الحناء على يديه وقدميه و يقومون فوق رأسه ويغنون ويرقصون، ثم ينصرفن ويتركنه مع خواص أصحابه، فإذا كان يوم الزفاف عين السلطان من االأمراء يكونون من جهته، وجاعة من يكون من جهة الزوجة، وعاداتهم ان تقف الجماعة التي من جهة الزوجة على باب الموضع الذي تكون به خلوته على الزوجة فيجد به جماعة من أهل الزوجة تمنعه حتى يتغلب عليهم، أو يعطيهم الآلاف من الدنانير إن لم يستطع إزاحتهم عن الباب، فلما قدم الزوج مع جماعته حمل بهم أهل الزوجة حملة عربية صرعوا بها كل من عارضهم، وبلغ السلطان فأعجب به ودخل الزوج مكان العروس، التي كانت تجلس فوق منبر عال مزين بأفخر أنواع الحرير مرصع بالجواهر، والمكان مكتظ بالنساء والمطربات.

وكانت الأميرة تنثر العملات الذهبية على رؤوس الحاضرين، فإذا فرغت يتقدم الزوج فيأخذ بيدها، فينزل وهي تسبقه فيركب فرسه تسير به فوق الفرش والبسط، وتنثر الدنانير عليه وعلى أصحابه، وتوضع العروس في محفة يحملها العبيد على أعناقهم إلى قصره، ويسير موكبها فإذا مروا بدار أمير أو كبير خرج إليهم لأداء التحية [1].

أما مراسم الزواج عند العامة فكانت تتسم بالبساطة، حيث يرسل الشاب الراغب في الزواج ذويه إلى بيت العروس – التي كان يفضلها أن تكون كثيرة المال ماتسير من الأموال والطعام.

كان العامة يقلدون الأمراء والأغنياء في تزيين بيوتهم بالفرش والستور، كما تقوم النساء بصبغ أيدي وأقدام العروسين بالحناء، وكان على العريس أن يتغلب أيضا على جماعة من أهل العروس، حتى يطمئن على قدرته على تحمل مسؤوليات وأعباء الزوجية، وكانت العملات الذهبية عند علية القوم يقابلها عند العامة الفلوس النحاسية والبرونزية أو أشباهها حيث تنثر على

[1] نفسه ، ص 483

العروسين خلال تحركهما من مكان العرس إلى منزل الزوجية، وكان على صاحب العرس أن يتحمل نفقات أهل الطرب من عازفين ومغنين وغيرهم [1].

ب-زيارة القبور:

أما عادتهم في زيارة القبور، فكانوا يخرجون إلى القبور في صبيحة اليوم الثالث من دفن الميت ويفرشون جوانب القبر بالبسط والحرير، ويضعون الزهور فوق القبور، وتتألف من زهور صفراء وبيضاء، فضلا عن الأغصان المثمرة مثل النارنج والليمون دون أن ينزعوا ثمارها، وينثرون على القبر الفواكه اليابسة وجوز النارجيل، ويجتمع الناس، ويؤتى بالمصاحف، فيقرؤون القرآن ويسمونه (الختمة) فإذا ختموه، أتوا بماء الجلاب فسقوه للناس ثم يصب عليهم ماء الورد. ومن عاداتهم في ذلك أن يضعوا الميت فوق متكأ قبره، فإذا إنتهوا من مراسم الدفن، يعود الناس إلى دار أهل المتوفى فيجدون الطعام جاهزا فيأكلون جميعا، ولا سيما المساكين، وكانت مقابر العصمة دهلي تبنى عليها القباب، ولا بد أن يقام عند كل قبر محراب حتى لو كان من غير قبة، وتزرع فيها الأشجار والأزهار التي لا تنقطع طوال فصول السنة [2].

ولما تفشت ظاهرة خروج النساء لزيارة القبور ومشاهد الأولياء تصدى لها السلطان فيروز شاه وأمر بمنع هذه البدعة للقضاء عليها. ويقول السلطان فيروز شاه: (من البدع المنكرة الفاشية التي قضينا عليها وشددنا في أمرها زيارة جم غفير من المسلمات للقبور ومشاهدة الأولياء أيام الأعياد، والحال أنها محظورة في الشرع، فأصدرنا الأمر الملكي بمنع النساء من تعاطي هذا المنكر وتعزيز كل من تتجاسر منهن على ركوب هذا المسلك الوعر من بعد.. .فمحيت هذه البدعة بفضل من الله وتوفيقه)[3].

[1] Major : op ,cit,p77 .

[2] إبن بطوطة : المصدر نفسه ، 518-519.

[3] الندوي : المرجع السابق ، ص 36-37.

5- المجالس الإجتماعية:

أ- مجالس العلم والأدب:

في الواقع أن رجال الدين في سلطنة دهلي كانوا يسيطرون على الدولة ويتقدمون غيرهم في إستقبالات البلاط وساعد ذلك ماكان من عادة سلاطين دهلي من استخدام الفقهاء والمشايخ والصلحاء محتجين بأن الصدر الاول لم يكونوا يستعملون إلا أهل العلم والصلاح[1] و كانت مجالس العلم والأدب تعقد في قصور السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة حيث يجتمع فيها العلماء والأدباء والفقهاء مع المراء للمناقشة والمناظرة وإلقاء الأشعار، فمن بينهم الفقيه شمس الدين الأندكاني [2]، وكان حكيما شاعرا مدح السلطان محمد شاه تغلق بقصيدة باللسان الفارسي، وكان عدد أبياتها سبعة وعشرين بيتا، فأغدق عليه السلطان، والعالم الجليل عبد العزيز الأردبيلي، وكان فقيها محدثا، قرأ بدمشق على تقي الدين إبن تيمية وشمس الدين الذهبي، وغريهما، ثم قدم السلطان فأحسن إليه وأكرمه [3].

وكان السلطان محمد شاه تغلق لا يفارق العلماء سفرا ولا حضرا. قال الفقيه العالم أبو الصفا عمر بن اسحق الشبلي [4]: (كنا معه (السلطان محمد شاه تغلق) في بعض غزواته، فلما كنا في أثناء الطريق جاءته من مقدمة عساكره كتب البشرى بالفتح ونحن بين يديه فحصل له السرور وقال: (هذا ببركة هؤلاء العلماء)، ويستطرد العالم الفقيه قائلا: (ومنار الشرع عنده قائم وسوق أهل العلم لديه رائج يشار إليهم بالتوقير والإجلال)[5].

---

[1] محمد حبيب احمد : بين الهند والباكستان ، القاهرة ، 1950،ص98

[2] الأندكاني : نسبة إلى بلدة أندكان ، وهي من قرى فرغانة .انظر: ياقوت : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص261.

[3] عبد المنعم النمر : المرجع نفسه ، ص179.

[4] أبو الصفا عمر بن إسحق الشبلي : هو سراج الدين أبو الصفا عمر ابن إسحق بن أحمد الشبلي العوضي ، من إقليم عوض في الهند ، وهو من أعيان الفقهاء ، هندي الأصل والمولد ، مصري الدار والوفاة ، قاضي قضاة الحنفية خمسة عشر عاما ، ولد سنة 704هـ/1304م ، وتوفي سنة 773هـ/1371م واشتهر بلقب السراج الهندي .انظر: ابن عماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، المجلد الثالث ، ج6،ص 228-229.

[5] Smith :op,cit,p.238.

Lane –poole :op, cit,p97.

كما كان يتردد على هذه المجالس بعض المهتمين بالعلم والأدب حيث يتسامرون وينهلون منها، فضلا عن دعوة الأدباء والعلماء إلى هذه المجالس من جانب السلاطين، فمن ذلك الشاعر حافظ بن شيراز. مما كان له أثر كبير في إثراء المجالس الإجتماعية وتشجيع الأمراء ورجالات الدولة على أن يحذوا حذوهم. فبذل الكثير من القضاة وأصحاب المناصب العليا والتجار جهودا مشكورة في خدمة العلم، من إقامة المكتبات، وجلب العلماء والأكفاء، ومنهم من ألزم نفسه بدفع نفقات الصلات والمعلمين العلمية والمعيشية، لتعم المعرفة كافة طبقات الشعب، ومنهم من أوقف ممتلكاته لخدمة هذا الجانب الجليل الذي حث عليه الإسلام.

ومن ناحية أخرى حرص سلاطين بني تغلق على تشجيع أهل العلم وتقديم العون لهم، وفي سبيل تحقيق ذلك، قام السلطان محمد شاه بإنشاء مدرسة دهلي سنة 747هـ/1346م وقد ألحق بها مسجدا [1] كما قام السلطان فيروز شاه بتأسيس عدة مدارس لتدريس مختلف العلوم الشرعية والعقلية، وبلغت أكثر من ثلاثين مدرسة تحمل هو مصاريفها، وجعل منها مدارس للصبية، وأخرى للفتيات مما شجع النساء على التحصيل والمعرفة، وبخاصة في مجال العلوم الدينية [2]، ونالت مدرسة (فيروز شاهي) شهرة فائقة بين هذه المدارس، وكانت هذه المدرسة قد أنشئت في حديقة محكمة التخطيط، ألحق بها مبان لائقة يسكنها الأساتذة والعلماء، فضلا عن مسجد وضريح، وكان جلال الدين الرومي يتولى منصب عمادة هذا المعهد الشهير [3].

كما تبرع فيروز شاه بأراض جديدة لتوسيع المدارس وجدد الأبنية القديمة، ومنح العلماء والفضلاء أراضي خاصة، وإعتمد للطلبة الفقراء المنح الدراسية، لكي يتابعوا دراستهم في سعة دون أن يعانوا ضيقا ماليا [4]، مما كان له أثر بالغ في الحفاظ على الحماس التعليمي والنشاط الثقافي. ومما تجدر الإشارة إليه أن السلطان فيروز شاه لما فتح قلعة نجركوت وجد فيها مكتبة هندوسية تضم أفلا وثلاثمئة كتاب في مختلف العلوم فأمر أن تترجم الكتب الثمينة فيها حتى يطلع عليها العلماء، فترجمت عدة كتب في الرياضيات والفلك والأدب والموسيقى، نقل منها الشيخ عبد العزيز

---

[1] يوسف حسين خان : المرجع السابق، ص 64-65.

[2] أحمد محمد الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، المرجع السابق ،ج1 ،ص 387.

[3] يوسف حسين خان : المرجع نفسه ، ص 64.

[4] محمد عبد المجيد العبد : الإسلام والدول الإسلامية في الهند ، المرجع السابق، ص24.

بن شمس الدين الدهلوي كتابا كان يشتمل على مائة وأربعة أبواب، ترجم منها مائة باب في أحكام الكسوف والخسوف وكائنات الجو وعلامات المطر وعلم القيافة [1].

إزدهر التعليم في عصر فيروز شاه إزدهارا باهرا في عواصم المقاطعات كلها ولم يقتصر على الحضارة دهلي، فترتب على ذلك إستمرار الحركة الفكرية والثقافية. حتى في أحلك الظروف التي مرت بها الهند [2]. فلما غزا تيمور لنك دهلي إنتقل معظم العلماء إلى عواصم المقاطعات التي كانت قد إنتعشت فيها الحياة الثقافية، والبيئة العلمية بفضل مئات المدارس التي كانت تزخر بها هذه الأقاليم [3].

فضلا عما سبق كانت مجالس الوعاظ تعقد في المساجد وتختص بشرح المسائل الشرعية والإجابة عن الأسئلة التي توجه إليهم من الذين يحضرون حلقاتهم، لأن الوعاظ كانوا في حقيقة الأمر علماء أجلاء وفد منهم أعداد كبيرة من بقاع العالم الإسلامي على الهند، لأن سلاطين بني تغلق كانوا يشجعونهم ويكرمون وفادتهم، ومن بينهم الالم كمال الدين عبد الله

الغاري [4]، والعالم الجليل برهان الدين الصاغري [5] – أحد الوعاظ الأئمة الذين كان لهم أثر بالغ في نفوس وعقول الناس، فاستطاعوا أن يطلبوا ما وجدوه مخالفا للشرع الحنيف، وبخاصة النهي عن إستعمال أواني الذهب والفضة والملابس الحريرية، ووضع التصاوير ذات الروح على الأثاث والستور فضلا عن إبطال بدعة زيارة المسلمات لمشاهدة الأولياء [6].

---

[1] علم القيافة : إقتفاء الأثر ، والقائف الذي يعرف الآثار أي يتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه . إبن منظور ، لسان العرب ، مجلد 9 ،ص 293.

[2] عبد المنعم النمر : المرجع السابق ، ص 138.

[3] يوسف حسين خان : المرجع السابق، ص68-69.

[4] ابن بطوطة ، المصدر السابق، ص 540.

[5] الصاغري : نسبة إلى صاغر وهي قرية كبيرة من قرى الصغد . ياقوت : معجم البلدان ، مجلد 3 ، ص 389.

[6] خادم حسين : أثر الفكر الغربي ، المرجع السابق ، ص35.

إنتقل المد الثقافي إلى المنازل فكانت المجالس الخاصة تعقد بها لسماع الحكايات القصيرة من النوادر والأحاديث التي تتجلى فيها اللياقة والفضيلة ولقضاء أوقات الفراغ في الترويح والتسلية ولعب النرد والشطرنج [1].

ب-الموسيقى والغناء في القصر السلطاني وخارجه:

كان سلاطين الترك يهتمون بالموسقى في دهلي وما يتبعها من ولايات يحكمها ولاة ترك وما تبع ذلك من زيادة التأثير الموسيقي الهندي التي تتميز بالعذوبة، وكان لها الالات البسيطة ويعتبر أمير خسرو عاشقا للموسيقى الهندية لذلك نجده يبدع فيها بالالحان ومن المعروف عن سلاطين دهلي حبهم للموسيقى التي يلحنها خسرو في القصر السلطاني[2].

وكان علاء الدين الخلجي يحب الاستماع الى الموسيقى ايضا، واعطانا امير خسرو بيانا مفصلا عن الموسيقى في عهده، وقد راجت موسيقى الخيال لامير خسرو في القصر السلطاني وبين راجات الهنود وبين عامة الشعب ووجد بعضهم فيها الطريق الى معرفة الله، وهكذا حدد خسرو بتفوق الموسيقى الهندية التي تدخل السرور ليس فقط للانسان ولكن للحيوان والطيور ايضا يحث تجعله يصدح ويهتز[3] و انتشرت مجالس الطرب والغناء في بلاد الهند كذلك في عهد بني تغلق، وكان للسلطان الندماء والمغنون والموسيقيون، يرأسهم ملك الندماء ناصر الدين الكافي الهروي على عهد السلطان محمد شاه تغلق، وكان ناصر الدين يختص بترتيب أهل الطرب للمناسبات والإحتفالات المختلفة، ففي الإحتفال بالأعياد كان يأتي بنات الملوك الكفار من الهنود المسبيات، فيغنين ويرقصن، ويهبهن السلطان للأمراء والأعزة، ثم يأتي بعدهن سائر بنات الكفار فيغنين ويرقصن، ويهبهن لأخوانه وأقاربه وأصهاره وأبناء الملوك، كذلك كانت الجواري المغنيات يجلسن في قباب خشبية عليهن أجمل اللباس وأبهى الزينة للإحتفال بعودة السلطان من أسفاره [4].

[1] Major .India in the fifteen century, p.130.

[2] حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام بالهند ، مجلة كلية الاداب القاهرة ، 1944، ص 9

[3] عبد الرؤوف الفقي : بلاد الهند ، المرجع السابق ، ص 224

[4] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 521.

ويرجع إنتشار الغناء في هذا العصر إلى كثرة الجواري وقلة أثمانهن لكثرة السبي، فالجارية الخادمة كان لا يتعدى ثمنها بمدينة دهلي ثماني تنكات، واللواتي يصلحن للخدمة والفراش خمس عشرة تكنة، أما في غير دهلي فإنهن كن يبعن بأرخص من هذه الأثمان. وذكر أبو الصفا عمر بن إسحق الشبلي أنه إشترى عبدا مراهقا بأربعة دراهم. وعلى الرغم من قلة أثمان السواد الأعظم من العبيد الرقيق، إلاّ أن بعض الجواري الهنديات بلغ ثمنها عشرين ألف تنكة وذلك لحسن خلقها وحفظها للقرآن الكريم فضلا عن كتابة الخط ورواية الأشعار والأخبار، ومنهن من كن يجدن الغناء وضرب العود ويلعبن الشطرنج والنرد، فضلا عن أن ملامح الهنديات كانت أكثر حسنا من الترك، فغالبهن بياض ساطع مختلط بالحمرة، وعلة كثرة وجود الترك والقبجاق والروم وسائر الأجناس عندهم إلاّ أنه لا يفضل أحد على ملامح الهنديات [1].

وأنشئت سوق رائجة للجواري، وكانت تسمى طرب أباد، وكانت أجمل الأسواق وأوسعها، منها الدكاكين الكثيرة، كل دكان له باب يفضي إلى دار حاجة، وللدار باب سوى ذلك، والحانوت مزين بالفرش، وفي وسطه مقعد كبير تجلس فيه المغنية وهي متزينة بأنواع الحلي، وحولها جواريها، وفي وسط الصور قبة عظيمة مفروشة مزخرفة يجلس فيها أمير المطربين بعد العصر من كل خميس، وبين يديه خدامه ومماليكه، وتأتي المغنيات طائفة بعد أخرى فيغنين ويرقصن إلى وقت الغروب [2].

كثر الإهتمام بالغناء والموسيقى في هذا العصر، فأقبل كثير من رجال الدولة وأعيانها في مجالسهم الخاصة ومآدبهم على سماع المغنين والمغنيات، كما جرت عادتهم على إصطحاب أهل الطرب والطبالة في أسفارهم وخروجهم لقضاء الإجازات، فضلا عن تقديم الجواري والفتيان كهدايا قيمة في المناسبات الرسمية[3].

---

[1] ابن فضل الله العمري : المصدر السابق، ص 171.

[2] ELLIOT & DOWSON , op,cit ,vol , III.p.341.

[3] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 54

المرأة في المجتمع الهندي في ظل الاسلام:

بلاد الهند ذات حضارة عريقة راسخة، تتميز بطابع العلم والتمدن، والثقافة، منذ أقدم العصور، ولكننا اذا أمعنا النظر نرى اهل بلاد الهند كبقية الامم والشعوب، التي كانت في الزمن الغابر تعامل المرأة عندهم، وبمنتهى القساوة، وينظر إليها نظرة الاحتقار، ثم بعد هذا الهوان والذل، يقدمونها ضحية على نيران زوجها المتوفي أي اذا مات زوجها، يحرقونها معه بالنار وهي حية، وبقيت هذه العادة البشعة يتوارثها الابناء عن الاباء، حتى جاء الاسلام بنور تعاليمه، وانقذ المرأة من المصير الاسود، وابطل هاته العادة البشعة وحرم العمل بها وعاقب عليها [1]، وكرمها ورفع من شأنها إلى مكانة لم تنلها من قبل، فلم تحظى المرأة في اي تشريع سماوي او وضعي بتلك المنزلة التي حباها بها الله في الدين الاسلامي، فقد قرر الاسلام المساواة بين الرجل والمرأة في كل شيئ، ولم يستثنى من ذلك إلا ما دعت له الحاجة الواضحة مثل الميراث، اذ قرر للذكر مثل حظ الأنثيين، لان المرأة معفاة من التكاليف المالية قبل الزواج وبعده، وكذلك قضى الاسلام على مبدا التفرقة بين الرجل والمرأة في القيمة الانسانية المشتركة وامام القانون وفي الحقوق والعامة، ومن هنا اثر الاسلام على وضع المرأة الهندية في كافة المجالات، وتمتعت بنصيب وافر من الحرية، وكان المجال امامها مفتوحا للدراسة، فكن يسمعن خطب الخلفاء ودروس الفقهاء، ويتعلمن علوم الدين واللغة، ولم يقتصر دراستهم على العلوم الشرعية والاحاديث النبوية بل درسن الشعر وفنون الادب، واشتهرت نساء كان لهن مركز مرموق في المجتمع، ولم تظهر مشكلة الحجاب[2].

والمرأة الهندية ردت إليها كرامتها وأصبحت موضع تقدير واعتزاز، وارتفع عن كاهلها كثير من الذل والهوان والظلم واعلى الحكم الاسلامي من قدرها كما حدث في المناطق الاخرى التي نعمت بنور الاسلام [3]، فقد تمتعت المرأة الهندية في سلطنة دهلي بقدر كبير من الحرية، واتاح لهم

---

[1] محمد مرسي أبو الليل : الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها ، مؤسسة سجل العرب ، مصر ن 1965، ص 107

[2] الفقي : تاريخ الاسلام وحضارته ، دار الفكر العربي ، مصر ، 1995، ص 377

[3] عبد الله محمد جمال الدين : التاريخ والحضارة الاسلامية في الباكستان والبنجاب او السند الى اخر فترة الحكم العربي ، دار الصحوة ، 1991، ص 182

ممارسة نشاطها واظهار مواهبها، بل تربع على عرش دهلي امرأة، هي السلطانة رضية[1]، والتي دربها ابوها السلطان ألتمش على ادارة الدولة، وعهدها اليها بعده، وبرز في الهند ايضا شاه تركان والتي حكمت البلاد لان ابنها لم يستطع مباشرة شؤون الحكم والسياسة، وسارت سيئة السيرة ولذلك لم تستمر في السلطنة[2].

ومما لاشك فيه ان شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد انصفت المرأة، فلا مبرر اطلاقا لسلبها حريتها التي أكدتها لها الاوضاع الطبيعية والانسانية والدينية، ولذلك فقد رفع الاسلام من شأن المرأة عما كانت عليه لدى جميع الامم ابان نزول القرآن الكريم[3].

العمارة الهندية ودور السلاطين فيها:

تعد العمارة الإسلامية في مقدمة أنواع العمائر العالمية، ومفخرة للتراث الإسلامي في شتي بلاد العالم الإسلامي، بفضل ما قدمته عمارة الإسلام من تنوع في البناء وشمول في عناصر الإبداع الفني والجمالي وابتكار في الجوهر وفي التفاصيل، والعمائر الإسلامية على اختلاف تنوعها ووظائفها الا انها تشكل وحدة معمارية ذات طابع واحد لا تخطئه العين في أي بلد من بلاد العالم الإسلامي: طابع واحد وأغراض متعددة وعناصر معمارية مبتكرة وقيمة جمالية رائعة، أنها قدرة مهندس وبناء وصانع وفنان.. قدرات ومهارات اجتمعت لتشكل معا وحدة فنية في طابع مدرسة الفن الإسلامي، حقيقة قد تختلف العمائر الإسلامية في تفاصيلها المعمارية والزخرفية من بلد الآخر ولكن عناصرها الأساسية واحدة لا تختلف ولا تزيد إلا بهاء وقدرة وجمالا[4].

[1] **السلطانة راضية** :ابنت ألتمش 1205/ 1239م كانت موهوبة وحكيمة وشجاعة ومحاربة عظيمة ،وقد أوصى أبوها قبل موته أن تولى هي السبلطنة لكن لم يأخذ النبلاء وعلية القوم لهاته الوصية وقاموا بتنصيب ابنه الاكبر ركن الدين فيروز شاه على عرش دهلي ولم يكن مهتما بالملك بل بالملذات والترف وغير قادر على القيادة لهذا برزت أخته بمساعدة أمها في أن تعتلي عرش السلطنة حيث حكمت راضية حوالي ثلاث سنوات 1236/ 1239م ، وقد بذلت السلطانة ما بوسعها للنهوض بالبلاد التي خوت خزائنها بعد إسراف أخيها . انظر : ورود نورى حسين الموسوي ، السلطانة راضية ابنة ألتمش ، مجلة كلية التربية جامعة القادسية ، الكويت ، مجلد 15 ، العدد 4 ، 2015، ص 154

[2] الفقي : بلاد الهند ، المرجع السابق ، ص 248

[3] عبد الحميد بخيت : عصر الخلفاء الراشدين التاريخي والسياسي والحضاري ، دار المعارف ، ط 2 ، 1965، ص 353

[4] مصطفى عبد الله شيحه: الآثار الإسلامية في مصر "من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيونى"، ص7.

بلغ فن العمارة والنقش في العهد الإسلامي بالهند درجة رفيعة من الروعة والرقي، ويدل على ذلك مسجد آجمير ومسجد القطب بدهلي ومنارته، وكثير من المدارس والبيمارستانات التي نجت من تخريب الحروب.

وكان من الطبيعي أن يستخدم الحكام المسلمين رجال المعمار من أبناء الهند في إقامة منشآتهم، فقد كان للعمارة الهندية القديمة سوق رائجة تدل عليها آثارها القديمة الخالدة، فجاءت الأنماط الهندية في نواتها. على أن هؤلاء الفنانين حرصوا في تصميماتهم، بتوجيه من حكامهم، على أن توائم النهج الإسلامي، وتساير التطور الفني في البلاد الإسلامية، دون أن يطغي شيء من ذلك كله على طابعها الأصيل، فأضيفت النقوش والزخارف العربية والفارسية إليها، كما اقتبست بعض الطرز منها[1].

فقد كان التصور الإسلامي أو النموذج الإسلامي لصناعة العمارة أمام أعين الوافدين، فكانوا يعرفون هيئة المسجد أو المقبرة حتى كانوا يعرفون بتكنيك بناء هذه المباني، فقد أنس أهالي بلادهم صورة المحراب والقبة قبل ورودهم الهند، فكان البحث عن البنائين وتعليمهم كيفية بناء المسجد، حيث كان البناء الهندوسي لا يعرف إلا بناء المعبد الوثني[2].

وإن كانت هذه العمائر الهندوسية بهرت العمارة الهندية السلطان محمود الغزنوي من قبل[3]، فزين غزنة بأجمل ما حصل عليه من مغانم الهند، وأعاد تشييد مسجدها الجامع على أحسن صورة، وأضاف إلى المسجد مدرسة[4]، وثم نجد الغازي تيمور لنك من بعده يصحب معه إلى عاصمته سمرقند مئات من رجال المعمار الهنود والصناع المهرة، حيث يعهد إليهم بإقامة منشآت كبيرة، كان من بينها مسجدها الجامع (مزار شاه)[5].

---

[1] أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج1، ص257-258.

[2] السيد جمال الدين: صناعة العمارة الهندية-الإسلامية "هدفها وأسلوبها وجمالها"، ترجمة/ فاطمة الزهراء، دلهى، مجلة ثقافة الهند، 2004م، المجلد55، العدد3، ص130.

[3] أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج1، ص258.

[4] العتبى: تاريخ اليمينى المسمى بالفتح الوهبي، القاهرة، المطبعة الوهبيه، 1286هـ/1869م، جزءان، ج2، ص291.

[5] أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج1، ص257-258.

دور سلاطين المماليك في العمارة الهندية:

عنى قطب الدين أيبك بالعمارة، ومن أبرز ما خلف مسجده المشهور الذي بدأ تشييده سنة 1191م[1]، كما شيد مسجدا بأجمير[2]. أولى السلطان (إيلتمش) العمارة عناية كبيرة، فأتم مسجد السلطان (قطب الدين أيبك) في دهلي، وشيد مسجدًا آخر في أجمير. كذلك نسب إلى السلطان (إيلتمش) بناء حوضين عظيمين خارج المدينة لتقديم مياه الشرب لأهالي دهلي[3]، فقد لاقي في عهده فن العمارة بالهند ازدهارًا كبيرًا[4].

لم يتيسر لأي سلطان من سلاطين الهند، أن أقيم في عصره هذا القدر من العمارة، كما في عهد (علاء الدين خلجي)، حيث المساجد والمنارات والأحواض والقلاع، وأمثال ذلك لم تقع في أي عصر قط، كما لم يظهر في زمان قط، أهل فن ومهارة كما كان في عصره[5]، لذا صادفت العمارة الإسلامية بالهند رواجًا كبيرًا على أيدي هذا السلطان، ويروي أن كل عمود من أعمدة قصر الألف بأساسه رأس مغولي من الذين أسرهم في حروبه معهم[6].

فقد كانت جملة خدمة سبعين ألفا، سبعة آلاف منهم كانوا بنائين[7].

وقد أكثر السلطان (فيروز شاه تغلق) من بناء المساجد والمدارس والمشافي والحمامات، وأوقف عليها أوقافا كثيرة بحيث صارت مجانية لمن يبغى العلم أو يريد التداوي والاستجمام[8]، كما أقام الجسور والقناطر وإنشاء الحدائق[9]، ففي عام 756هـ أوصل نهر من نهر ستلد إلى نهر جهجر، على مسافة ثمان وأربعين فرسخا، وفي السنة الثانية أي 757هـ مد نهرًا من نهر جون

---

[1] Lane-Poole: Medieval India, p68.

[2] أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج1، ص123.

[3] السيد طه أبو سديرة: تاريخ الإسلام في شبه القارة الهندية من الفتح العربي إلى الغزو التيموري (93-814هـ)، ص125.

[4] أحمد محمود الساداتي: المرجع السابق، ج1، ص129.

[5] نظام الدين بخشى الهروي: طبقات أكبري، ج1، ص145.

[6] أحمد محمود الساداتي: المرجع السابق، ج1، ص258.

[7] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج2، ص206.

[8] السيد طه أبو سديرة: المرجع السابق، ص181.

[9] عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص137.

الى نواحي مندل[1] وسرمورة، وأوصل سبعة أنهار أخرى به ومده الى هانسى، كما بنى قلعة في رالين، وأسماها قلعة (فيروزه)، وأقام أمامها قصرًا وحوضًا واسعًا، كان يمتلأ من نهر جون، وفرع نهرًا آخر من نهر كهكر، ومده حول قلعة سرستي، وأوصله حتى نهر كره، وبنى قلعة بينهما أسماها (فيروز آباد)، وفرع نهرًا آخر من بدهى، وأوصله إلى الحوض الموجود أمام قلعة فيروزه[2].

أولا: عمارة المساجد في سلطنة دهلي:

شهدت أرض الهند فتوحات إسلامية خالدة، ودولاً إسلامية عديدة، فرفرفت راية الإسلام فوق تلك البقاع، وامتدت يد المسلمين تعمر وتبني المساجد، وارتفعت المآذن وشقت عنان السماء فوق دهلي ومدن إسلامية عديدة.

فالدول الإسلامية التي تعاقبت على حكم الهند، وتسلمت راية الإسلام من بعضها البعض خلفت ورائها تراثاً معماريًا ضخماً[3]، حيث أسس الملوك الجوامع والمساجد بالهند، كذلك أسس الأمراء في كل بلدة وقرية مسجدًا، وبذلوا أموالاً طائلة[4]، فقد كانت العمائر الدينية والتي في مقدمتها المسجد، اللبنة الأولي في مجال العمارة الإسلامية[5].

القصور والدور:

القصور والدور عادة ما تبني على ضفاف الأنهار أو وسط المدن أو في الأماكن الجميلة المطلوبة، وبالهند العديد من القصور والمنازل والاستراحات والحمامات، والتي تميزت بكثرتها، إذا ما قورنت ببعض الأقطار الإسلامية[6].

---

[1] **مندل:** مدينة بأرض الهند يكثر بها العود حتى يقال للعود المندل، وليس هي منبته، ولكن منبته جزائر وراء خط الأستواء، حيث يأتي به الماء إلى المدينة في الشمال. القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص82.

[2] نظام الدين بخشى الهروي: طبقات أكبري، ج1، ص190.

[3] أحمد رجب محمد علي: تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند، ج1، ص9.

[4] عبد الحي الحسني الندوي: الهند في العهد الإسلامي، ص349.

[5] مصطفى عبد الله شيحه: الآثار الإسلامية في مصر "من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيونى"، ص7.

[6] أحمد رجب محمد علي: تاريخ وعمارة الدور والقصور والاستراحات والحمامات الأثرية في الهند، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1427هـ/2006، ج3، ص9.

يختلف تخطيط القصور بالهند بصفة عامة حسب الوظيفة التي تؤديها، فهناك الدواوين الملكية، والتي تتقسم بدورها إلى دواوين عامة ودواوين خاص مختلفة في تخطيطها حسب الدور الذي تؤديه، وقصور سكنية واستراحات ترفيهية.

القصور السكينة:

تتكون القصور السكينة من مجمعات كبيرة تضم عددا من الأفنية والقاعات والغرف والمطابخ في الغالب، وإلى جانب ذلك القصور الرسمية، وهناك القصور الترفيهية (الاستراحات)، وهي أيضا تستخدم في للإقامة والسكنى، إلا أن السمة الغالبة عليها هي التسلية والترفيه[1].

وسوف نتناول نماذج لتلك القصور.

1/ القصر الهرمي:

يعد القصر الرئيسي في قلعة فيروز شاه تغلق، ويوجد في الجهة الشرقية من القلعة، وقد شيد هذا القصر حول تلة صخرية هرمية الشكل، ويعرف هذا القصر باسم (خاص محل)، و(القصر الملكي)، و(قصر عمود أشوكا)، وتسمية القصر بقصر عمود أشوكا، لأن هذا العمود أحضره فيروز شاه عقب انتصاره بمنطقة الدوآب، ويرجع هذا العمود للملك أشوكا (271-231ق.م).

ويتكون هذا القصر من أربعة طوابق بنيت حول كتلة حجرية مرتفعة، فالقاعات والغرف تحيط بالتل في الطابق الأول والثاني، وبعضها محفور بداخله في الطابق الثالث، أما الطابق الرابع، فهو عبارة عن سقيفة على مستوى التلة، فوق قمتها المستوية وحول عمود أشوكا، المنصوب منتصف التلة[2].

---

[1] المرجع السابق، ص226-227.

[2] أحمد رجب محمد علي: قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية في الهند، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1430هـ/2009م، ج4، ص45-46.

2/ قصر الاستقبالات الرسمية (قصر الصالة المربعة):

ويمثل هذا القصر قصور الاستقبال. يوجد هذا القصر في الجهة الشمالية الغربية من القصر الهرمي، وهو عبارة عن بناء مربع الشكل، طول ضلعه حوالي 50مترًا، وهو يتكون من مربع أوسط محاط بدعائم حجرية من جميع الجهات بواقع ست دعائم في كل ضلع من الأضلاع، وهذا المربع مفتوح على رواق يتلف حوله ومحاط بالأعمدة بواقع ثمانية أعمدة في كل ضلع من الأضلاع، ويفتح هذا الرواق على رواق آخر محاط بجدران المربع الخارجي (الجدران الخارجية)، وكانت تلك الجدران ينبثق منها إلى الداخل أكتاف عددها عشرة أكتاف في كل ضلع من الأضلاع، حيث كانت تحمل تلك الأكتاف سقف القصر، والذي هو في الأصل صالة ضخمة تستخدم للاجتماعات والاستقبالات الرسمية، ومادة بناء هذا القصر الحجر، بينما الأعمدة الموجودة بالرواق الأوساط من الرخام[1].

3/ قصر الماء (قصر الترفيه):

ويعرف سكان دهلي هذا القصر باسم (باولى) أي حوض الماء، وهو مخصص لجلوس السلطان مع آل بيته أو خلصائه، وكبار رجال الدولة في فصل الصيف، حيث الاستمتاع بقربهم من الماء، وهذا القصر عبارة عن مبنى مستدير الشكل، طول قطره حوالي 50مترًا، وإن كان به بروز حوالي ثلاثة أمتار عن قطر الدائرة من الجهة الشمالية، حيث مدخل القصر، ومن الجهة الجنوبية، وهو يتكون من طابقين، ارتفاعه حوالي 12مترًا، يتوسطه حوض ماء كبير دائري الشكل، قطره حوالي 30مترًا، يحيط به ممر مسقوف يستند على أعمدة تحيط بحوض الماء[2].

تشييد القلاع والحصون:

تعد العمارة الحربية من أهم فروع العمارة الاسلامية في الهند، وتتمثل في القلاع والحصون التي تميزت بالعديد من العناصر المعمارية والسمات التي اختلفت من عصر إلى عصر، تميزت عن مثيلاتها في الدول الأخرى خصوصا الأبراج والأسوار والمزاغل والسقاطات والشرفات وغيرها

---

[1] أحمد رجب محمد علي: قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية في الهند، ص51-52.

[2] المرجع السابق، ص53.

من عناصر العمارة الحربية، والتي تميزت بفخامتها وضخامتها، بل وجمالها وأن كانت تتميز بالقسوة والخشونة[1].

وقد أعد فيروز شاه تغلق خطة عمرانية لإنشاء عدد من المدن المحصنة في أرجاء سلطنته، لقمع أية اضطرابات وصد أدى هجمات، وزيادة قوة الدولة.

فقد بنى إلى جانب قلعة فيرز شاه، حصنا يحمل اسمه في ولاية هانسي غرب دهلي 757هـ/1356م، ومدينة أخرى كبيرة محصنة تحمل اسمه أيضًا على نهر سرستى، وقلعة أخرى بمدينة جونبور[2].

قلعة فيروز شاه:

تعد قلعة فيروز شاه غلق من أهم الآثار التي تنسب لدولة بني تغلق، تقع القلعة على فرع إستحدثة السلطان فيروز شاه تغلق من نهر جمنا[3]، بنيت في عام 755هـ/1354م[4].

وتعد هذه القلعة نموذج جيد للعمارة التغلقية. عرفت القلعة في المصادر الهندية باسم مدينة فيروز شاه تغلق أو فيرز آباد، وتقع جنوب دهلي، القلعة على شكل مستطيل غير منتظم الأضلاع، أقصى امتداد لها من الشمال إلى الجنوب 800مترًا، ومن الشرق إلى الغرب 400مترًا، يحيط بالقلعة سور مدعم بالأبراج والمزاغل والسقاطات، ارتفاع السور 12مترًا، وللقلعة مدخلان، البوابة الرئيسية من جهة الغرب، والبوابة الثانية في الجهة الجنوبية. وداخل القلعة مسجد كبير، وعدد من القصور والمباني[5].

[1] المرجع السابق، ص11.

[2] عبد الحي الحسني الندوي: الهند في العهد الإسلامي، ص180.

[3] حرص سلاطين الدولة التغليقية على شق الأنهار، فقد اختلج السلطان غياث الدين تغلق مؤسس الدولة أكثر من 50 فرعًا (ترعة) من الأنهار، وتبعه السلطان فيروزشاه تغلق في هذا الأمر حيث حرص على شق العديد من فروع الأنهار، ومنها فرع جمنا إلى قلعته الجديدة. عبد الحي الحسني الندوي: الهند في العهد الإسلامي، المرجع السابق، ص380.

[4] Stephen P.Blake, op. cit, p8.

[5] أحمد رجب محمد علي: قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية في الهند، المرجع السابق، ص15-20.

قلعة الدويقير:

تقع الدويقير في القسم الثالث من مدينة دولة آباد، حيث كانت مدينة مقسمة إلى ثلاثة أقسام، أحدها دولة آباد وهو مختص بسكنى السلطان وعساكره، والقسم الثاني اسمه الكتكة، والقسم الثالث قلعتها التي لا مثيل لها ولا نظير في الحصانة، فهي قطعة من الحجر على بسيط من الأرض وقد نحتت، وبني أعلاها قلعة يصعد إليها بسلم مصنوع من الجلود، ويرفع ليلاً، ويسكن بهذه القلعة الزماميون بأولادهم، وفيها سجن أهل الجرائم العظيمة في جبوب بها[1].

الأضرحة:

إن المسلمين أحدثوا في ذلك أمورا، وتبعوا الأمم الماضية، وحذوا سن من قبلهم، فجصصوا القبور، وبنوا عليها القباب، وزخرفوا وصرفوا عليها اموال المسلمين بسرف وتبذير، لا غاية وراءه[2].

وعن الأتراك أخذ الفرس هذه الروضات أو الأضرحة، ومن ثم انتقلت إلى الهند ضمن ما انتقل إليها من صور الحضارة الإيرانية الإسلامية، ولكنهم زادوها فخامة وضخامة حتى أصبحت عنصرًا من عناصر العمارة الإسلامية التي تميزت بها بين الفنون المعمارية في العالم[3].

لذا حرص ملوك دهلي على إقامة القباب فوق مقابرهم، وهذه الأضرحة تميزت بتنوع طرز تخطيطها، فبعضها عبارة عن بناء مربع يعلوه قبة، وضريح آخر مربع الشكل، ولكن تعلوه قبة من نوع فريد تعرف باسم القبة البنغالية أو القبو البنغالي، وهذا النوع من القباب يتميز بقبة مدببة، وبها استطالة، ولها أكثر من مركز، وينتشر هذا النوع في شمال الهند في إقليم البنغال[4].

والناحية التي تميزت بها العمارة الإسلامية الهندية هي ناحية الروضات أي المدافن، فقد أكثر السلاطين والأمراء منه، وتفننوا فيها، وأنشئوها في الحدائق وعلى ضفاف الأنهار في أوضاع

---

[1] ابن بطوطة: المصدر السابق، ص558

[2] عبد الحي الحسني الندوي: الهند في العهد الإسلامي، ص380.

[3] حسين مؤنس: المساجد، ص255.

[4] أحمد رجب محمد علي: تاريخ وعمارة المزارات والأضرحة الأثرية الإسلامية في الهند، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1425هـ/2005م،ج2، ص30.

بديعة تروق العين، وتعتبر من بدائع الفن المعماري العالمي، والروضة في الحقيقة مسجد صغير أو مصلي فيه بيت صلاة ومحراب، ومن ثم فهي تدخل في نطاق العمارة الدينية الإسلامية[1].

وسوف نذر نماذج لتلك الأضرحة:

1/ ضريح السلطان المملوكي إيلتمش 633هـ/1235م:

يتصل بمسجد قوة الإسلام هذا المسجد صغير يقع إلى شماله هو في الحقيقة روضة أي (ضريح) للسلطان ألتمش وهذا المسجد-الروضة- هو أول المنشآت من نوعه في الهند، وروضه ألتمش مبنى صغير أنيق تقوم فوقه قبة. وهو مبنى كله من الحجر الجيري والرخام، وقبته تقوم على مثلثات كروية غاية في الجمال، والقبة مسدسة الأضلاع وتقوم على رقبة في أربع قمريات[2].

يوجد ضريح السلطان ألتمش بدهلي بمنطقة قطب منار على بعد حوالي150مترًا إلى الشمال الغربي من قطب منار، وقد أنشأه السلطان قبل وفاته بعام واحد.

ويتكون الضريح من مساحة مربعة طول ضلعها15مترًا، مغطاة بقبة ولها ثلاثة مداخل محورية، ومحراب في الجهة الرابعة (الغربية) ويتوسط أرضية الضيح تابوت السلطان ألتمش[3].

وكتب على جوانب القبر من سورة الواقعة بالخط الثلث المنحوت في الحجر بحروف بارزة (والسابقون السابقون أولئك المقربون) وفي الحائط الغربي كتب أعلي المحراب بحروف المرمر (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون)، وفوق محراب آخر كتب (كل من عليها فان)، وعلى الجدران بعض آيات وأذكار مكتوبة بالخط الكوفي[4]، كما زخرفت الجدران على جانبي دخلات المداخل بزخارف نباتية وهندسية محفورة حفرا دقيقا على الحجر الأحمر، حيث تبدو

[1] حسين مؤنس: المساجد، ص88.

[2] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص250.

[3] أحمد رجب محمد علي: تاريخ وعمارة المزارات والأضرحة الأثرية الإسلامية في الهند، ج2، ص32-33.

[4] عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، هامش ص109.

الجدران من الداخل كلوحة دقيقة متناسقة متناغمة، وتعد من أبدع نماج الفن الإسلامي في بلاد الهند[1]، ويصفه غوستاف لوبون قائلا: (ويعد مزاره الفخم من أشهر مباني دهلي)[2].

2/ شريح الشاعر أمير خسرو (ق8هـ/14م):

أمير خسرو، هو شيخ الإمام الفاضل (خسرو بن سيف الدين محمود البخاري الدهلوي) أشهر مشاهير الشعراء في الهند، لم يكن له نظير في العلم والمعرفة والشعر والموسيقى وفنون أخرى قبله ولا بعده، ولد سنة احدى خمسين وستمائة في بنيالي، ونشأ بدار الملك دهلي، وتنبل في أيام السلطان (غياث الدين بلبن)[3].

يوجد هذا الضريح بمنطقة نظام الدين بدهلي على بعد حوالي40مترًا إلى الجنوب من ضريح نظام الدين أوليا البدايوني، ويرجع تاريخ إنشاء هذا الضريح إلى عصر السلطان غياث الدين تغلق شاه مؤسس الدولة التغلقية بالهند (720هـ/815م)، والضريح عبارة عن مربع طول ضلعه أربعة أمتار، يوجد المدخل في الضلع الجنوبي منه، وعلى جانبيه حاجبان من الرخام المفرغ في زخارف هندسية بديعة، أما الأضلاع الثلاثة الباقية متشابهة، كل ضلع مقسم بالدعائم إلى ثلاثة مناطق مغطاة بأحجبة من الرخام المفرغ في زخارف هندسية بديعة، ويتوسط التابوت أرضية الضريح، ويغطى الضريح قبة عل الطراز البنغالي (سقف بنغالي)، وداخل الضريح بعض آيات القرآن الكريم على التابوت، فضلاً عن وجود كتابات فارسية، عبارة عن أشعار، تنسب إلى الشاعر أمير خسرو[4].

3/ ضريح السلطان غياث الدين تغلق شاه (720هـ/1321م-725هـ/1325م):

أنشأ السلطان غياث الدين تغلق، مؤسس الدولة التغلقية في الهند (720هـ/1321: 815هـ/1415م)، في جنوب دهلي قلعة ضخمة سميت باسمه (تغلق آباد)، وبعد وفاته أنشأ ابنه في تلك القلعة روضة لذكرى أبيه، وهي في الحقيقة حصن ذو أسوار عالية، يرتفع فوق الأرض

---

[1] أحمد رجب محمد علي: المرجع السابق، ص33.

[2] غوستاف لوبون: حضارات الهند، ص221.

[3] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج2، ص156-157.

[4] أحمد رجب محمد علي: تاريخ وعمارة المزارات والأضرحة الأثرية الإسلامية في الهند، ص38.

ثلاثة طوابق، وقد أنشئت الروضة 725هـ/1325م، وهي النموذج الذي سيتطور حتى يصل ذروته في صورة روضة (تاج محل).

والروضة عبارة عن مساحة واسعة، يدور حولها سور على ركنيه قبتان، وتنفذ من باب مفتوح في هذا السور إلى مبنى الروضة نفسها، فتجد واجهة رائعة ذات بوابة ضخمة لها ثلاثة أبواب، الأوسط منها ذو عقد مدبب، داخل الروضة ساحة فسيحة، هي في الحقيقة بيت الصلاة، يقوم في وسطه قبر غياث الدين، وعلى أعمدة وسط بيت لصلاة، ويقوم جدار ثان تزينه قباب زخرفية من الخارج، وفوق ذلك كله تقوم القبة الكبرى. والمبنى كله ذو طراز هندي خالص بارتفاعه وتعقيد تركيبه القباب الزخرفية الكثيرة التي تنتشر فوقه محيطة بالقبة الكبرى[1]، وهو مبنى من حمر الحجارة وبيضها، ويسمونها دار الأمان، وهي من أبدع المباني وأحسنها[2].

4/ ضريح محمد شاه بن فريد خان بن خضر خان:

محمد شاه بن فريد خان بن خضر خان، وهو السلطان الثالث من أسرة السادات الأشراف، والتي حكمت من (817هـ/1414م:855هـ/1451م)، وقد تولى محمد شاه الحكم مدة عشر سنوات منذ (837هـ/1434م: 847هـ/1443م) بوصيه من عمه مبارك شاه بن خضر خان، خاض خلال تلك الفترة العديد من الصراعات والحروب[3].

تم إنشاء الضريح أثناء فترة حكم السلطان محمد شاه، فيما بين عامي (1434، 1444م). يتكون الضريح من بناء مثمن، أي أن للضريح ثماني وجهات، وبالضريح غرفة مثمنة الشكل أيضًا، وداخل الغرفة تسع توابيت حجرية منسقة بأسلوب فيه تماثل، وهذه التوابيت خالية من الكتابات والزخارف باستثناء بعض الجمل (لا اله الا الله محمد رسول الله) على عقود الأبواب من الداخل، وجدران الضريح خالية من الكتابات[4].

[1] حسين مؤنس: المساجد، ص255-256.

[2] عبد الحي الحسني الندوي: الهند في العهد الإسلامي، ص382.

[3] نظام الدين أحمد بخشى الهروي: طبقات أكبرى، ج1، ص233. عبد الحي الحسني الندوي: الهند في العهد الإسلامي، ص183.

[4] أحمد رجب محمد علي: تاريخ وعمارة المزارات والأضرحة الأثرية الإسلامية في الهند، ص41-42.

5/ ضريح باراجومباد:

باراجومباد تعنى باللغة الهندية المقابر الأحد عشر، ولعل هذا الضريح قد دفن به أحد عشر شخصًا من عائلة واحدة، لذا سمى بهذا الاسم.

يوجد الضريح بدهلي وبجوار مسجد معروف بنفس الاسم، ويرجعان معًا لمنشئ واحد، ويوجد الضريح وسط مجموعة كبيرة من الآثار التي ترجع إلى عصر بني لودي، وخاصة السلطان إسكندر لودي، والذي توجد مقبرته بالقرب من هذا الضريح.

والضريح والمسجد الملاصق له لأحد أفراد بني لودي غير معروف اسمه، ولكن تاريخ إنشاء الضريح مثبت عليه، وهو سنة 900هـ/1494م، وهذا التاريخ يقع في فترة حكم السلطان إسكندر لودي (894هـ/1488م: 923هـ/1517م)، والذي توجد مقبرته بالقرب من هذا الضريح، مما دل على أنه لأحد الأفراد المقربين إليه، ليسمح له بالبناء في هذه المنطقة الخاصة بمدافن بني لودى.

والضريح عبارة عن بناء مربع طول ضلعه 24مترًا من الخارج، وارتفاعه بما في ذلك القبة 28مترًا تقريبًا، وللضريح أربع وجهات متشابهة، ولا يشتمل الضريح على محراب، وذلك لأنه ملاصق للمسجد الذي يحمل نفس الاسم، حيث أن الضريح والمسجد كأنهما بناء واحد[1].

6/ ضريح إسكندر لودي(894هـ/1488م: 923هـ/1517م):

إسكندر شاه اللودي، هو ثاني حكام الأسرة الودية، تولى الحكم بعد أبيه بهلول لودى مؤسس هذه الأسرة، ونظام خان الذي لقب نفسه إسكندر شاه الودي، وهو مؤسس هذا الضريح[2].

ضريح إسكندر لودي موجود بدهلي بالقرب من ضريح شاه وضريح باراجومباد سالفي الذكر. الضريح عبارة عن غرفة مثمنة، يحيط بها رواق من كل الجهات، يتكون من قباب ضحلة عددها ثلاث قباب أما كل ضلع، فهو يشبه ضريح السلطان محمد شاه، ويغطى الضريح قبة ضخمة.

ومبنى الضريح يوجد داخل حصن مربع، ومحاط بالأسوار، وفي زواياه الأربع أبراج أربعة.

---

[1] المرجع السابق، ص44-45.

[2] عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص149.

ومداخل الضريح من الداخل مزخرفة من أعلى بالفسيفساء الخزفية الملونة: الخضراء والزرقاء والصفراء والسوداء، كما توجد زخارف هندسية ونباتية ملبسة على الحجر، ويتوسط أرضية الضريح تابوت كبير مستطيل من الحجر، ارتفاعه متران، وطوله 4أمتار، وعرضه متران، وهو خال من الزخارف[1].

[1] أحمد رجب محمد علي: المرجع السابق، ص47-48.

الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية

1) الزراعة
2) الصناعة
3) التجارة
4) الادارة المالية

مما لا شك فيه أن مساحة الهند الواسعة وكذا مناخها المتنوع وسهولها العظيمة وانهارها العديدة وكذا رغبة السكان في مزاولة العمل في الارض كلها عوامل ساهمت في إزدهار الزراعة بها وكذلك تطور الصناعة التي هي مرتبطة ارتباطا وثيقا بإزهار الزراعة التي هي المادة الأولية للصناعة.

الزراعة

يعتبر الهنود من أكثر الأمم إهتمام بالزراعة وساعدهم على ذلك وفرة المقومات الأساسية من أراضي خصبة في سهول البنجاب وحول الأنهار الكبرى، و وفرة الأيدي العاملة، مع وجود مياه الأنهار المتعددة[1]، وكان لتنوع المناخ أثره الفعال في تنوع وكثرة المحاصيل الزراعية، وليس هذا فحسب بل أعتبرت الهند موطنا أساسيا لمحاصيل عديدة أشهرها القطن[2]. والمعروف أن الزراعة في ظل الحكومات القوية لأنها تستطيع أن توفر ما يلزم الأراضي من عمليات إصلاح ومياه وري[3]، وهذا ما حدث مع إستقرار سلاطين دهلي حيث ظهر في عصرهم أول تقدم في الزراعة فتحسنت أحوال الفلاح الهندي الذي لم يشعر بأدنى فرق بينه وبين طبقات المجتمع، حيث أدى ما عليه في سهولة ويسر[4]، وظهر الاهتمام بالري وأخذ الخوف من تذبذب مياه الأمطار يزول أمام الأحواض التي راعى سلاطين دهلي إقامتها كما زال الخوف من المجاعات وذلك بإقامة مخازن الغلال[5].

ورغم أن بلاد الهند تعتبر بلادا صحراوية وتختلف تربتها من منطقة لأخرى لذلك إختلفت أنواع المزروعات والفواكه والأزهار وكان التنوع على أشده في المناطق الساحلية، حيث تكثر التربة الرملية والتربة المالحة التي لا تصلح للزراعة [6]، و يعد عصر السلاطين دلهي بوجه عام، وعصر بني تغلق بوجه خاص من أهم وأخصب فترات تاريخ الهند خلال العصور الوسطى، حيث في

---

[1] أحمد سعيد الدمرداش : البيروني ، دار المعارف ، القاهرة ، 1970، ص 149

[2] وليام ديورانت : المرجع السابق ، ج 2، ص 154

[3] سيروسلي هايج : الهند وإمبراطوريتها الاسلامية ، ج 5 ، ص 616

[4] نظام الدين : طبقات أكبري ، ج 1 ، تر عبد القادر الشاذلي ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، مصر ، 1995،ص 70

[5] محمد يوسف النجرامي : العلاقات السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية ،مكتبة الملك فهد ، 1979، ص 6

[6] الفقي : بلاد الهند ، المرجع السابق ، ص199

عهد محمد بن تغلق (725-752هـ/1325-1351م) وصلت سلطنة دلهي لأقصى اتساع لها، فقد ضم 23 إقليم من أكبر وأغنى أقاليم الهند[1].

و لاشك أن الزراعة، كانت تعد عصب الحياة الاقتصادية، باعتبارها من أقدم الأنشطة التي مارسها الإنسان لتوفير أبسط احتياجاته اليومية. وتحليل مظاهر النشاط الزراعي في الهند خلال فترة بني تغلق، تدفعنا لدراسة طرق العملية الزراعية، وهما الإنسان والأرض والعلاقة بينهما سواء في وضعية الأرض وأشكال الملكية وعلاقات الإنتاج. أو في طبيعة الإنتاج الزراعي والعوامل التي أثرت فيه.

نظام ملكية الأرض:

كانت الأراضي الزراعية في إقليم الهند الإسلامي ملك لطبقتين هما كبار رجال الدولة والملوك و السلاطين وهؤلاء امتلكوا الضياع والقصور والأراضي الزراعية الخصبة أما الطبقة الثانية فهي طبقة الأمراء الهنود المحليين وهؤلاء كان يعمل تحت إمرتهم الفلاحين والرقيق، وقد أبقى عليهم الحكام المسلمون على أن يدفعوا ما عليهم من جزية وخراج، وقد ساد نظام الإقطاع في الهند بنوعيه المادي والعسكري، ويشمل النوع الاول الاراضي المقطعة للملتزمين وكانت أرضهم تعود للحكومة في حالة مصادرة أصحابها أو عندما يحل بها الخراب[2]، وقد شاع في الهند منح كبار الموظفين إقطاعا مدنيا عوض رواتبهم حسب مكانة المقطع، وتعددت أشكال ملكية الأرض في الهند خلال عصر بني تغلق، فقد كانت هناك بعض الأراضي الخراجية لكنها كانت محدودة[3]، أما غالبية الأراضي فكانت خاضعة للنظام الإقطاعي العسكري هو النمط السائد من الإقطاع في عصر سلاطين دلهي بوجه عام[4]، وعصر بني تغلق بوجه خاص، يدل على ذلك أن أكثر الإقطاعات كانت للحكام وكبار قادة العسكر (أرباب السيوق في السلطنة) [5]، ولم يخت بنو تغلق وحدهم بتطبيق هذا النظام فيما يخص وضعية الأرض في العالم الإسلامي، بل كان هذا

---

[1] العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ج3 ، ص 38

[2] أدم متز : الحضارة الإسلامية ،تر محمد عبد الهادي أبوريد، دار الكتاب العربي ، لبنان ، 1948،ط 5، ، ص 162

[3] عصام عبد الرؤوف ، بلاد الهند في العصر الإسلامي ،المرجع السابق، ص 213

[4] محمود إسماعيل ، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، المرجع السابق، ج3 ، ص 44

[5] العمري ، مسالك الأبصار ،المصدر السابق، ص 44.

النظام هو السائد في معظم مناطق العالم الإسلامي، خاصة في دولة المماليك في مصر والشام والحجاز [1].

وبرغم ذلك فقد اختلف نظام الإقطاع في عهد بني تغلق عن نظام الإقطاع العسكري المملوكي، فهناك بعض الاختلافات الأساسية بين النظامين، والتي أشار إليها كل من العمري والقلقشندي[2] صراحة حين ذكر أن النظام كان مختلفا في الهند عنه في مصر والشام، هذا الاختلاف فيما يخص تابعي السيد الإقطاعي، ففي النظام المملوكي يقوم الإقطاعيون بمنح جنودهم إقطاعات من الأرض لكي يتعيشوا منها نظير ارتباطهم بسيدهم الإقطاعي وتقديم الخدمات له، أما في الهند فإن تابعي السيد الإقطاعي من الجند لم يكن يحصلون من السيد الإقطاعي على أي مقابل، بل كانوا يحصلون في مقابل ولائهم لسيدهم على رواتب من السلطان مباشرة، وكان راتب الجندي يتراوح ما بين (1000-10000 تنكة[3]) حسب رتبته[4].

وقد اتخذ هذا النظام خلال عهد محمد بن تغلق الشكل الهرمي، فكان على قمته الخانات، يليهم الملوك، ثم الأمراء، ثم الأصفهلارية[5]، وكان لكل خان إقطاع من الأرض ريعه السنوي (200 ألف تنكة)، ولكل ملك ما بين (50-60 ألف تنكة) والأمير ما بين (30-40 ألف)، والأصفهلار[6] (20 ألف تنكة). وكان للخان من الأتباع 10 الآلاف فارس والملك 1000 فارس والأمير 100 فارس، والأصفهلار وأقل من ذلك[7].

وإلى جانب الإقطاع العسكري، منح السلاطين كبار الموظفين والفقهاء (أرباب الأقلام) إقطاعات بدلا من الرواتب[8]، وكان على رأسهم نائب السلطان ويسمى (أمريت)، وكان له إقطاع

---

[1] إبراهيم علي طرخان، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط ،دار الكتاب العربي ، القاهرة،1965، ص59

[2] العمري ، مسالك الأبصار ، ص 44 ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج5 ، ص92.

[3] ابراهيم طرخان : المرجع السابق،ص 60

[4] العمري ، مسالك الأبصار ،المصدر السابق، ص 44-45

[5] الأصفهلار : هو قائد الجيش ، أنظر محمد قنديل البقلي ، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ،الهيئة المصرية للكتاب، مصر ، 1983 ، ص 32

[6] القلقشندي ، صبح الأعشى ، المصدر السابق ،ص94

[7] العمري ، مسالك الأبصار ،المصدر السابق ، ص 44.

[8] محمود إسماعيل ، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي ،المرجع السابق، ص 45.

ضخم في حجم إقليم كبير مثل العراق، يليه الوزير وله إقطاع كبير لإقليم بحجم العراق أيضا. وكان للوزير أربعة نواب يسمى كل واحد منهم (شق) وله إقطاع ريعه ما بين (20–10 ألف تنكة) هذا بجانب كتاب سر أربعة (يسمى الواحد فيهم دبيران) لكل واحد مدينة كبيرة، وكان كبار الكتاب يصل إقطاع الواحد منهم إلى 50 قرية، أما الصغار فإقطاعاتهم صغيرة ريعها في حدود (10 آلاف تنكة) [1].

وكان صاحب وظيفة أمير داد (مهمته الجلوس بمجلس القاضي فمن كان له حق على أمير أو كبير أحضره بين يديه) فكان إقطاعه في حدود (50 ألف تنكة)، ومحاسب الدواوين (40 ألف تنكة) صاحب وظيفة رسول دار (حاجب الإرسال) في حدود (24 ألف تنكة) [2].

أما رجال الدين الفقهاء والقضاة فكان لهم أيضا نصيب من الإقطاعات فقد كان لقاضي القضاة الملقب بصدر جهان إقطاع ريعه (60 ألف تنكة) وشيخ الشيوخ مثله[3]، والقاضي (12 ألف تنكة) [4]، والمحتسب إقطاع ريعه (8آلاف تنكة) [5]، كما كانت هناك إقطاعات لبعض الوظائف الخاصة مثل شحنة الفيل الذي كان إقطاعه إقليم كبير مثل العراق، ومرجع هذا لأهمية الفيلة للسلطان الذي كان الوحيد الذي يقتنيها وكان له 3000 فيل[6].

هذا بجانب الهبات الإقطاعية الذي كان السلطان يمنحها لندمائه من رجال الحاشية وكان يتراوح ريعها ما بين (20–40 ألف تنكة) على حسب علاقتهم ومدى قربهم من السلطان[7]. وكان أحيانا يمتد الإقطاع ليشمل مدية كاملة، كما حدث عندما منح السلطان أحد كبار التجار مدينة (كنبايه) إقطاعا له[8]. كما اقطع الأمير غياث الأمير الدين ابن الخليفة العباسي المستنصر بالله

---

[1] العمري ، مسالك الأبصار ، نفس المصدر ، ص 56.
[2] ابن بطوطة :المصدر السابق ، ص 507.
[3] القلقشندي ، صبح الأعشى ، المصدر السابق، ص94
[4] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 507.
[5] القلقشندي : المصدر السابق ، ص94
[6] العمري : المصدر السابق ، ص 56.
[7] القلقشندي : نفس المصدر، ص94.
[8] ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 452.

مدينة (سيرى)إقطاعا بجانب مائة قرية عندما وفد عليه من بلاد ما وراء النهر[1]. وأقطع أحد الشيوخ مدينة (ظهار) لأنه أهداء من بطيخ حلو يزرعه لا يزرع مثيله في الهند[2].

أما عن التزامات أصحاب الإقطاعات أو المقابل الذي كان يؤدونه للسلطان، فقد كانت مشابهة لباقي الأنظمة الإقطاعية الأخرى، فقد كان الأمراء يخرجون معه في حروبه[3]، كما كان كل إقطاعي يأتي إلى مجلس السلطان في عيدي الفطر والأضحى بدنانير ذهبية في صورة مكتوب عليه اسمه فيلقيها في طست ذهب موضوع أمام السلطان، ثم يمنحها السلطان لمن يريد[4]. بجانب ذلك كان أصحاب الإقطاعات يساهمون في إنشاء بعض مشاريع الري العامة في مناطق إقطاعهم مثل البحيرات الصناعية والخزانات، ولدينا بعض النقوش لنص عثر عليه في إحدى مقاطعات راجستان يخبرنا أن الإقطاعي مالك بن فيروز بن محمد قام بإنشاء بحيرة صناعية (حوض) هناك سماه بحر فيروز[5]. وباستثناء ذلك لم تحدثنا المصادر عن أية التزامات أخرى يؤدونها للسلطان فيما عدا الضرائب العامة المقررة على الأراضي.

وتبدو هناك إشارة وحيدة عن وجود نظام القبالة أو الالتزام فيما ذكره ابن بطوطة[6] عن التزام أحد رجال الهند مدينة دولة آباد مقابل (14 كرو) وعجزه عن الوفاء بهذا الالتزام. وباستثناء هذه الإشارة لا يوجد ما يشير إلى انتشار هذا النظام في الهند خلال تلك الفترة.

وخلال عهد فيروز اختلف أنواع ملكية الأراضي نوعا ما عما كان موجودا زمن سلفه؛ فقد تم تقسيم كل أراضي السلطنة إلى أخماس، وكل خمس تم تقسيمه إلى مقاطعات، وجرى توزيع هذه المقاطعات على رجال الجيش بشكل يقارب النظام الإقطاعي الأوربي. وكان جنود الجيش يحصلون على إقطاعات من الأرض مقابل خدماتهم، أما الامتيازات الأخرى غير القانونية فكانوا يحصلون عليها من الخزانة الملكية، أما الذين لم يحصلوا على إقطاعات ولا رواتب فكانوا

---

[1] نفسه، ص 459.

[2] نفسه ، ص 546.

[3] العمري : المصدر السابق ، ص 49.

[4] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 448

[5]Siddiqui « Water Works » p.5

[6] ابن بطوطة :المصدر السابق ، ص 448

يحصلون على مخصصات من الخراج. وإذا علمنا أن الجيش كان يتكون من 80-90 ألف فارس بجانب تابعي بارونات الإقطاع والنبلاء الذين كان عددهم أقل بقليل من 200 ألف يمكننا أن ندرك مدى ضخامة حجم الإقطاع خلال تلك الفترة[1].

وكانت الإقطاعات تمنح تحديدا لنواب الملك، ونجد مناطق كبيرة وحتى ولايات بأكملها تخصص كإقطاع لكبار النبلاء، ومن ذلك أن السلطان منح منطقتي كارا ودلمو لأحد كبار النبلاء، مع لقب ملك الشرق، كما منحت مديني ظفار آباد وجانبور لأمير آخر، وجرى نفس الأمر على مناطق كجرات وبحار[2].

أما عن الالتزامات الإقطاعية فقد اختلفت أيضا خلال عهد فيروز شاه وارتبط معظمها بالعبيد الذين ازدهرت تجارتهم خلال هذا العهد؛ فعندما كان الإقطاعيون- ومعظمهم من كبار موظفي الدولة- يقومون بزيارتهم السنوية للعاصمة- كنوع من الحساب- كانوا يحضرون معهم الهدايا للسلطان من الفيلة والجمال والبغال والأواني الذهبية والفضية، بجانب من 10 إلى 100 عبد لكل فرد حسب الإقطاع، وتخصم من ضرائبهم وإيجاراتهم[3]. وعندما قام السلطان فيروز شاه بمنح ولاية كجرات كإقطاع لأحد النبلاء، كان ذلك في مقابل أن يقدم سنويا للسلطان 400 من العبيد الأحباش المختارين[4].

على الجانب الآخر، وفيما يخص أحوال الفلاحين وعلاقتهم بالسيد الإقطاعي في ظل هذا النظام، فقد كان من المتوقع أن هؤلاء النبلاء يديرون الإقطاعات ويشرفون على شؤونها الداخلية، لكن الأمر كان مختلفا عن نمط الإقطاع الغربي فيما يخص حقوق الإقطاعي على فلاحي إقطاعيته فقد ألغى سلاطين بني تغلق هذه الحقوق[5]. خاصة في ظل الإقطاع العسكري، فكما ذكرنا أن السلطان قام بالتخفيف عن كاهل هؤلاء أية أعباء أو التزامات مالية تجاه تابعيهم من الفرسان والجنود وربطها بخزانة السلطنة.

---

[1] عادل رستم، المرجع السابق، ص 74

[2] محمد نجيب ، المرجع السابق ، ص 343

[3] Lan Pool , Madiaeval India, p.145

[4] عادل رستم : المرجع السابق ، ص 75

[5] الفقي ، الدول المستقلة ، المرجع السابق ، ص 264

وقد تحسنت أحوال الفلاحين خلال عصر بني تغلق مقارنة بالفترات التي سبقته، فخلال عصر الخلجيين عانى الفلاحون من قسوة الضرائب، حتى أن علاء الدين الخلجي قام بجمعها من شيوخ القرى، وأصر على جمعها نقدا مما جعل الفلاحين يضطرون لبيع محاصيلهم للتجار بأسعار بخسة لكي يدفعوا الضرائب نقدا[1]، فلما جاء غياث الجدين تغلق وجد أن هذا الأمر فيه ظلم لشيوخ القرى والفلاحين، لذلك أعفى شيوخ القرى من الضرائب على أراضيهم مقابل ما يؤدونه من خدمات للسلطنة.

لكن الأمور بالنسبة للفلاحين لم تسير بصورة طيبة كل الوقت، فخلال عهد محمد بن تغلق، ومع ارتفاع نفقاته قام بزيادة الضرائب على الفلاحين في بعض المناطق الخصبة، وأدت قسوة هذه الضرائب إلى تحول عدد كبير من الفلاحين إلى متسولين، أما الأغنياء من شيوخ القرى فقد تحولوا إلى ثوار وأجدبت الأراضي، وامتد التأثير إلى كثير من الولايات؛ فأصيب الفلاحون بالذعر، وفقدوا الثقة في الحكومة، وهجروا أراضيهم، وحرقوا حطبهم، وأطلقوا ماشيتهم وأخذوها إلى الغابات[2].

وقد زادت وطأة الأمر بعد أن حدثت مجاعة في المنطقة ولم تخفف الدولة من مطالبها حتى مع وقوع المجاعة، بل أصر الموظفون على جمع الضرائب المقررة وأيضا لم تتخذ الدولة أية خطوات للتخفيف عن الفلاحين في ظل هذه الظروف السيئة. وحتى إجراءات السلطان التخفيفية مثل المعومات التي كانت تقدم للفلاحين كانت ضعيفة ومتأخرة، وعانى الفلاحون كثيرا مما اضطرهم في النهاية لهجر أراضيهم، وفي غضب عظيم قام السلطان ببعض الخطوات الانتقامية لإرجاعهم لأراضيهم[3].

ثم تحسنت الأمور في عهد فيروز شاه بعد أن أعفى الكثير من المزارعين من ديونهم، وتمت السيطرة على مساوئ نظام جمع الضرائب بيد قوية، كما أدت التسهيلات التي قدمتها الحكومة للمزارعين إلى تحسن أوضاع الأراضي وزيادة غلتها، وظهر ذلك في ارتفاع قيمة الضرائب التي تم

[1] جون هاملتون، تاريخ العالم ،تر الهيئة المصرية للترجمة ،مكتبة النهضة ، مصر ، ج 5، ص 623

[2] أشتور :التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط ، تر عبد الهادي عبلة ،دار قتيبة ، دمشق ، 1985، ص 359-425.

[3] القلقشندي ، المصدر السابق ، ص 94

جمعها برغم إلغاء الكثير منها، حيث تم تقدير ضرائب المنطقة دواب وحدها فقط بحوالي ثمانين لك، ومدينة دلهي بحوالي (6 كرور 085 لك) [1].

المحاصيل الزراعية:

محاصيل الهند في عصر السلطنة كثيرة جدا، حيث اعتنى العلماء بجمع أنواعها فبلغت اكثر من ثمانية الاف نوع من النباتات واربعمائة الاشجار، ويرجع هذا التنوع في النباتات والمحاصيل إلى تباين مناخ البلاد ووفرة المياه[2]، وساعد عل ذلك كذلك توفر المقومات التي هيأت المجال لهذا الازدهار مثل التربة الخصبة التي انتشرت حول ضفاف أنهار الهند المتعددة[3]. وكذلك مصادر المياه متمثلة في الأنهار، بجانب الأمطار الموسمية الغزيرة التي كانت تسقط أربعة أشهر في السنة، واعتمد عليها الهنود في ري الأرض في نهاية فصل الصيف[4].

هذا بجانب المناخ المعتدل، الذي لم يكن مفرطا في الحر أو البرودة، مما أدى لتنوع الإنتاج الزراعي وغزارته[5].

وقد تنوع إنتاج الارض عندهم من حبوب، وخضروات، وفواكه، وورود، فمن الحبوب نجد القمح والشعير والحمص والعدس واللوبيا، اما الفول فإنه لا يزرع عندهم لإعتقادهم بأنه يفسد جوهر العقل، ولذلك حرموا أكله[6]، ولكي تتم إدارة شؤون الأراضي الزراعية بكل كفاءة تم تقسيمها إلى أصداء، وكل صدى يضم مائة قرية، وكان لكل صدى موظفان يتوليان إدارته الأول يسمى جوطري وهو بمثابة شيخ بلد أو عمدة، ومتصرف مختص بجمع الضرائب على الأرض عقب حصاد المحاصيل يتم مراقبته بشدة حتى لا يسيء استخدام وظيفته أو يظلم المزارعين[7].

---

[1] نفسه ، ص 94

[2] يوسف النجرامي ، المرجع السابق ، ص 6

[3] ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 408.

[4] القلقشندي ، صبح الأعشى ، ص68.

[5] العمري :المصدر السابق ، ص 41.

[6] القلقشندي : المصدر السابق ، ج 5، ص 83

[7] ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 507.

وكانت الزراعة خلال هذه الفترة موسمية تتم مرتين في السنة، في فصل الخريف والربيع، فعند سقوط المطر في آخر الصيف يزرعون الزرع الخريفي ويحصدونه بعد شهرين، وبعد الحصاد يزرعون الحبوب الربيعية[1]. بجانب ذلك كانت هناك محاصيل تزرع ثلاث مرات في السنة مثل محصور الأرز الذي كان يعد المحصول الأساسي في البلاد[2]. كما ازدهرت زراعات الفواكه كالعنب والرمان والنارنج، بجانب التوابل كالفلفل والقرنفل والقرفة والكافور والدارصيني وغيرها[3].

وبجانب الأراضي الزراعية اهتم السلاطين بالحدائق التي ازدهرت بشكل كبير في الهند[4]. فقد اهتم فيروز شاه بشكل كبير بالحدائق. وقام بزراعة ألف ومائتي حديقة بالقرب من دلهي وكثير في أماكن وغيرها وكانت هذه الحدائق تنتج سبعة أنواع مختلفة من العنب الأبيض والأسود كانت تدخل دخلا سنويا للخزانة[5].

أما أشهر أنواع الطيب عندهم فهو العود الهندي، ويذكر أن الحسين ابن برمك أول من حمله إلى بغداد فاستحسنه الخليفة وأمر أن يكتب إلى الهند بحمل الكثير منه[6].

وإنفرد إقليم البنغال على سائر بلاد الهند بزراعة محاصيل خاصة مثل سنبل الطيب، والخلنجاني، والزنجبيل[7].

وانتشرت الغابات في الهند، الامر الذي أدى إلى إزدهار ثروتها الخشبية، واستخدموها في الثروة الخشبية[8].

---

[1] العمري : المصدر السابق ، ص 41.

[2] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 408-409.

[3] العمري:المصدر السابق ، ص 35.

[4] نفسه ، ص 40.

[5] السيد محمد يوسف، البضائع الهندية وأسمائها المعربة ، مجلة ثقافة الهند ،المجلد6، العدد 4، 1955 ، ص 6

[6] أبوحذيفة الدينوري : الأخبار الطوال ،دار إحياء الكتب ، القاهرة ، 1960،ص 65

[7] ماركو بولو ، الرحلة ، ج1، تر عبد العزيز جاويد ،مكتبة الأسرة ، القاهرة ، 2004، ص 133

[8] الفقي : بلاد الهند ، المرجع السابق ، ص 200

نظام الري:

في بداية الأمر لم يهتم سلاطين دهلي بنظام الري حيث أن المناطق الزراعية القريبة من النهر كانت تسقى بشق قنوات مائية إليها أما المناطق البعيدة عن الانهار فقد كانت من الطبيعي تعتمد على مياه الأمطار بالدرجة الاولى[1]، وقد ساعدت مشاريع الري على تطور الزراعة وازدهارها من البحيرات الصناعية (الأحواض) والقنوات والسدود التي قام سلاطين بني تغلق بإنشائها في مناطق الهند المختلفة لتخزين مياه الأمطار، واستخدامها في فصول الجفاف؛ فقد قام السلطان محمد بن تغلق بإنشاء بحيرة ضخمة بالقرب من مدينة عدلاباد[2]، بجانب بحيرتين أخريين هما بحيرة تغلق شاه وبحيرة قتلغ خان (معلم السلطان محمد بن تغلق)، أما فيروز شاه فقد كان أكثر نشاطا في إنشاء هذه البحيرات ومنها: بحيرة شاه زاد فتح خان (الابن الأكبر لفيروز شاه)، وبحيرة شاه زاد مبارك (ابن فيروز شاه) [3]، بجانب بحيرة ضخمة أقامها عند حصن حصار فيروزا[4]. ولم تكن مهمة هذه البحيرات أو الخزانات حفظ الماء فقط، بل كانت تستخدم في الزراعة أيضا، فعند جفاف أطرافها كان يتم زراعتها ببعض المزروعات مثل قصب السكر والخيار والقثاء والبطيخ والأخضر[5].

ولم يكتف فيروز شاه بهذه المشروعات، بل فكر في توفير مياه الري للمناطق التي تقل بها المياه عن طريق الخزانات وقنوات الري، حيث أنشأ 30 خزانا لتعزيز الري في تلك المناطق، كما قام بإنشاء بعض السدود لهذه المهمة أيضا[6]. وقد أشار مؤرخ معاصر له لأسماء بعض هذه السدود مثل سد شكر خان، وسد وزيرأباد، وغيرها من السدود الأخرى[7].

---

[1] ابن بطوطة :المصدر السابق ، ج4،ص27

[2] K.Siddiqui « Water Works » , p 57-58.

[3] يوسف النجرامي : العلاقات السياسية بين الهند والخلافة العباسية،مذكرة ماجستير،كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ،1975، ص 65

[4] نفسه ، ص 68

[5] ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 418.

[6] k.Siddiqui « Water Works » , p 58.

[7] جوستاف لوبون ، المرجع السابق، ص 24

ومن هذه المشاريع أيضا قناتين أمر بشقهما فيروز شاه؛ واحدة تمتد من جمنا والأخرى من ستليج وقد سميت الأولى رحواب والأخرى أولجخاني، وكانت القناتان تجريان بالقرب من منطقة كرنال وبعد أن تجريان لمسافة 160 ميل تلتقيان وتشتركان في مجرى واحد في منطقة حصار فيروزا[1]. وقد ساهمت هذه القنوات في تحسين الري، وتوفير المياه بسهولة للأراضي الزراعية البعيدة عن مجاري الأنهار، وكانت إدارة القنوات تخضع لرقابة مهندسين أكفاء، كانوا يفحصون القنوات خلال موسم المطر والفيضان[2].وقد كانت الأمطار من أهم مصادر الري في الهند وتعتبر عماد الزراعة وكانت سلطنة دلهي تعتمد في زراعتها على الامطار الموسمية وهذا ما عرضها لأخطار جسيمة في السنوات التي تقل فيها الامطار، وتفطن سلاطين دهلي لهذا الامر وقاموا بإنشاء صوامع التخزين، ورغم كثرة الأنهار في الهند إلا أن أهل الهند متأخرين في استعمال اساليب الري، حيث أنهم كانوا مرهونين بالإرتفاع النسبي لمياه للأنهار[3].وفي عهد السلطان شمس الدين ألتمش الذي إعتنى بمجال الري حيث أنشأ أكبر مشروع عرفته البلاد وهو حوض للمياه خارج العاصمة دهلي، ويظهر من إتساع الحوض الذي كان يستمد مياهه من الامطار مدى الانفاق المالي الذي صرف عليه، وقد استغل هذا الحوض في زراعة محاصيل كانت رئيسية بالنسبة لأهل دهلي مثل قصب السكر، والخيار، والبطيخ[4].

ومما سبق يتضح لنا مدى تعدد مصادر مياه الري في الهند مما كان له بالغ الأثر في تعدد المحاصيل الزراعية، وبالتالي قيام نهضة صناعية أتبعها ازدهار التجارة وكل ذلك كان سبب في رفع المستوى المعيشة.

الثروة الحيوانية:

أدى تنوع المراعي الطبيعية من حشائش السافانا والاستبس بالإضافة إلى كثرة الغابات مع وفرة الاراضي الزراعية إلى كثرة أنواع الحيوانات وأهمها الخيل التي كانت تربى في أماكن خاضعة

---

[1] عبد الرحمان العكيدي : الامارة التغلقية في الهند ، رسالة ماجستير ،قسم التاريخ والحضارة ،معهد التاريخ العربي ، بغداد ،2012، ص 29

[2]Lane Pool , Mediaeval Indiaveal , India , p144

[3] شمس الدين المقديسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،ط2 ، مطبعة بريل ،ليدن ، 1906 ،ص 382

[4] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 287

لسيطرة الأمراء ورجال الدولة لانها كانت ذو مكانة في بلاد الهند، ووجد في الهند كذلك العديد من انواع البغال والحمير التي كانت تجلب إليها من الخارج، أما ما إشتهرت به الهند ووجد بكثرة خصوصا قبل الاسلام بها وهي الجاموس والبقرة، وهاته الاخيرة عند دخول الاسلام لديار الهند تم إنزالها من مكانتها المقدسة إلى العمل في المزارع والحقول و إستفاد منها الفلاح الهندي ووفرت عليه الجهد والمشقة[1]، وكان من الطبيعي مع التنوع الكبير للبيئة الهندية ومساحتها الشاسعة أن تتنوع الثروة الحيوانية بها ويزداد حجمها بصورة كبيرة[2]، خاصة في الحيوانات التي كانت تستخدم للاستهلاك البشري سواء للطعام أو الصناعة، حيث ذكرت المصادر[3] أن بها «ما لايحصى من الدواب السائمة من الجواميس والأبقار والأغنام والماعز، أما الجمال فكانت قليلة، ويبدو أن استخدامها كان قاصر على التنقل فقط، خاصة للسلطان وكبار رجال حاشيته من الخانات والأمراء والوزراء»[4]. وقد وصف لنا ابن بطوطة[5] طريقة تسمين الماشية خلال تلك الفترة، حيث كان يؤتى بحبوب الموت والحمص وتجرش وتبل بالماء ثم تطعم للماشية، وكما كان يتم سقي الماشية السمن لمدة عشر أيام في كل يوم بمقدار ثلاثة أرطال أو أربعة، وبعدها تطعم أوراق نبات الماش.

على الجانب الآخر كانت هناك بعض الحيوانات التي تستخدم للطعام وأمور أخرى كالخيل؛ فبجانب استخدامها المعتاد لركوب الفرسان سواء للحروب أو المواكب والتنقل، كان يتم استخدام لحومها للطعام أيضا، حيث كانت تسمن وتذبح وتقدم من ضمن مائدة السلطان[6]. ورغم كثرة الخيل بالهند، إلا أنها كان يتم استيرادها بأعداد كبيرة لكثرة ما كان السلطان محمد بن تغلق يقوم بتوزيعه منها على حاشيته} فقد كان يفرق في سنة عشرة آلاف فرس عربي من الخيل العراب، أما الخيل البراذين، فكون يوزع منها بلا حساب[7]، ولعل السبب الأساسي لكثرة استيراد الخيول من خارج الهند

[1] القلقشندي : المصدر السابق ،ج5 ،ص 87

[2] ماركوبولو ، رحلات ماركوبولو ، ص 62.

[3] العمري ، مسالك الأبصار ، ص 56 . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ص82

[4] نفسه ، ص 42.

[5] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 408.

[6] العمري :المصدر السابق ، ص 47.

[7] نفسه ، ص 45.

أن البيئة الهندية عموما لم تكن ملائمة لتربية الخيل، إذ يذكر العمري[1] أن « الخيل إن طالت الإقامة بها بالهند انحلت وأكثرها مما لا يحمد فعله لذا يتم جلب الكثير من الخارج».

وبجانب الحيوانات الاستهلاكية وجدت حيوانات أخرى متعددة الاستخدام وأشهرها الفيلة، التي كان السلطان محمد بن تعلق يقتني منها وحده ثلاثة آلاف فيل، ويبدو أن اقتناء الفيلة كان قاصرا على السلطان وكبار رجال الدولة والأثرياء، نظرا للنفقات الباهضة التي كان يتكلفها إطعام الفيلة، إذ أن كان فيل كان يحتاج يوميا 40 رطلا من الأرز و 60 رطلا من الشعير و 20 رطلا من السمن بجانب نصف حمل من الحشيش [2]، وبجانب هذا اشتهرت الهند بطيور الزينة من الطواويس والببغاوات المتعددة الأنواع والأشكال[3].

وكان لكثرة الغابات بالبلاد الأثر الطيب في زيادة الثروة الحيوانية مثل الفيلة التي كانت تعتبر أساس وعماد الحروب، كما إنتشر فيها حيوان الكردان الذي كانت تستخدم أنيابه في صناعة العاج[4].

الصناعة:

تطورت الصناعة في الهند تطورا ملحوظا حيث توفرت لها عوامل قيانها من وفرة الايدي العاملة وتعدد الأسواق، بالاضافة إلى تنوع الانتاج، وقد إهتم سلاطين دهلي بالصناعة بإعتبارها مورد هام من موارد الثروة، حيث أقاموا بصناعة المنسوجات القطنية، وصناعة الزجاج والفخار والخشب وكل هاته كانت مرتبطة بالنشاط الزراعي، والتي اعتمدت على المواد الخام المتوفرة كالحديد والخشب، والمحاصيل الزراعية كالقطن والنيلة، لكن التطور الصناعي خلال تلك الفترة لم يكن كبيرا فقد كانت الصناعات يدوية بدائية في الغائب، ومعظمها مرتبط بالاستهلاك المحلي، وهذا الأمر كان غالبا على معظم الصناعات في العالم الإسلامي خلال تلك الحقبة[5].

---

[1] نفسه ، ص 42.

[2] العمري ، المصدر السابق، ص 56.

[3] ماركوبولو ، رحلات ماركوبولو ، ص 63.

[4] شوقي عبد القوى عثمان : تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية ، علم المعرفة ،الكويت ، 1990،ص 69

[5] جمال الدين سرور: الحضارة الاسلامية في الشرق ، دار الفكر للطباعة والنشر ،مصر ،1965،ص 174

ومن الصناعات التي راجت في الهند في عصر المماليك وكذا الخلجيين صناعة السجاد حيث كانت مطلوبة في قصور كبار رجال الدولة، وإشتهرت كذلك صناعة الحلي والجواهر حيث وصفها القلقشندي "إن في قصورها اللؤلؤ وفي جبالها الجواهر ومعادن الذهب والفضة، وحسبك ببلاد الدر وفي برها الذهب وفي جبالها الياقوت والماس وفي شعابها العود والكافور، وفي مدنها سدة الملوك"[1]، من أهم الصناعات خلال عصر بني تغلق صناعة المنسوجات، ومنها ما كان يخص الدولة لإنتاج احتياجات القصر السلطاني، حيث كان للسلطان محمد بن تغلق دار طراز يعمل بها أربعة لآلاف عامل تقوم بصناعة الأقمشة والخلع من الأقمشة التي كان يتم استيرادها من الصين والعراق والإسكندرية. ولاشك أن هذا العدد الضخم من العمال يمنحنا تصور عن مدى حجم هذه الدار أو المصنع ومدى إنتاجه، خاصة أن السلطان كان يفرق في كل عام مائتي ألف كسوة، مائة في الربيع ومائة أخرى في الخريف[2].

كما وجدت بعض المغازل الخاصة بالصناعات القطنية؛ حيث يستخدم القطن من الأشجار الشابة في المغازل ويصنع من المنسوجات القطنية، أما الأشجار القديمة فكان يستخدم قطنها في صنع الألحفة. كما كانت تصنع في إقليم كجرات النمارق المحلاة بأسلاك الذهب التي تمثل أشكالا للطير والحيوان التي تفوق في رقتها كل مثيلاتها في العالم، هذا بجانب أعطية الفراش التي تتميز بالرقة والنعومة ويستخدم في صناعتها خيوط الذهب والفضة[3].

ويرتبط بتلك الصناعات صناعة النيلة المستخدمة في عمليات الصباغة وكانت صناعتها بسيطة حيث يحضر نبات النيلة وينقع في براميل ماء، ويترك حتى يتعطن، ثم يعصر منه عصارته، ثم تترك في الشمس حتى يتبخر ماؤها وتتحول إلى عجينة، تقطع قطعا صغيرة، وتستخدم في عمليات الصباغة[4].

بجانب ذلك وجدت بعض الصناعات الأخرى مثل الصناعات الخشبية وأهمها صناعة السفن التي تركزت في المناطق الساحلية، وكانت السفن تصنع من خشب الساج وهو من أفضل أنواع

---

[1] القلقشندي : المصدر السابق ، ص 62

[2] العمري : نفس المصدر ، ص 45.

[3] ماركوبولو ، رحلات ماركوبولو ، ص 68.

[4] نفسه ، ص 62.

الأخشاب لشدة تحمله. ومتى تم إعداده لا ينشق أو يتشقق أو يتقلص أو يتغير شكله[1]. ولم تكن المسامير تستعمل في صنع السفن الهندية، وإنما كانت تشد أخشابها بربطات من الحبال شدا متينا، وكانوا يضعون الشحم في التقرب والمنافذ الناتجة من ربطات الحبال[2]. وقد اختلفت الآراء في سبب عدم استخدام الهنود للمسامير في صناعة السفن، لكن الرأي الأقرب للصحة هو قدرة السفن المخيطة واستطاعتها التعامل مع أمواج المحيط، حيث تكون أكثر مرونة من مثيلتها المسمارية فيمكنها امتصاص صدمات الأمواج، ولمرونتها تلك واتساع قاعدتها نتيجة استخدام الخيوط والحبال تكون أقل عرضة للكسر عند اصطدامها بالشعاب المرجانية الموجودة في المحيط الهندي[3]. هذا بالإضافة إلى صناعة الأسرة، وكانت الأسرة الهندية تصنع من أربع قوائم مخروطة يوضع عليها أربعة أعواد ثم تنسج عليها ضفائر من الحرير أو القطن[4].

كما وجدت بعض الصناعات الأخرى مثل دباغة الجلود وتركزت في إقليم كجرات؛ حيث كانت تدبغ أعداد كبيرة من جلود الماعز والجاموس والثيران والخراتيت وغيرها من الحيوانات[5]. كذلك صناعات الأسلحة، وخاصة تلك التي شاعت في البلاد العربية ونسبتها المصادر التاريخية إلى تلك البلاد مثل السيوف والقسى والرماح والزرد والصواع والزراكش والسراجين[6].

وعلى الجانب الآخر كانت هناك بعض الصناعات الغذائية مثل صناعة مشتقات جوز الهند، كان يؤتى بالثمار من شجر النارجيل فيصنع منه الزيت والحليب والعسل، أما عن الزيت فتؤخذ ثمرة الجوز نضجها فتزال قشرتها وتقطع قطع صغيرة، ثم تترك في الشمس، وبعد أن تذبل يتم طهيها في قدور، ثم يستخرج منه الزيت. أما طريقة استخراج العسل منه فإن هناك رجال مختصون بذلك يصعدون لشجرة جوز الهند ثم يقطعون الفروع التي تخرج منه الثمار، ويتركون منها جزءا صغيرا ويضعون عليها قدورا صغيرة، ثم يسيل ما من تلك الفروع في هذه القدرة فيتم

---

[1] جورج حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوئل القرون الوسطى،تر يعقوب بكر ،دار الكتاب العربي ،القاهرة ، 1958،ص 245

[2] السيد أبي ظفر الندوي ، أسطول الكجرات ، دار المعرفة ، القاهرة ،1965، ص 95

[3] شوقي عبد القوي عثمان ، تجارة المحيط الهندي ،المرجع السابق، ص 124–125.

[4] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 504.

[5] ماركوبولو ، رحلات ماركوبولو ، ص 68.

[6] العمري ، مسالك الأبصار ، ص 42. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ص83

جمعها ليلا، ثم يتم طهي هذا الماء فيصير عسلا. أما الحليب فيتم إحضار جوزة الهند ويتم إحضار حديدة مسننة ويتم عمل فتحة بطول الحديدة في الثمرة، يم يتم جرش الثمرة من الداخل حتى لا يبقى في داخلها شيء ثم ينفع هذا الجريش في الماء مع المرت باليد حتى يصير كلون الحليب وطعمه[1].وكذلك إشتهرت بصناعة نوع من الورق عرف "الكاذي" إستخدمته في الكتابة، وبرزت المخطوطات اليدوية وفن تزيين الكتب الذي لقي تشجيعا كبيرا من المسلمين الذين رغبوا في زخرفة القرآن الكريم والمخطوطات الدينية الأخرى، وإقتبس الهندوس هذا الفن، وعمد المسلمون من الهندوس في تزيين الكتب العربية والفارسية والسنسكريتية[2]. وكان من أثر وفرة الأخشاب صناعة السفن التي تجوب بحر العرب والمحيط الهندي، وقد بلغ الهنود مبلغا عضيما في صناعة السفن الحربية[3].

التجارة

التجارة الداخلية:

كانت التجارة الداخلية في اقليم الهند الاسلامي مركزها الأسواق، وكانت كل طائفة من التجار تقيم في قسم معين منها، وقد لعبت هاته الأسواق دورا هاما في حياة المسلمين سواءا السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية وصورة كبيرة خلال عصر بني تغلق، وكان مركز هذه التجارة مدينة دلهي بوصفها أهم المدن الهندية، وكانت معظم البضائع تتجه في نهاية مطافها إلى هذه المدينة [4]، وكان أهم هذه البضائع التنبول [5]؛ والذي راجت تجارته أن السلطان حرم ضرب الخمر وتشدد في معاقبة من يشربها حتى من خاناته الكبار، لذلك لجأ الناس للتنبول لأنه « يشبه

---

[1] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 265.

[2] القاضي رشيد : الذخائر و التحف، دائرة المطبوعات والنشر ،الكويت ،1959،ص370

[3] شوقي عبد القوي :المرجع السابق ، ص 23

[4] نفسه ، ص 540.

[5] التنبول : نوع من الأشجار المتسلقة، لذلك كانت زراعته تشبه زراعة العنب من حيث إقامة الدعائم كي يتسلقها النبات في نموه. وهو شجر بلا ثمر ولكن يستعمل ورقة. أنظر: ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 159

الخمر في مفعوله فيبسط الأنفس بسطا عظيما ويورثها سرورا زائد لكنه مع ذلك يكون مع ثبوت العقل وصفاء الذهن»[1].

بجانب ذلك كانت هناك تجارة الرقيق التي كانت رائجة هي الأخرى لرخص أثمان الجواري، فالجارية الخادمة كان ثمنها لا يتعدى 8 تنكات، والخدمة والفراش 15 تنكة والعبد الشاب 4 دراهم. وكانت هذه الأسعار في دلهي أما في غيرها فكان السعر أقل. وبجانب ذلك كانت هناك جواري أسعارهن مرتفعة ومنهن من يبغ ثمنها 28 ألف تنكة، لكن كان لها مواصفات خاصة؛ مثل جمالها وحسن حلقها وحفظها للقرآن ورواية الأشعار وإجادة الغناء وضرب العود ولعب الشطرنج وغيرها، وكلما زادت مواهبها زاد سعرها، ورغم وجود الجواري الترك والقبجاق والروم، إلا أن الهنديات كان لهم الأفضلية لجمالهن وأمور أخرى[2].

ولما كانت الحبوب هي الغذاء الرئيسي للناس، فقد أسس علاء الدين سوقا للقمح والشعير والحبوب عموما، وزوده بمخازن الغلال، ويستطيع الناس الحصول على مستلزماتهم من الحبوب بالأسعار التي حددها، ويقوم تجار الجملة بإحضار الحبوب من خارج دهلي وبيعها لتجار التجزئة في السوق[3].

التجارة الخارجية:

لقد تمتعت الهند بميزة كبرى تمثلت في موقعها المتوسط على طريق الحركة التجارية في المحيط الهندي فهي تقع في منتصف المسافة بين الصين وجزر جنوب شرق آسيا وغيرها من بلدان الشرق الاسلامي وبين دول وإمارات غرب المحيط الهندي ويمكننا القول أنها شبه قارة.

وقد ادرك سلاطين دلهي مدى أهمية هذا الموقع الجغرافي وقاموا بتنشيط تجارة الهند الخارجية، فأقاموا المحطات، وحفروا الأبار، ووفروا وسائل النقل من جمال وبغال وحمير، وتعقبوا اللصوص[4]، وقد شكلت التجارة الخارجية للهند دخلا ماليا معتبرا وربما يرجع ذلك إلى كون الهند

---

[1] العمري : المصدر السابق ، ص 58.

[2] القلقشندي : المصدر السابق، ص85

[3] الفقي : بلاد الهند، المرجع السابق ، ص 203

[4] الكرديزي: زين الأخبار ، تر عفاف السيد زيدان ،المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة ،2006،ص 309

أكبر مصدر للعديد من السلع مما جعل الميزان التجاري بينها وبين أي دولة أخرى يصب في صالحها، وكانت التجارة البحرية تشكل ركنا أساسيا لعملية تبادل السلع وذلك لطول سواحلها وتعدد الموانئ البحرية بها[1]، وقد انتعشت التجارة الخارجية بصورة كبيرة خلال فترة دولة المماليك والتغلقيين خاصة مع التشجيع المباشرة من السلاطين لها[2]، وقد استغل التجار عادة السلطان محمد بن تغلق في إكرام الغرباء، حيث اعتاد السلطان أن من يقدم عليه بهدية أن يكافئه بأضعاف مضاعفة، فكان التجار يعطون القادم على السلطان قروضا بآلاف الدنانير ويجهزونه بما سوف يهادى السلطان به، وبعد أن يحصل على مكافأته من السلطان يستردون أموالهم ومعها الأرباح. وقد مر ابن بطوطة بهذا الموقف حين أخذ من التجار الخيل والجمال والمماليك وغيرها من الهدايا ليقدمها للسلطان[3].

وظهر حرص السلاطين على تشجيع التجارة وتنميتها في إلغاء بعض الضرائب التي تفرض على البضائع الواردة من خارج الهند؛ فقد كان بمدينة ملتان مركز للمكوس يتم فيه تفتيش القوافل التجارية المتجهة لجنوب الهند ويؤخذ الربع مما تحمله، بجانب ضريبة مقدارها سبعة تنكات على كل فرس يتم استيراده، فألغى السلطان محمد بن تغلق هذه الضرائب خاصة مع أهمية تجارة الجياد[4].

وظهر انتعاش التجارة الخارجية في عدد وحجم السفن التي كانت تقصد الموانئ الهندية؛ إذ يذكر ابن بطوطة[5] أنه كان يوجد بميناء لكنوتي مائتي ألف مركب صغير بجانب السفن الضخمة التي يوجد بها الطواحين والأفران والأسواق، ولا يتعرف سكانها ببعضهم إلا بعد مدة لاتساعها، وبرغم ما قد يبدو من مبالغة في وصف ابن بطوطة، فإننا نجد تأكيدا لذلك فيما ذكره ماركو بولو[6] في وصفه لسفن الهند، حين ذكر أن بعض السفن تحوي ستين مقصورة لسكن التجار تزيد تبعا لحجم السفينة، وأن بعض السفن تحتاج إلى طقم ملاحين عدده 300 رجل.

---

[1] الاصطخري : المصدر السابق ، ص175

[2] Jackson , the Debli Sulyanate, p 252.

[3] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 396.

[4] القلقشندي :المصدر السابق ، ص85

[5] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 403.

[6] ماركوبولو ، رحلات ماركوبولو ، ص 11-12

وكان من أنواع المراكب المستخدمة في الموانئ الهندية: الجاكر[1]، العكيري [2]، وكان كل أصحاب كل مركب يحرصون على ما به من بضائع من خطر القراصنة وعبث اللصوص، لذاك كان يوجد في كل مركب خمسين راميا ومثلهم الحراس الحبشيين الذين اكتسبوا شهرة في مجال التصدي للقراصنة الهنود، وكان تواجدهم بكل مركب علامة على ابتعاد القراصنة عنه[3].وبجانب ذلك كانت هناك المراكب الصينية، والكبيرة منها تسمى جنوك الوسط تسمى الزو والصغيرة تسمى الكَكَم. ويخدم في المركب الكبير ألف رجل 600 من البحرية و 400 من المقاتلة، ويتبع المراكب الكبيرة ثلاثة النصفي والثلثي والربعي، ولا تصنع هذه السفن إلا بالصين، وقد ترك لنا ابن بطوطة وصفا دقيقا لصناعتها[4].

وكان تواجد السفن الصينية في الموانئ الهندية بكثرة أمرا طبيعيا؛ فقد كانت الصين من أهم الشركاء التجاريين للهند خلال العصور الوسطى، وكانت السفن الصينية تحمل إلى الهند الخرير الخام والأقمشة الحريرية والديباج وخشب الصندل وغير ذلك، كما كانت المواصلات بين الهند والصين في أيدي تجار صينيين أو على الأقل تجري بواسطة السفن الصينية، وكانت السفن تعود إلى الصين وهي محملة بالعقاقير الهندية (الأفاويه)، حيث كانت الصين أكبر مشتري لتلك العقاقير وكان الصينيون يدفعون أكبر ثمن في شرائها، لذلك كان يصدر منها إلى الصين كميات كبيرة[5].

وكان الساحل الغربي للهند المحط الرئيسي للسفن القادمة من الغرب، حيث كانت تستطيع الحصول على أغلب احتياجاتها دون التوجه إلى الساحل الشرقي للهند، إذ كان هذا الساحل بمثابة الواجهة التي تعرض فيها منتجات الداخل الغزيرة، خصوصا من التوابل[6]. وكانت هناك جاذبية

---

[1] الجاكر: نوع من السفن يستخدم لنقل المسافرين ويزود عادة بالمقاتلة لحماية ركابه من القراصنة. وللمزيد عنه أنظر : درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم ،مطابع الأهرام ، القاهرة،1975، ص21.

[2] العكيري : من المراكب الخفيفة التي يمكنها مغالبة الأمواج والسفر في الظروف التي لاتلائم المراكب الكبرى الثقيلة ، وكان يستخدم في النقل التجاري الخفيف، أنظر: حسن صالح شهاب: فن الملاحة عند العرب، دار العودة ، القاهرة ، 1982، ص 47.

[3] عبد الرحمان العكيدي : المرجع السابق ، ص 123.

[4] نفسه ، ص 125.

[5] هايد ، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى ،تر محمد رضا محمد ،الهيئة المصرية العامة ،القاهرة ،1985،ج2 ، ص 396.

[6] شوقي عثمان المرجع السابق ، ص191

أوربية للساحل الغربي للهند نظرا للتنوع غير العادي للسلع التي تضفى على السوق الفاخرة روعة خاصة بجانب سياسة تشجيع التجارة التي انتهجها آل تغلق[1]. وظهر هذا الاهتمام من قبل مدن إيطاليا التجارية مثل جنوة والبندقية قبيل ظهور بني تغلق بوقت قصير، فقد قامت أول بعثة تجارية جنوبية قاصدة سواحل الهند عام 1291م، وقام بها ثلاثة أخوة من أسرة فيفالدي، أحد أشهر الأسر التجارية في جنوة، وتكونت البعثة من سفينتين حربيتين كبيرتين[2]. وبغض النظر عن مصير هذه البعثة الذي اختلفت الآراء حوله، إلا أن الذي يهمنا هنا هو دلالة هذه البعثة على الاهتمام التجاري العربي بسواحل الهند، ولم يقتصر الأمر على الجنوبيين فقط، فقد قام التجار البنادقة برحلات تجارية لمنطقة كولام على ساحل مليبار من أجل الحصول على الفلفل والزنجبيل وغيره من التوابل الهندية[3].

وكان أكثر اهتمام الغرب بساحل الهند الغربي، خاصة منطقة كولام، وكانت هناك أسباب عديدة حملت التجار الغربيين على التردد على كولام وهو جاذبيتها كسوق به كمية هائلة وتنوع غير عادي من المنتجات خاصة الفلفل؛ الذي كان أكثر المنتجات طلبا، وارتفع ثمنه ارتفاعا هائلا فضلا عن ندرته لشدة إقبال الأوربيين عليه، حتى صار مثل شائع في العصور الوسطى بتشبيه الشيء النادر الغالي بالفلفل فيقولون "غال كالفلفل" ونتيجة هذه الندرة وارتفاع ثمنه أصبحت له قوة شرائية، وكان يستعمل في بعض الأحيان بديلا عن النقود[4]. وكان رؤساء الكنيسة يتقاضون العشور توابل خاصة الفلفل، كما كان العبيد يشترون حريتهم بأحمال من الفلفل، وكان يؤدى كإيجار للأراضي الزراعية في انجلترا[5].

ومما زاد كذلك في إنتعاش التجارة الخارجية هي تعدد الطرق البرية التي كانت تربط الهند مع باقي دول العالم وأبرزها الطريق الذي يربطها بالصين، أما عن أهم أنواع الصادرات التي تميزت بها الهند من السلع والمنتجات الزراعية: الارز واللوز والتمر، والعنب والرومان والتين، والتفاح

---

[1]Jackson , the Debli Sulyanate, p 252.

[2] هايد ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 383.

[3] نفسه ، ج2 ، ص 393.

[4] هنري بيرين ، تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، تر عطية القوصي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،1996، ص18.

[5] شوقي عثمان : المرجع السابق ، ص 215.

والعنبر الهندي، والكافور والمسك، كما صدرت للبلدان العربية الأحذية والمصنوعات الجلدية وجلود الإبل والماشية والسجاجيد، أما في عهد بني تغلق فقد تميزت التجارة الخارجية مع جيرانها في الهند وجيرانها بالخارج بتبادل الخيل، فرغم كثرة الخيل بالهند، إلا أنها كان يتم استيرادها بأعداد كبيرة لكثرة ما كان السلطان محمد بن تغلق يقوم بتوزيعه منها على حاشيته؛ فقد كان يفرق في كل سنة عشرة آلاف فرس عربي من الخيل العرب، أما الخيل البراذين، فكون يوزع منها بلا حساب[1]، كما كانت الخيول تسمن وتذبح وتقدم من ضمن مائدة السلطان[2]. ولعل السبب الأساسي لكثرة استيراد الخيول من خارج الهند أن البيئة الهندية عموما لم تكن ملائمة لتربية الخيل، إذ يذكر العمري أن « الخيل إن طالت الإقامة بها بالهند انحلت وأكثرها مما لا يحمد فعله لذا يتم جلب الكثير من الخارج»[3]. لذلك كانت تجارة مربحة للغاية لكثرة العساكر والحاشية وعدم بقاء الخيول بها لفترات طويلة.

وكانت الخيول تجلب عادة من البحرين، وكان لأهل البلاد علامة في الفرس يعرفونها فمتى رأوها فرس اشتروه بمبالغ غالية[4]. كما كانت تجلب أيضا من بلاد الترك ومن اليمن والعراق[5]. والخيول التي كانت تأتي من بلاد الترك كانت تقدم في قوافل كبيرة تقارب ستة آلاف فرس لكن الكثير منها كان يموت في الطريق البري الذي يخترق السند وصولا للهند، بجانب ما يسرق وما يدفعون من جمارك، لكن الأرباح العالية منها كانت تعوض ذلك، فالفرس الرخيص كان يباع بمائة تنكة، ويصل ثمن الجيد منها إلى 500 تنكة، وهذه الجياد تخصص للحروب، أما الجياد التي تخصص للجري والسبق فتجلب من اليمن وعمان وفارس ويباع الفرس بمبلغ يتراوح بين 1000-4000 تنكة[6].

بجانب ذلك كانت هناك بعض المنتجات الغذائية مثل البطيخ الأصفر الذي كان يتم استيراده من بخارى، والذي كان السلطان محمد بن تغلق يحبه حتى أن أحدهم حمل إليه حمل تلف غالبه

---

[1] العمري : المصدر السابق ، ص 45.

[2] عبد الرحمان العكيدي: المرجع السابق ، ص 143.

[3] العمري ، مسالك الأبصار ، ص 42.

[4] نفسه ، ص 46.

[5] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 259.

[6] نفسه ، ص 328.

ولم يبق غير اثنتان وعشرون بطيخة فأعطاه 3000 مثقال من الذهب [1]. والزبيب واللوز من خراسان[2]. كما كان يتم استيراد الثياب والقماش؛ حيث يستورد 100 ألف كسوة من الإسكندرية، وثياب الكتان من بلاد الروس والإسكندرية 113، والقماش من الإسكندرية، وثياب الكتان من بلاد الروس والإسكندرية [3]. والقماش من الإسكندرية والصين والعراق[4]. والأقبية الإسلامية مخصرة الأوساط من خوارزم [5].

ولم يكن الميزان التجاري يميل كله لصالح واردات الهند، بل كانت هناك الكثير من الصادرات الهندية التي تصدر لدول الجوار، فقد كان تجار يشترون الحشائش والصموغ من الهند[6]. ومن جاجنكر القماش والأفاويه والطيب، ومن بلاد المعبر الطيب والقماش[7]. ومن تانة القنا والطباشير والثياب التانشية[8]. ومن سندان القسط والقنا والخيزران، بلاد المعبر الطيب والقماش[9].كما كان عسل جوز الهند يصدر للصين واليمن[10]. والأرز من الهند لسواحل اليمن[11].

وكان للتجارة دور في حياة المدن؛ فمدينة كنباية على سبيل المثال تميزت بأبنيتها ومساجدها المميزة، لأن أكثر سكانها من التجار الغرباء، "وهم يتنافسون فيما بينهم في بناء البيوت والمساجد على أشكال عجيبة مختلفة[12].

وقد ربطت الهند العديد من العلاقات في المجال التجاري حيث كانت علاقتها بالعرب جد ممتازة حيث وجد العديد من التجار العرب بكامل أسرهم في الهند، وقد تعددت السلع التي كانوا

---

[1] القلقشندي : المصدر السابق ، ص90.

[2] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 404.

[3] العمري ، المصدر السابق، ص 55. القلقشندي : المصدر السابق ، ص93.

[4] نفسه ، ص 45.

[5] نفسه ، ص 61.

[6] العمري : المصدر السابق ، ص 62.

[7] نفسه ، ص 37.

[8] القلقشندي : المصدر السابق ، ص72.

[9] نفسه ، ص73.

[10] ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 265.

[11] نفسه ، ص 271.

[12] نفسه ، ص 550.

يستوردونها مثل الأخشاب والجلود والسيوف والعقاقير الطبية وأنواع الطيب بالإضافة للتوابل التي أصبحت الهند من أشهر البلدان إنتاجا لها[1]، أما علاقتها بالصين فكانت نشطة جدا وركز الصينيون على المنتوجات الهندية المتمثلة في الأقمشة والمنسوجات القطنية المزركشة، وكذلك إستوردت السكر الذي كثر إنتاجه في إقليم البنغال، أما الهند فقد إعتمدت على الصين في إستراد الحرير[2]. أما عن العلاقات مع أوروبا فكانت شديدة الصلة ويبدوا ذلك واضحا من خلال الكم الهائل من العملات الرومانية التي وجدت في في بقاع عديدة من شبه القارة الهندية[3]، ووجدت كذلك علاقات مع بلاد فارس حيث كانت القوافل التجارية الهندية تستقر في مدن فارسية لتعرض منتوجاتها وكذلك لتكمل رحلاتها إلى الشرق الأوسط أو شمال إفريقيا، وكذلك كان التجار من فارس يفدون بكثرة إلى الهند[4].

الموارد المالية:

تعددت الموارد المالية في إقليم الهند الاسلامي حيث اعتبرت البلاد منذ دخول الاسلام إليها دار حرب[5]، كما عاشت أعدا غفيرة من أبناء البلاد تحت سيطرة المسلمين حيث كفلت الدولة لهم الحماية، لذلك أخذ منهم الجزية والخراج كما اعتبرت الهند معبرا للتجارة ومركزا لأتقاء السفن البحرية، وقد إستغلت تلك الأموال في مصارفها الاسلامية كما حددها الشرع، كما كان كذلك للفيء[6] او الغنيمة وهو حق مال المسلمين طبقا لقوله تعالى: ((مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ

---

[1] هايد ، المرجع السابق ، ص 187

[2] بدر الدين حي الصيني :العلاقات بين العرب والصين ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، 1950، ص 12

[3] هايد : المرجع السابق ،ص 45

[4] الفقي : الدول المستقلة ، المرجع السابق ،ص 269

[5] **دار حرب**:هي الدار التي لا يسودها أحكام الاسلام الدينية والسياسية ولا يكون فيها للسلطان والمنعة للحاكم المسلم بل للكفار .سعيد عبدالله المهيري :العلاقات الخارجية للدولة الاسلامية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1995،ص 45

[6] الفيء: وهو كل الاموال التي وصلت من ايدي الكفار الى المسلمين سواءا كان ذلك بالحرب او الصلح . الماوردي : الأحكام السلطانية ، المصدر السابق ، ص 110

فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ))[1]. ونظرا لطبيعة البلاد فقد اعتبر الفيء من أهم موارد الدولة الاسلامية في عصر ممالك دهلي وقد زادت أموال الفيء في عهد السلاطين الأوائل لمملكة دهلي وكذا عند الخلج وهذا لكثرة حملاتهم العسكرية.

كان النظام النقدي الهندي خلال عصر بني تغلق بالغ التعقيد، ويمكننا أن نرسمه في شكل هرمي يضم في قمته عملات ذات قيمة ضخمة، ثم عملات أخرى متوسطة القيمة ثم يأتي في قاعدته العملات ذات القيمة الأدنى. وقد ساعدنا على وضع هذا التصور ما ورد ببعض المصادر التاريخية من تفاصيل عن طبيعة هذا النظام النقدي.

فقد ذكر ابن بطوطة[2] أنه كانت بالهند ثلاث عملات رئيسية وهي الكرور واللُك والدينار، وأن (الكرور= 100 لُك) و (اللك = 100 ألف دينار) وأضاف القلقشندي[3] نقلا عن شاهد عيان أنه كانت هناك أربع عملات أساسية أخرى للنظام النقدي في الهند خلال عهد محمد بن تغلق وهي كالتالي:

الدرهم الهشتكاني (ويساوي 4 دراهم سلطانية)، الدرهم الششتكاني (ويساوي 3 دراهم سلطانية)، الدرهم الدرازهكاني (ويساوي في القيمة الدرهم الششتكاني)، والدرهم السلطاني (ويساوي 2 جتيل) والجتيل (يساوي8 فلس).

وبرغم أن العمري[4] ينقل عن نفس المصدر إلا أنه ذكر أن للهند ستة عملات وليس أربعة مع اختلاف بعض المسميات لديه فالدراهم الأربعة يذكرها بالشكل التالي (هستكاني، سشتكاني، دوازد هكاني، سلطاني) وهذا الاختلاف في أسماء الثلاث دراهم ربما كان مرجعه خطأ من النساخ لأن المسميات قريبة، أما الدرهمان الزائدان فهما (يكافئ شازردكاني) والأول ذكره القلقشندي دون

[1] سورة الحشر ، الاية 7

[2] نفسه ، ص 549.

[3] القلقشندي ، صبح الأعشى ، ص84.

[4] العمري: المصدر السابق ، ص 60.

تحديد تسمه حين ذكر أن الدرهم السلطان يساوي نصف درهم، لكن لم يحدد له مسمى، أما الدرهم الثاني فلم يذكره القلقشندي، ويذكر العمري أنه يساوي درهمين. والحقيقة أن ما ذكره القلقشندي أقرب للتنظيم مما ذكره العمري الذي أخطأ أيضا حين سمى الدرهم الهشتكاني مرة الدرهم الفشتكاني وتارة هستكاني، وبجانب هذه العملات كانت توجد عملات ذهبية خاصة ضخمة القيمة مثل التنكة، وكانت نوعان فضية (بيضاء) تساوي 8 دراهم هشتكانية وذهبية (حمراء) تساوي 3 مثاقيل[1].

ومع بداية الفتوحات الاسلامية للهند ساد الذهب الحنفي وإعتنقه أغلب السكان لهذا أخذ برأي أبي حنيفة في الجزية، ومما لا شك فيه أن سلاطين دلهي الشافعي لانه خفف الجزية مراعات للوضع الاقتصادي الصعب الذي تعيشه البلاد من حين لأخر، والمعروف ان الجزية اخذت في النقصان بعد إنتشار الاسلام في مناطق مثل البنجاب ودهلي حيث عرف على سلاطين دهلي حرصهم على نشر العقيدة الاسلامية بين رعاياهم اليهود، والواضح أن خزينة الدولة لم تتأثر برفع الجزية عن الهنود الداخلين حديثا للاسلام والتي عوضت من الغنائم والخراج والتجارة[2].

و كان الإسراف اللامحدود للسلطان محمد بمن تغلق حقيقة أحد أسباب متاعبه، وحتى مع الثروة العظيمة التي تمتعت بها مملكته والتي عززتها الغنائم التي حصل عليها من المدن الهندية في منطقة الدكر، التي أصبحت تحت سطيرته لم تستطع مواجهة الإنفاق الهائل على حاشيته[3]، وكانت مظاهر الإسراف واضحة في نفقاته التي تجاوزت 32 لك في السنة[4]، حيث كان يتصدق عند رؤية هلال كل شهر بلكين، بجانب راتب مستمر لحوالي أربعين ألف فقير (درهم + 5 أرطال خبز قمح أو أرز لكل واحد منهم)، بجانب رواتب ألف فقيه يعلمون الناس القراءة والكتابة[5]. هذا بجانب اقتنائه لحوالي 3 آلاف فيل مع نفقاتها الباهضة[6].

---

[1] القلقشندي : المصدر السابق ، ص 84-85

[2] أبو يوسف يعقوب ، الخراج ، دار المعرفة ، بيروت ، 1979 ، ص 86

[3] القلقشندي : المصدر السابق، ص 12

[4] ابن بطوطة: المصدر السابق ، ص 447.

[5] العمري : المصدر السابق ، ص 51.

[6] نفسه ، ص 56.

بجانب ذلك كان السلطان شديد الكرم بالنسبة للغرباء، ويفضلهم على رعاياه الهنود ويخصصهم بالولايات والمراتب الرفيعة حتى أن معظم خواصه وحجابه ووزرائه وقضاته وأصهاره كانوا من الغرباء، وعندما كان الغرباء يقدمون إلى دلهي كان يمنحهم الكثير من القرى والأراضي المعفية من الضرائب والتي تجعلهم يعيشون في رفاهية أثناء زيارتهم للهند، وتجعلهم عند المغادرة أغنياء، وابن بطوطة نفسه عند زيارته للهند في عهد السلطان محمد بن تغلق نعم بكرم السلطان وضيافته، وتم تعيينه كقاض لمدينة دلهي، وفي النهاية أرسل كسفير من قبل السلطان إلى الصين[1].

ولاشك أن العدد الضخم اللامعقول من وزراء وحاشيته من الشعراء والموظفين وغيرهم أفقر الخزانة التي ازدهرت نسبيا خلال عهد والده القصير، وقضت الحملات الهائلة التي قام بها السلطان لاستكمال فتوحاته في الهند على ما تبقى من أموال. بجانب ذلك فإن مشروعه لغزو فارس جعله يبقى على جيش خضم ظل عاطلا، وحلمه الآخر بغزو الصين قاد في النهاية إلى كارثة[2].

يضاف إلى ذلك سياسته الخاطئة حين فكر في نقل العاصمة وبناء حاضرة جديدة تسمى دولت آباد وأمر أهل دلهي أن يتنقلوا إليها بالقوة، وعندما رفضوا ذلك قام بتهجيرهم قسرا وبعنف واشترى من أهلها جميع دورهم ومنازلهم حتى خربت دلهي فأمر أهالي البلاد أن يعمروها فخربت البلاد ولم تعمر دلهي لاتساعها[3]. هذا المشروع لم يكن كما رأى بعض الدارسين محاولة وحشية للانتقام من سكان دلهي، بل كان لهذا الاختيار سبب، فكما يقول براني كانت العاصمة تحتل مركز متوسط بين مقاطعات الدولة وموقع استراتيجي مما جعلها في مأمن من غزوات المغول[4]. ولا شك أن قرار السلطان محمد بن تغلق بنقل العاصمة من دلهي إلى دولت آباد كان قرار غير مدروس وسبب معاناة للناس[5].

---

[1] ابن بطوطة: المصدر السابق ، ص 395.

[2] محمد نجيب ، المرجع السابق،ص 150

[3] ابن بطوطة ، نفس المصدر ، ص 479–480.

[4] نعمة مرسي، التغيرات المالية في بلاد الهند، المؤرخ المصري ،جامعة القاهرة ، العدد24، 2001، ص 294

[5] نفسه ، ص 296

وأمام هذه الأعباء التي فرضت على الخزانة لم يكن هناك مناص من فرض ضرائب جديدة، خاصة على الأراضي الزراعية الخصبة. ولاشك أن هذه الضرائب الجديدة كانت حملا زائدا على السكان

ومن موارد بيت المال كذلك الضرائب التي فرضت على التجار في الاسواق و أطلق على هذا النوع من الضرائب بالمستغلات[1]، التي كانت مفروضة في عهد علاء الدين الخلجي[2]. ورأى أيضا أن مشروع السلطان بزيادة الضرائب المحصلة على سكان دواب لم يكن نيته إجراء عقابي ضد المقاومين من سكان دواب ولكن كان الغرض منه سد العجز في الخزانة.

وقد إهتم سلاطين دهلي بضرب العملات ونقل أسمائهم عليها و مما هو جدير بالذكر أن هؤلاء السلاطين حرصوا نقش أسماء الخلفاء العباسيين على عملاتهم مثل إسم الخليفة المنتصر على عملة السلطان ألتمش والخليفة المستعصم على عملة بلبن، وهذا يدل على مدى إجلال وإعتزاز سلاطين دلهي للخلفاء العباسيين الذين مثلوا سلطة روحية أكثر منها سياسية [3].

كما اعتنى سلاطين دهلي بنشر عبارات التوحيد على عملاتهم وهذا يؤكذ مدى رغبة سلاطين دهلي على نشر الدين الاسلامي[4]، وكان للفكر الاقتصادي للسلطان محمد بن تغلق تأثير كبير على النظام النقدي في الهند، فلكي يواجه الاستنزاف الهائل لخزانته والذي مؤداه ضخامة حاشيته وإسرافه الزائد، قام بخطوة جريئة وهي البعد عن العملات الذهبية والفضية، وسلك عملات نحاسية يتم التعامل بها، هو ربما أخذ الفكرة من الأوراق النقدية التي أصدرها قبلايخان في الصين، أو من الأوراق حاول خان المغوول جاي خاتو في فارس أن يخدع بها رعيتها. لكن عملة تغلق المفروضة لم نكن تنوي أن تسلب الناس حقهم، وبدون قصد أدت إلى انتعاش الشعب، فقد كانت العملة النحاسية مقارنة بالورق فكرة جديدة، وكانت العملية النحاسية تساوي في قيمتها تنكة الفضة المعاصرة، وبالطبع كانت مقبولة للاعتماد في الخزانة العامة.

---

[1] جمال الدين سرور ، المرجع السابق ، ص 119

[2]Jackson , the Debli Sulyanate, p242

[3] محمد نجيب : المرجع السابق ، ص 245

[4] كليفورد.بوزورث : الأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، تر سليمان ابراهيم العسكري ،مؤسسة الشراع العربي ،الكويت ،1995، ط2 ، ص 259

ومن اللافت للنظر ومما لا شك فيه تماما أن قيمة العملة الجديدة تعتمد على ضمان الخزانة لها، لذلك فإن السلطان نسي أنه من الضروري تماما لنجاح ابتكاره أنه لا يصدر العملة سوى الدولة، وخلال تلك الفترة لم تكن هناك وسيلة للتمييز بين العملات الملكية والمزيفة التي يسكها الأفراد. وتزييف الذهب كان أمر مكلف، لكن أي نقاش هندي ماهر يمكنه نقش وضرب العملات النحاسية التي تحمل قيمة التنكة بنفسه[1].

النتيجة كانت طبيعية فقد أدى سك العملة الجديدة[2]، إلى تحول منزل كل هندي إلى دار لسك العملة وقام الهنود في الولايات المختلفة بسك اللكات والكارورات من العملات النحاسية. وبذلك تمكنوا من دفع الضرائب وشراء الخيول وكل الأنواع الطيبة الأخرى، وقد زاد غنى الراجات ورؤساء القرى وملاك الأراضي لكن الدولة كانت هي الخاسرة. وكان كل صانع للذهب يضرب العملات النحاسية في متجره وامتلأت الخزانات بتلك العملات النحاسية. هذا الانخفاض في القيمة جعلها بعد فترة لا تسوي أكثر من حصاة أو كسرة خزف. والعملة القديمة بعد المذبحة التي تعرضت لها ظهرت بحوالي أربع أو خمس أمثال قيمتها.

وعندما انقطعت التجارة في كل جانب وأصبحت العملة النحاسية لا قيمة بها، اضطر السلطان إلى إلغائها وأعن عن حنق شديد أن حائزي العملات النحاسية يجب عليهم إحضارها إلى الخزانة واستبدالها بالعملة القديمة. وقد قام آلاف الهنود الذين كانوا يمتلكون الآلاف من هذه العملة النحاسية وكانوا لا يهتمون بها ويضعونها في جوانب بيوتهم بجانب أوعيتهم النحاسية، بإحضارها للخزينة واستبدلوها بالتنكات الذهبية والفضية[3].

واستمر هذا الوضع بالنسبة للضرائب على الأرض في عهد فيروز شاه حيث حدث تطور كبير في النظام الخاص بها؛ فقد نظام الضرائب ثم إعادة تنظيمه على أساس عادل، وتم إلغاء كل الضرائب غير القانونية التي فرضت في العهود السابقة لفيروز[4]، حيث تم إلغاء 23 ضريبة، ولم

---

[1] Lan Pool , Madiaeval India, p.134-135

[2] القلقشندي: المصدر السابق ، ص 485

[3] نفسه ، ص 486

[4] ابن بطوطة: المصدر السابق ، ص 470.

تعد هناك ضرائب سوى المذكورة في القرآن وهي (الخراج، والزكاة، والجزية، والخمس) [1]. وبجانب هذه الضرائب كانت هناك ضريبة خاصة بالري وكانت تقدر بحوالي عشرة بالمائة من المحصول[2].

كما أصبح تقدير الضرائب على الأرض يتم بعد دراسة ظروف كل أرض وتم عمل استقصاء عن ملاك الأراضي الذين فقدوا أراضيهم، وطلب منهم أن يطالبوا بها بشكل قانوني، وقام السلطان بتعيين أحد كبار رجال بلاطه كمسؤول عن تقدير الضرائب، وقام هذا الرجل بجولة عبر المملكة ووضع تقرير خاص ضمنه اقتراحاته لتحسين نظام الضرائب. وكان من أهم ما جاء في بتقريره ضرورة أن تلقى الدولة من على كاهل المزارعين الكثير من الأعباء. مثل المطالبات التي كانوا مضطرين لدفعها للحكام المحليين سنويا[3].

وفيما يخص الضرائب على التجارة كان السلطان محمد بن تغلق قد فرض ضرائب بقيمة الربع على كل الواردات ثم خفضها إلى العشر أو الخمس، وبجانب ذلك كان يحيي ربع جتيل على كل تنكة من قيمة البضائع التي تباع، ثم قام السلطان فيروز شاه بإلغاء هذه الضرائب[4].

أما عن النظام النقدي في عهد فيروز شاه فيذكر المؤرخون المعاصرون لفيروز أنه أصدر عدة عملات جديدة، لكن الحقيقة أن معظم هذه العملات ترجع لعهد محمد بن تغلق، وفيما يخص إدارة العملة فظلت غير فعالة وحالات التزوير وسك العملة المزيفة لم يكن يتم كشفها بسهولة. لكن على الجانب الآخر فإن فيروز شاه لم يهمل اهتمامات رعيته، ولكي يسهل التعامل بين الفقراء قام بإصدار عملة صغيرة هي نصف وربع جنتيل، كانت خليط من الفضة والنحاس [5].

ومن موارد بيت المال كذلك خمس الركاز حيث روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله في الركاز الخمس فقيل ما الركاز يا رسول الله ؟ فقال الذهب والفضة الذي خلقه الله يوم خلق الارض. ونظرا لما اشتهرت به الهند من تنوع ووفرة انتاجها من الذهب والفضة، فقد شكل الركاز

---

[1] الفقي ،المرجع السابق ، ص 214.

[2] القلقشندي ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص 84.

[3] منهاج السيراج ، المصدر السابق، ج 1، ص 608

[4] الفقي ،بلاد الهند ،المرجع السابق، ص 201.

[5] جمال الدين سرور ، المرجع السابق ،ص 121

موردا أساسيا لخزانة الدولة وكا يستغل في صك العملات الذهبية والفضية كما استغل في تزيين ملابس وقصور الأمراء والسلاطين[1].

و قد كانت الاسعار خلال عصر آل تغلق رخصية، فقد ذكر العمري[2] أن أحد حدثه أنه أكل مع ثلاث رفاق له في مدينة دلهي لحم بقري وخبز وسمن حتى شبعوا ولم يدفعوا سوى جتيل واحد. كما تحدث أيضا عن رخص أسعار المنتجات الهندية وقلة أثمانها[3].

وكذلك مع تأسيس الدولة المملوكية في الهند، أصدر قطب الدين أيبك أمراً بإلغاء كل الضرائب، وأبقى على ما أقرته الشريعة الإسلامية من الزكاة، والخراج، والجزية، وظل ذلك معمولاً به في عهد حكام هذه الدولة[4].

وأسس قطب الدين أيبك، ديواناً، عُرف باسم "ديوان الدخل"، أو الرِّيع، ومهمته: "جمع وتحصيل الدخل، وتحقيق التوازن بين الدخل، والإنفاق، وفحص الحسابات المقدمة من الدواوين ألأخرى"[5] وعين عليه رئيساً يساعده عدد كبير من الموظفين، ويتم تشكيل الديوان على النحو التالي: رئيس الديوان، المحاسب العام للدخل، المشرف العام على الدخل، مسئول الخزانة، المشرف على الوقف، نائب المشرف على الوقف، ولرئيس الديوان صلاحية تعيين وفصل الموظفين بديوانه[6]، وبما أن استقرار الدولة يعتمد على ما في الخزينة من أموال، كان السلطان، يراقب بشدة أعمال الديوان، ويتألف الدخل في الدولة المملوكية من: الزكاة، والجزية، والخراج، والغنائم[7].

وفيما يتعلق بالخراج، والجزية، فيتم تحديده من قبل الدولة، ويتم جمع الخراج عن طريق المندوبين الذين يقومون بجمع الخراج من المزارعين كل عام، وكان على كل قرية مبلغ محدد من

---

[1] أبو يوسف ، المرجع ، ص 122

[2] العمري ، مسالك الأبصار ، ص 60

[3] نفسه ، ص 42

[4] عبد الرحمن العكيدي : المرجع السابق ، ص186.

[5] Aziz: Political History, p349.

[6] Ibid, P340

[7] محمد نجيب : المرجع السابق ص234.

المال يقوم رئيس الفلاحين بتوزيع تلك النسبة بين المزارعين، حسب مساحة الأرض المزروعة، والمتوقع زراعتها في السنة، وهذا المبلغ ليس ثابتاً، بل هو متغير من سنة لأخرى[1]، كما أن جمع زكاة الأرض، يعتمد على نوع المحصول ومصدر الرَّي[2].

وختاما نقول بأن الحياة الاقتصادية في الهند شهدت مراحل متباينة من الانتعاش والخمول وفقا لطبيعة السلطة المركزية وسياسة السلاطين التي أثرت بشكل كبير على أنماط الإنتاج وطبيعة الحياة الاقتصادية. ومع التنوع الكبير في البيئة الهندية تنوعت الحياة الاقتصادية بكافة أشكالها: الزراعية، والصناعية، والتجارية، ويمكننا القول أن الحياة الاقتصادية خلال تلك الفترة تمثل نموذجا فريدا في الدينامية والتنوع في التاريخ الاقتصادي للهند خلال عصورها الإسلامية. ورغم ما سبق فإن ثبات المستوى المعيشي للفرد في اقليم الهند رغم الاضطرابات في الاحوال الاقتصادية التي واجهها الحكام المسلمين بجمع الضرائب في صورة مواد عينية ثم خزنوها مما أدى إلى ثبات المستوى المعيشة من خلال توفير الغذاء الضروري للأهالي وعدم وجود نظام إحتكار من قبل أي فرد أو طائفة.

---

[1] W. H. Moreland: The Agrarian System of the Moslem India, P17.

[2] Ibid, P18.

الفصل الخامس

الحياة الثقافية والعلمية

1) إزدهار الحياة الثقافية في الهند

2) تشجيع السلاطين للعلم والعلماء

3) زيارة العلماء والادباء لإقليم الهند

4) الكتب والمكتبات

5) المراكز التعلمية

6) العلوم والعلماء في سلطنة دهلي

الحياة الثقافية:

ازدهرت الحياة الثقافية في الهند قبل قيام الدول الاسلامية بها حتى أن المسلمين يعتبرون الهند إحدى الأمم الأربعة التي لها اهتمامات علمية، وقد برع الهنود في الحساب وعلم الفلك و أسرار الطب[1]، وذكر المسعودي أن جماعة من اهل العلم اعتبروا الهند الغرة التي فيها الصلاح والحكمة[2]، وكان الهند كما يقول القفطي معدن الحكمة وينبوع العدل والسياسة[3].

وفي عهد مماليك دهلي لم تقتصر جهودهم على تثبيت الحكم الاسلامي في الهند، وفتح الأقاليم الجديدة، بل شيدوا المدارس والمساجد، وشجعوا العلم والعلماء والدعاة، فازدهرت الحياة الثقافية في الهند في عهدهم، وذلك نتيجة لهجرة ألاف العلماء وطلاب العلم الذين تولوا التدريس، والدعوة في المساجد، والمدارس، وأصبحت الهند من أهم المراكز العلمية في العالم الاسلامي.

إزدهار الحياة الثقافية في الهند:

بلغت الحياة الثقافية في الهند الاسلامي مبلغا عظيما، وساعد على ذلك ما وصلت إليه الهند من تقدم في مجلات متعددة من أدب وفنون ورياضيات وفلك وطب، حيث أن اين القفطي أعد الهند من الأمم الثقافية التي اعتنت بالعلوم والفنون[4]، كما أن المسعودي ذكر أن بلاد الهند كانت في قديم الزمان الغرة التي فيها الحكمة والصلاح[5].

وقد ظلت ثقافة البلاد محصورة داخليا إلى أن وطأت أقدام المسلمين أرض الهند حتى أخذ السلاطين يهتمون بنقل العلوم حيث استقبلوا العلماء والأطباء، وترجموا الكتب في مختلف مجالات المعرفة، و ادى ذلك إلى حدوث عملية تبادل ثقافي بين المسلمين والهند[6]، وكان لتمركز سلاطين دهلي تطورات كبرى في الحياة الثقافية في الهند ومن اهمها انتشار الشعر والادب وظهور

---

[1] الفقي : بلاد الهند ، المرجع السابق ، ص 236

[2] المسعودي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 122

[3] علي بن يوسف القفطي :أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2005، ص 102

[4] نفسه ، ص 75

[5] المسعودي : مروج الذهب ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 187

[6] جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ، دار مكتبة الحياة ، 1997 ،القاهرة ، ج 3 ، ص 197

المدارس التعليمية والحواضر الثقافية الكبرى مثل لاهور و دهلي كما هزمت و همشت اللغة السنسكريتية وحلت محلها اللغة العربية والفارسية في مجال الادب والشعر[1].

ومن العوامل كذلك نجد دور التجار الذين حملوا الثقافة العربية الاسلامية الى الهند، فعندما ظهر الاسلام ودخل العرب في دين الله افواجا، وكان منهم هؤلاء التجار والبحارة العرب من الحضارمة وغيرهم، فحملوا معهم دينهم الجديد الى البلاد التي يتعاملون معها[2].

كما كان لهجرة العرب الذين كانوا يحملون معهم لغتهم العربية والكتب الدينية التي كتبت بها، عنصرا هاما في الاخصاب الاجتماعي والثقافي، وكانت الهجرة بين الهند وشبه الجزيرة العربية هجرة مزدوجة الاتجاه، فقد استوطن الهنود البلاد العربية، واغترفوا من معين الثقافة الاسلامية، كما ساهموا في تنمية هذه الثقافة، وقد كانت الغلبة والتأثير الثقافي للمسلمين الفاتحين حيث لعب هؤلاء دور عظيم في تحريك النهضة العلمية والثقافية لجنوب اسيا قرون عديدة[3].

فبهذا لعب التجار دورا هاما في انتشار الاسلام أولا ثم الثقافة العربية الاسلامية، فعن طريقهم دخل الاسلام إلى سواحل الهند قبل أن يدركها الفاتحون، وقد اعتمد التجار في تسويق بضائعهم ورواجها على طريقين مهمين هما الطريق البحري والبري[4]. وكذلك لعبت الظروف المناخية دورا في إقامة الجاليات حيث كانت للرياح الموسمية دورا في حركة السفر وتحديد موعد المغادرة، فعند العودة يتحتم على التجار انتظار الرياح الموسمية، فبهذا تطول إقامتهم وتتحول من إقامة عابرة إلى إقامة طويلة، وهذا ما ساعد في اختلاط المسلمين بسكان البلاد وتزوجوا منهم[5]. وقد ارتفع شأن المسلمين ونالت الجاليات الاسلامية الحظوة، ولا سيما في الملتان فكان حكامها لا يسمحون بدخول الغرباء إليها، ولكن يختلف الحال إذا علموا بأن المسلمين أرادوا الاقامة فيرحبون

---

[1] محمد يوسف الهندي : بدء العلاقات العلمية بين الهند والعرب ، مجلة كلية الأداب ، القاهرة ، مج 12 ، ج1 ، ص 102

[2] عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام في الهند ،هيئة الكتاب ، القاهرة ، 1988، ط 3 ، 60

[3] احمد محمد الجوارنة : المرجع السابق ، ص 213

[4] الجوهري ،يسرى عبد الرزاق وأخرون: جغرافيا العالم الاسلامي ، مركز الاسكندرية للكتاب ، الاسكندرية ، مصر ، 2001 ، ص 14

[5] شوقي عثمان: تجار المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية ، عالم المعرفة ن الكويت ، 1990، ص 45

بهم ويحسنون وفادتهم[1]، وأكد المقديسي ذلك عندما تحدث في ذلك قال (الملتان ليس عندهم زنا ولا شرب ومن ظفر يفعل ذلك قتلوه، ولا يكذبون في بيع ولا يبخسون في كيل ويحبون الغرباء من العرب)[2]، ويفهم من هذا أن الملتان تأثروا بمبادئ الاسلام وأصبحوا يتحلون بأخلاقهم.

وانطلاقا من مبدأ أن النمط الثقفي لأمة من الأمم، متمثلاً في لغتها ومعتقداتها وعلومها وفنوها وآدابها، إنما يتكون من مجموعة من الروافد والمؤثرات التي امتزجت وتفاعلت مع عناصر البيئة المحلية، مكونة نمطاً ثقافياً يميز أمة عن أخرى وأن هذا الامتزاج أو التفاعل إنما يحدث في إطار زمني قد يستغرق قرونا عديدة، تمر خلالها ثقافة هذه الأمة بالعديد من المراحل التي تشكل سلسلة متصلة الحلقات، إن فقدت إحداها، انفرط عقد البقية، وانتفى التسلسل المنطقي المنشود لإدراك تطورها[3]، و في ظل هذا التنوع الذي شهدته بلاد الهند في مختلف مواردها البشرية منها والطبيعية، ليس من المستغرب إذاً أن ندرك مدى صعوبة أن تنشأ ثقافة واحدة بسيطة الأركان في بيئة متشعبة كبيئة تلك البلاد، بل الأكثر منطقية أن تتكون ثقافة مركبة، قائمة على التوفيق والتعاون والتعايش بين تلك الروافد المختلفة، التي تدفقت لتصب في البوتقة الثقافية لتلك البلاد، سواء الأصيل منها متمثلاً في (الهندوسية)[4] التي كانت منتشرة اجتماعياً وثقافياً في نطاق واسع من جانب، أو الروافد الإسلامية المتغلبة سياسا وعسكريا متمثلة بصفة أساسية في العرب والفرس والأتراك النازحين من الأقاليم المتاخمة لبلاد الهند من جانب أخر.[5]

حيث حمل هؤلاء معهم الثقافة الإسلامية وما تقوم عليه من دين ولغة عربية وفارسية ثم ما ارتبط بهذه الثقافة من علوم كالتفسير، والفقه، والحديث، والنحو والبلاغة والأدب، والشعر.... إلى غير ذلك من العلوم التي وجدت في بلاد الهند مرتعاً خصباً ثرياً بحضارة وبعلوم عريقة متنوعة.

---

[1] فدوى التميمي : ابن بطوطة في الهند ، سلسلة رحلات وغرائب ، جامعة الاسكندرية ، ص 18

[2] المقديسي : المصدر السابق ، ص 380

[3] عبد المنعم النمر : المرجع السابق ، ص 314

[4] الهندوسية: عبارة عن مجموعة من التقاليد والأوضاع التي تولدت من تنظيم الآريين لحياتهم بعدما وفدوا على الهند واستعمروها، وقد قامت على نظام الطبقات مثل كشاتريا KASHTRIYA وثميشيا VAISHYA والطبقات الوسطى مثل راجبوت RAJPUT وتهاكور THAKUR وجات JAT وماروراي MARWARI وبانيا BANIA ... وغيرها- أنظر: رشيد الدين خان ، حضارة الهند المركبة مفهومها وطبيعتها، مجلة ثقافة الهند ، مج 57، العدد1 ،1996 ، ص57.

[5] رشيد الدين خان، المرجع السابق، ص57.

وقد نتج عن امتزاج تلك الثقافة الإسلامية الوافدة بروافدها المختلفة من لغات وعلوم مع العناصر الثقافية والعلمية في البيئة المحلية لبلاد الهند، قيام ثقافة مركبة غنية ومتنوعة جمعت بين كثير من سمات تلك الروافد في مخرج ثقافي رائع، وتلك نعمة أخرى، حبى الله بها بلاد الهند في تلك الفترة، فلولا اتخاذ تلك الروافد لخيار التعاون والتعايش دون المجابهة والصدام فيما بينها، لأدى ذلك بلا شك إلى خسارة فادحة ليس للحضارة الإسلامية فحسب، بل للإنسانية كلها[1].

السلاطين و إهتمامهم بالعلم والعلماء:

اعتنى سلاطين دهلي بتشجيع الثقافة الاسلامية و زاد الاهتمام بالعلماء والادباء حتى أصبح شيخ الاسلام وهو اعلى سلطة دينية في المدينة في التدخل في امورهم، وقد انفق السلاطين الاموال الطائلة وانعموا عليهم بالصلات مثل الشاعر تاج الدين ريزه الذي يعتبر من اكثر الشعراء شهرة في عصر السلطان ركن الدين فيروز شاه[2]، وكان دائما ما يصاحب السلطان ألتمش في كافة حملاته العسكرية وهذا الاخير أنفق كذلك أمولا كبيرة في كتابة نسخ من القرآن الكريم، حتى تكون في متناول الناس وقراءتها والاستفادة منها، كما أسس العديد من المدارس، وزين بلاطه بالشعراء والأدباء، وأصبحت دهلي في عهده مركزا مهما للفنون والعلوم والآداب[3].

ويعتبر السلطان نصر الدين محمود من اكثر سلاطين دهلي مصاحبة وتشجيعا للعلماء والادباء مثل المؤرخ والشاعر منهاج الدين الجوزجاني[4] الذي عهد له منصب وظيفة كبيرة في بلاطه وهذا العالم استطاع ان يضع مؤلفا كبيرا أسماه طبقات ناصري حيث اهداه الى السلطان، أما السلطان بلبن فقد بالغ في تقديره للشعراء وأهله حيث فضل تناول غذائه مع فضلاء المملكة

---

[1] بوزورث : المرجع السابق ، ص 257

[2] منهاج السيراج :المصدر السابق ، ص 454

[3] الفقي :بلاد الهند ، المرجع السابق ، ص 284

[4] **منهاج الدين عثمان الجوزجاني** : ولد في لاهورسنة 589هـ ،تولى التدريس بالمدرسة الفيروزية بالسند في عهد ناصر الدين قباجة ، ثم قاضي لعسكر بهرام شاه بن ناصر الدين سنة 625هـ ، فولاه القضاء والخطابة والامامة والاحتساب وغير ذلك من الامور الشرعية ولما دخل دهلي ولي اوقاف المدرسة الناصرية ، وله مصنف باسم ناصري نامة وهو منظومة في فتوحات ناصر الدين محمود ابن التمش سنة 645هـ. أنظر : عبد الحي الندوي : نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، ج 1 ، دار ابن حزم ،بيروت ،1999 ، ص 133-135

من الشعراء والحكماء كما يقوم بزيارتهم في منازلهم، وحرص على عقد مناظرات بينهم [1]، وكذلك شجعت السلطانة راضية العلوم و الاداب، وقد أدي هذا الاهتمام من قبل سلاطين دهلي بتشجيع العلماء والادباء الى ازدهار الحياة الثقافية في اقليم الهند الاسلامي.

وقد ازدهرت الحياة الثقافية في عهد الخلجيين، وتميزت بظهور انتاج ادبي غزير ومتنوع وكانت لغة الثقافة في ذلك العصر هي اللغة الفارسية، فقد كان يقدم السلطان جلال الدين خلجي للشعراء كافة انواع التكريم، فقد اعطى لاحد الشعراء قرية كاملة[2]، وتزينت دار الملك وجميع بلاد الهندوستان في عهد علاء الدين خلجي بجمع فريد من العلماء الذين عملوا بالدرس والافادة في جميع انواع العلوم، وقد ملأ صيت أدبهم العالم، وقد برز أمير خسرو الذي كان له يد بيضاء في فنون الكلام والمعنى والنظم والنثر، وكان من المؤرخين أيضا عدة أشخاص لا نظير لهم، وعدد من الأطباء المهرة، ومنجمين، وسائر أرباب الطرب و أقسام الفنون[3]، فلم يجتمع على باب احد من سلاطين دهلي من رجال العلم والفقه والادب كما اجتمع على باب علاء الدين الخلجي، فكان يصل كل واحد منهم ويرفعه إلى أعلى مرتبة[4].

وظلت الهند مزدهرة ثقافيا في عهد بني تغلق، فقد وفد على السلطان محمد ابن تغلق الكثير من العلماء والادباء والفلاسفة، وقدم لهم كل عون وتشجيع على ممارسة نشاطهم واظهار انتاجهم، وكان السلطان محمد بن تغلق أدبيا وشاعرا، كتب باللغتين العربية والفارسية، وكان بالاضافة إلى ذلك فيلسوفا وطبيبا[5]، ولما كان لديه موهبة مناسبة في النظم والنثر، وكان ماهرا في علم التاريخ ايضا، وكان مغرما بعلوم الحكمة والمعقولات. وكان كل من يذهب الى بلاطه من اهل الادب يجد انواع الرعاية والانعام[6].

---

[1] السيد طه ابو سديرة :تاريخ الاسلام في شبه القارة الهندية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2009، ص 125

[2] الهروي : المصدر السابق ،ج 1، ص 113

[3] نفسه ، ص 147

[4] الفقي : بلاد الهند ، المرجع السابق ، ص 284

[5] Ishwari Prasad, M,A,:Ashort history of Muslim Rule in India , The Indian Press, Ltd ,Allahabad,1933,p 266

[6] الهروي : المصدر السابق ، ج 1، ص 168

كان السلطان محمد شاه لا يفارق العلماء سفرا ولا حضرا، فلما كان معه بعض العلماء في احدى غزواته، وجاء مقدم عساكره يبشره بالنصر، قال: هذا ببركة هؤلاء العلماء. فقد كان سوق اهل العلم لديه رائج، يشار إليه بالتوقير والاجلال[1]، ولم يكن السلطان فيروز تغلق أقل من سلفه اهتماما بالعلم وأهله، فقد جلب العلماء المسلمين إلى السلطنة للتدريس في مدارسه، ولم يقتصر اهتمامه على ذلك، بل عهد إلى العلماء الهنود بترجمة الكتب السنسكريتية الهامة إلى الفارسية، كما كتب كتابا عن حياته سماه فتوحات فيروز شاهي[2]، كما أجبر السلطان إسكندر بهلول الهنود على تعلم الفارسية، وأمر بترجمة علوم الهند إلى الفارسية، حيث جمع الأطباء من خرسان ومن أقصى بلاد الهند، كما كان السلطان شاعرا مجيدا للشعر وماهرا بالموسيقى، ومن مظاهر إهتمامه بالعلم أيضا حرصه على حضور دروس العلمية[3].

زيارة العلماء والادباء لإقليم الهند:

وكان من أهم أسباب إزدهار الأدب والثقافة في اقليم الهند زيارة كبار رجال العلم والادب للبلاد وقيامهم برحلات شتى في ربوعها مما أتاح الفرصة للهنود للاطلاع على ثقافة بلاد الاسلام المختلفة، وأعطت تلك الرحلات أيضا لهؤلاء العلماء والادباء الفرصة في كشف النقاب عن إزدهار الثقافة الهندية وكلاهما في النهاية أدى إلى تقدم الحياة الثقافية في اقليم الهند الاسلامي.

وللحديث عن عهد دهلي فقد زادت زيارات العلماء والأدباء إلى حاضرة البلاد والتي أصبحت ملتقى رجال الثقافة في العالم الاسلامي ومن أشهر من زارها الشيخ رضي الدين حسن ابن محمد الصغاني والذي بعث سفيرا للخليفة الناصر لدين الله إلى السلطان ألتمش[4].

ومن الشعراء العرب الذين زاروا الهند في عهد السلطان شمس الدين ألتمش الشاعر ابن عنين، ومن هناك اختلط برجال العلم والادب، كما أخذ يكتب الشعر ويرسله إلى أهله في دمشق،

[1] العمري : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 73

[2] Ishwari Prasad :Op ,Cit,P266

[3] محمود شاكر : التاريخ الاسلامي في العهد المملوكي ، ج 7 ،المكتب الاسلامي ، بيروت ، 2000 ، ص 229

[4] صديق بن حسن القنوجي : أبجدية العلوم ، ج 3، دار الكتب العلمية ، دمشق ، 1978، ص 116

ومما لا شك فيه أن وجود شاعر عربي في دهلي أثر بشكل مباشر في نشر الثقافة العربية وخصوصا مع حرص سلاطين دهلي على الاهتمام بالآداب العربية[1].

وكذلك من العلماء الذين وفدوا على أرضيها وشاركوا بعملهم في شتى مناحي الحياة الثقافية والعلمية في عصر السلطنة، ومن أشهر من وفد على بلاد الهند من علماء العالم العربي والإسلامي، الرحالة المغربي الشهير (ابن بطوطة)، وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن يوسق اللواتي الطنجي ولد في مدينة طنجة من بلاد المغرب الأقصى في 17 رجب من عام 703هـ/1304م، ونشأ على قراءة القرآن والكتابة والفقه، كما تعلم الأدب وفنون والشعر، وعندما بلغ الحادية والعشرين من عمره في عام 725هـ/1325م رحل من بلاده إلى الشرق، وذلك بنية أداء فريضة الحج[2]، وقد أداها بالفعل في عام 726هـ/1326م، ثم آثر الترحال والتجوال في بلدان العالم الإسلامي فدخل مصر والشام والعراق وبلاد الهند والسند والصين وغيرها، وقد دخل ابن بطوطة بلاد الهند في أول المحرم من عام 734هـ/1333م[3]، ورحل عنها في 17 صفر من عام 743هـ/1342م[4]، بعد أن قضى بها مدة من الزمان قاربت الثمان سنوات، في عهد الملك محمد تغلق شاه الثاني (725-752هـ)/(1325-1351م)، والذي قربه إليه فنال الحظوة عنده، وولاه القضاء وأغدق عليه مالاً وفيراً، حتى قرر ابن بطوطة العودة إلى بلاده بعد ثلاثين عاماً قضاها في الترحال، وكان رجلا صدوقا، لا يتكلف شيئاً في أحاديثه، بل كان لفرط بساطته لا يفكر هو نفسه في تسجيل رحلاته، لولا أن سلطان بلاده، أبا عامر فارس المتوكل (749-759هـ/ 1348-1358م) السلطان الحادي عشر من سلاطين بني مرين (592-869هـ/1196-1465م) في المغرب، قد طلب من تدوين رحلته.[5]

ويعتبر مصنف ابن بطوطة المعنون بـ"تحفة النظار في غرائب الأبصار" والشهير برحلة ابن بطوطة، المصدر العربي الوحيد الذي تناول عصر الملك محمد تغلق شاه الثاني المذكور من

---

[1] ابن خلكان : وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ،دار صادر ، بيروت ،1972 ، ج 5 ، ص 14

[2] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص31

[3] الندوي: المرجع السابق ، ص411- حسين مؤنس، ابن بطوطة و رحلاته، دار المعارف ،مصر ، 2003، ص154.

[4] نفسه ، ص166.

[5] نفسه ، ص235-237.

موقع الأحداث، ومعاصراً لكل تفاصيل تلك الفترة، وشاهداً على الكثير من الوقائع في عهده، وقد توفي ابن بطوطة في عام 779هـ/1377م ودفن في بلدته طنجة.[1]

الشيخ أحمد بن علي الترمزي (ت.602هـ/1206م)، وهو السيد الشريف أحمد بن علي بن الحسين بن محمد الذي ينتهي نسبه إلى الحسين السبط على جده وعليه السلام، ولد ونشأ بمدينة ترمز[2]، وانتقل منها إلى لاهور بعد وفاة والده، فسكن بها وقد خرج من نسك جماعة من العلماء يدعون بالسادة الترمذية.[3]

الشيخ محمد بن الحسن النيسابوري، أحد العلماء البارزين في علميّ الإنشاء والتاريخ والسير، ولد ونشأ بمدينة نيسابور، وقرأ العلم على أساتذة عصره، ثم انتقل منها إلى غزنة[4] وأقام بها مدة، ثم انتقل منها إلى دهلي في عهد السلطان قطب الدين أيبك (602-607هـ)/(1206-1210م)، ومن أشهر مصنفاته كتاب في تاريخ الهند أسماه "تاج المآثر"، تناول فيه الأحداث من عام (587هـ/1191م) وحتى عام (614هـ/1217م)[5]، وقد توفي الحسن النيسابوري في عهد شمس الدين ألتمش (607-633هـ)/(1211/1236)[6].

الشيخ نور الدين محمد بن محمد العوفي الحنفي البخاري، من رجال القرن السابع الهجري، توفي بعد 644هـ/1246م، وكان من نسل الصحابي على الرحمن بن عوف، أحد العشرة المبشرين

---

[1] ابن بطوطة: المصدر السابق ، ص411-572.

[2] **ترمذ:** إحدى مدن إقليم ما وراء النهر (أي ما وراء نهر جيحون)، وتقع شمال مضيق نهر جيحون وهو آت من بلخ بالقرب من ملتقى نهر زامل. وهي على ضفة جيحون الشرقية وكانت فرضة التجارات المحمولة من الشمال إلى خراسان ولها ثلاثة أبواب، وقد غزاها المغول في 617هـ/1220م ودمروها، ثم قامت بعد ذلك مدينة جديدة تعادلها كبراً، أنظر: الحميري: الروض المعطار في خبر الاقطار، مكتبة لبنان ، 1975، ص132- أيضاً: كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية،تر كوركيس عواد ،مؤسسة الرسالة ،ط2 ،1985 ص484.

[3] الندوي : المرجع السابق ، ج1، ص121.

[4] **غزنة:** بفتح أوله وسكون ثانيه ثم نون، والأصح غزنين، وهي قصبة إقليم زابلستان، وهي مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان، تشكل الحد بين خراسان والهند- أنظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص428-429- القلقشندي: المصدر السابق، ج4، ص396-397.

[5] يذكر الندوي: أنه توجد نسخة أخرى من كتاب "تاج المآثر" تمتد فيها الأحداث حتى عام 626هـ/1229م، وليس واضحاً إن كانت تلك الفترة للمؤلف أم أضيف إليها لاحقاً من قبل غيره، أنظر: الندوي، المرجع السابق، ج1، ص217.

[6] نفسه، ج1، ص217..

بالجنة، ولد ونشأ بمدينة بخارى، وأخذ العلم عن كبار علماءها، ثم رحل إلى كبريات مدن المشرق وقد رجل من خراسان في فتنة التتار، ودخل السند وتقرب إلى ملكها "ناصر الدين قباحة" (602-624هـ)/(1206-1227م) ومكث لديه حتى عام 625هـ/1228م وصنف له "لباب الألباب"، ثم لما ملك شمس الدين ألتمش بلاد الهند والسند وقدم دهلي، وتقرب إلى رجال بلاطه وترجم له كتاب "الفرج بعد الشدة" للقاضي أبي على المحسن بن محمد بن داود التنوخي (ت.334هـ/946م) وقد توفي العوفي في عهد السلطان ناصر الدين محمود بن الألتمش (644-664هـ)/(1246-1287م).[1]

محمد بن نصر الله أبو المحاسن الدمشقي (ابن عنين الشاعر)، (ت.633هـ/1236م)، ولد بدمشق في عام 549هـ/1154م، ورحل إلى بلاد الهند، وقام بها مدة، وكتب منها إلى أخيه بدمشق بيتين عاتباً عليه بهما عدم مراسلته والثاني منهما لأبي العلاء المعري (ت. 449هـ/1057م) استعملهً

وقد قال ابن خلكان (ت.681هـ/1089م) في ترجمته لابن عنين أنه كان غزير المادة من الأدب وكان ولعاً بالهجاء، ونظم قصيدة أسماها "مقراض الأعراض"، وهي في خمسمائة بيت، لم يفلت أحد من أهل دمشق منها، بما قبح هجوه، فما كان من السلطان الناصر صلاح الدين (564-589هـ)/(1169-1193م) إلا أن نفاه إلى الهند، فمضى إليها ومدح ملوكها واكتسب في ذلك مالاً وفيرا، وقد عاد إلى دمشق وتوفي بها في العام المذكور[2].

الشيخ أبو غفار الحسينى الخوارزمي، أحد كبار رجال التصوف، انتقل والده من خوارزم إلى الهند إثر هجمات التتار، فسكن بلاهور، وكان صالحاً حسن الأخلاق، حلو المنطق، توفي في عام 661هـ/1263م.

كمال الدين الدخميسي الحموي ثم الدمشقي التاجر، هو أحمد بن أبي الفضائل ابن أبي المجد بن أبي المعالي المحدث الرئيسي، عني بعلم الحديث وكتب بخطه الكثير، ورحل في طلب

---

[1] نفسه ، ج1، ص224-226.

[2] ابن خلكان: المصدر السابق ، ج5، ص14-19- أنظر أيضا :أبو المعالي المباركبوري: رجال السند والهند،المطبعة الحجازية ،1958،ص506-507.

الحديث، فجال في بلاد عدة، ثم دخل الهند وأقام به، وخطه طريقه معروفة بين المحدثين، توفي بعد عام 671هـ/1272م ببلاد الهند.[1]

الشيخ محمود بن أبى الخير البلخي[2]، الإمام المحدث، كان بارعاً في علوم النحو واللغة والفقه والحديث، وقد قام الهند، فاحتفي به الملوك والأمراء، وخاصة السلطان غياث الدين بلبن، الذي كان يتردد إليه في كل أسبوع بعد صلاة الجمعة ويحظى بصحبته، كما كان الشيخ البلخي شاعراً جيداً، توفي في عام 687هـ/1288م ودفن بدار الملك دهلي.[3]

الشيخ حسين بن علي البخاري (من رجال القرن السباع الهجري)، يتصل نسبة بالإمام علي الرضا، كان من رجال العلم والمعرفة، ولد ونشأ بمدينة بخارى، ثم قدم الهند مع ولديه علي وجعفر، فلما وصل إلى مدينة بكهر السندية، ومنها إلى مدينة الملتان السندية أيضاً، سعى إلى الإلتقاء بكبار شيوخها، ومنهم الشيخ بهاء زكريا الملتاني، الذي إلتقاه في عام 635هـ/1238م، وصاحبه بل لازمه، وقد كان الشيخ حسين البخاري عالماً وفقيهاً زاهداً، واشتغل بالتدريس والإفادة، وأخذ عنه خلق كثير من العلماء والمشايخ، وكانت وفاته في التاسع عشر من جمادى الأولى سنة 695هـ/1296م.

الشيخ الفاضل المؤرخ الكبير كبير الدين بن تاج الدين العراقي الدهلوي، أحد العلماء البارزين في السير والتاريخ، لم يكن له نظير في عصره في الإنشاء والترسل والبلاغة، له إنشاء بليغ باللغة العربية والفارسية، ومصنفات عديدة في التاريخ، وقد صنف كتباً في توح السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي.[4]

---

[1] الندوي : المرجع السابق ، ج1، ص122-123.

[2] **البلخي:** نسبة إلى مدينة بلخ وهي مدينة عظيمة بإقليم خراسان، وهي في مستوى من الأرض فتحها الأحنف بن قيس التميمي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه (23-35هـ)/644-656م) ولها سبعة أبواب، وبها مدارس للعلوم ومقامات للطلاب وخرج منها ما لا يحصى من العلماء والصلحاء- أنظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص396 . أيضاً: الحميري، المصدر السابق، ص96.

[3] الندوي : المرجع نفسه، ج1، ص229-230.

[4] الندوي، نفسه، ج2، ص115.

الشيخ شمس الدين بن عبد الرحمن الخراساني، ثم الهندي الدهاراسيوني، ولد بقرية "درهمون"، وهي قرية من أعمال خراسان، ولما بلغ الثامنة عشر، توفي والده، فهاجر من بلاده ودخل الهند واشتغل بأعمال الديوان، ثم سافر إلى الحج والزيارة ورجع إلى الهند وسكن بدهارا من بلاد مالوه حتى توفي في عام 730هـ/1329م.[1]

الشيخ علي بن حسين بن محمد بن الهمداني المسعودي، المعروف بابن الشهاب، ولد في عام 714هـ/1315م، وهو أديب صوفي، رحل إلى بلاد الهند وأقام بها إلى أن توفي في عام 786هـ/1384م، ومن منصفاته، "ذخيرة الملوك"، و"روضة العلوم ودوحة المفهوم"، و"شرح فصوص الحكم" لابن عربي[2]، و"مرآة الرجال" في علم القيافة[3]، و"مشارب الأذواق" في شرح الحمزية" لابن الفارض[4]، وله "الرسالة القدسية في أسرار النقطة الحسية"، وله أيضا "شرح الأسماء الحسنى".[5]

الشيخ عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله، أبو محمد بن زين الدين أبي الطاهر بن جمال الدين أبي عبد الله بن الحافظ محب الدين الطبري، ولد بمكة في المحرم من عام

---

[1] الندوي، المرجع السابق ، ج2، ص56.

[2] **ابن عربي:** هو الشيخ يحي أبي عبد الله محمد ابن علي المعروف بابن عربي الطائي الحاتمي الأندلسي (ت. 638هـ/1241م)- أنظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، مج2، ص1261.

[3] **علم القيافة:** سمي بعلم القيافة لكون صاحبه متتبع بشرات الإنسان وجلوده وأعضائه وقدمه، وهو على قسمين قيافة الأثر ويقال لها العيافة، وقيافة البشر وهي المعنية هاهنا، وهو علم باحث عن كيفية الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما في النسب والولادة وفي سائر أحوالهما وأخلاقهما، وكمثال == حكي أن الإمام الشافعي، ومحمد بن الحسن، رأيا رجلاً فقال محمد: "إنه نجار" وقال الشافعي: "إنه حداد"، (استنتاجاً من ملامحه) فسألاه عن صنعته فقال: "كنت حداداً والآن نجار"- أنظر: القنوجي، أبجد العلوم، ج2، ص436.

[4] **ابن الفارض:** هو عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة، الملقب شرف الدين بن الفارض شاعر متصوف ملقب بـ"سلطان العاشقين" ولد في 576هـ/1181م، في شعره فلسفة تتصل بما يسمى وحدة الوجود، اشتغل بفقه الشافعية وأخذ الحديث عن ابن عساكر وأخذ عنه الحافظ المنذري وغيره، إلا أنه ما لبث أن زهد، وتجرد وسلك طريق التصوف، وجعل يأوي إلى المساجد المهجورة وأطراف جبل المقطم، وذهب إلى مكة في غير أشهر الحج، وأكثر العزلة في وادي بعيد عن مكة، ثم عاد إلى مصر فقصده الناس للزيارة حتى أن الملك الكامل كان ينزل لزيارته.. توفي في هام 632هـ/1235م- أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص454-455- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص255-257- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص149.

[5] حاجي خليفة : كشف الظنون، مج1، ص201 . انظ: : البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص725.

723هـ/1324م، وسمع على والده القاضي المسند المعمر زين الدين أبي الطاهر وغيره من كبار علماء عصره في مكة، والمدينة والنبوية، وقد سافر إلى بلاد الهند وأقام بها مدة، سمع خلالها وجمع الحديث والفقه، كما خطب بها، وقد عاد إلى مكة ثم إلى المدينة النبوية، حيث توفي في الحادي عشر من جمادى الآخرة عام 787هـ/1385م.[1]

محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر... الفيروزآبادي الشيرازي الشافعي، إمام الناس في علم اللغة، ولد بشيراز[2] في عام 729هـ/1329م، وسمع من كثير من علمائها، كما سمع من علماء مصر، ومكة، وكانت له عناية بالحديثة والفقه، وله تحصيل في فنون العلم لا سيما اللغة، وقد وصف بأنه كان بحر تكدره الدلاء، كما كان له شعر كثير، ويكتب الخط الجيد بسرعة وقد دخل بلاد الهند وأقام بها مدة بمدينة دهلي، وحظي عند ملكها بمكانة سامية وقد صنف كتباً كثيرة منها "بصائر ذو التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، و"تنوير المقباس في تفسير ابن عباس"، و"تيسير فاتحة الإهاب بتفسير فاتحة الكتاب"، و"الدر النظيم الى المرشد الى فضائل القرآن العظيم" ولعل أهم مؤلفاته "القاموس" وقد توفي بمدينة زبيد[3] ليلة الثلاثاء العشرين من شوال من عام 817هـ/1415م وقد ناهز التسعين.[4]

الكتب والمكتبات:

أصبحت كافة الأقطار الاسلامية بعد إستقلالها عن الخلافة العباسية وخاصة الغزنويين ومن بعدهم الغوريين وكذا المماليك في شبه القارة الهندية يعتمدون على نفسهم بخلق نهضة ثقافية في

---

[1] المقريزي: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج2، ص335.

[2] **شيراز** : شيراز قصبة فارس، مصرها العرب واتخذ المسلمون موضعها وقت الفتوح في عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهي متوسطة في إقليم فارس وقد تولى عمارتها محمد أخو الحجاج الثقفي أو ابن عمه في عام 64هـ/648م ثم اتسعت رقعتها حتى صارت مدين كبيرة في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ومن أبرز من نسب إليها الشاعر سعدي الشيرازي المتوفي 691هـ/1292م، كذلك أبا اسحق الشيرازي الفقيه. أنظر: الحميري، الروض المعطار، ص351 . كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص284-287.

[3] زبيد: بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت، مدينة عظيمة باليمن بينها وبين صنعاء أربعون فرسخاً، وليس باليمن بعد صنعاء أكبر منها ولا أغنى من أهلها، وقد أحدثت هذه المدينة في عهد الخليفة المأمون العباسي (198-201هـ)/(813-817م)- أنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ، المصدر السابق، ج3، ص131.

[4] المقريزي، درر العقود الفريدة، ص173-176. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص126-131.

هذا الجزء من العالم ، ومن جانب أخر نقول بأن الكتابة ظهرت في شبه القارة الهندية في وقت مبكر، ففي الألف الثالثة قبل الميلاد، تطورت الكتابة الهندية القديمة، وقد كانت تتكون من 250 إشارة مختلفة تكتب بها النصوص المختلفة على الحجر والخزف وألواح النحاس، وقد استمر استخدام هذه الكتابة عدة قرون، فكما برزت في النصف الثاني من الألف الثالثة قبل الميلاد، اختفت بشكل مفاجئ دون أن تترك أي أثر على الكتابات اللاحقة في الهند.

أما أقدم الآثار التي وصلتنا بالحروف الهندية المعروفة، فترجع إلى المراسيم المشهورة التي أمر الملك أشوكا (271-231ق.م) بنقشها على الحجر، وأن كانت الكلمة المكتوبة في الهند لم تكن تتمتع بذلك القدر من الاعتبار سواء حين كان يستعمل هذان النوعان من الكتابة، أو حتى حين ظهرت لاحقا أنواع أخرى من الكتابة، نجد أن الطريقة الرئيسية لانتقال النصوص الدينية والأدبية والعلمية من جيل لآخر هي المشافهة[1]، مما أدى إلى ضياعها، فقد أدت الحروب الكثيرة التي شهدتها بلاد الهند إلى ضياع الكتب وفقدها في مكتبات المعابد وقصور الأغنياء.

وكانت هناك شريحة من أفراد المجتمع الهندي تعمل بنسخ الكتب، وكان الرهبان في المعابد يمارسون هذا العمل أيضًا.

وكان الهنود في جنوب شبه القارة الهندية، يستخدمون لحاء أشجار النخيل، الذي لم يكن يصمد في وجه الزمن، أما في الشمال الهند فقد كانت تستخدم للكتابة القشرة الرقيقة البيضاء لشجرة البتولا، وعلى هذا النوع أيضًا لم تصمد طويلاً، بسبب مناخ الهند الرطب[2].

وأن كان تعمد بعض أمراء الهند النقش على الحجر، ليضمنوا بقاء نقوشهم على مر العصور. وفي بيوت الراجات والأغنياء، كانت الكتب تكتب على ألواح رقيقة من الذهب والفضة، ويظهر ذلك فقط في مكتبات القصور الملكية. أما وثائق الدولة فكانت تدون على ألواح من النحاس. وكانت أوراق الكتب عادة تربط وتجمع[3].

---

[1] ألكسندر سيتبتشفيتش: تاريخ الكتاب، تر محمد الأرناؤوط، عالم المعرفة ، الكويت ، 1993، ص51.

[2] نفسه ، ص52.

[3] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: بلاد الهند ، المرجع السابق ، ص299.

أما بالنسبة للمكتبات في الهند القديمة، ما هي إلا سوى مجموعات من الكتب في المعابد العائدة لديانات مختلفة، ثم في قصور الحكام، وكل هذه المكتبات، مكتبات متواضعة سواء من حيث عدد الكتب فيها أو من حيث مواضيع هذه الكتب[1].

عندما فتح العرب للهند ثم جاء الغزنويون، وانتشر الإسلام، ازدادت الرغبة في دراسة العلوم الإسلامية والعربية والحضارة الإسلامية، فأقبل المسلمون الهنود الذين تزايد عددهم تدريجيا على قراءة الكتب الإسلامية، بينما أهملوا الكتب الهندوسية والبوذية لما تتضمنه من معلومات وثنية، وحل الكتاب الإسلامي محل الكتاب الهندي في سلطنة دهلي[2]. فقد عرف المجتمع الإسلامي قدر العلم ومكانته، فهيأ له وسائله وأخذ بأيدي أهله إلى أعلى درجات، وليس عجبًا أن يسارع المسلمون إلى المكتبات، وحوانيت الوراقين، ومؤسسات التعليم مادام الإسلام قد فتح أبواب العلم أمام المسلمين جميعا، وحث على التعلم وجعل العلم أساسا في رفع الدرجات، وإن كان كل ذلك لمما يدهش له الباحثون من غير المسلمين، بالتراث الفكري لأمة الإسلام[3].

فشهدت الهند نهضة علمية كبيرة في الفنون والآداب والطب والهندسة والرياضيات في العصور الوسطى، وانتشرت المدارس وتزايد عدد طلاب العلم، فأصبح للكتاب أهمية كبرى لتلبية حاجات أساتذة العلم وطلاب المعرفة، فضمت المدارس والجامعات مكتبات تضم أعداد كبير من الكتب[4].

وأحضر المسلمون الورق إلى الهند، الذي جاء من الصين إلى آسيا الوسطى ومنه إلى الهند، وقد ساهم مساهمة فعالة في نمو العلم والثقافة، ولم يعد المؤلفون يجدون صعوبة في تصنيف الكتب[5].

---

[1] ألكسندر سيتبتشفيتش: المرجع السابق، ص53.

[2] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص297.

[3] محمد عجاج: لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ط19، 1422هـ/2001م، ص45.

[4] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص297.

[5] ألكسندر سيتبتشفيتش: المرجع السابق، ص298.

كما قام المسلمين بتطوير الفكر والثقافة في الهند، فظلت عملية نسخ الكتب على ما هي عليه، لكن تغير مضمون الكتاب، فتضمن النسخ، نسخ مصاحف القرآن الكريم، وتجليدها تجليدًا فاخرًا، ونسخ الأحاديث النبوية، وكتب الفقهاء المسلمين العربية، وكتب التاريخ الإسلامي وغيرا من ألوان ثقافة الإسلام[1].

المراكز التعليمية:

كانت سلطنة دهلي الاسلامية تمتلك أفضل المراكز التعليمية في كافة حقول المعرفة، وكان هناك المئات من المساجد و المدارس والمعاهد العلمية المنتشرة بها.

المساجد:

كان ولا زال للمسجد مكانة بارزة في تاريخ الاسلام، فعلاوة على الغرض الأصلي وهو إقامة الصلاة، وعبادة الله سبحانه وتعالى، والوعظ والتهذيب والتثقيف، أقيمت المساجد وغمرت في كل مكان فيه دعوة الاسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا، وكانت مركزا للشعائر الدينية ففيه تدرس جميع العلوم العقلية والنقلية، وأصبح بمثابة مدرسة يقصدها جميع طلاب العلم. [2] حيث كان يقام في معظمها حلقات الدرس والتعليم والتحكيم بين الناس وفض المنازعات وفي بعضها حفظ أموال المسلمين.

وتبعا للأغراض الدينية والتعليمية المتعددة، تعددت المنشآت لتشمل الجوامع الكبرى والمساجد المدارس والخانقوات والكتاتيب[3].

كان المسجد أو الجامع هو المكان الذي يفد إليه الطلاب للاستماع إلى الأساتذة الكبار، وكان المسجد مركز المحاضرات والتدريس والإملاء، فقد كان المسجد هو الجامعة المصغرة في المدن والقرى في عصور الإسلام الوسطى، وقد أصبح المسجد أو الجامع على مر الزمن مركزًا

---

[1] المرجع السابق، ص46..

[2] حسين محمد كمال : انتشار الاسلام وأشهر مساجد المسلمين في العالم ،دار الفكر ، القاهرة ، 1976، ص 30

[3] مصطفى عبد الله شيخه: الآثار الإسلامية في مصر "من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوني"، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، (1413هـ/1992م)، ص13.

تعليميًا، فلم يخلوا مسجدًا من خطيب أو إمام أو أحد العلماء للاستفسار منه عن المعنى الصحيح لآية في القرآن أو حتى عن قراءتها الصحيحة، فيأخذ العالم في الشرح[1].

وفي المسجد كانت حلقات الدرس تعقد لتعليم كافة دروب وفنون العلم، ولم يقتصر التعليم بالمسجد على علوم القرآن والسنة والشريعة واللسان والطبيعة، ولكنه امتد أيضًا لتعليم الطب والهندسة والرياضيات والفلك والكيمياء وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم (من دخل مسجدنا هذا ليعلم خيرا أو ليتعلم كان كالمجاهد في سبيل الله)[2].

فقد شهدت السند والملتان خلال الأربعين سنة التي خضعت فيها لحكم الأمويين من 92هـ/132هـ: 710م/749م اهتمامًا من قبل الفائحين بإنشاء المساجد في المدن، وعينوا لها الأئمة والقضاة والدعاة بهدف التعريف بالإسلام وعلومه ونشره بين الناس، فكانت المساجد في العصر الأموي من أكبر معاهد الدرس والتعليم، فقد كان الأئمة والعلماء يشرفون على أداء الفرائض الدينية في تلك المساجد، ويقومون بالتدريس لأولاد المسلمين، ونشر العلوم الإسلامية بين أهالي بلاد السند، فوضع هؤلاء مناهج التعليم الإسلامي، واهتموا ببرامج العلم والثقافة[3].

ووجدت العديد من المساجد المنتشرة في الهند، تمثل معلما من معالم تاريخ المسلمين وحضارتهم في شبه القارة الهندية، وعند قيام الفتوحات الاسلامية كان بناء المساجد من أهم الاعمال التي حرص عليها القادة لنيل الثواب، وقد إقتدى حكام سلطنة دهلي بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وسلف الأمة في بناء المساجد في كل بلاد الهند، حتى أصبح في كل مدينة خاضعة للحكم الاسلامي إلا وفيها مسجدا

ومن أشهرها:

مسجد قوة الاسلام: من أشهر المساجد التي بنيت بالهند والذي إكتمل بناؤه سنة 589هـ/1192م، في عهد قطب الدين أيبك، وقد تم بناءه وفق نظام معماري جديد على الهند

---

[1] آصف بن علي أصفر فيظى: الدراسات الإسلامية في الهند، شركة سليمة للطبعة والنشر، (1375هـ/1955)، ص7-8.

[2] المساجد "العمارة والتاريخ والرسالة"، إعداد مجلة الفيصل، 1398هـ/أغسطس 1978م، العدد الخامس عشر، ص101.

[3] عبد الله مبشر الطرازي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب، جدة، عالم المعرفة، (1403هـ/1983م)، مجلدان، ج1، ص391-392.

أحضره الفاتحون معهم من موطنهم الأصلي تركستان مع ظهور بعض ملامح العمارة الهندية المحلية[1]، وجمع السلطان قطب الدين أيبك مواد بناء هذا المسجد من سبعة وعشرون معبد هندوسي وجيني[2]. وفي سنة 1210-1220قام بتوسيع الجامع بمساحة ضاعفت مساحته أكثر من ثلاث مرات[3]، في عهد السلطان إيلتمش، خليفة السلطان قطب الدين أيبك، فقد شعر أن المسجد ضيق على المصلين، فأعطى أمرا بتوسيعه من الجانبين الشمالي والجنوبي[4]، وقد قام السلطان علاء الدين خلجي ثاني سلاطين الدولة الخلجية بالهند ببعض الزيادات والتوسعات في مسجد قوة الإسلام وكان ذلك سنة 710هـ/1311م، وتعتبر هذه الزيادة أكبر الزيادات التي تمت على المسجد، فقد شملت توسيع المسجد من جهة الشمال والشرق، ومن الضلع الغربي الموجود به ظلة القبلة[5].

ويوجد العمود عند الباب الشرقي للمسجد، وتم وضع صنمان كبيران جدا من النحاس مطروحان بالأرض، قد الصقا بالحجارة، ويطأ عليهما كل داخل إلى المسجد أو خارج منه، وكان موضع هذا المسجد (بد خانه) وهو بيت الأصنام[6]. وقد أضاف علاء الدين خلجي أيضًا لمسجد قوة الإسلام بوابة ضخمة تعد تحفة معمارية في الجهة بالجنوبية الغربية من المسجد[7]، سمى (الباب العلائي)[8].

جامع أجمير: بعد ان تم الفتح الاسلامي لأجمير، واستقر الحكم الاسلامي فيها، قرر السلطان قطب الدين تشييد ذلك الجامع إلا أن بناءه لم يكتمل إلا في عهد السلطان شمس الدين ألتمش، وقد تم تشييده على نفس النهج المعماري لمسجد قوة الاسلام، حيث بني على قاعدة من

---

[1] محمد نجيب : المرجع السابق ، ص 134

[2] Stephen p. Blake : Shahjahanabad The soverign city in Mughal India, 1639-1739, New Delhi, 1993, p9.

[3] حسين مؤنس: المساجد، عالم المعرفة ، الكويت ، 1981، ص249.

.[4]Page (Sir J.A) :op.cit, p8

[5] أحمد رجب محمد علي: تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند، ص40.

[6]ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2، ص18-19

[7] محمد عبد العزيز: المرجع السابق، ص41.

[8] السيد جمال الدين: صناعة العمارة الهندية-الإسلامية "هدفها وأسلوبها وجمالها"، ص133.

الاحجار المقطوعة من الجبال، أما سطحه فهو عبارة عن سلسلة من الابراج الدائرية المقببة وتركيب بناءه يشبه قلعة عسكرية صغيرة [1].

وقد تطرق ابن بطوطة في طريقة التدريس بالمسجد عندما زار مسجد جاوه الكبير والتقائه بقاضي الجزيرة وهو الشيخ امير علي الشيرازي، وكذلك بالفقيه تاج الدين الاصبهاني وكانا يدرسان الفقه على المذهب الشافعي في مسجدها وكان يجلس الفقيه ويكون حوله عشرة من طلاب يسمعون ما يرويه من علوم [2].

مسجد خيزرخان (721هـ/1321م):

منشئ هذا المسجد هو الأمير خيزرخان ابن السلطان علاء الدين خلجي، يقع المسجد بمنطقة نظام الدين بدهلي إلى الغرب من ضريح نظام الدين.

المسجد عبارة عن مربع طول ضلعه نحو 20مترًا، والواجهة الرئيسية للمسجد في الواجهة الشرقية حيث المدخل الرئيسي، وهو عبارة عن فتحة معقودة بعقد مدبب يزخرفه أشكال وريدات ملبسه بالرخام الأبيض على الحجر الأحمر، ويحيط بكتلة المدخل شريط من الآيات القرآنية بخط النسخ. ويعلو هذه الواجهة شرفات على شكل الورقة النباتية الثلاثية، أما باقي الواجهات فخالية من الزخارف ويعلوها شرفات مثل التي تعلو الواجهة الشرقية، ويتميز هذ المسجد بوجود منبر ذو طراز فريد، يعد هذا المنبر من أجمل منابر الهند، وهو من الرخام الأبيض[3].

المسجد الجامع بقلعة فيروز شاه تغلق (759هـ/1360م):

المسجد الكبير الذي أسسه السلطان فيروز شاه تغلق فوق تلة من الأحجار المنحوتة أبدع تحت[4]، حيث أرضية المسجد مرتفعة نحو 7أمتار عن أرضية القلعة، يوجد هذا المسجد داخل

---

[1] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 41

[2] نفسه ، ص 115

[3] أحمد رجب محمد علي: المرجع السابق، ص47، ص49.

[4] عبد الحي الحسني الندوي: الهند في العهد الإسلامي، المرجع السابق، ص180.

أسوار قلعة فيروز شاه تغلق، وقد أنشئ هذا المسجد ليكون المسجد الجامع لقلعة فيروز شاه تغلق. ولم يتبق من هذا المسجد سوى أسواره الخارجية[1].

مسجد بيجمبروري (746هـ/1345م):

يوجد مسجد بيجمبروري بقري بيجمبروري على بعد 15كيلو مترًا من دهلي، منشئ هذا المسجد هو الأمير خان جهان جانان[2] رئيس الوزراء في عهد السلطان فيروز شاه تغلق 746هـ/1345م، والمسجد عبارة عن مستطيل أبعاده 94مترًا في 90مترًا، يتكون المسجد من صحن أوسط مكشوف أبعاده 75مترًا في 78مترًا، يحيط بالصحن أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة في الجهة الغربية، وتتكون من ثلاث بلاطات[3]، أما باقي الظلات فكل ظلة تتكون من بلاطة واحدة. وللمسجد ثلاث مداخل محورية المدخل الرئيسي في الجهة الشرقية[4].

---

[1] أحمد رجب محمد علي: المرجع السابق، ص51.

[2] **خان جهان جانان:** كان والده كاتو هندوسياً، أعتنق الإسلام في عهد السلطان محمد تغلق، فألحقه ببلاطه هو وولده، أستمر خان جهان وزيراً للسلطان فيروز شاه مدة العشرين عاماً.

Rani (Abha) : Tughluq Architecture of Delhi, New Delhi, 1991, p31.

[3] البلاطات: مفردها بلاطة، يراد بها المساحة المبلطة الممتدة بين حيطان المسجد وسواريه، حيث يقف المصلون، فكل مستطيل بين أعمدة المسجد يسمى بلاط ويقال بلاطة. سليم النعيمي: ألفاظ من رحلة ابن بطوطة، ص39.

[4] أحمد رجب محمد علي: تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند، ص54.

مسجد خير كي (753هـ/1352م):

يوجد هذا المسجد شمال دهلي في قرية خير كي، ومنشئ هذا المسجد الأمير خان جهان جانان شاه رئيس الوزراء في عهد فيروز شاه غلق. تشمل ساحة المسجد أربعة صحون، كل صحن مربع طول ضلعه عشرة أمتار، وبقي مساحة المسجد فمغطاة بقباب صغيرة تستند على عقود مدببة.

ومن الظواهر الملفتة للنظر في هذا المسجد: تعدد الصحو، التغطية بالقباب الصغيرة، المسجد يتكون من طابقين، يكثر به النوافذ، والمداخل البارزة[1].

مسجد كالان (763هـ/1360م):

يوجد هذا المسجدة بمنطقة نظام الدين بشمال دهلي، وبالقرب من ضريح الشيخ نظام الدين. منشئ هذا المسجد هو خان جهان جانان شاه رئيس الوزراء للسلطان فيروز شاه تغلق، وقد أنشأه مع سبعة مساجد أخرى، منها مسجد خير كي ومسجد بيجمبوري.

جرت على هذا المسجد بعض التجديدات، أهمها بناء البوابة الشرقية (الرئيسية) على يد ابنه جنان شاه مقبول 772هـ/1370م[2]، فقد توفي خان جهان، ولقب ابنه الأكبر (خوبانشه) بلقب خان جهان، وتقلد منصب والده[3].

وقد سجل هذه التجديدات في لوحة تأسيسه على المدخل الشرقي للمسجد. ويتكون المسجد من مساحة مربعة، في أركانها الأربعة أربعة أبراج، ويشمل المسجد من الداخل على أربعة صحون مستطيلة متساوية في المساحة، وباختصار المسجد يكاد يكون صورة من مسجد خير كي المعاصر له، وان كان هناك بعض الاختلافات في عدد الأورقة[4].

---

[1] نفسه ، ص57، ص59.

[2] المرجع السابق، ص59-60.

[3] نظام الدين أحمد بخشى الهروي: طبقات أكبري، ج1، ص192.

[4] أحمد رجب : المرجع السابق، ص60.

المدارس:

اعتنى حكام سلطنة دهلي ببناء المدارس في معظم انحاء الهند، وقد اثمرت هاته العناية والجهود في بروز عدد كبير من العلماء والدعاة والقضاة، حملو لواء الدعوة، والتدريس، والتأليف، مما كان له الأثر الكبير في ازدهار الحياة الثقافية في الهند.وفي العهد الإسلامي حلت المدارس محل الجامع في ميدان التعليم[1]، فلم تعرف المدارس زمن الصحابة والتابعين، وأول من بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور، وأشهر والمدارس المدرسة النظامية[2]، والمستنصرية في بغداد في عام 1234م[3].

وقد لاحظ ابن بطوطة في رحلاته في بلاد الهند كثرة المدارس بها، وذكر أنه رأى بإحدى المدن ثلاثة عشر مكتبًا لتعليم الفتيات، وثلاثة وعشرين لتعليم الأولاد وأن النساء في الهند أقبلن على التعليم باهتمام بالغ خاصة العلوم الدينية[4]، ووصل عدد المدارس في دهلي في عهد السلطان محمد شاه تغلق ألف مدرسة، سائرها للحنفية، ومدرسة واحد للشافعية[5].

أشهر المدارس في سلطنة دهلي:

المدرسة المعزية: بمدينة دهلي كانت بجوار الجامع الكبير، وكان بناؤها في غاية الحصانة والارتفاع، وهي المدرسة التي بناها السلطان (قطب الدين أيبك) تخليدا لذكرى السلطان الغوري (شهاب الدين الغوري) الملقب بمعز الدين[6]، ومن أشهر من درس بهذه المدرسة الشيخ الفقيه الزاهد إسحاق بن على البخاري، وقد درس وأفاد مدة طويلة في المدرسة المعزية[7]. وقد أسست في مدينة بديوان مدرسة تحمل نفس الاسم (المدرسة المعزية)، وقد أسسها السلطان شمس الدين

---

[1] عبد الرحمن العكيدي: المرجع السابق، ص95.

[2] المدرسة النظامية: أشهر المدارس في بغداد، أسسها نظام الملك وزير السلطان السلجوقي ملكشاه سنة 457هـ. عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: تاريخ الإسلام وحضارته، ص387.

[3] عبد الحي الحسني الندوي: الهند في العهد الإسلامي، المرجع السابق ، ص356.

[4] ابن بطوطة: المصدر السابق، ص564.

[5] أبو فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج3، ص49.

[6] عبد الحي الحسني الندوي: الهند في العهد الإسلامي، ص358-359.

[7] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج1، ص95.

إيلتمش سنة 620هـ/1223م[1]، ومن أول وأشهر من درس بها الشيخ العالم الكبير خواجه زين الدين الأويسى البدايوني[2].

المدرسة الناصرية: بمدينة دهلي، كانت من أبنية السلطان (شمس الدين إيلتمش) بناها على اسم ولده (ناصر الدين) المتوفي في البنكَال 626هـ.

ولى عليها القاضي (منهاج الدين عثمان بن الجوزجاني) سنة 635هـ، في أيام السلطانة (رضية الدين بنت إيلتمش)[3].

مدرسة الحوض: التي بنيت في عهد السلطان جلال الدين فيروز شاه الخلجي سنة 692هـ/1293م[4].

مدرسة علاء الدين خلجي: تم أنشأ هذه المدرسة 710هـ/1311م، توجد المدرسة بالجهة الجنوبية الغربية من دهلي في أطراف المدينة بمنطقة (قطب منار) إلى الجنوب الغربي من مسجد قوة الإسلام، وتتكون المدرسة من ضريح السلطان علاء الدين خلجي، وقاعات للدرس، وملحق بالمدرسة غرف لإقامة الطلاب، وكانت هذه المدرسة مخصصة لدراسة العلوم الدينية والحديث الشريف والفقه الإسلامي[5].

ومن أشهر من عمل بمدرسة علاء الدين الخلجي، مولانا تاج الدين الكلاهى، المدرس المشهور في عهد السلطان علاء الدين الخلجي[6].

مدارس سوستان: فقد انتشرت العديد من المدارس العلمية في منطقة سوستان التابعة لولاية السند، فعندما زار الرحالة المغربي ابن بطوطة المنطقة في عهد السلطان محمد شاه تغلق، قام

[1] أحمد محمد الجوارنه: الهند في ظل السيادة الإسلامية، ص192.

[2] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج1، ص122.

[3] عبد الحي الحسني الندوي: الهند في العهد الإسلامي، ص359.

[4] آصف بن علي أصفر فيظى: الدراسات الإسلامية في الهند، ص26.

[5] أحمد رجب محمد علي: سلسلة الآثار في شرق العالم الإسلامي "تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند"، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1997، ج1، ص43، ص46.

[6] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج2، ص148.

بزيارة هذه المدرسة 734هـ/1333[1]، وقال ابن بطوطة: نزلت بتلك المدينة (سيوستان)، بمدرسة فيها كبيرة، وكنت أنام على سطحها[2].

المدرسة الفيروزية: بناها السلطان فيروز شاه تغلق سنة 755هـ، وقد بنيت على الحوض الخاص بدهلي[3]، وقد عنى بعمارها، فهي متعددة الحجرات، بها عدة مجالس وأعمدة مرصوصة، محاطة بحدائق، وكان من يقيم في هذه المدرسة ينسى موطنه، وكانت هذه المدرسة منبع الخيرات والحسنات، فكان يختم بها القرآن للحافظين كل يوم، وتقام فيها الصلوات المفروضة والنوافل[4].

ومن أساتذتها الكرام مولانا جلال الدين الرومي الذي كان أستاذًا عظيمًا، وكان يدرس العلوم الدينية، فيعلم التفسير والحديث والفقه، والذي تولى التدريس في عهد السلطان فيروز شاه التغلقي[5].

المدرسة العظيمة في قصر بلابند سيري: وكانت أيضًا من أبنية هذا السلطان، وهذه المدرة التي بناها عند قبر ولده فتح خان 776هـ/1374م[6].

مدرسة تولا نبي: أسست هذه المدرسة بأمر من السلطان سكندر لودي الأفغاني، وخصصها للشيخ عبدالله تولا نبي، والذي اشتهرت المدرسة باسمه، ويعتبر من كبار العلماء والأدباء المشهورين في الهند، عين مديرًا للمدرسة، ومنحه السلطان لقب ملك العلماء، ودرس فيها المنطق والفلسفة[7].

المدرسة الكبيرة: للشيخ سماء الدين الملتاني، المتوفي 901هـ، درس بهذه المدرسة مدة طويلة، ثم درس بها أحفاده مثل فتح الله، وعبد الغفور، والمفتي جمال الدين أبناء الشيخ نصير الدين بن سماء الدين، وقد انتفع بهذه المدرسة خلق كثير.

---

[1] عبد الحي الحسني الندوي: الهند في العهد الإسلامي، ص357.

[2] رحلة ابن بطوطة، ص418، (ط.ب).

[3] عبد الحي الحسني الندوي: الهند في العهد الإسلامي، ص359.

[4] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، المرجع السابق ، ص477.

[5] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، المرجع السابق ، ج2، ص150.

[6] عبد الحي الحسني الندوي: الهند في العهد الإسلامي، المرجع السابق ص359.

[7] نفسه ، ص359.

المدرسة الزينية: بآكرا، كانت الشيخ زين الدين الخوافي، المتوفي 930هـ، وقد بنى مسجدًا كبيرًا عند المدرسة، ودفن الشيخ بالمدرسة[1].

التعليم في الكتاتيب:

ولا تكاد تخلو قرية أو مدينة من مدرسة أو اكثر لتعليم الأطفال ذكورا أو إناثا، ويعود سبب إنتشار الكتتاتيب الى المجتمع الاسلامي، الذي ينظر الى التعليم الأولي على انه واجب ديني، وتبدا الدراسة في الكتاتيب عادة من سن الرابعة، ويتعلم الطالب المواد الدينية الضرورية لمعرفة الصلوات الخمس، والوضوء، والتوحيد، وحفظ القرآن الكريم، كما يتعلم القراءة والكتابة باللغة الفارسية، كما يحفظ بعض القصائد التي تحتوي بالثناء على الله والتي تنمي محبة الرسول صلى الله عليه وسلم، والوالدين، وفي بعض الكتاتيب يتعلم الطفل مبادئ اللغة العربية والرياضيات [2].

الخانقاوات:

الخانقات كلمة فارسية بمعنى مكان للعبادة، وهي نوع من المباني الدينية في العمارة الإسلامية، تتميز بطول إقامة القائمين بداخلها خاصة المتصوفة في الإسلام، ولها تخطيط معين ضمن منشآت العمارة الإسلامية من صحن مكشوف يحيطه أربعة إيوانات غالبًا، مع تخصيص حجرات لسكنى المتصوفة بها، بالإضافة إلى ملحقات ثانوي أخرى تتفق وحجم ومساحة الخانقاة وأعداد المتصوفة بها، وكذلك منشئ الخانقاة، ومن هذه الملحقات ضريح ومطبخ وحمام وحوض للدواب ومدفن للصوفية ومكتبة وفسقية للوضوء. وقد تكون من طابق واحد أو من عدة طوابق، وقد ظهر هذا النظام في بداية الأمر في إيران في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وكان يتم فيها تدريس العلوم والمذاهب الدينية، لذا هناك تشابهًا معماريًا كبيرًا بين تخطيط المدرسة وتخطيط الخانقاة[3].

---

[1] نفسه ، ص360.

[2] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 564

[3] مصطفى عبد الله شيحه: الآثار الإسلامية في مصر "من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي"، ص20.

كان أهل الطرق الصوفية الذين يخرجون بالمتاجر إلى الهند، يعمدون إلى بناء الزوايا في كل موضع يصلون إليه، فلا يلبث الموضع أن يصير بلدًا إسلامياً، وكانت هذه أيضًا طريقة تجار المسلمين فيما يلي بلاد الهند شرقًا، فقد كان جماعات تجار المسلمين إذا تكرر نزولهم في موضع ابتنوا مسجدا ليكون مكان تجمع لهم، فلا يلبث أهل الموضع أن يقبلوا على الجامع ويدخلوا في الإسلام، وطرق التجارة كانت طرق إسلام في آسيا. وكانت تلك الزوايا المتواضعة طلائع الزحف الإسلامي[1].

وقد أهتم سلاطين دهلي بتلك الخانقاوات، ففي عهد السلطان فيروز شاه تغلق، كانت الخانقاوات مهجورة في دهلي والأطراف، فامتلأت بفضل بر السلطان بالصوفية والعباد والزهاد الذين يقضون أوقاتهم في دراسة الدين[2].

كما كانت تمنح القري من قبل سلاطين، للصرف من ريعها على الخانقاوات، فقد أعطى السلطان محمد شاه تغلق مائة قرية لخانقاه على الطريقة السهرودية بالملتان، وبهذا نجح في السيطرة على تلك الخانقاه، لوقوعها بالملتان التي كانت مركزًا مهمًا لسلاطين دهلي بسبب موقعها الجغرافي ودورها السياسي والحضاري[3].

ولم يكن أهل السلوك والزاهد من المشائخ المنعزلين يقصرون معني العبادة على مجاهدة النفس والرياضة وممارسة الأوراد، وإنما كانوا يجعلون نصب أعينهم الجمع بين تلقين الطريقة وتعليم الشريعة، والظاهر والباطن. فما من زاوية منها إلا يحتضن جمًا غفيرًا من عطاشى السلوك والعلوم الباطنة، بجانب طلبة العلوم الظاهرة[4].

---

[1] حسن مؤنس: المساجد، المرجع السابق ، ص35-36.

[2] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص477.

[3] صاحب عالم الأعظمى الندوي: علاقة الصوفية الجشتية والسهرودية مع سلاطين دهلى، نيو دلهي، مجلة ثقافة الهند، 2013م، المجلد 64، العدد2، ص154.

[4] سيد محبوب الرضوي الديوبندي: المدارس في الهند، تر محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري، الهند، مجلة الداعي الشهرية عن دار العلوم ، 1433هـ/2012م، العدد8.

ومن أشهر الخانقاوات في دهلي الخانقاة الشيخ نظام الدين أوليا، فقد كانت تتجه الخلائق من الخامس إلى العاشر من محرم من الأطراف إلى دهلي، لحضور المجالس ومشاهدة الوجد والحال لأهل الله[1].

ومع توالي السنين وتزايد الفتوح الإسلامية وامتلاك المسلمين القيادة الإدارية في شبه القارة الهندية، كانت الحركة العلمية والتعليمية تزداد، وكان مراكزها الجوامع، والحلقات التي يعقدها العلماء فيها، أو في دورهم، أو في دور، أهل الغنى والأعيان ذوي الحرص على ابتغاء مرضاة الله من المسلمين[2].

أما العلوم الأخرى كالطب والرياضيات والكيمياء والفلك الفلسفة والطبيعيات، فقد كانت موجودة، ولكن عمل المسلمون على الاستفادة منها، وعلى دفعها شطر التقدم والارتقاء، مع الاهتمام بتنقيتها من الأخطار والأغاليط والأوهام، ولا سيما ما يخالف منها الحقائق الدينية[3]، لذلك عندما قامت الخلافة العباسية، وأصبحت بغداد حاضرة الدولة الإسلامية، وجهت عناية كبرى للكتب الفارسية وكتب الثقافة الهندية، وحاول العلماء العرب الاستفادة بجهود علماء شبه القارة الهندية في تلك الميادين العلمية المختلفة[4].

وكان من الطبيعي أن ينال العلم كل هذا الاهتمام، فقد أصبح العديد من البلدان سكانها من المسلمين، وهم في حاجة إلى معرفة كل ما يتعلق بعقيدتهم وإسلامهم واللغة العربية، فالمنصورة كان كل سكانها من المسلمين، ومدينة الملتان الأغلبية العظمى من سكانها مسلمون، وعرفت الديبل بانتشار اللغة العربية بها مع العناية بتبليغ وتدريس العلوم الإسلامية، ومدينة قنوج في أقصى بلاد السند عرفت بأنها تضم الكثير من مشاهير العلماء، وفي القرن الثالث الهجري/التاسع

---

[1] نظام الدين بخشى الهروي: طبقات أكبري، ج1، ص145..

[2] عبد الرحمن حنبكة الميداني: المرجع السابق، ص614.

[3] المرجع السابق، ص613.

[4] عبد الله مبشر الطرازي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب، جدة، عالم المعرفة، (1403هـ/1983)، مجلدان، د1، ص394-395.

الميلادي كانت هناك مدناً عرف أهلها جميعًا بإسلامهم واهتمامهم بالمسائل الدينية والتعليمية مثل مدينتى البيلمان وسرستى في وسط السند[1].

وكانت اللغة العربية في بلاد السند حتى أوائل القرن الخامس الهجري هي اللغة الرسمية المستعملة في الدواوين الحكومية، ودور القضاء، والمدارس، والمعاهد الأسواق التجارية الكبيرة، وكانت لغة الطبقة العالية من الوجهاء والعلماء والخواص من أهل السند والملتان.

ولكن عندما انتقل الحكم إلى الغزنويين المسلمين الذين يتكلمون الفارسية، روجوا اللغة الفارسية، وبذلك صارت الفارسية في تلك البلاد هي لغة العلم والتعليم والثقافة طوال عدة قرون[2].

وحين استقر السلطان "محمد الغوري" أنشأ المساجد والمدارس، على غرار الطريقة المعروفة في مختلف البلدان التي تخضع لسلطان المسلمين، إذ كانوا يوجهون اهتمامهم الأكبر للعلم والتعليم ونشر تعاليم الإسلام ودعوة الناس إلى دخول في دين الله الحق[3].

وقد رحبت دهلى وغيرها من الإمارات الإسلامية بشبه القارة الهندية بالعلماء والأدباء الوافدين إليها من أماكن راجت فيها أنواع العلوم والثقافات الإسلامية، والذين لم ينقطع قدومهم إلى بلاط دهلى.

وكانت لغة التأليف والكتابة عند علماء المسلمين بالهند هي الفارسية، فقد نبغ فريق منهم في الكتابة بالسنسكريتية نفسها كذلك[4]، فكانت النتيجة أن أبدع علماء الهند المسلمين في رفد المعرفة الإنسانية بصنوف متنوعة من المعارف والعلوم والآداب، وكان لهم نصيب في تدوين المعرفة والفنون، فنجد كم كبير من المؤلفات العلمية بمختلف الميادين، الأمر الذي عكس حالة التطور

---

[1] المرجع السابق، ص396-397.

[2] عبد الرحمن حنبكة الميداني: الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم،دار القلم ، دمشق ،1998، ص615-616.

[3] المرجع السابق، ص618.

[4] أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، المرجع السابق ،ج1، ص260.

والازدهار العلمي في الهند في عصر دول المسلمين، فأصبح التراث الإسلامي في الهند غنى وثري بكثرة ما أبدع وابتكر العلماء، وأثروا بجهدهم حضارة الإسلام[1].

لم يترك علماء الهند بابًا يفضى إلى المعرفة والتطور إلا ودخلوه من أوسع أبوابه، فقاموا على نقل التفاسير القرآنية من اللغة العربية إلى الفارسية والأوردية، وأحيانا إلى اللغة الهندية، كذلك نقلوا كتب الحديث وعلومه، وكتب الفقه وعلومه.

العلوم النقلية:

أخذت المكان الأول بين العلوم لارتباطها بالإسلام، وهي دراسة دينية حول القرآن والحديث، وقد عرفت العلوم الدينية بالعلوم الشرعية أو النقلية، وذلك لأنها مستمدة من الدين أو منقولة عنه. وتشمل العلوم الدينية على: التفسير والفقه وأصوله والحديث وعلم الكلام والتصوف[2].

علوم القرآن الكريم و التفسير:

هو العلم الذي يهتم بتفسير القرآن الكريم[3]، فهو علم باحث عن معنى نظم القرآن الكريم، بحسب الطاقة البشرية، وما تقتضيه القواعد العربية، ومبادئ العلوم العربية، وأصول الكلام، وأصول الفقه، والجدل، وغير ذلك من علوم جمة. فالغرض منه معرفة معاني الآيات، واستنباط الأحكام الشرعية، والاتعاظ بما فيه من القصص والعبر، والاتصاف بما يتضمنه من مكارم الأخلاق، إلى غير ذلك من الفوائد التي لا يمكن تعدادها لأنه بحر لا تنقضي عجائبه[4].

ولأهل الهند مصنفات كثيرة في التفسير وما يتعلق منها (البحر المواج) للقاضي شهاب الدين الدولة آبادي بالفارسي، وهو في عدة مجلدات، اعتنى فيه بيان التراكيب النحوية ووجوه الفصل

---

[1] أحمد محمد الجوارنه: الهند في ظل السيادة الإسلامية، المرجع السابق، ص196.

[2] عصام الدين عبد الرؤوف الفقى: تاريخ الإسلام وحضارته، المرجع السابق، ص381.

[3] نفسه ، ص381.

[4] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، ص161.

والوصل[1]، كان عالماً في الفقه والأصول والعربية، درس وافاد في دهلى زمن السلطان علاء الدين خلجى[2].

وقد كان الشيخ الفاضل علاء الدين المقرئ الدهلوي، من أوائل من ذكرتهم مصادر تراجم علماء الهند ممن برعوا في القراءة والتجويد، حيث يذكر صاحب "نزهة الخواطر"، أنه كان أحد العلماء البارزين في هذا العلم، وقد درس وأفاد بدار الملك دهلي في عهد السلطان "علاء الدين الخلجي"(695-715هـ)/(1296-1316م).[3]

أما الشيخ العالم المجود "زكي الدين المقرئ الدهلوي" فقد كان أحد الأساتذة المشهورين في القراءة والتجويد في الهند في القرن الثامن الهجري.[4]

كما كان الشيخ مخلص بن عبد الله الدهلوي (ت. 764هـ/1363م) من كبار علماء عصره في مجال علم تفسير القرآن الكريم ببلاد الهند، وقد صنف تفسيراً أسماه "كشف الكشاف"، وهو شرح

كتاب "الكشاف عن حقائق التنزيل"، للإمام "الزمخشري الخوارزمي"(538هـ/1143م).[5]

ومن أشهر علماء الهند في تلك الفترة الأمير الكبير "تاتارخان الدهلوي الأعظم"، الذي كان ربيباً للسلطان "غياث الدين تغلق شاه الأول"(720-725هـ)/(1320-1325م) الذي اقتناه ورباه في كنفه، ثم قربه إليه ولده وخليفته محمد تغلق شاه الثاني (725-752هـ)/(1325-1351م)، وولاه الأعمال الجليلة، حتى صار ركنا من أركان سلطنته، وقد وصف بأنه كان عادلاً، فاضلاً، شديد التمسك بالشريعة المطهرة، وقد سار إلى الحرمين الشريفين فسعد بالحج والزيارة، كما كان مقبلاً على العلم، مجالساً للعلماء ومحسناً إليهم، وقد كان له باع في مجال التفسير، فصنف كتاباً في التفسير أسماه "التاتارخاني"، كما كلف العالم الهندي "عالم بن العلاء الدهلوي" (ت.

---

[1] نفسه ، ص164.

[2] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، المرجع السابق، ج2، ص166.

[3] الهروي، طبقات أكبري، المرجع السابق، ج1، ص147

[4] الندوي، نفسه، ج2، ص47.

[5] حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مج2، ص1475-1484.

786هـ/1384م) بأن يصنف له كتابا أسماه "الفتاوى التاتارخانية"، وقد توفي في عهد السلطان فيروزشاه التغلقي (752-790هـ)/(1351-1388م).[1]

و(تبصير الرحمان وتيسير المنان في تفسير القرآن) بالعربية في أربعة مجلدات كبار للشيخ علاء الدين علي بن أحمد الشافعي المهائمي المتوفي 835هـ، وهو تفسير مفرد في حسن الإنشاء، وربط الآيات بعضها البعض[2].

وهناك (تفسير القرآن) للشيخ محمد بن يوسف الدهلوي ولد الشيخ 721هـ، وتوفي 825هـ. على لسان التصوف، و(تفسير القرآن)على نهج الكشاف[3]، وله تعليقات على خمسة أجزاء من الكشاف.

ومصنف (نور النبي) للشيخ حسين بن خالد بن نظام الدين الناكَوري[4]، ويحتوى هذا المصنف على ثلاثين جزءًا بقدر أجزاء القرآن الكريم، مشتمل على حل التركيب وتوضيح

المعاني، وقد توفي الشيخ حسين 901هـ[5].

أما الشيخ ضياء الدين عمر بن محمد السنامي، الذي ذكره صاحب نزهة الخواطر، في تراجم رجال القرن الثامن الهجري، فقد ذكر أنه كانت له يد بيضاء في تفسير القرآن الكريم وكشف حقائقه، ومن مصنفاته "تفسير سورة يوسف من القرآن الكريم" وكذلك "الفتاوى الضيائية".[6]

ثم الشيخ الفاضل الكبير القاسم بن عمر الدهلوي، الذي ولد ونشأ بمدينة دهلي، فحفظ القرآن الكريم وتتلمذ على يد العالم جلال الدين الدهلوي، فأخذ عنه الفقه والحديث، وقد صنف كتاباً في

---

[1] الندوي، المرجع السابق، ج2، ص18-19.

[2] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، ص164.

[3] نفسه ، ص 164

[4] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"،المرجع السابق ، ص164.

[5] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، المرجع السابق ، ج4، ص311.

[6] نفسه، ج2، ص97-98.

التفسير أسماه "لطائف التفسير" في تفسير القرآن، والذي وصفه صاحب سير الأولياء بأنه "يحتوي على اللطائف والأسرار".[1]

علم الحديث:

ونعني به ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل، وهو ذات علاقة قوية بالقرآن لأنه يفسر ما ورد في القرآن، وينسب للخليفة عمر بن عبد العزيز أنه أول من دون الحديث[2]، والحديث ثاني أدلة الأحكام. فعندما فتح محمد بن القاسم الهند، ودخلها أتباع التابعين ورجال من أهل بيت الرسول صلي الله عليه وسلم، مخافة الخلفاء من الأمويين وبنى العباس، وتتابع أهل العلم وسكنوا وتوالدوا وتناسلوا، وسافروا من بلد إلى بلد، وأخذوا الحديث ورووه بالحفظ والإتقان، وسارت بمصنفاتهم الركبان إلى الآفاق مدة أربع قرون.

ولما انقرضت الدولة العربية بالسند، وتغلب الملوك الغزنوية ثم الغورية فيما بعد، وتتابع الناس من خراسان وبلاد ما وراء النهر، صار الحدث فيها غريبًا عديماً. فقد غلب على الناس الشعر والنجوم والفنون الرياضية، وفي العلوم الدينية الفقه والأصول، وكانت قصارى نظرهم في الحديث في (مشارق الأنوار) للصغاني[3]، فقد وفد إلى الهند في عهد السلطان علاء الدين الخلجي محدث كبير من مصر شمس الدين الترك رغبة في نشر علم الحديث وبث معارف السنة فيها. ولذلك حمل معه أربعمائة مجلد من كتب الحديث وما يتعلق به، ولكنه عاد أدراجه عندما علم أن السلطان لا يحافظ على الصلوات الخمس وكل أحكامه منافيه للشرع[4].

ومن أشهر المحدثين في سلطنة دهلي. الشيخ حسن بن محمد الصغاني، ولد 575هـ، ومصنفاته في الحديث (مشارق الأنوار النبوية في الصحاح الأخبار المصطفوية) جمع فيه من الأحاديث الصحاح ألفين وستة وأربعين حديثا، و(مصباح الدجى في حديث المصطفي)، (الشمس

[1] محمد مبارك: سير الأولياء، طبع بدهلي، 1302هـ/1887م، ص57.

[2] عصام الدين عبد الرؤوف الفقى: تاريخ الإسلام وحضارته، المرجع السابق، ص382.

[3] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، المرجع السابق، ص131، ص135.

[4] مسعود الندوي: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، دار العربية ، بيروت ، 1951، ص17-18.

المنيرة)، وله مؤلف في اللغة في عشرين مجلدًا وهو (العباب الزاخر)، ولكنه مات قبل أن يكمله 650هـ[1].

ومن علماء الحديث الشيخ رضى الدين الصغاني البدايونى، سافر إلى الحرمين الشرفين ثم إلى بغداد. فقد حج وزار وصحب العلماء والمشايخ، وأخذ عنهم ثم رجع إلى الهند، ومات بـ(لاهور)، وله مصنفات في الحديث. ومن علماء الحديث الشيخ زكريا بن محمد بن على القرشى الأسدى شيخ الإسلام، ولد 578هـ. وقد سافر إلى الحجاز وأخذ الحديث عن مشايخها. توفي عام 666هـ[2].

وقد شرح الشيخ محمد بن يوسف الحسينى الدهلوى (مشارق الأنوار) على لسان المعرفة، كما ترجم المشارق بالفارسية[3].

أما الشيخ محمد بن علي بن الحميد السعيدي السوالي فريد الدين الناكوري، فقد وصف بأنه أحد كبار المشايخ في عصره، وقد ولد ونشأ بمدينة ناكور وقد أجازه والده في الحديث في ربيع الأول من عام 725هـ/1325م، وقد توفي بدهلي ودفن بها في عام 756هـ/1351م.[4]

للإمام الشافعي (150-204هـ/767-820م)، بسبب اختلاطهم بتجار الحجاز واليمن، أما المذهب المالكي والحنبلي فليس لهما عين ولا آثر بأرض الهند[5].

ولقد احتل هؤلاء المرتبة الأولى في تعداد من انتشغل من العلماء الهنود بالعلوم الدينية، ولعل الشيخ "نجم الدين الصغري" (القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي) هو أول من ذكر علماء الفقه الهنود، وهو الذي وصف بأنه الشيخ العالم الفقيه، وأحد الرجال المشهورين بالهند، وقد وتولى

[1] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر،المرجع السابق، ج1، ص105-107.

[2] المرجع السابق، ج1، ص120-121.

[3] المرجع السابق، ج3، ص277.

[4] الندوي، المرجع السابق، ج2، ص108-109.

[5] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، ص102-103.

شياخة الإسلام بها، وذلك في عهد السلطان شمس الدين ألتمش (607-633هـ)/(1210-1235م) وتوفي في عهده.[1]

و برز عدد كبير من علماء دهلي في الفقه أمثال: الشيخ (أبو بكر بن يوسف السجزي)، وقد كان أحد كبار العلماء البارزين في الفقه والأصول واللغة العربية، وقد درس وأفادة مدة طويلة في دهلى في عهد السلطان غياث الدين بلبن ومن قبله من الملوك[2].

الشيخ الفقيه (أحمد بن محمد الهانسوى)، وقد كانت له رسالة بالعربية سماها (الملهمات)، وديوان شعر بالفارسى، كما كانت له مصنفات منها (أسرار الأولياء) كما كانت له منظومة عربية في التصريف. توفي سنة 690هـ[3].

الشيخ الفاضل العلامة (برهان الدين البزار الحنفى الدهلوى)، وهو أحد كبار الفقهاء في عصر السلطان غياث الدين بلبن، وقد كان يدرس ويفيد بدار الملك الدهلى، والشيخ العالم الكبير (برهان الدين النسفي) أحد العلماء البارزين في الفقه والأصول العربية، وكان يدرس ويفيد بدار الملك دهلى، فأخذ عنه خلق الكثير من العلماء والمشايخ[4]. فقد حرص السلطان غياث الدين بلبن على التحقق من العلماء في المسائل الشرعية[5].

ثم الشيخ الفقيه شرف الدين الولوالمجي الدهلوي، وهو من كبار الأساتذة الذين درسوا وأفادوا بدار الملك دهلي في عهده، وقد تولى الشيخ الولوالمجي قضاء دهلي في عهد السلطان علاء الدين محمد شاه المخلجي (695-715هـ)/(1295-1316م).[6]

وكذلك الشيخ العالم الفقيه القاضي "ظهير الدين الدهلوي"، ممن كانوا يدرسون ويفيدون في دار الملك دهلي في عهد السلطان بلبن أيضاً، وقد اخذ عنه خلق كثير من العلماء.[1]

---

[1] الندوي، نزهة الخواطر، ج1، ص235.

[2] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج1، ص92.

[3] المرجع السابق، ج1، ص92-93.

[4] المرجع السابق، ج1، ص98.

[5] نظام الدين بخشى الهروي: طبقات أكبري، ج1، ص85.

[6] نفسه، ج2، ص22.

الشيخ الفاضل القاضي كمال الدين الجعفري البدايوني أحد كبار العلماء الهنود الذي برعوا في الفقه وله كتاب "المغني في الفقه" وقد توفي ودفن ببدايون، وفي القرن السابع الهجري كما أورد صاحب نزهة الخواطر.[2]

الشيخ الصالح الفقيه (ركن الدين الفردوسى الدهلوى)، أحد المشايخ المشهورين في عصره. توفي في القرن السابع الهجري. القاضي (ركن الدين السامانوى)، أحد كبار الفقهاء في عهد السلطان غياث الدين بلبن، الشيخ العالم الفقيه (سيد الدين الحنفي الدهلوى) أحد العلماء البارزين في الفقه والأصول والعربية. ومن الفقهاء في عصره الشيخ الفقيه (شرف الدين الولوالجى الدهلوى) من كبار الأساتذة يدرس ويفيد بمدينة دهلي. والشيخ (شمس الدين المراخى)، كان أيضا من العلماء البارزين في الفقه والأصول، واشتغل بالدرس والإفادة بدار الملك دهلى[3].

ومن رجال الفقه القاضي جلال الدين الكاشانى، أحد الفقهاء المشهورين في عصره، كان قاضيًا بدهلى في عهد معز الدين كيقباد، وقاضي بدايون في عهد جلال الدين فيروز شاه الخلجى[4]، ومولانا برهان الدين الحنفي البهكري السندي، أحد العلماء البارعين في الفقه والأصول والعربية، كان يردس ويفيد في عهد السلطان علاء الدين الخلجى بدار الملك دهلى[5].

الأمير الكبير: تاتار خان الدهلوي الأعظم، كان من الرجال المعروفين بالفضل والصلاح والرياسة والسياسة، وقد صنف كتابًا في التفسير وسماه (التاتارخاني)، وقد صنفه عالم بن العلاء الدهلوى[6] بأمر من فيروز شاه التغلقى باسم (الفتاوى التاتارخانية) في مجلدين، أولها كتاب من الطهارة إلى كتاب الوقف، وثانيهما من الكفالة إلى الوصايا. ومن رجال الفقه والأصول والعربية في عهد فيروز شاه الخلجي، شمس الدين الباخرزي[7].

---

[1] نفسه، ج1، ص171.

[2] الندوي، نزهة الخواطر، ج1، ص201.

[3] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج1، ص119، ص123، ص125، ص128.

[4] المرجع السابق، ج2، ص150.

[5] المرجع السابق، ج2، ص147.

[6] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج2، ص148.

[7] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، ص108

ومن فقهاء الهند في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، الشيخ الإمام العالم ركن الدين البدايوني، أحد الفقهاء البارعين في الفقه الحنفي والأصول والعربية وهو من أساتذة الشيخ "سراج الدين أبو حفص عمر الهندي، أحد علماء الهند الذين نزحوا إلى مصر، وقد تولى قضاء الحنفية بها.[1]

ومن الكتب المصنفة في الفقه باللغة الفارسية (تحفة النصائح) للشيخ يوسف بن أبي يوسف الجشتي المتوفي 774هـ[2]، و(نصاب الاحتساب) للقاضي ضياء الدين عمر بن عوض السنامي، توفي في عهده السلطان محمد شاه تغلق سنة 741هـ، و(تيسير الأحكام) بالفارسي أيضًا للقاضي شهاب الدين الدولة آبادي[3]، و(شرح البزدوي) و(شرح الحسامي) في الأصول للشيخ سعد الدين الخير آبادي، أحد العلماء البازرين، توفي 882هـ[4].

[1] ابن أبي الوفاء القرشي، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، دار هجر ، 1993،ج4، ص148.

[2] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج2، ص218.

[3] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، ص111.

[4] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج3، ص252.

التصوف الاسلامي:

التصوف هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة[1].

والصوفية قد انتشروا في طول البلاد الإسلامية وعرضها بسبب التدهور الذي حال بالمسلمين، والنكبات التي أجهدتهم، فلجأ الناس إلى الله وإلى العزلة وإلى التصوف والزهد، فظهر الأولياء في كل مكان.

وكان هؤلاء الزهاد والأولياء يرتبطون مع بعضهم البعض برواب قوية في أنحاء العالم الإسلامي مهما بعدت المسافات[2].

تمثلت التيارات الإسلامية أحسن تمثيل في عهد محمود الغزنوي، حيث السنة والشيعة والصوفية، وقد احتدم الصراع بين التيارات الإسلامية الثلاثة، إذ ظهر صراع بين أهل السنة والصوفية من جهة والشيعة من جهة أخرى حتى تمكن محمود الغزنوي من القضاء على دولة الإسماعيلية الشيعية، فقد كان وصوله إلى الهند بمسانده بعض الصوفية التي لا تبغى إلا الأجر من الله[3].

تميزت مدارس الهند في عهد المسلمين عن غيرها من المدارس في العالم الإسلامي، من حيث أنها ما كانت تعترف للمجازين من طلبة العلم إلا بعدما ينخرطون في إحدى الطرق الصوفية التي تنتمي إليها المدرسة أو المسجد أو الخانقاه، وتعتبر آخر حلقات المعرفة التي يخضع إليها معظم التلاميذ، الأمر الذي يشير إلى ظاهرة نفوذ وسيطرة الطرف الصوفية على مؤسسات التعليم في شبه القارة الهندية، فقد كان طرق طوفية متنوعة دخلت الهند: كالطريقة القادرية، والتي أسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني، الطريقة الجشتية، وشيخها معين الدين حسين السجزي وهي من أكثر

---

[1] ابن خلدون : المصدر السابق، ص437.

[2] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: بلاد الهند ، ص292-293.

[3] محمد نجيب، المرجع السابق، ص172.

الطرق انتشارًا في الهند، ولذلك تفرعت إلى فروع كثيرة، وانقسمت إلى قسمين، الطريقة النظامية والطريقة الصابرية[1].

أشهر الطرف الصوفية، والتي انصرفت عنايتهم إلى كشف الحجاب والمدارك، وإماتة القوى الحسي وتغذية الروح، وهذه الطرق وصلت إلى الهند، ونشأ ونمى ودخل فيها خلق كبير مثل:

الطريقة القادرية: وما ذكرنا أنها للشيخ عبد القادر الجيلاني، ورجال هذه الطريقة من أهل الهند فهم كثيرون، ومدارها على التقرب بالنوافل ودوام الذكر، بحيث يتحقق الحضور مع الله سبحانه وتعالى[2].

الطريقة الجشتية: وهي للإمام الشيخ معين الدين حسن السنجري، وهذه الطريقة أول طريقة أخذها أهل الهند حتى تفشت في جميع البلاد، وتنقسم إلى

شعبتن: النظامية المنسوبة للشيخ نظام الدين البدايوني، والصابرية المنسوبة للشيخ علاء الدين على بن أحمد الصابر، ومن النظامية خرجت الكيسودرانية، الحسامية، الصفدية، والفخرية[3].

الطريقة النقشبندية: وهي للأمام للشيخ بهاء الدين محمد نقشبند البخاري، مدارها على تصحيح العقائد ودوام العبودية، ودوام الحضور مع الحق سبحانه. وقالوا أن طرق الوصول إلى الله سبحانه ثلاث، الذكر والمراقبة والرابطة بالشيخ، وتتفرع إلى شعبتين مشهورتين بالهند: الطريقة الباقية هي للشيخ رضي الدين أبي المؤيد عبد الباقي بن عبد السلام النقشنبدي الدهلوي[4]، ولها أقسام المجددية (الأحمدية)، الأحسنية، الزبيرية، والمظهرية[5]، الطريقة العلائية، فهي للأمير أبي العلاء بن أبي الوفاء الحسيني الأكبر آبادي، وهو مزج أشغال الطريقة النقشبدنية ببعض أشغال الطريقة الجشتية[6].

---

[1] أحمد محمد الجوارنه: الهند في ظل السيادة الإسلامية، المرجع السابق، ص212-213.

[2] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، ص179-180.

[3] المرجع السابق، ص181-182.

[4] المرجع السابق، ص182.

[5] أحمد محمد الجوارنه: الهند في ظل السيادة الإسلامية، ص213.

[6] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، ص183.

الطريقة السهرودية، وشيخها شهاب الدين عمر السهرودي، صاحب العوارف، ومدارها على توزيع الأوقات على ما هو لائق بالناس من الصيام والقيام، وهذه الطريقة وصلت الهند من بغداد من جهة الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني، فقد أخذ عن الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهرودي. انتشرت هذه الطريقة في السند وجونبور والكَجرات[1].

أشهر مشايخ الطرق الصوفية:

الشيخ معين الدين حسن بن الحسن السجزي الأجميري شيخ الطريقة الجشتية، ولد سنة 537هـ، ببلدة سجستان، سافر إلى سمرقند، وحفظ القرآن الكريم، وقرأ العلم حيثما أمكن له، وقد لازم الشيخ عثمان الهاروني بقرية هارون من أعمال نيسابور، وأخذ عنه الطريقة، فقد صحبه عشرين سنة، ثم قدم إلى الهند وأقام بـ لاهور، ثم قدم دهلي، ثم سار إلى أجمير، وقد أسلم على يده خلق كثير، وقد توفي 632هـ وقليل 633، وقبره بأجمير يزار ويتبرك به[2].

والشيخ حميد الدين الناكوري أحمد بن إبراهيم بن سعيد السعيدي السوالي الصوفي، المشهور بـ(سلطان التاركين)، هو أول مولود ولد بدار الملك دهلي، بعدما فتحها قطب الدين أيبك في عام 589هـ/1193م، وكان من ذرية الصحابي بن سعيد بن زيد المبشر بالجنة (رضي الله عنه)، ولقد لقب بسلطان التاركين لزهدة في زخرف الدنيا: واستغنائه عن الناس، وكانت له أرض في سوالي من أعمال ناكور ببلاد الهند، ويقتات وأولاده منها، وهو أول من صنف من مشائخ "الجشتية"[3]، واشتهر من تصانيفه "أصول الطريقة"، توفي في ربيع الثاني من عام 673هـ/1474م.[4]

---

[1] عبد الحي الحسني الندوي: المرجع السابق، ص183-184، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج1، ص120.

[2] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج1، ص104.

[3] **الجشتية:** طريقة صوفية هندية، قيل إن مؤسسها يُدعى أبا اسحاق، من نسل الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، هاجدر إلى بلدة جشت في خراسان وإليها يُنسب، وقيل منشؤها أحمد أبدال الجشتي، من بلدة جشت أيضاً، واستقدمه إلى الهند أحد كبار علماءها وهو الشيخ معين الدين السجزي (ت. 633هـ/1236م) واستقر في أجمير، وقيل إن معين الدين هو نفسه الجشتي صاحب الطريقة، والجشتية يركزون في الذكر على الشهادة ويؤكدون على إلا الله، ويترنمون في صلاتهم، ويلبسون الثبات المصبوخة بلحاء شجر السنط، ومن شعائر الدخول في الطريقة أن المريد يصلي أولا ركعتين ثم تؤخذ عليه التوبة، ويُلقن معاني كلمات مثل الفقر والقناعة والرياضة وغيرها من الطقوس . أنظر:عبد المنعم الخنفي: أعلام التصوف، ص102-104.

[4] المباركبوري، رجال السند والهند إلى القرن السابع، ص99-100.

أما الشيخ حسام الدين الملتاني، فهو أحد رجال الصوفية المشهورين بالعلم والمعرفة، وقد أخذ الطريقة السهروردية عن الشيخ محمد بن زكريا الملتاني، وقطن مدينة بديوان بإقليم السند وبها توفي، وكان قد أوصى عند وفاته بأن يُدفن في موضع خارج البلدة، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه يتوضأ فيه على بركة ماء، فسارع فور إفاقته إلى ذلك المكان فرأى فيه الأثر، وقد دفن فيه بالفعل وكانت وفاته في عام 687هـ/1288م.[1]

ولعل أبرز رجال التصوف في بلاد الهند، الشيخ العالم الفقيه الزهد، اسحق بن على بن اسحق البخاري الشيخ بدر الدين الدهلوي، وكان من كبار العلماء، يتصل نسبه بالحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما)، وقد ولد ونشأ بمدينة دهلي، وقرأ العالم على أبيه منهاج الدين علي بن اسحق البخاري، وقد اشتغل بالتدريس مدة طويلة في المدرسة المعزية بدهلي، ثم انتوى السفر إلى مدينة بخاري، وعندما وصل إلى مدينة أجودهن من إقليم السند، آثر البقاء لدى أحد شيوخها البارزين وهو الشيخ فريد الدين مسعود الأجهودني (ت. 664هـ/1266م)، والذي زوجه ابنته، فلازمه مدة حياته، وكان عالماً فقيهاً زاهداً وسخياً، شاعراً، وضف كذلك بأنه كان من أهل التفنن في العلوم مقدماً في المعارف كثير البكاء، شديد الخشية، وله مصنفات منها "أسرار الأولياء" ومنظومة عربية في التصريف، وقد توفي في السادس من جمادى الآخرة من عام 690هـ/1291 بأجودهن ودفن بها.[2]

ويأتى الشيخ محي الدين الكاشاني ضمن أبرز رجال العلم والتصوف ببلاد الهند في القرن الثامن الهجري، فقد كان أحد كبار العلماء في الفقه والأصول والعربية، أخذ العلم عن كبار علماء دهلي، ثم اشتغل بالتدريس والإفادة بدار الملك دهلي، وشغل منصب القضاء بها، ثم اتخذ طريق التصوف وأخذ الطريقة عن الشيخ نظام الدين محمد بن أحمد البدايوني (من رجال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي) وهو الذي كتب له إجازة نصها كالآتي: "مي بايد كه تارك دنيا باشي بسوي دنيا وأرباب دنيا مائل نشوي وده قبول نكني وصله بادشاهان نكايري واكر مسافر ان برتور سند وبرتو جنري بناشد اين حال نعمتي شمري از نغمتها ئي إلهي".

---

[1] الندوي، المرجع السابق، ج1، ص144.

[2] الندوي: المرجع نفسه، ج1، ص124–125.

ومعناها:

"كن تاركاً للدنيا كل الدنيا، ولا تمل إلى أرباب الدنيا، تنل القبول، وتصل إلى الله، وارحل في طلب البر تصل إلى أعلى درجات النعمة من أنعم الله، فإن فعلت ما أمرتك وظني أن تفعل فأنت خليفتي، وإن لم تفعل فالله خليفتي على المسلمين".

ففعل ما أمر الشيخ ومزق سند القضاء بحضرته، وانقطع إلى الله سبحانه، مع الاستمرار في التدريس والإفادة، وقد توفي الكاشاني في عام 719هـ/1319م.[1]

أما الشيخ محمد بن اسحق الدهلوي، فقد كان من كبار علماء الصوفية، حيث نشأ هو وأخيه موسى في كنف الشيخ نظام الدين البدايوني بعد وفاة والدهما في صغرهما – وقد حفظ القرآن وحصّل الكثير من العلوم على يد كبار علماء دهلي، وكان له معرفة بالإيقاع والنغم وبراعة في الموسيقى والشعر، وقد صنف كتاب "أنوار المجالس" الذي جمع فيه ملفوظات شيخه نظام الدين البدايوني، وقد توفي في عام 734هـ/1334م.[2]

ومن علماء التصوف وشيوخه في الهند الشيخ عثمان بن داود الملتاني أحد المشائخ الجشتية، كان بارعاً في الفقه والأصول، حفظ الهداية في الفقه، والأصول للبزدوي، وقد أخذ الطريقة عن الشيخ نظام الدين البدايوني أيضا، ولازمه مدة من الزمن، ثم سافر إلى الحرمين الشريفين، فحج وزار، ورجع إلى الهند ودخل دهلي في يوم الجمعة وأعلم شيخه أن حج ولم يزر فأخبره أن من يسعد بالحج فله أن يستأنف النية لزيار النبي صلى الله عليه وسلم فسافر في وقته وساعته ورحل إلى المدينة المنورة فزار، ثم عاد إلى دهلي، وقد رحل الشيخ عثمان إلى كجرات بعدما أمر محمد تغلق شاه الثاني برحيل الناس إلى دولة آباد الدكن وقد توفي كجرات في عام 736هـ/1336م ودفن بها.[3]

---

[1] الندوي نزهة الخواطر، ج2، ص163-164.

[2] العكيدي: المرجع السابق، ص128.

[3] الندوي نزهة الخواطر، ج2، ص76-77.

أما الشيخ نجم الدين الحسن بن العلاء السنجري الدهلوي، فقد كان أحد الرجال المشهورين بالفضل والصلاح عاش فترة من الزمان في بلاط السلطان غياب الدين بلبن وولده محمد، وتمتع في أثناء ذلك برغد العيش، ثم سلك طريق التصرف، وأخذ الطريقة عن الشيخ نظام الدين البدايوني، وجمع ملفوظاته في مجلد أسماه "فوائد الفوائد"، وقد توفي في التاسع والعشرين من صفر سنة 737هـ/1336م في مدينة ديوجير ودفن بها.[1]

كما كان الشيخ الكبير محمد بن يحي الشيخ شمس الدين الأودي من أبرز رجال التصوف في بلاد الهند، كما كان أحد العلماء البارعين في علوم الفقه والأصول واللغة العربية، وقد أخذ العلم عن كبار الأساتذة والمشايخ بدهلي وغيرها، وقد أخذ الطريقة بدوره عن الشيخ نظام الدين البدايوني وصحبه فترة وقد استخلفه الشيخ في عام 724هـ/1324م وهو دليل على ما بلغه الأودي من مكانة في التصرف، وللشيخ الأودي مصنفات جليلة، منها "شمس المعارف" في العلوم الشرعية، وقد عرف عنه عزوفه عن الأغنياء، وكثر اشتغاله بالعلم حتى توفي في عام 747هـ/1346م وفي عهد السلطان محمد تغلق شاه الثاني في مدينة دهلي ودفن بها.[2]

في حين كان الشيخ الصالح محمد بن المبارك الكرماني ثم الدهلوي، أحد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح، والذي كانت ولادته ونشأته في مدينة دهلي، حيث قرأ العلم على أجلّ علماءها وشيوخها، وأبرزهم الشيخ نظام الدين البدايوني، الذي أدركه في صباه وحضر مجلسه، وقد ارتحل إلى مدينة دولت آباد، في أيام محمد غلق الثاني مع أهله، ثم عاد إلى دهلي وبها توفي في عام 770هـ/1368م، ومن مصنفاته "سير الأولياء" وهو في أخبار المشايخ الجشتية، ويعتبر من أقيم المصنفات في طبقات المشايخ.[3]

الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني المتوفي 666هـ، عاش مائة سنة وعارفًا وعالماً وزاهدًا وداعيًا في ملتان والهند حتى ألقى عليه لقب سلطان الأولياء في الهند وله ضريح في ملتان، وكان

---

[1] محمد نجيب: المرجع السابق، ص89.

[2] محمد نجيب: المرجع السابق، ص203.

[3] الندوي نزهة الخواطر، ج2، ص142.

له في الإرشاد وهداية الناس من الكفر إلى الإيمان ومن المعصية إلى الطاعة ومن النفسانية إلى الروحانية شأن كبير[1].

الشيخ نظام الدين أولياء البدايوني، ولد في سنة 636هـ، وكان من كبار النساك وأهل المعرفة والدعوة، وكان يجمع بين الفقراء والأغنياء والعصاة والمذنبيين والعلماء والمتقيين في مجلس واحد ويلقنهم دروس التوحيد والتزكية وجهز قوافل الدعاة وحملوا لواء الدعوة الإسلامية في ربوع الهند[2]، وهو صاحب الطريقة النظامية المتفرعة عن الطريقة الجشتية[3].

الشيخ شرف الدين يحيي المنيري قام بإصلاح التصوف من غلو الغالين وتحريف المنتحلين والتزم الشريعة والطريقة في دعوته وسلوكه، وقرر أن من خالف الشريعة فهو ملعون، توفي سنة 787هـ[4].

الشيخ قطب الدين بختيار الكعكي، هو العارف الكبير الزاهد المجاهد قطب الدين بن كمال الدين الكعكي الأوشي، ولد بأوش في حدود بلاد ما وراء النهر، تتلمذ على يد الشيخ أبي حفص المعلم الأوشي، وأخذ عنه، ثم رحل إلى بغداد فبايع وسعد بملازمه الشيخ معين الدين حسن السجزي الأجميري، ثم فاز بخلافة الشيخ وهو في العشرين من عمره، ثم عطف عنان العزيمة إلى أرض الهند، وقدم دهلي، فأكرمه السلطان شمس الدين الايلتمش، فكان يتردد السلطان إليه كل أسبوع، فأجتمع لديه خلق كثير[5]. وقد عاش عزبا وكان يستمع للغناء فيغيب عن رشده ويغشى عليه حتى مات وهو كذلك بعد ثلاثة أيام من استغراقه، وكان ذلك سنة 633هـ وعمره حوالي الخمسين سنة، ومدفنه قريب من منار قطب[6]، ويقول عنه ابن بطوطة: (وهو ظاهر البركة، كثير التعظيم، وسبب تسمية هذا الشيخ بالكعكي، أنه كان إذا أتاه الذين عليهم الديون شاكين الفقر أو

---

[1] العكيدي: المرجع السابق، ص143.

[2] نفسه ، ص144.

[3] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، المرجع السابق، ص181.

[4] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، المرجع االسابق، ج1، ص125.

[5] عبد الحي الحسني الندوي: المرجع السابق، ج1، ص150-151.

[6] عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، المرجع السابق، ص 110.

القلة أو الذين لهم البنات ولم يجدوا ما يجهزوهن به إلى زواجهن، يعطى من أتاه كعكة من الذهب أو الفضة[1].

العلوم العقلية:

وتتمثل العلوم العقلية في آداب البحث والمناظرة، في المنطق، في العلوم الطبيعية والإلهية، وفي الفنون، وفي الحكمة العلمية، وفي الطب.

ومن أشهر سلاطين دهلي اهتمامًا بل كان مغرمًا بعلوم الحكمة والمعقولات، السلطان محمد شاه تغلق، فكان في صحبته سعد منطقي وعبيد شاعر ومولانا علم الدين وكانوا من علماء الفلسفة، ولا يهتمون بظاهر الشريعة. ومن كثرة مصاحبتهم وممارستهم للعقليات استقر في خاطر السلطان أن الحق منحصر في العقلانية، وكان يقبل من النقليات ما يوافق العقليات، فلم يقبل النقليات الصرفة[2].

اللغة والأدب والتاريخ:

النحو:

هو علم يتعلق بالإعراب والبناء، وصيانة المتكلم من الخطأ في صوغ الكلمات وتركيبها[3].

مصنفات أهل الهند في النحو:-(العباب شرح اللباب) للشيخ عبد الله بن محمد الدهلوي، صنفه سنة 735هـ لمحمد شاه بن غياث الدين تغلق[4]، وشرح (لب الألباب) للشيخ يوسف بن الجمال الملتاني المتوفي 790هـ، و(الإرشاد) و(شرح على كافية ابن حاجب)* للقاضي شهاب

---

[1] ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2، ص19.

[2] نظام الدين بخشى الهروي: طبقات أكبري، ج1، ص168.

[3] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، ص23.

[4] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج2، ص170-171.

* ابن الحاجب: أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الملقب جمال الدين، كان والده عمر حاجبًا، كردي الأصل، ولد الشيخ أبو عمر بأسنا بليدة الصعيد 570هـ، وإن أبو عمرو متفننا في علوم شتى، وكان الغالب عليه علم اللغة العربية وأصول الفقه صنف في العربية مقدمته (الكافية). توفي 646هـ بالإسكندرية. أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج3، ص138.

الدين أحمد بن عمر الدولة آبادي ثم الجونيوري، وشروح الخطيب الكَاذروني[1]، و(الأشرفية) مختصر في النحو للسيد الشريف العلامة أشرف بن إبراهيم الحسني الحسيني السمناني المشهور بجهانكَير، توفي 808هـ[2].

الشيخ الفاضل، محمود بن أبي محمود الدهلوي، الذي صنف في عام 823هـ/1420م، كتاباً أسماه "آداب الفضلاء في اللغة" وقد جعله قسمين، أولهما: الألفاظ الفارسية وفسرها باللغة الهندية، وثانيهما: اصطلاحات الشعراء، كلاهما بترتيب الحروف.[3]

الشيخ أحمد بن عمر الدولت آبادي الهندي الدهلوي (ت. 849هـ/1444م)، وكان من كبار علماء الهند في علم النحو، حيث صنف "الحواشي على الكافية"[4]، "والإرشاد في النحو"، الذي وصفه صاحب كشف الظنون بأنه فتن لطيف، تعمق في تهذيبه كل التعمق، وتأنق في ترتيبه حق التأنق".[5]

الشيخ الفاضل محمود بن محمد الدهلوب تاج الدين النحوي، الذي كان من علماء الهند المشهورين في معرفة النحو العربية، وقد صنف كتاباً في النحو أسماه "المقصد في النحو" وقد توفي في عام 891هـ/1486م.[6]

و(المعارف) بالعربية في النحو، للشيخ حسين بن محمد الحسيني الدهلوي المشهور بـ(محمد الأكبر)، توفي 812هـ[7]، و(شرح كافية ابن الحاجب) للشيخ سعد الدين الخير آبادي، أحد العلماء البارزين في النحو توفي 882هـ[8]، و(غاية التحقيق) في شرح كافية ابن الحاجب للشيخ صفي بن

---

[1] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"،المرجع السابق، ص20.

[2] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج3، ص237.

[3] حاجي خليفة، المصدر السابق، مج1، ص44- أيضاً: الندوي، المرجع السابق، ج3، ص166.

[4] "الكافية في النوح" كتاب للشيخ جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المالكي النحوي المتوفي سنة 646هـ/1248م وقد نظمها في أرجوزة أسماها "الوافية" وشرحها، للمزيد راجعك حاجي خليفة، المصدر نفسه، مج2، ص1370-1376.

[5] حاجي خليفة، نفسه، مج1، ص68.

[6] حاجي خليفة، نفسه، مج2، ص1806.

[7] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج3، ص247.

[8] المرجع السابق، ج3، ص252.

النصير الردولوى، المتوفي 819هـ[1]، و(المقصد) كتاب في النحو للشيخ تاج الدين محمود بن محمد الدهلوي النحوي أحد العلماء المشهورين في معرفة النحو، توفي 891هـ[2].

الصرف:

هو علم يعرف منه أنواع المفردات الموضوعة ومدلولاتها، والهيئات الأصلية العامة للمفردات والهيئات التغيرية وكيفية تغيراتها عن هيئاتها الأصلية على الوجه الكلي بالمقاييس الكلية، وموضوعه الصيغ[3].

ومن مصنفات اهل الهند في الصرف:-(تعداد العلوم على حسب المفهوم) للشيخ سراج الدين عثمان الجشتي الأودي، المتوفي 758هـ[4]

(دستور المبتدئ) للشيخ صفي بن النصير الردولوي، توفي 819هـ[5]

اللغة:

1/ اللغة العربية:

كتاب (الأضداد والشوارد) في اللغة للشيخ رضي الدين ابو الفضل الحسن بن محمد الصغائي[6]، وله (النوادر) و(مجمع البحرين) في اثني عشر مجلدًا، و(العباب الزاخر) في عشرين مجلدًا[7].

---

[1] المرجع السابق، ج3، ص256.

[2] المرجع السابق، ج3، ص282.

[3] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، ص23.

[4] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، ص24، عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج2، ص173.

[5] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج3، ص256.

[6] إسماعيل العربي: الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص50.

[7] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، ص31.

2/ اللغة الفارسية:

كتاب (آداب الفضلاء) للشيخ محمود بن أبي محمود الدهلوي المشهور بقاضي خان، كتاب في اللغة من قسمين، الأول أورد فيه الألفاظ الفارسية وفسرها بالعربية، والثاني اصطلاحات الشعراء، ألفه 823هـ[1].

1/ اللغة الهندية:

كتاب (بيمائن) و(جوت نرنجن) في بهاشا (لغة أهل الهند) للشيخ رزق الله بن سعد الله البخاري الدهلوي (877-989هـ) [2]

التاريخ:

علم التاريخ هو معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصناعة أشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم إلى غير ذلك، وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والملوك والشعراء وغيرهم، والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية، وفائدته العبرة بتلك الأحوال والتنصح بها.

وأهل الهند من المسلمين شديدو الرغبة في التاريخ والطبقات والسير، فلهم مصنفات كثيرة فيها، وأكثرها في تاريخ الملوك والمشايخ الصوفية والشعراء[3].

ومن مصنفات أهل الهند:

(تاج المآثر) في تاريخ الهند من 587هـ إلى 614هـ، وهذا الكتاب للشيخ محمد بن حسن النيسابوري، أحد العلماء البارزين في الإنشاء والتاريخ والسير[4]، و(طبقات ناصري) للشيخ عثمان بن محمد الجوزجانى في ثلاث وعشرون مجلدًا، و(ناصر نامه) في غزوات السلطان ناصر الدين

---

[1] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج3، ص281.

[2] نفسه ، ج4، ص340.

[3] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، ص57-58.

[4] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج2، ص160-161.

محمود بن آلتمش[1]، و(تاريخ فيروز شاهي) للقاضي ضياء الدين البرني، وهو مصنف في تاريخ الملوك الثمانية من عهد غياث الدين بلبن إلى أيام فيروز شاه تغلق، وقد فرغ من تأليفه 758هـ، ومن مؤلفاته أيضًا (حسرت نامه) و(مآثر السادة)[2]، و(السنة المحمدية) و(نعم الله آياته) و(تاريخ البرامكة)، وله كتاب آخر عن الأحكام السلطانية، ويشمل القيم والمبادئ والقوانين والسياسات والنظم التي يجب على الحكومة الإسلامية اتباعها، ويرجعها كلها إلى الشريعة الإسلامية[3].

ونبغ عدد من المؤرخين في العهد الخلجي نخص بالذكر منهم أمر أرسلان كولاهى، كان دقيقًا فيما يرويه من معلومات، لذا فقد كان مصدرًا هامًا في تاريخ السلطان علاء الدين الخلجي، وكبير الدين بن تاج الدين العراقي الدهلوي، كان يكتب باللغتين العربية والفارسية، ومن مصنفاته (فتح نامة) أشاد فيه بأعمال السلطان علاء الدين الخلجي وانتصاراته، ولكنه بالغ في مدحه والثناء عليه[4] والتأنق في العبارات خلافًا لآداب المؤرخين، وقد جعله السلطان علاء الدين الخلجي (أمير داد)* في معسكره[5].

(تاج الفتوحات) للأمير خسرو في غزوات السلطان جلال الدين الخلجي، و(خزائن الفتوح) في غزوات السلطان علاء الدين الخلجي، و(تغلق نامة) في أخبار غياث الدين تغلق شاه، و(تغلق نامة) لتاج الدين محمد بن صدر الدين بن علاء الدين و(مبارك الشاهي) للشيخ يحي بن أحمد الدهلوي صنفه في عهد مبارك شاه بن خضر خان (824هـ/1241م: 837هـ1434م)، و(واقعات مشتاقي) للشيخ رزق الله بن سعد الله البخاري الدهلوي، و(داود شاهي) تاريخ الهند بالفارسي من عهد بهلول اللودي إلى محمد شاه العدلي[6].

---

[1] المرجع السابق، ج1، ص133، ص135.

[2] المرجع السابق، ج2، ص168.

[3] Lai: op.cit, p342.

[4] Lai: op.cit, p341.

* أمير داد: أي من الأمراء الكبار. ابن بطوطة : المصدر السابق، ص524 .

[5] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج2، ص190.

[6] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، ص59.

و(سير الأولياء) في أخبار المشايخ الجشتية للشيخ محمد بن المبارك الكرماني، المتوفي 770هـ، في عهد السلطان فيروز شاه تغلق[1]، و(بحر الأنساب) للشيخ المعمر محمد بن جعفر الحسيني المكي الدهلوي توفي 891هـ، في عهد السلطان بهلول اللودي، و(مختصر بحر الأنساب) في الأنساب والسير للسيد الشريف العلامة أشرف بن إبراهيم الحسني الحسيني السمناني المشهور بجهانكَير[2]، و(أصول الأنوار في ذكر الأبرار) في تراجم المشايخ الجشتية للشيخ حسين بن خالد الناكوري، توفي 901هـ، و(واقعات مشتاقي) كتاب في أخبار ملوك الهند للشيخ رزق الله بن سعد الله البخاري الدهلوي (877-989هـ)[3].

الطب:

هو علم يبحث فيه عن بدن الإنسان، من جهة ما يصح ويمرض، لحفظ الصحة وإزالة المرض، وموضوعه بدن الإنسان وما يشتمل عليه، من الأران والأمزجة والأخلاط والأعضاء والقوى والأرواح والأفعال، وأحواله من الصحة والمرض وأسبابهما[4].

ومن أشهر الأطباء في سلطنة دهلي:

الشيخ حميد الدين الحكيم المطرزي، أحد العلماء البارزين في الطب، ومعرفة الأمراض ووصف الأدوية[5]، والفاضل الحكيم حسام الدين ماريكلي، كل من الأطباء المشهورين في عصر السلطان غياث الدين بلبن، كان يدرس ويفيد ويداوي الناس في دهلي[6].

مولانا صد الدين الحكيم الدهلوي، أحد الأطباء البارعين في العلم والعمل، كان يعرف أسباب المرض بأول لقائه بالمريض[7]، مولانا بدر الدين الدمشقي، الذي كان إذا وضع في زجاجة واحدة

---

[1] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج2، ص202.

[2] المرجع السابق، ج3، ص237، ص271.

[3] المرجع السابق، ج4، ص331، ص340.

[4] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، ص291.

[5] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج1، ص102.

[6] المرجع السابق، ج1، ص94.

[7] المرجع السابق، ج2، ص167.

بول لعدة حيوانات وأحضروها عنده، كان يحكم عليها بالنظر، بأنهم جميعا بول الحيوان الفلاني والفلاني في هذه الزجاجة[1].

مولانا أعز الدين البدايوني أحد الأساتذة المشهورين بدار الملك دهلي، حيث كانت له يد بيضاء في الصناعة الطبية، وكان يدرس ويداوي الناس في عهد السلطان علاء الدين الخلجي[2].

ومن أشهر المصنفات في الطب:

(الكليات والجزئيات) للشيخ ضياء الدين النخشبي البدايوني في الصناعة الطبية، شرح فيه العقاقير والحشائش الهندية وسماها بأسماء هندية[3]، ومن العلماء البارزين في العلوم الحكيمة، الشيخ فضل الله الحكم المندوي، تولي رياسة دار الشفاء بمندو في سنة 849هـ ولقب حكيم الحكماء، فتولاها مدة طويلة، فكان يتفقد أخبار المرضى والمجانين ويعالجهم[4].

الحكيم بهوه خان الأكبر آبادي، كان من العلماء البارزين في صناعة الطب زمن إسكندر بن بهلول اللودي، من مصنفاته (معدن الشفاء) كتاب في مجلد ضخم، صنفه 918هـ بأمر إسنكدر لودي، لخص فيه أبواب الطب الفارسي من كتب عديدة لأحبار الهنود[5].

الشعر والشعراء:

كان أمير روحاني من أفاضل هذا الزمان قد جاء إلى دهلي من بخارا في أحداث جنكيز خان، وهنأ السلطان شمس الدين ألتمش بفتوحاته بأشعار بليغة، كذلك أنشد ملك تاج الدين ريزه[6] كاتب السلطان ألتمش رباعية في فتح قلعة كواليار 630هـ، وحفرت هذه الرباعية على باب القلعة.

---

[1] نظام الدين بخشى الهروي: طبقات أكبري، ج1، ص148.

[2] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج2، ص146.

[3] المرجع السابق، ج2، ص169.

[4] المرجع السابق، ج3، ص264.

[5] المرجع السابق، ج4، ص321.

[6] تاج الدين الدهلوى الدبير تولى ديوان الرسائل في عهد السلطان شمس الدين الأيلتمش كان شاعراً مجيدًا للشعر، ولقب بريزه، لأنه كان حقير الجثة، والكلمة تعني الفتيت. عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج1، ص102.

كذلك مدح السلطان ركن الدين فيروز شاه بن شمس الدين ألتمش بقصيدة طويلة عندما تولى عرش دهلي 633هـ[1].

ومن شعراء القاضي (منهاج السراج الجوزجاني) صاحب (طبقات ناصري)، فقد نظم قصيدة طويلة عندما تتولى ناصر الدين محمود السلطنة 644هـ، كذلك أهتم السلطان غياث الدين بلبن بأن يضم مجلسه الشعراء، ويقدموا له قصائد المدح[2].

وفي مجلس محمد السلطان المشهور (بخان شهيد) ابن السلطان غياث الدين بلبن، أنشد كل من الشيخ (عثمان سروري)، والشيخ (صدر الدين ابن الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني) أشعارا بالعربية تتضمن الموعظة، وترك الأعمال الأخرى[3]، من الشعراء السلطان غياث الدين بلبن وولده محمد سلطان الشاعر (نجم الدين الحسن بن العلاء السنجري)، كان شاعرًا مجيدًا الشعر، له ديوان فارسي، وقد لقبه الناس بـ(سعدي الهند)[4]، وكما تفوق في الشعر تفوق في النثر، وكانت أشعاره تسرى في الناس بسرع، ومن أعظم إنتاجاته الشعرية والتي قدر لها الخلود (فوائد الفوائد)[5]، توفي زمن السلطان محمد شاه تغلق 737هـ[6].

وإلى جانب الأشعار التي تحمل الموعظة، هناك شعر الرثاء، فقد أرسل خواجه حسن إلى السلطان بلبن مرثية في استشهاد محمد سلطان ابنه 626هـ[7].

ومن شعر أمير خسرو (قران السعدين) والتي أنشدها عند لقاء السلطان معز الدين كيقباد بن بغراخان بوالده السلطان ناصر الدين بغراخان بن بلبن[8]، من مؤلفات الشاعر خسرو الدهلوي ديوان (غريد الهند) وديوان (غرة الكمال)، وقد ترك منشورات ومنظومات بالفارسية والسنسكريتية والعربية،

---

[1] نظام الدين بخشى الهروي: طبقات أكبري، ج1، ص68-69، ص71.

[2] المرجع السابق، ج1، ص78، ص84.

[3] المرجع السابق، ج1، ص88-89.

[4] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج2، ص151-152.

[5] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: بلاد الهند في العصر الإسلامي "منذ فجر الإسلام حتى الغزو التيموري"، ص285.

[6] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج2، ص152.

[7] نظام الدين بخشى الهروي: طبقات أكبري، ج1، ص95.

[8] المرجع السابق، ج1، ص102، ص113.

وهم موجودين بكتابيه (إعجاز خسروى) و(خزانة الفتوح)، وقد عاش مدة طويلة زمن السلطان محمد شاه تغلق، فعاصر شعراء من القرن الثامن الهجري أمثال: بدر الدين المعروف ببدر شاخ، والقاضي عبد المقتدر الشانهى صاحب المنظومات العربية والفارسية[1].

ومن شعراء السلطان جلال الدين الخلجي مولانا سراج الدين ساوجى، وقد نظم شعرًا في هجاء السلطان جلال الدين فيروز شاه الخلجي، وأسماه (خلجنامه)[2]، ويعرفه الندوي بالشيخ الفاضل سراج الدين الساؤلى[3].

والشيخ (شمس الدين الدهلوي)، كان فاضلاً بارعاً في العروض والقوافي والشعر والإنشاء، وكثير من العلوم والفنون في عهد السلطان جلال الدين فيروز شاه الخلجي وعلاء الجين الخلجي، توفي في عهد السلطان غياث الدين تغلق شاه 722هـ بدهلي[4]، الشيخ (يوسف بن على الحسيني الدهلوي)، وكان لقبه الشعر (راجه)، له مزدوجة بالفارسية. توفي 731هـ[5].

ومن شعراء السلطان علاء الدين الخلجي (صدر الدين على) و(فخر الدين صدر قواس)، و(حميد الدين راجه) و(مولانا عارف) و(عبيد حكيم) و(شهاب صدر نشين). وكانوا جميعًا ينالون الأنعام من السلطان لكونهم شعراء، وكان لكل واحد أسلوب خاص في طريقه شعره، ودواوينهم وشعرهم يشهدان لهم بالفضل والأدب[6].

ومن شعراء السلطان محمد شاه تغلق، الشاعر (بدر الدين الشاشي) والذي كانت له يد بيضاء في الشعر، وله قصائد غراء في مدح السلطان محمد شاه تغلق، له (شاهنامه) في أخبار السلطان محمد شاه عدد أبياته ثلاثون ألفًا بيت[7].

---

[1] أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم، ج1، ص260.

[2] نظام الدين بخشى الهروي: طبقات أكبري، ج1، ص102، ص113.

[3] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج1، ص123.

[4] المرجع السابق، ج2، ص164.

[5] المرجع السابق، ج3، ص218.

[6] نظام الدين بخشى الهروي: طبقات أكبري، ج1، ص148.

[7] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج2، ص147.

آداب المناظرة:

هو علم يبحث فيه عن كيفية إيراد الكلام بين المناظرين، والغرض منه تحصيل ملكة طرق المناظرة. وهذا العلم كالمنطق ويخدم العلوم كلها، لأن البحث والمناظرة عبارة عن النظر من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارًا للصواب لا إلزامًا للخصم، والمسائل العلمية تتزايد يومًا فيومًا بتلاحق الأفكار والأنظار[1].

المؤلفات في آداب البحث والمناظرة أكثرها مختصرات وشروح منها: (آداب) شمس الدين السمر قندي، و(آداب) عضد الدين الإيجي، و(الشريفية) للسيد الشريف الجرجاني[2].

المنطق:

هو آلة قانونية تعصم مراعاتها عن الخطأ في الفكر، وموضوعه: التصورات والتصديقات أي المعلومات التصورية التصديقية، والغرض منه: عصمة الذهن من الخطأ في الفكر، ومنفعته: الإصابة في جميع العلوم، ولذلك سماه الفارابي برئيس العلوم وابن سينا بخادم العلوم[3]. إن كتاب (شرح الشمسية) للرازي، مقرر لدراسة المنطق، ومن الطبقة الأولى من نظام الدرس والتي امتدت من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري[4].

ومن أبرز علماء الهند في المنطق: مولانا سعد الدين المنطقي الدهلوي، أحد العلماء البارزين في المنطق والحكمة، كان نديمًا مقربًا للسلطان جلال الدين فيروز شاه الخلجي، وتقرب السلطان غياث الدين تغلق ثم إلى ولده محمد شاه تغلق، وكان السلطان محمد شاه تغلق يذاكره في العلوم[5].

الشيخ عبد الله بن إله داد العثماني التلنبي الملتاني ثم الدهلوي من العلماء البارزين في المنطق والحكمة بغاية التحقيق والتدقيق، وهو الذي أدخل المنطق في نظام الدرس وروج له في

---

[1] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، ص251.

[2] المرجع السابق، ص251.

[3] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، ص253.

[4] المرجع السابق، ص11-12، أحمد محمود الجوارنه: الهند في ظل السيادة الإسلامية، ص179.

[5] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج2، ص161.

الهند، وأدخل الكتب الدقيقة في المعقول إلى جانب شرح الشمسية التي كانوا لا يعرفون غيرها في المنطق، فوسع بذلك نظام الدرس[1].

الحكمة الطبيعية والإلهية:

الحكمة هي العلم الذي يبحث في حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر، بحسب الطاقة البشرية، وموضوع: الأشياء الموجودة في الأعيان والأذهان وغايته: التشرف بالكمالات في العاجل والفوز الأخوية في الآجل[2].

وأما أهل الهند من المسلمين، فإنهم كانوا قليلوا الاعتناء بالمنطق والحكمة، وما كانت دروسهم غير شرح الشمسية، وكانوا غير محتفلين بهذه العلوم إلى آخر القرن التاسع الهجري، فنهض بعض العلماء، فكانوا أساطين الحكمة لا يماثلهم إلا الفارابي وابن سينا، كالعلامة محمود بن محمد الجونبوري[3]، ومن مصنفاته في الحكمة، أشهرها (الشمس البازغة)، و(الدوحة الميادة في الصورة والمادة)[4]، والشيخ أعز بن خالد خاني الدهلوي، له منظومة (دلائل فيروز شاهى) في الطيرة والنجوم والحكمة الطبيعية[5]، فهو يتضمن اقسام الحكمة العلمية والعملية[6].

الرياضة:

الرياضة من أقسام الحكمة النظرية، وهو علم باحث عن أمور مادية يمكن تجريدها عن المادة في البحث. يسمى به لأن من عادة الحكماء أن يرتاضوا به في مبدء تعليمه لصبيانهم، ولذا

---

[1] المرجع السابق، ج4، ص373-374.

[2] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، ص261.

[3] محمود بن محمد بن يوسف بن الحسيني الجونبوري ثم الكَجراتي، أدعي والده في أثناء سفره أنه المهدي، لذلك لقب محمود بن محمد بلقب الخليفة الأول، والمهدي الثاني، ولد ونشأ بمدينة جونبور، ثم عاد إلى الكجرات، توفي 919هـ. عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج4، ص419، ص428.

[4] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، ص264-265.

[5] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج2، ص147.

[6] نظام الدين بخشى الهروي: طبقات أكبري، ج1، ص192.

سمى علمًا تعليميًا أيضًا، وبالعلم الأوسط لتوسطه بين ما لا يحتاج إلى المادة وبين ما يحتاج إليها وله أصول ولكل منها فروع، فأصله أربعة: الهندسة والهيئة والحساب والموسيقى[1].

ومن أبرز علماء الهند: الشيخ الحميد الدين الحكيم الطرزى أحد العلماء البارزين في النجوم والطب والفنون الحكمية، فلم يكن له نظير في عصره في الحذاقة والتدبير ومعرفة الأرض[2].

وفي الهيئة والهندسة والنجوم وسائر العلوم الحكمية الشيخ صدر الشريف السمرقندي المنجم، توفي ما بين عام 776هـ وعام 779هـ[3]، وفي الموسيقى الأمير خسرو بن سيف الدين الدهلوي ومن مخترعاته في الموسيقى أغاني كثيرة منها: القول–ترانه–خيال–نقش–نكَار–بسيط–تلانه–سوهله[4].

الحكمة العلمية:

علم يبحث عن حقائق الأشياء الموجودة في الأعيان على ما هي عليه في نفس الأمر، من حيث أنه يؤدي إلى إصلاح المعاش والمعاد، وهو ثلاث أقسام، لأنه إما علم بمصالح شخص بانفراده ويسمى (تهذيب الأخلاق) أو (الحكمة الخلقية)، وإما علم بمصالح جماعة متشاركة في المنزل ويسمى (تدبير المنزل) أو (الحكمة المنزلية)، وإنما علم بمصالح جماعة متشاركة في المدينة ويسمى (السياسة المدنية).

ومن مصنفات أهل الهند في الحكمة العلمية: كتاب (طوطى نامه) كتاب ضخم بالفارسية للشيخ ضياء الدين النخشبي البدايوني بعبارات مهذبة، واستعارات مستعذبة، صنفه 730هـ و(موارد الكلم) بالعربي للشيخ أبي الفيض الناكوري، و(عيار دانش) بالفارسي لأبي الفل بن المبارك الناكَوري[5].

---

[1] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، ص269.

[2] عبد الحي الحسني الندوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج1، ص112.

[3] المرجع السابق، ج2، ص168.

[4] المرجع السابق، ج2، ص157.

[5] عبد الحي الحسني الندوي: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، ص287–288.

مساهمة العلماء الهنود في نقل العلوم الى البلدان المجاورة:

أ/ العلماء الهنود المجاورين بمكة والمدينة:

تعتبر المجاورة بمكة والمدينة ظاهرة دينية واجتماعية، اقتضتها قدسية المكان وشرفه وفضيلته، وأملتها رغبة بعض المسلمين من مختلف أرجاء المعمورة في قضاء فترة من الصفاء الروحي في رحابهما، وقد اختلفت مدة المجاورة حسب رغبة المجاور ودوافعه، فمنهم من جاور شهوراً ومنهم أطال البقاء مجاوراً لأعوام ومنهم من آثر البقاء الدائم، فاختلطوا بأهل البلاد وشاركوا في مختلف مناحي الحياة لا سيما الثقافية منها.[1]

وقد كان حملة لواء العلم سواء كانوا علماءً أم طلاباً، من أبرز فئات المجاورين بمكة والمدينة، حيث وعى هؤلاء أكثر من غيرهم فضل المجاورة وقيمتها في إثراء حياتهم العلمية وأثرها في توسيع ثقافتهم، فهي تتيح لهم من الروافد العلمية المتنوعة، والمناهل الأصيلة المتعددة، ما يكفل لهم قسطاً وافراً من العلوم والمعارف المختلفة، في ظل تواجد الكثير من علماء أقطار العالم الإسلامي شرقاً وغرباً على مدار العام.[2]

وفيما يلي ذكر لأبرز من جاور بمكة والمدينة من علماء الهند النازحين عنها:

الشيخ ريحان الهندي، وقد جاور بالمدينة الشريفة، وكان أحد خدمة المسجد النبوي، وكان من الخدام الذين طالت إقامتهم في الخدمة الشريفة، وله مآثر حسنة كثيرة في المدينة، حيث شيد بها رباطين حسنين، عم النفع بهما وكذلك نخيل جيد، وسقاية للماء، ودارين.. وكان باراً بالصلحاء والعلماء، وقد توفي بعد عام 720هـ/1320م.[3]

---

[1] عبد العزيز بن راشد السنيدي، المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية ، ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الاسلامية 1462هـ ، جامعة القصيم ، ص7.

[2] عبد العزيز السنيدي، المرجع السابق، ص3-4.

[3] السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، دار نشر الثقافة، القاهرة 1399هـ/1979م، 3ج ، ص72-73.

الشيخ سعيد بن يوسف أبو محمد الرفاعي الصوفي وكان أحد فراشي الحرم النبوي الشريف، ويعرف بالهندي، وتوفي عام 730هـ/1330م.[1]

الشيخ أبي الفضائل عبد الرحمن بن البرهان أبي المكارم أحمد بن وحيد الدين.. الغزنوي الدهلوي المولد والنشأة الحنفي، حج وجاور بالمدينة المنورة حتى عام 733هـ/1332م، وذلك وفقاً لما ذكره السخاوي (ت. 902هـ/1496م) في سياق ترجمته للشيخ الحافظ الخزرجي السعدي[2] المتوفي في عام 733هـ/1332م، والذي التقى الشيخ عبد الرحمن الغزنوي الدهلوي المذكور، بالمدينة المنورة في تلك الفترة وكتب عنه بعضاً من نظمه.[3]

الشيخ العالم المحدث، محمد بن يوسف بن علي المكراني الهندي الحنفي(ت 752هـ/1351م) وقد كان وولده محمد ممن جاور بمكة المكرمة طلباً للعلم فأخذا عن كبار العلماء مكة في الحديث النبوي الشريف، وسمع من الرضى الصبري، صحيح ابن جبان (354هـ/965م) وتمت إجازته عن أحاديث من صحيح ابن جبان وذلك في رجب من عام 752هـ/1351م، وتوفي بعد توجهه من مكة عائداً إلى بلاد الهند.[4]

الشيخ الفاضل عمر بن محمد بن أحمد بن منصور بهاء الدين الهندي الحنفي، نزيل مكة والمجاور بها وبالمدينة النبوية، وكان عالماً بالفقه واللغة العربية، مع حلم وأدا وعقل وحسن خلق، وقد توفي أثناء قيامه بالحج عام 758هـ/1357م، إثر سقوطه عن دابته فأصيب بالشلل وحمل إلى مكة حيث توفي في هذا العام أو الذي يليه.[5]

الشيخ محمد بن محمد الصغاني ضياء الدين الهندي الحنفي، سمع بالقاهرة وغيرها، ثم أقام بالمدينة النبوية سنين يفتي ويدرس، حتى حدثت بينه وبين أميرها جفوة انتقل على إثرها للإقامة بمكة، وتولى تدريس الحنفية، وقد توفي بمكة في يوم الجمعة الخامس من ذي الحجة

[1] نفسه ، ج2، ص163-164.

[2] السخاوي: التحفة اللطيفة، ج2، ص384-390.

[3] نفسه ، ج2، ص387.

[4] الندوي، نزهة الخواطر، ج2، ص155-160.

[5] السخاوي، المصدر نفسه، ج3، ص759-769- الندوي، المرجع السابق، ج2، ص94-95.

سنة780هـ/1378م، وقد جاوز الثمانين، وقد كان يؤخذ عليه عصبيته المفرطة لمذهبه الحنفي، لما فهيا من الغض من الإمام الشافعي، إلا أنه كان عارفاً بمذهبه وأصوله إضافة إلى مشاركته في العربية وغيرها.[1]

الشيخ نحيب بن عبد الله الهندي، والذي التقاه المقريزي (ت. 845هـ/1441م) بمكة في عام 787هـ/1385م، ونزل بجواره في رباط الخوازي وأخبره أن له من العمر 95 سنة، منها مدة إقامته بمكة خمس وثلاثون عاماً، وأنه طوال هذه المدة دوام على أن يأخذ في كل يوم عمره.. وكان يتلوا كل يوم ثلث القرآن الكريم...إلا أنه أخذ عليه غلوّه في مذهبه الحنفي غلّواً يفضي به إلى أذى من يخالفه، وقد توفي في عام 789هـ/1387م.[2]

الشيخ عمر بن عبد الله الهندي، ثم المكي سراج الدين "الفافي" وكان عرفاً بالفقه والأصول واللغة العربية، أقام بمكة أكثر من أربعين سنة، فأفاد ودرس وأخذ عنه الكثيرون في تلك العلوم، وقد توفي في ذي حجة من عام 815هـ/1412م عن سبعين عاماً.[3]

الشيخ حسين بن أحمد بن محمد ناصر الدين أبو علي الهندي الأصل الملكي (ت. 824هـ/1421م)، ولد في جمادى الأولى من عام 742هـ/1341م أو التي بعدها بمكة وسمع من كبار العلماء بها، ثم دخل ديار مصر والشام واليمن عدة مرات، وقد صف بأنه كان مفنناً بالفائدة، مكرراً لقراءة الصحيح كل سنة في أواخر عمره.[4]

الشيخ أحمد بن حمد بن محمد بن سعيد بن عمر بن يوسف بن إسماعيل الشهاب أبو الخير بن الضياء الصاغاني الأصل، نسبة إلى الإمام الشهير "صاحب المشارق" وغيرها، فهو هندي الأصل، مدني المولد، مكي الإقامة، حنفي المذهب، ويعرف بابن الضياء، ولد في ربيع الأول من عام 746هـ/1345م بالمدينة النبوية، وسمع بها على كبار علماءها، ثم من كبار علماء مكة، ثم من علماء القاهرة، وقد أولى العلم غاية اهتمامه، خاصة علم الفقه، وقد درس وأفتى كثيراً، كما قام

---

[1] الندوي، المرجع نفسه، ج2، ص142-143.

[2] المقريزي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ص505-506.

[3] السبخاوي، الضوء اللامع، مج3، ج6، ص98.

[4] التقي الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ج1، مطابع الاهرام ، مصر ، 1969، ص244-245.

بتدريس اللغة البنجالية وغيرها من اللغات الهندية...كما اشتغل بقضاء مكة من قبل السلطان الناصر فرج[1] سنة (806هـ/1404م)، فكان أول حنفي يستقل بها، وقد توفي بمكة في عام 825هـ/1422م.[2]

الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك وجيه الدين ابن عمدة الدين القرشي العمري الهندي الحنفي، ويُعرف بـ"راجه"، كانت له عناية بالفقه واجتهاد في أداء العمر، ولذلك عرف بالعمري، وقيل أنه ادعى أنه قرشي من ذرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان أباه قاضياً بدهلي وقيل خطيباً بها، قدم مكة في حدود عام 775هـ/1373م وتوفي في ربيع الأول من عام 827هـ/1424م وقد قارب السبعين، وعلى هذا تكون مدة مجاورته بمكة ما يزيد عن خمسين عاماً، رزق فيها أولاداً وداراً.

الشيخ عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عبد الله الزين الهندي الواعظ، ولد في حدود عام 770هـ/1369م، وجال في بلاد الشرق والغرب والهند واليمن والحجاز وأخذ عن علماءها وسمع الحديث، وقد جاور بمكة في عام 834هـ/1431م، ثم دخل مصر في العام التالي، وقد وصف بأنه كان خيراً، عالماً فاضلاً، فصيحاً مفوهاً، ذا أنس ووقار، وقد غرق في عام 837هـ/1434م، في أثناء عودته إلى بلاد الهند.[3]

وقد أمدنا شمس الدين السخاوي (ت. 902هـ/1496م)، بأسماء عدد كبير من علماء الهند والذين إلتقاهم في مكة والمدينة وأخذوا عنه في مجاوراته العديدة بهاتين المدينتين الشريفتين ومن هؤلاء:

الشيخ حسن الهندي، والذي نزل برباط السيد حسن بن عجلان مجاوراً بمكة وبها مات في ربيع الأول من عام 873هـ/1469م.

---

[1] هو السلطان ناصر الدين فرج، رابع سلاطين المماليك البرجية (784-922هـ)/(1382-1517م) وقد تولى الحكم مرتين الأولى في الفترة (801-808هـ)/(1399-1405م) أما الثانية فكانت في الفترة (808-815هـ)/(1405-1416م) وتفصل فترتي حكمه، حكم السلطان المنصور عز الدين عبد العزيز لعدة شهور. بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص100.

[2] السخاوي، التحفة اللطيفة، ج1، ص250-252.

[3] السخاوي، المصدر السابق، مج2، ج4، ص103.

الشيخ محمد بن عمر بن الهندي، سمع من السخاوي بمكة في عام 886هـ/1481م.

الشيخ مقبل الهندي المكي، وهو ممن سمع من السخاوي بمكة.

الشيخ أحمد بن إبراهيم أحمد الهروجي الهندي القضي.

ب/ العلماء النازحين إلى مصر والشام وغيرها:

وإذا كانت المجاورة بمكة والمدينة قد اجتذبت عددا كبيراً من علماء الهند طلاب العلم بها، فإن قسماً كبيرا من علماء الهند وطلابها قد رحل إلى مدن وأقطار إسلامية عديدة في سبيل طلب العلم، فمنهم من آثر البقاء في تلك المدن ومكث بها واتخذها داراً ومستقراً، ومنهم من مكث لفترة محددة ثم آثر العودة إلى بلاده ومن أهم تلك المدن بغداد ودمشق وعدن، ومن أبرز المدن الإسلامية التي أثر علماء الهند النزوح إليها بعد مكة والمدينة، مدينة القاهرة فها هو ابن الزيات في كتابه "الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة" يترك لنا ما ينهض دليلاً على كثرة عدد من أقام بمصر من الهنود حتى صارت لهم مقبرة خاصة عرفت "بمقبرة الهنود"[1]، حوت مقابر لعدد من مشائخ الهنود الذين سكنوا مصر في الرباطات والزوايا والخانقاهات، كما كانت لهم حارة معروفة بسكناهم عرفت أيضاً باسم "حارة الهنود"[2]، كما وجدت زاوية عرفت أيضاً باسم "زاوية الهنود"[3].

---

[1] ذكر ابن الزيات في سياق ذكره الشقة الأولى من المشاهد: إذا أخذت شرقاً من قبة الصوفي قاصداً لمقبرة الهنود وجدت بينهم قبراً مبنياً بالحجر الكدان مسنماً، عند رأسه لوح من الرخام وكذلك عند رجليه، وكان بعض الزوار يقف عنده ويقول إنه من مشائخ الهنود قبلي هذا القبر، عند الخروج من الزقاق المجاور لتربة سيدي عبد الله الرومي، المقابلة لتربة العساقلة، والخط المعروف بزقاق الهنود، ورأيت على قبر منها "عمر الهندي" وعلى آخر الشيخ محمد الهندي، أنظر: أبو المعالي أطهر المباركبوري، رجال السند والهند إلى القرن السابع، ق1، ص179–180 .انظر ايضا: شمس الدين ابن الزيات: الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبرى والصغرى، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1325هـ/1907م، ص 211.

[2] حارة الهنود: عرفت بسكن الهنود، ولها ست مسالك، الأول من سويقة ابن العجمية، والثاني والثالث من كوم دينار والرابع والخامس من حارة الغرباء والروشابة والسادس من خوخة بسم الله من سوق وردان– أنظر ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ط1، المطبعة الأميرية، بولاق 1309هـ/1891م، مج4، ج4، ص13.

[3] زاوية الهنود: سجلت مصلحة الآثار في صفحة (4) من مهندس الآثار الإسلامية بالقاهرة هذا الأثر ضمن آثار دولة المماليك البحرية، وإن كان المؤرخين قد اختلفوا في ذلك حين نسبها البعض إلى العصر الأيوبي– أنظر أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها ، القاهرة 1969، ج2، ص44.

الشيخ الفاضل الحسن بن محمد أبو الفضائل القرشي العلوي العمري الصغاني، البغدادي الوفاة (650هـ/1252م)، اللاهوري المولد والنشأة، ولد بلاهور في عام 577هـ/1181م، ثم دخل بغداد في صفر من عام 615هـ/1217م، ثم أرسل برسالة إلى بلاد الهند في عام 617هـ/1220م، ورجع منها في عام 624هـ/1227م، ثم أعيد إليها رسولاً مرة أخرى في شعبان من العام نفسه، وعاد إلى بغداد في عام 637هـ/1240م، وقد جال الصغاني في مدن كثيرة منها مكة وعدن، حتى استقر في بغداد، وقد ترك العديد من المصنفات، منها "مجمع البحرين"، "الشوارد في اللغة"، وكتاب "أسماء الأسد"، وكتاب "مشارق الأنوار النبوية"، و"مصباح الدجى"، " الشمس المنيرة" في الحديث، و"السحابة ي وفيات الصحابة"...إلى غير ذلك، وقد كن عالماً صالحاً، علامة في كثير من العلوم، إماماً في اللغة والفقه والحديث، وقد توفي في بغداد من العام المذكور، ووصى أن يُدفن بمكة، وجعل لمن يحمله ويدفنه بمكة خمسين ديناراً.[1]

الشيخ صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الهندي الأرموي، الفقيه الشافعي (ت.715هـ/1315م)، كان مولده ببلاد الهند في ربيع الآخر من عام 644هـ/1246م، وتفقه على جده لأمه، ثم سار من دهلي سنة 667هـ/1268م إلى اليمن، ثم حج وجاور ثلاثة أشهر، جالس فيها ابن سبعين (ت. 669هـ/1270م) أحد علماء مكة، ثم دخل مصر فأقام بها أربع سنوات، ثم سافر إلى بلاد الروم فأقام بها إحدى عشرة سنة، ثم قدم دمشق في عام 685هـ/1286م، فسمع على كبار شيوخها، ثم عمل بالتدريس والإفتاء والإقراء في الأصول والمعقول والتصنيف، وقد توفي بدمشق ودفن بمقابر الصوفية، ومن تصانيفه في علم الكلام الزبدة"، "الفائق"، وفي أصول الفقه "النهاية" و"الرسالة السيفية"، وقد وصفت مصنفاته بأنها حسنة جامعة لا سيما "النهاية".[2]

الشيخ سراج الدين أبي حفص عمر بن اسحق بن أحمد الغزنوي الهندي الحنفي، (ت. 773هـ/1381م) الهندي المولد والمنشأ، ولد في عام 714هـ/1314م، واشتغل بتحصيل العلوم في

---

[1] أبي الوفاء القرشي: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، ج2، ص82-83 . أيضاً، المقريزي: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج3، ص167-168- أيضاً: ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص26-27.

[2] اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج4، ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1413هـ/1993م، ص272. ابن كثير، البداية والنهاية، مج7، ج14، ص457-458. محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي،مكتبة الاداب، القاهرة 1381هـ/1962م، ص23.

بلاده، فتفقه على كبار علماء دهلي، منهم "الوجيه الرازي"، "سراج الدين الثقفي"، "ركن الدين البدايوني"، وغيرهم من علماء الهند، وقد نزح سراج الدين الهندي إلى مصر قبل عام 740هـ/1339م، ونزل في مدارس الحنفية بها، واشتهرت محاسنه وفضائله، وعظمت منزلته عند السلطان ناصر الدين حسن[1] فرتب له راتباً عظيماً، ثم تولى سراج الدين الهندي قضاء العسكر، كما كان أول من ولى قضاء الحنفية والذي صنفه ابن شاهين الظاهري (ت.872هـ/1467م) في المرتبة الثانية في مصر بعد قاضي قضاة الشافعية، والذي أتى بعده في التصنيف، قاضي قضاة الملكية تلاه قاضي قضاة الحنابلة[2]، وقد كان السراج الهندي، إماماً بارعاً في الفقه والنحو والمعاني والبيان، تصدر للإفتاء والإقراء والتدريس سنين، ومن أشهر مصنفاته "شرح المغني" و"شرح البديع"، و"شرح الزيادات"، و"شرح الجامع الكبير"، و"شرح عقيدة الطحاوي"، و"زبدة الأحكام في اختلاف الأئمة الأعلام" و"الغزة المنيفة في ترجيج مذهب أبي حنيفة" وغيرها... وقد توفي سراج الدين الهندي في السابع من رجب بالقاهرة في العالم المذكور وبها دفن.[3]

الشيخ عبد الله بن عمر بن علي بن مبارك الهندي السعودي الحلاوي (ت.807هـ/1405م) ولد في التاسع من المحرم من عام 728هـ/1327م بالقاهرة، وهو حفيد الشيخ مبارك الحلاوي الهندي، الذي أنشأ الزاوية التي عرفت باسمه في عام 688هـ/1289م وهي "زاوية الحلاوي"، والتي وصفت بأنها من الزوايا الشهيرة بالقاهرة، بالقرب من الجامع الأزهر[4] وقد نشأ الشيخ عبد الله بهذه الزاوية، التي أصبحت مجمعاً لطلبة الحديث في تلك الفترة، فسمع وقرأ على كثير من علماء عصره، فنال مكانة علمية رفيعة، ودفن بعد وفاته في تلك الزاوية.[5]

---

[1] هو السلطان ناصر الدين حسن بن الناصر محمد بن قلاوون من أعظم سلاطين المماليك البحرية تولى الحكم مرتين الأولى في الفترة (748-752هـ)/(1347-1351م) والثانية في الفترة (755-761هـ)/(1354-1361م) ومن أهم إنجازاته "مدرسة وجامع" السلطان حسن بالقاهرة والتي توفي قبل انتهاء تشييدها- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص148-198، 235-264- بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص100.

[2] خليل بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح: بولس راويس، باريس، 1894م، ص92.

[3] العراقي: الذيل على العبر في خبر من غبر، تحقيق : صالح مهدي عباس، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1409هـ/1989م، ج2، ص336-337.

[4] المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مطبعة مدبولي، القاهرة، 1998م-ج2، ص613-614.

[5] المقريزي، الخطط، ج2، ص613-614. المباركبوري، رجال السند والهند، ق1، ص232.

الشيخ عبد الله بن شيرين (الشيخ جمال الدين الهندي الحنفي) (ت.809هـ/1407م)، وقد

جال في بلاد الهند سنين عدة، ثم قدم القاهرة واستمر خطيباً بالمدرسة البرقوقية[1] سنيناً، وكان حسن الذاكرة، عارفاً بكثير من الأخبار المتعلقة ببلاد الهند، وذكر المقريزي (ت. 845هـ/1441م)، أنه صاحبه سنيناً.[2]

الحسن بن البدر الهندي ثم الدمشقي نزيل حماة (ت.833هـ/1430م)، وهو إمام علامة، محقق مدقق، ذو فنون عديدة، وقد وصف بأنه: "متمكن من العقليات، مع فصاحة وحسن تقرير، وتزهد وغير ذلك من المحاسن، وقد ظل بمدينة حماة ما يقرب من الثلاثين عاماً، مشاركاً في الحياة العلمية والثقافية بها، يأخذ العلم من كبار علماءها ويؤخذ عنه في الكثير من العلوم، أبرزها الفقه والصرف والعربية، توفي بحماة ودفن بها عن نحو سبعين عاما.[3]

الشيخ عبد اللطيف بن أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد النجم بن الشهاب بن الضياء الهندي، دخل مكة، وتلقى العلم بها على يد العديد من علمائها، ثم ارتحل إلى، مدينة دمشق، وحفظ كتبا، واشتغل بتدريس بعضها في مصر، وقد عاش في مصر بضع سنين وبها توفي في عام 818هـ/1415م.[4]

---

[1] أي المدرسة الظاهرية البرقوقية، مدرسة وخانقاه وجامع في القاهرة، وتسمى أيضاً" الظاهرية الجديدة"، تمييزاً لها عن الظاهرية العتيقة (مدرسة الظاهر بيبرس البندقداري)، والمدرسة المعنية، أنشأها السلطان برقوق سنة 788هـ/1386م بخط بين القصرين بالقاهرة، ويقال لها اليوم جامع السلطان برقوق، وهي لا تزال قائمة بشارع المعز لدين الله، والذي يعرف في تلك المنطقة باسم شارع "النحاسين" وشارع "بين القصرين"– أنظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص240

[2] المقريزي: دررالعقود الفريدة، ج2، ص356– ابن حجر العسقلاني، الذيل على الدرر الكامنة، ص184–185.

[3] السخاوي: المصدر السابق، مج2، ج3، ص132. التقي الغزي: الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ج1، ص244.

[4] السخاوي: المصدر نفسه، مج2، ج3، ص324.

التأثير والتأثر

أثر الإسلام على العقيدة الهندوسية:

عرفت بلاد الهند، الدين الإسلامي الوافد على أراضيها بطريقتين، الأولى كانت في المدن الساحلية الغربية لشبه القارة الهندية، وخاصة المدن التجارية الهامة مثل كنباية، وكولم[1]، وقاليقوط[2] وغيرها، وقد دخلها الإسلام عن طريق التجار العرب الذين اعتادوا ممارسة التجارة مع بلاد الهند منذ عصور موغلة في القدم، فحملوا معهم الدين الجديد فورا إشراق شمسه، ودعوا إليه بالمنطق والحجة والإقناع.

أما الطريقة الثانية، فجمعت بين السيف والدعوة في وقت واحد، تمثلت في الحملات التي قصدت بلاد الهند منذ عام 15هـ/636م عن طريق الشمال والشمال الغربي لبلاد الهند، أو ما عرف بإقليم السند.[3]

وكان من أثر اختلاف الوسيلة التي دخل بها الإسلام إلى بلاد الهند، أن اختلفت كذلك ردة فعل الهندوس تجاه هذا الدين الجديد وكيفية استقبالهم له، ففي المناطق الساحلية انطوت نظرة الهندوس تجاه الإسلام على كثير من التسامح–ساعد عليه المكانة الكبيرة التي تمتع بها التجار العرب في هذه المدن، بصفتهم الوسطاء في نقل حاصلات الهند إلى الغرب، وكذلك جلب حاصلات الغرب إلى الهند، فكانوا السبب الرئيسي في ازدهار الحياة الاقتصادية في تلك المدن وثراء ملوكها، الذين نظروا للتجار العرب والمسلمين بكثير من التقدير والاحترام، وسمحوا لهم

---

[1] **كولم:** مدينة هامة على الساحل الغربي لبلاد الهند "مليبار" إلى الجنوب من مدينة قاليقوط، وتمتعت بمكانة تجارية كبيرة، نظرا لما امتلكته من ثروة نباتية هائلة، وتعود شهرتها إلى تصدير الأعشاب والعقاقير الطبية، وقد وصف ابن بطوطة مرساها بأنه أعظم المراسي وأكبرها ويعادل مرسى الإسكندرية وقاليقوط– وهي كيلون Quilon الحالية. أنظر: القزويني:آثار البلاد وأخبار العباد،المصدر السابق، ص107

[2] **قاليقوط:** إحدى المراكز التجارية الهامة بساحل مليبار، اشتهرت بتجارة التوابل والأحجار الكريمة، وهي مدينة كالكاتا الحالية. نعيم زكي فهمي : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973، ص167.

[3] وهو دولة باكستان الحالية . أنظر: حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص154–155.

بالدعوة لدينهم وبناء مساجد لهم وممارسة شعائرهم دون أي عائق، بل سمحوا لمن اراد اعتناق الإسلام من رعاياهم، باعتناقه دون خوف من بطش أو تنكيل.[1]

أما الصورة الثانية لاستقبال الهندوس للدين الإسلامي، فنجدها في تلك المناطق الداخلية في الشمال والشمال الغربي، والتي انطوت على شيء غير قليل من العداء للعرب والإسلام، الذين نظرا إليه على أنه دين حمله إليهم غرباء بالسيف وقد ظلت الإمارة الإسلامية في إقليم السند تعاني وقتا طويلا من جراء استمرار هجمات الهنادكة في الممالك المحيطة بها.[2]

وبمرور الوقت مع نشاط الرعيل الأول من الفاتحين العرب في نشر الدعوة الإسلامية، وإطلاع الهندوس على تعاليم الإسلام ومبادئه السمحة، أقبل الكثير منهم على اعنتا هذا الدين الجديد، والذي ضمن لهم المساواة وألغى الفوارق بين الطبقات التي عانوا منها في ظل العقيدة الهندوسية.[3]

وقد زاد من انفتاح الهنود على الإسلام، ما وجدوه من تسامح المسلمين تجاه عقائدهم وانتفاء روح التعصب تجاه أصحاب الديانات الأخرى، وهو ما ظهر جليا في عدم تردد الحكام المسلمين في الاستعانة بالهنود من غير المسلمين في مختلف النواحي الإدارية.[4]

وهكذا نجد المسلمون بتسامحهم في تحويل روح المواجهة بين الثقافة الإسلامية الوافدة والثقافة الهندية الأصلية إلى روح التعاون والتعايش الذي أدى إلى تأثير متبادل في شتى مجالات الأدب، والعلم والفلسفة.[5]

---

[1] ت. وز. أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، المرجع السابق، ص225- أيضاً: .=

D.M. Dunlop: Arab civilization to A.D 1500, p12.

[2] الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ص51-57. أنظر : محمد كبير شودري، فرق الهند المنتسبة للإسلام، ، مذكرة ماجستير ،جامعة أم القرى ، 1999.ص528.

[3] إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص54.

[4] الساداتي: المرجع السابق، ص59.

[5] إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص51.

وعلى جانب آخر كان اعتناء ملوك وسلاطين الهند المسلمين بعلوم الهنادكة وعدم ترددهم في الاستفادة من تلك العلوم والمعارف القديمة كلما سنحت لهم فرصة لذلك سبباً في تنامي مشاعر التسامح والتعاون في المجتمع الهندي بين المسلمين والهنادكة.[1]

وكما كان حرص حكام الهند المسلمين على الاستفادة من علوم الهنادكة وتراثهم القديم، نجد أن اختلاط الهنادكة بالمسلمين قد أدى إلى تأثرهم بالكثير من تعاليم الإسلام وأفكاره ومبادئه، التي دفعت من لم يعتنق الإسلام منهم إلى إعادة النظر وإعمال الفكر في كثير من عقائدهم وتقاليدهم الدينية، والتي طغت عليها الأساطير والخرافات، فظهرت اتجاهات عديدة تزعمها عدد من الإصلاحيين الهندوس، تهدف إلى تغيير كثير من مبادئ عقيدتهم، وأيضا إبطال كثير من عاداتها وطقوسها الدينية، وكان الإسلام بتعاليمه مبادئه السامية هو إلهامهم الأساسي فيها.[2]

وأهم هذه الاتجاهات الإصلاحية أو التيارات الفلسفة الدينية التي ظهرت في بلاد الهند تحت تأثير التقاء الفكر الهندي الوثني، بالدين الإسلامي، فلسفة "الفيدانتا"[3]، والتي أحياها "شانكرا"[4]، وهي فلسفة تقوم على مبدأ وحدة الوجود (Monism)، كما كان مبدأ تحريم الأوثان الذي أرساه الإسلام، وكذلك دعوته إلى اسقاط الحواجز الدينية والاجتماعية التي اعترضت بعض طوائف الهنادكة، خاصة طائفة المنبوذين، من العوامل الهامة التي أدت إلى نشأة عقيدة "باختي" التي ظهرت في جنوب الهند، والتي ستنادي في إطار تأثرها بالإسلام إلى عبادة إله واحد، وبالحرية في اختبار الدين[5].

---

[1] أحمد بخشي الهروي: طبقات أكبري، ج1، ص192- الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص145، 188، 202.

[2] إسماعيل العربي: الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص52.

[3] **فيدانتا:** كلمة سنسكريتية، تعني ختام المقيدات، والمقيدا هو كتاب الهندوس المقدس، وتنادي فلسفة المقيدانتا بوحدة الوجود، بوحدة الخالق والمخلوق، في حين يؤكد الإسلام على وحدانية الله الذي لا شريك له ، للمزيد عن فلسفة المقيدانتا . أنظر: ول ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج3، الهند وجيرانها، ص268.

[4] **شانكرا:** أحد الإصلاحيين الهنادكة عاش في الفترة (788-820م)/(172-204هـ) . أنظر: إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص53.

[5] أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى، ص66-68- أيضاً: إسماعيل العربي: المرجع نفسه، ص53.

وكان من أهم دعاة هذه العقيدة التي ازدهرت خلال خمسة قرون، من القرن الخامس إلى القرن الحادي عشر الهجريين (الحادي عشر إلى السادس عشر الميلاديين)، كل من "رامانوجا"[1]، و"كابير"[2]، و"نانك"[3].

حيث يرى "رامانوجا"(442-531هـ)/(1050-1137م)، والذي عرفت فلسفته باسم "فيستافا باختي"، أن المثل الأعلى للإنسان، هو حب الله وعبادته والاستسلام التام لقضائه وقدره، في تأثر واضح بالعقدية الإسلامية.[4]

ولعل أقرب هذه التيارات إلى الفكر الإسلامي تيار "كابير" الفلسفي، الذي تعتبر تعاليمه نسيجاً جمع فيه بين الشعور الديني الإسلامي، والشعور الهندوكي الهندي، فقد كان "كابير" (843-924هـ)/(1440-1518م) من أبوين هندوكيين، ونشأ نشأة خهندوسية تقليدية وقد درس الدين الإسلامي، وأعلن محبته لهذا الدين[5]، ولكنه كان أيضاً منجذباً بحكم نشأته إلى الهندوسية، لذلك أراد التوفيق بين الهندوسية والإسلام، فأخذ يقرض شعراً بلغ الغاية في الجمال، "شرح فيه عقيدة دينية لا يكون فيها معابد ولا مساجد ولا أوثان".[6]

---

[1] **رامانوجا:** مصلح هندي (442-531هـ)/(1050-1137م) يأتي في المرتبة الثانية بعد شانكرا في الهندوكية، بوصفه شارحاً ومفسراً لفلسفة الفيدانتا. أنظر: J. D. Cunningham : History of the Sikhs, 2nd Ed,1953, pp2931.

M. A. Macauliffe: The Sikh religion, 6 Vol, 1909, Vol 3, pp89-102.

[2] **كابير** : هو أحد كبار شعراء الهنادكة، ولد في 843هـ/1440م ومات في 924هـ/1518- وهو كذلك من أعظم مفكري الهند مكانة- حظيت أفكاره برواج كبير من المسلمين والهندوس معاً.=

- Rawlinson, H. g, India, A Short cultural history, pp 244-246.

[3] **ناناك:** ويُلقب كذلك بـ"جورو" أي المعلم، ولد سنة 874هـ/1469م في قرية ري بوي دي التي تبعد 40 كيلومتراً عن لاهور، ونشأ نشأة هندوسية تقليدية، كان محباً للإسلام، ونظر إليه البعض على أنه كان مسلماً في الأصل، ثم ابتدع مذهبه هذا "السيخية"، وقد مات في عام 945هـ/1539م ودفن في بلده "ديره باناناك" من أعمال المبنجاب الهندية الآن، ولا يزال له ثوب محفوظ فيه، مكتوب عليه سورة الفاتحة، وبعض قصار سور القرآن، ويحمل أتباعه لقب "المهراجا"

- W. H. Ncloed: Guru NANAK and the Sikh religion, 1968, p5-9.

[4] إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص54.

[5] قيل أيضاً أن "كابير" كان من أب مسلم وأم من عذارى البراهمة- (لذلك أثرت نشأته تلك على شخصيته وأفكاره التي أنتجت فلسفته الرامية إلى المزج بين الهندوسية والإسلام)- أنظر: ول ديورانت: قصة الحضارة، مج2، ج3، ص327.

[6]- Edward Washburn Hopkins: The religions of India, I Volume, London, 2004, pp105-107.

- Khushwant Singh: A history of the Sikhs, 2 Vo, NY 1963-1966, II, pp27-53.

فقام بمزج كثير من العقائد الهندوكية مع بعض مبادئ وتعاليم الدين الإسلامي، شريطة أن يبقى التوحيد أساساً لا حياد عنه، فهو من جانب يدين الطقوس الهندوسية وعبادة الأوثان، كما يدين نظام الطبقات ككل وخاصة نظام المنبوذين، ولكنه يأخذ عنهم فكرة "تناسخ الأرواح"[1]، لذلك أخذ يدعو الله في أشعاره- كما يفعل الهندوس- أن يخلصه من أغلال العودة إلى الولادة، والعودة إلى الموت.[2]

ومن جانب آخر، أخذ "كابير" عن الإسلام مبدأ وحدانية الخالق، والمساواة والإخاء بين البشر دون تفرقة أو طبقات، ولكن في الوقت نفسه، يأخذ على الإسلام تمسكه بنبي واحد كتاب واحد، ويكرر قوله أن الهندوس والمسلمين شيء واحد، فهم يعبدون إلهاً واحداً، وهم من أصل واحد، فخرج بذلك بعقيدة تنادي "بألا يكون هناك معابد ولا مساجد ولا أوثان ولا طبقات".[3]

ورغم أن مذهبه هذا قد لاقى في بادئ الأمر قبولاً لدى عدد كبير من المسلمين والهندوس معاً، إلا أن تياره الفكري هذا قد انقرض بموته[4]، مقتصرا على ما خلفه "كابير" من مجموعة من

[1] تناسخ الأرواح في ديانات الهند، له علاقة بشريعة "الكارما"- أي الأعمال أو الأفعال- وطبقاً لهذه الشريعة، فإن أفعال الشخص تحدد نوع الجسد الذي سوف تدخله الروح أو تتقمصه أثناء التناسخ، فإن كان الإنسان خيراً حلت روحه في حالة أرقى مثل جسد كاهن، أما الذي عاش حياة = أثمة، فإن روحه ستُبعث في جسد حيوان، ويختلف مفهوم تناسخ الأرواح بين الديانات التي تؤمن به، فمنها من يرى أن التناسخ يكون في أجساد البشر فقط، ومنها من يرى إمكانية كونه في البشر والحيوان، والبعض يرى أنه يكون في البشر المنحدرين من نفس الشخص المتوفى- (ولا يخفى أن هذه دعاوى باطلة ليس عليها دليل من كتاب أو سنة).

- SQACHCHIDANANDA BHATTACHARYA, A Dictionary of Indian History, p779.
- Sher Singh: Philosophy of Sikhism, 1944, pp32-35.

[2] أحمد شلبي، المرجع السابق، ص67-70 . ول ديورانت، نفسه، ص328.

- Sher Singh: Philosophy of Sikhism, p33.

[3] إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص55- ول ديورانت، قصة الحضارة، ج3، ص328.

- Edward Washburn, The religions of India, p106.
- Khushwant Singh: A History of the Sikhs, II, p35.

[4] بعد موت "كابير" 924هـ/1518، تنازع كل من المسلمين والهندوس على جسده، هل يُدفن أم يُحرق، كرمز لتنازعهم على انتمائه، أكان مسلماً أم هندوكياً، وحتى اليوم هناك طائفتين صغيرتين تتنافسانه إحداهما مسلمة والأخرى هندوسية، أنظر: ول ديورانت، المرجع السابق، ص329-330.

Rawlinson , India, A short cultural history, p246.

الأشعار باللغة المبنجابية، تظهر تمازج العقيدتين المختلفتين، الهندوسية والإسلامية، وكأنهما مرتبطين برباط صوفي يجمع بينهما.[1]

أما "ناناك"(874-945هـ)/(1469-1538م) والذي كان معاصراً "لكابير" فهو واضع عقيدة "السيخ"[2]، ومؤسسها الأول، والتي هي نتاج تطور فلسفة "المقيستافا باختي" التي بدأها رامانوجا ونقلها إلى شمال شبه القارة الهندية، والتي استلهمت الكثير من مبادئها وأفكارها من تلك الأشعار، التي خلفها "كابير"، وهي تعتبر إحدى حركات الإصلاح الديني، التي تأثرت كثيرا بالإسلام، واندرجت ضمن محاولات التوفيق بين العقائد الهندية والدين الإسلامي.[3]

وقد نشأ "ناناك" نشأة هندوسية تقليدية، كمعاصره "كابير" ولكنه تعرف بأسرة مسلمة، كانت تعمل في خدمة أحد زعماء مدينة "سلطانبور" والذي صادف أن عمل لديه "ناناك" أيضا، فتعرف على الدين الإسلامي عن قرب، وأعلن عن محبته لهذا الدين، وإن ظل منجذباً للهندوسية التي نشأ عليها، فكان ذلك سبباً في رغبته التقريب بين العقيدتين، تحت شعار "لا هندوس ولا مسلمون".[4]

وقد ادعى "ناناك" أنه رأى الرب الذي أمره بالعودة إلى تلك الأفكار، وقد زار مكة والمدينة منددا بأفكار الهندوس وعقائدهم الوثنية والطبقية، وكانت مبادئه وأفكاره تلك، هي النواة التي قامت عليها عقيدة السيخ، التي تدعو إلى التوحيد، وتحريم عبادة الأوثان، والتأكيد على وحدانية الخالق الحي الذي لا يموت والذي ليس- له شكل، ويتعدى عندهم حدود إدراك البشر، ولذلك يتمسكون

---

[1] ترك كابير مجموعة كبيرة من الأشعار، ترجم منها شاعر الهند العظيم طاغور (Rabindranath Tagore) (توفي سنة 1912م)، ما يقرب من المائة قصيدة.

H.G. Rawlinson, G.I.E., India, A short cultural history, p246.

[2] السيخ: كلمة سنسكريتية، تعني المريد أو التابع أو التلميذ- وهم يتركزون الآن في المبنجاب من الهند، وهم أقلية لا يتجاوز عددها 15 مليون نسمة، وهم شديدوا العداء للمسلمين والهنادكة على حد سواء، وقد أيدوا الوجود البريطاني في الهند، ويسعون إقامة دولتهم الخاصة. فقد حادوا عن التسامح الذي نشأت عليه عقيدتهم ومالوا نحو العنف والتعصب- أنظر: العربي، المرجع السابق، ص80-82- النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص24.

Hopkins : The religions of India, p231.

[3] إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص81.

Rawlinson, India (A short cultural history),pp244-246.

[4] W.H. Nvlord : Guru NANAK and the Sikh religion, p20-23.

برمزيته ويمنعون تمثيله في صور، كما أنهم لا يقرون عبادة الشمس والأنهار والأشجار، التي يمارسها الهندوس، ولكنهم من جانب آخر، يبيحون شرب الخمر، وأكل لحكم الخنزير، ويحرمون لحم البقر مجاراة للهنادكة كما أنهم يستخدمون كل من الأسماء الإسلامية والهندوسية.[1]

وهكذا خرجت السيخية بسمات مثلث الامتزاج بين التصوف الهندي والعقيدة الهندوسية وبعض مبادئ الدين الإسلامي، لتنادي بأن غاية الإنسان في الحياة هي نيل رضى الله والإخلاص في عبادته.[2]

ومما سبق يتضح لنا مدى تأثير الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية على عقائد الهنادكة، ذلك التأثير الذي تتضح مدى أهميته إذا أدركنا أنه رغم نجاح الإسلام في اكتساب أعداد كبيرة من الهنادكة إلى صفه، فإن هؤلاء المسلمين الذي ضمهم الإسلام تحت عباءتهن لم تكن لهم الغلبة العددية في بلاد الهند، مقارنة بأعداد من ظلوا على وثنيتهم ولم يعتنقوا

الإسلام من الهنادكة، وإن كانت للمسلمين بالطبع الغلبة السياسية والعسكرية.[3]

وهو ما ينهض دليلاً على قوة وثبات أركان هذا الدين، وقدرة الثقافة الإسلامية على أن تسود غيرها من الثقافات، وأن تغزو بمبادئها السامية وفكر عقائد أصحاب الديانات الأخرى، بالحجة والمنطق، والاقناع.

---

[1] إسماعيل العربي: المرجع نفسه، ص80–82.

[2] نفسه، ص 55.

[3] يقول ول ديورانت: "ليس من العجيب أن يفشل الإسلام في اكتساب الهند إلى اعتناقه، إنما المعجزة هي ألا يخضع الإسلام في الهند للهندوسية، فبقاء هذه الديانة الموحدة على بساطتها وصلابتها وسط ألوان من الديانات التي تذهب إلى تعدد الآلهة، (بل ويفرض مبادئه وأفكاره، وتعاليمه على فكر أصحاب تلك الديانات، فلا يملكون إلا الاقتداء بها)، دليل على ما يتصف به العقل الإسلامي من رجولة".

أنظر: ول ديورانت، قصة الحضارة، المرجع السابق، مج2، ج3، ص407.

الخاتمة

الخاتمة

بعد ان ختمت هذا البحث الذي حاولت فيه تسليط الضوء على الدور السياسي والحضاري لسلطنة دهلي، ومن خلال صفحات هذا البحث خرجت بالعديد من النتائج والأراء والاستنتاجات

حيث من خلال ما سبق توصلت الى معرفة احوال الهند قبل الفتوحات الاسلامية، وذلك بإعطاء نبذة حدودها الجغرافية وأهم سكانها، ولغاتها، وحياتهم الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية.

وكذلك كيفية انتشار الاسلام، واهم العوامل التي مهدت لانتشاره، لاسيما الطرق السلمية المتمثلة في التجار، والجاليات العربية المسلمة، والطرق الصوفية والمساجد، وكذلك تعرفت على أحوال الهند في شتى الميادين إبان الفترة الاسلامية .

ومن النتائج

كانت الهند تعيش في اضطراب قبل الفتح الاسلامي خاصة في الجانب الديني، حيث كانت تعيش في وسط الخلافات المذهبية، فعبدت الاصنام، وتألهت بمظاهر الطبيعة، وقدست الحيوانات.

أما على الصعيد الاجتماعي فعانت الهند من نظام طبيقي جائر استهان بشرف الانسان وأدميته، وأهينت المرأة وهضمت حقوقها، فكانت تعامل معاملة الإماء وليس لها حق في الميراث، وكان يفرض عليها حرق نفسها إذا مات زوجها.

وبدخول الاسلام الى الهند بفضل التجار وكذا رجال التصوف الذين امتازوا بحسن الخلق في المعاملة والجوار وما كان له الاثر الفعال في نشر الاسلام وتعميق عقيدة التوحيد.

حيث ان المرأة بدخول الاسلام ارتفعت مكانتها ورفع من شأنها، واكفل لها الاسلام حياة امنة مستقرة وقضى على العادات والتقاليد التي كانت تعامل بها المرأة من قبل، بل اكثر من ذلك شاركت في الحياة السياسية وفي الحكم وضمن لها حقها في الميراث.

وكان من اهم روافد الحضارة الاسلامية في الهند انتشار الدين الاسلامي بين رجال البلاد والقضاء على العديد من الديانات التي لم ينزل الله بها من سلطان، وقد رأينا العوامل التي أدت الى انتشار الاسلام، وكان اهمها مبادئ الدين الاسلامي نفسه التي أعطت للهنود الفرصة لمقارنتها مع نظام الطبقات التابع للديانات الهندية.

كما كان لتشجيع سلاطين دهلي للاهالي اثره في اسلام اعداد كثيرة منهم، حيث لم يمنعوا اي هندي من الوصول الى اعلى المناصب في الدولة، وكان لذلك الأثر الطيب في اسلام العديد من أهل البلاد، الذين طمعوا في احتلال مكانة مرموقة في المجتمع.

اهتمام السلاطين بالتعليم وذلك لمساعدتهم في نشر الدين الاسلامي، ووجدت مؤسسات تعليمية ضخمة في المساجد والمدارس وقد درس في تلك المنشأت علماء من الهند مما ادى الى رفع مستوى التعليم.

تتحسنت الأحوال الاقتصادية، حيث اهتم السلاطين بالزراعة وشق القنوات وإستصلحوا الأراضي، فكثرت المنتجات الزراعية، كما اهتموا بالصناعة وفتحت الأسواق وتوسعت حركة التبادل التجاري.

تأثرث الحضارة الهندية بالعمارة الاسلامية، فيلاحظ أنه من نتائج تعدد الدويلات الاسلامية بشبه القارة الهندية ظهر طراز معماري جديد وهو مزيج بين الهندية والعربية والأسلامية والتركية.

الملاحق

الملحق 1

قائمة بأسعار بعض المنتجات خلال عهد محمد بن تغلق [1]:

السلعة	السعر بالدرهم الهشتكاني
القمح	من [2]= درهم ونصف
الشعير	من = درهم
الأرز	من = درهمين إلا ربع
الحمص	من = نصف درهم
لحم البقر والماعز	6 أستار [3]= ربع درهم
لحم العنم	4 أستار = ربع درهم
الأوز	طائر = درهمين
الدجاج	4 طيور = درهم
السكر	5 أستار = درهم
رأس الغنم الجيدة	8 دراهم
البقرة الجيدة	61 درهم
سكر النبات	4 أستار = درهم

[1] العمري ، مسالك الأبصار ، ص 60-61. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ص85-86.

[2] المن: يساوي 25.11 كجم تقريبا ، أنظر هينتتس فالتر، المكاييل والموازين ، ص54.

[3] الستر: يساوي تقريبا 46.4 ، أنظر هينتتس فالتر، المكاييل والموازين ، ص19.

قائمة بأسعار بعض المنتجات في عهد فيروز شاه[1]

السلعة	السعر بالجنتيل
القمح	من = 8 جنتيل
الشعير	من = 4 جنتيل
حنطة	من = 4 جنتيل
السكر	ستر = 3 جنتيل

[1] شمسي السراج عفيف ، تاريخي فيروز شاهي ، ص 290.

الملحق رقم 2 عملات من الهند بأسماء بعض سلاطين دهلي





الوجه الاول: السلطان الاعظم علا الدنيا والدين الوجه الثاني: أبو المضفر محمد شاه





الوجه الاول: السلطان الاعظم علا الدنيا والدين الوجه الثاني: سكندر الثاني يمين الخلافة

أبو المضفر محمد شاه السلطان ناصر امير المؤمنين

بلهامش: بحضرة دهلى

المرجع: مرفت عبد الهادي عبد اللطيف: عملات من الهند بأسماء بعض سلاطين دهلي الخلجيين وعلاقتهم بالخلفاء العباسيين، مجلة اتحاد الجامعات العربية، مجلد 11، 2014، ص 49

الملحق رقم 03 عملات من الهند بأسماء بعض سلاطين دهلي





الوجه الاول: السلطان الاعظم علا الدنيا الوجه الثاني: سكندر الثاني يمين

والدين أبو المضفر محمد شاه السلطان الخلافة ناصر امير المؤمنين

بلهامش: ضرب هذه السكة بحضرة دهلى سنة خمس وسبعمائة

المرجع: مرفت عبد الهادي عبد اللطيف: عملات من الهند بأسماء بعض سلاطين دهلي الخلجيين وعلاقتهم بالخلفاء العباسيين، مجلة اتحاد الجامعات العربية، مجلد 11، 2014، ص 50

الملحق رقم 04 عملات من الهند بأسماء بعض سلاطين دهلي





الوجه الاول: السلطان الاعضم قطب الدنيا والدين

الوجه الثاني: مباركشاة السلطان بن السلطان

المرجع: مرفت عبد الهادي عبد اللطيف: عملات من الهند بأسماء بعض سلاطين دهلي الخلجيين وعلاقتهم بالخلفاء العباسيين، مجلة اتحاد الجامعات العربية، مجلد 11، 2014، ص 55

الملحق رقم 05 عملات من الهند بأسماء بعض سلاطين دهلي



الوجه الاول: خليفة رب العالمين قطب الدنيا والدين

الوجه الثاني: مباركشاة- ابومظفر السلطان بن السلطان الواثق بالله

المرجع: مرفت عبد الهادي عبد اللطيف: عملات من الهند بأسماء بعض سلاطين دهلي الخلجيين وعلاقتهم بالخلفاء العباسيين، مجلة اتحاد الجامعات العربية، مجلد 11، 2014، ص 56

الملحق رقم 06 عملات من الهند بأسماء بعض سلاطين دهلي



الوجه الاول: السلطان الاعضم ناصر الدنيا والدين

الوجه الثاني: بالوسط: خسرو شاه

والهامش: السلطان ولي أمير المؤمنين

المرجع: مرفت عبد الهادي عبد اللطيف: عملات من الهند بأسماء بعض سلاطين دهلي الخلجيين وعلاقتهم بالخلفاء العباسيين، مجلة اتحاد الجامعات العربية، مجلد 11، 2014، ص 57

الفهارس

فهرس الأعلام والشخصيات

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(ي)

فهرس الأماكن

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

فهرس القبائل و الجماعات

(أ)

(ب)

(خ)

(د)

(ز)

(س)

قائمة البيبليوغرافيا

القرآن الكريم

المصادر

- ابن الأثير ابي الحسن الجزري: الكامل في التاريخ، القاهرة، المطبعة الأزهرية المصرية، (1301هـ/1884م)، ج12.
- ابن الزيات: الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبرى والصغرى، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1325هـ/1907م.
- ابن بطوطة محمد بن عبد الله: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار: تح/ عبد الهادي التازي، الرباط، 1997.
- ابن بطوطة محمد بن عبد الله: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار: تح/ عبد الهادي التازي، الرباط، 1997.
- ابن تيمية محمد: درء تعارض العقل والنقل، مجلد 3، دار النوادر، السعودية، 1991
- ابن خرداذيه ابو القاسم: المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 1989.
- ابن خلدون عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم، ج4، طبعة دار الأعلى، بيروت، 1391هـ/1971م.
- ابن خلكان: وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت، 1972، ج 5
- ابن دقماق ابراهيم بن محمد: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ط1، المطبعة الأميرية، بولاق 1309هـ/1891م، مج4، ج4.
- ابن كثير: البداية والنهاية، دار احياء التراث، مج7، ج14،
- ابن منظور جمال الدين: لسان العرب، ج3، ط1، دار صادر، بيروت، 1995.
- ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج4، دار الكتب، 1957.
- أبو الفداء عماد الدين اسماعيل: تقويم البلدان، دار صادر، بيروت.
- .: مختصر أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، (1325هـ/1907م)، ج3.

- أبو المحاسن ابن ثغر البردي: النجوم الزاهرة، ج7، دار الكتب، مصر، 1963.
- أبوحذيفة الدينوري: الأخبار الطوال، دار إحياء الكتب، القاهرة، 1960،
- الاصطخري أبو إسحاق: المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبد العال، دار القلم، القاهرة، 1961.
- البلاذرى جابر بن داوود: فتوح البلدان، القاهرة، مطبعة الموسوعات، (1319هـ/1901م,
- بن حوقل ابو القاسم محمد: صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة، (1399هـ/1979م.
- البيروني ابو الريحان: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1983.
- التقي الغزي: الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ج1، مطابع الأهرام، مصر، 1969.
- الجوزجاني منهاج الدين عثمان: طبقات ناصري، ج 1، تر ملكه علي التركي، المركز القومي للترجمة، مصر، 2012
- الجويني عطا ملك: تاريخ جهانكَشاى، ترجمة السباعي محمد السباعي، طبعة دار الزهراء للنشر، 1412هـ/1991م،
- الحموي ياقوت: معجم البلدان، ج3، ط1، تح/ فريد عبد العزيز الجندي.، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.
- الحنبلي ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق/ عبد القادر الأرناؤوط، بيروت، دار ابن كثير، (1407هـ/1986م)، ج7
- الذهبي شمس الدين: العبر في خبر من غبر، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ج3.
- السخاوي عثمان بن محمد: الضوء اللامع، دار الجيل، بيروت، 1992، مج3، ج5
- .: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط دار نشر الثقافة، القاهرة 1399هـ/1979م، 3ج، ج2،.
- السمعاني عبد الكريم ابن محمد: الأنساب، ج9، دائرة المعارف العثمانية، 1962

- شمس الدين ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية، لبنان، 2006
- شمس الدين الذهبي: دول الإسلام، ج2، دار صادر، 1999.
- الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق قمر سيد نحيلان، دار المعرفة، بيروت، 1962 مجلد 2.
- الطبري محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، ج 6، ج1، ط4 تح/ محمد أبو الفضل، دار المعارف، القاهرة، 1991.
- العسقلاني ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج4، ج5، حيدر آباد، الهند، دائرة المعارف العثمانية، ط2، 1972.
- .: إنباء الغمر بأنباء العمر، بيروت 1406هـ/1986م، مج1، ج2،.
- القرماني ابي العباس: أخبار الدول واثار الاول في التاريخ، م3،.
- القزويني ابو عبد الله بن زكريا: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت
- القشيري: الرسالة الشيرية، تحقيق د.عبد الحليم محمود، الطبعة الأولى، القاهرة، 1963م.
- القفطي علي بن يوسف: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005،
- القلقشندي أبو العباس: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1913م، ج5.
- القنوجي صديق بن حسن: أبجدية العلوم، ج 3، دار الكتب العلمية، دمشق، 1978.
- الكرديزي: زين الأخبار، تر عفاف السيد زيدان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006،
- الماوردي ابو الحسن: الأحكام السلطانية، دار ابن قتيبة، بيروت، 1989.
- المسعودي الحسين ابن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مج9، ج2، تح: يوسف أسعد داغر، طبعة القاهرة، 1885.
- المقديسي شمس الدين: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة بريل، ليدن، 1906.
- المقريزي تقي الدين: السلوك لمعرفة دول الملوك، تح محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 5، 1997

- .: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، 3ج، مطبعة مدبولي، القاهرة، 1998م ج2.
- النسوي محمد بن احمد: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى، نشر وتحقيق حافظ أحمد حمدي، طبعة دار الفكر العربي، 1953م.
- اليافعي علي بن سليمان: مرآة الجنان وعبرة البقظان، ج4، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413ه/1993م،
- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضع: تاريخ اليعقوبي، ج2، دار صادر، بيروت، 1960.
- اليميني (أحمد بن علي، ت 464ه/1173م): شرح المنيني، المسمى (بالفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي)، جمعية المعارف بمصر، 1386ه، ج2.

المراجع العربية والمترجمة:

- ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار افريقية وتونس، مطبعة تونس الدولية، تونس
- ابن العراقي الحسين: الذيل على العبر في خبر من غبر، تحقيق: صالح مهدي عباس، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1409ه/1989م، ج2
- ابو النصر محمد عبد العظيم: السلاجقة وتاريخهم السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث مصر، 2001،
- أبو سديره السيد طه: تاريخ الإسلام في شبه القارة الهندية من الفتح العربي إلى الغزو التيموري المغولي (93-814ه)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1430ه/2009م).
- أبو يوسف يعقوب: الخراج، دار المعرفة، بيروت، 1979.
- ابي بكر القضاعي: الحلة السيراء، دار المعارف، القاهرة، 1985
- أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ج2، مؤسسة المعارف، مصر، 1969.
- أحمد بن مصطفى: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985، ج 1
- أحمد حسن: امة تبعث، شركة التوزيع المصرية، مصر، 1953.

- أحمد رجب محمد علي: تاريخ وعمارة المزارات والأضرحة الأثرية الإسلامية في الهند، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1425هـ/2005م، ج2.
- ـــــــــــــــ: سلسلة الآثار في شرق العالم الإسلامي "تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند"، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1997، ج1.
- .: قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية في الهند، الدار المصرية البنانية، 2008.
- أحمد سعيد الدمرداش: البيروني، دار المعارف، القاهرة، 1970
- أحمد محمد حبيب: بين الهند والباكستان، مكتبة الأنجلو مصرية، 1950
- أدم متز: الحضارة الإسلامية، تر محمد عبد الهادي أبوريد، دار الكتاب العربي، لبنان، 1948، ط 5
- استانلي لين بول: طبقات سلاطين الإسلام، ترجمة مكي طاهر الكعبي، دار منشورات البصري، مصر، 1986.
- إسماعيل البغدادي: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، تصحيح: محمد شرف الدين، رفعت الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان (د.ت)، مج2.
- أشتور: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط، تر عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، دمشق، 1985.
- إقبال عباس: تاريخ إيران بعد الاسلام، ترجمة محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1989.
- ألكسندر سيتبتشفيتش: تاريخ الكتاب، تر محمد الأرناؤوط، عالم المعرفة، الكويت، 1993
- بارتولد فلاديميروفيتش: تركستان منذ الفتح العربي حتى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان، طبعة الكويت، 1401هـ/1981م.
- ـــــــــــــــ: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة احمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1996.
- باشا حسن: الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار العربية، دار النهضة، القاهرة، 1966، ج 2،
- ـــــــــــــــ.: الألقاب الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية 1957

- بدر الدين حي الصيني: العلاقات بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1950
- بسام العلي: المسلمون على تخوم الهند، الناشر، بيروت، 1994.
- البغدادي اسماعيل باشا: هدية العارفين، ج1، مؤسسة التاريخ العربي، اسطنبول، 1951
- البقلي محمد قنديل: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1983
- بناكتى ابو سليمان: روضة أولى الألباب في معرفة التواريخ والأنساب، ترجمة محمودعبد الكريم علي، المركز القومي للترجمة، مصر، 2008.
- توماس ارلوند: الدعوة الى الاسلام، تر حسن ابراهيم حسن، مكتبة النهضة، القاهرة، 1947
- جرجي زيدان: تاريخ التمدن الاسلامي، دار مكتبة الحياة، 1997، القاهرة، ج 3،
- جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية في باكستان، دار الصفوة للنشر، القاهرة، 1990.
- الجهي مانع بن حماد: الموسوعة الميسرة للمذاهب والأديان، ج2، دار الندوة العالمية، الرياض، 2010.
- الجوارنة احمد: الهند في ظل السيادة الاسلامية، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، الاردن، 2006
- جورج حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوئل القرون الوسطى، تر يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1958
- جون هاملتون: تاريخ العالم، تر الهيئة المصرية للترجمة، مكتبة النهضة، مصر، ج 5
- الجوهري: يسرى عبد الرزاق وأخرون: جغرافيا العالم الاسلامي، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، مصر، 2001.
- الجويني أبو المعالي: غياث الامم في التياث الظلم، دار الدعوة، الاسكندرية، مصر، 1979م
- حاجي خليفة: كشف الظنون، 2مج، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت)، مج2.
- حافظ أحمد حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، مصر، 1949.
- الحامدي خالد: تاريخ علوم الحديث النبوي في الهند، مجلة ثقافة الهند، مج 47، العدد1، 1996

- الحجي حياة ناصر: العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الإسبانية، الطبعة الأولى، مؤسسة الصباح، الكويت، 1980
- حسن إبراهيم: انتشار الإسلام في الهند، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1984.
- الحسن ابن الحسين ابن الطولوني: النزهة السنية في اخبار الخلفاء والملوك المصرية، عالم الكتب، بيروت، 1977.
- الحسن الصغاني: العباب الزاخر واللباب الفاخر، منشورات المجمع العراقي، بغداد، 1978.
- الحسن بن عبد الله: آثار الأُول في ترتيب الدول، مطبعة بولاق، القاهرة، 1878
- حسن صالح شهاب: فن الملاحة عند العرب، دار العودة، القاهرة، 1982.
- حسن علي إبراهيم: التاريخ الإسلامي العام (الجاهلية–الدولة العربية–الدولة العباسية)، القاهرة، مكتبة النهضة العربية، (1392هـ/1972م).
- حسين محمد كمال: انتشار الاسلام وأشهر مساجد المسلمين في العالم، دار الفكر، القاهرة، 1976.
- حقي إحسان: باكستان ماضيها وحاضرها، دار النفائس للنشر، بيروت، 1973.
- ـــــــــــ: مأساة كشمير المسلمة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، (1390هـ/1970م).
- الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الاقطار، مكتبة لبنان، 1975
- حياة ناصر الحجي: العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الإسبانية، الطبعة الأولى، مؤسسة الصباح، الكويت، 1980
- خادم حسين بخش: اثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع الاسلامي بشبه القارة الهندية، دار حراء، السعودية، 1988.
- الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ط2، ج2، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1403هـ/1983م.
- خصباك شاكر: ابن بطوطة ورحلته، دار الآداب، بيروت 1970.
- الخطيب مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، 1416هـ/1996م.
- الدمشقي عبد القادر: الدارس في تاريخ المدارس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ/1990م، ج1.

- الديار بكري: تاريخ الخميس في احوال انفس النفيس، ج2، دار صادر، بيروت، 2010.
- ديري. ن. ماكلين: الدين و المجتمع في عرب السند، ليدن، 1989.
- رستم احمد:الحضارة الاسلامية في الهند، دار السويدي للنشر، الامارات، 1985،
- زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار المعارف 1945م
- الساداتي أحمد محمود: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهند وباكستانية وحضارتهم، مكتبة الاداب، مصر، 1957.
- ـــــــــــــــــ: محاضرات في التاريخ الإسلامي، ج1، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، 1974.
- السبكي علي بن عبد الكافي: طبقات الشافعية الكبرى، دار احياء الكتب، مصر، 1964، ج3.
- سرور جمال الدين: الحضارة الاسلامية في الشرق، دار الفكر للطباعة والنشر، مصر، 1965.
- ـــــــــــــــــ: دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر، القاهرة، 1947
- السنيدي عبد العزيز بن راشد: المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية، ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الاسلامية 1462هـ، جامعة القصيم.
- السيد محمد يوسف: البضائع الهندية وأسمائها المعربة، مجلة ثقافة الهند، المجلد 5، العدد 4، 1955.
- سيروسلي هايج: الهند وإمبراطوريتها الاسلامية، ج 5
- السيوطي جلال الدين: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1، دار عيسى بابي الحلبي، 1964
- السيوطي جلال الدين: تاريخ الخلفاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1970،
- ـــــــــــــــــ: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، دار احياء الكتب العربية بيروت، 1967، ج1
- شاكر محمود: التاريخ الإسلامي "العهد المملوكي"، القاهرة، المكتب الإسلامي، ج 7، مصر، 2000.

- الشامي أحمد: الحضارة الاسلامية وانتشارها وتأثيرها في الحضارة الاوربية، النهضة العربية، مصر، 1997،
- الشرقاوي محمد عبد المنعم: ملامح الهند والباكستان، دار المعارف، مصر، 1952
- الشرقاوي محمود: رحلة إبن بطوطة من طنجة إلى الصين والأندلس وأفريقيا، مكتبة أنجلو المصرية، 1986.
- شلبي أحمد: مقارنة الأديان "الإسلام"، ط8، مكتبة النهضة، القاهرة، 1989.
- شوقي عبد القوي عثمان: تجار المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية، عالم المعرفة، الكويت، 1990.
- الشوكاني محمد بن علي: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، 1348هـ، ج2.
- شيخه مصطفى عبد الله: الآثار الإسلامية في مصر "من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوني"، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، (1413هـ/1992م).
- الصابوني محمد علي: التبيان في علوم القرآن، دار عمر بن الخطاب، الإسكندرية 1390هـ/1971م.
- الصرفي رزق الله: تاريخ دول الإسلام، القاهرة، مطبعة الهلال، (1325هـ/1907م)، ج2.
- الطرازي عبد الله مبشر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب، جدة، عالم المعرفة، (1403هـ/1983م)، مجلدان، ج1.
- طرخان إبراهيم علي: النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1965،
- طه الهاشمي: تاريخ الاديان وفلسفتها، دار الحياة بيروت، 1963.
- الظاهري خليل بن شاهين: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح: بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، 1894م.
- عاشور سعيد: العصر المملوكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2، 1986
- عبد الحميد بخيت: عصر الخلفاء الراشدين التاريخي والسياسي والحضاري، دار المعارف، ط 2، 1965

- عبد الله الأمين: دراسات في الفرق والمذاهب القيمة المعاصرة، دار الحقيقة، بيروت 1406هـ/1986م.
- عبد الله محمد جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان أو السند والبنجاب إلى آخر فترة الحكم العربي، دار الصحوة، 1991، مصر.
- العبد محمد عبد المجيد: الإسلام والدولة الإسلامية في الهند، القاهرة، مطبعة الرغائب، (1358هـ/1939م).
- عبده قاسم: شخصيات تاريخية، دار عين، 2014
- عجاج محمد: لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، القاهرة، مؤسسة الرسالة، ط19، 1422هـ/2001م.
- العربي إسماعيل: الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، القاهرة، الدار العربية للكتاب، 1988.
- عماد الدين الأصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق، الطبعة الثانية، بيروت، 1400هـ/1980م
- العمري احمد ابن يحي: التعريف بالمصطلح الشريف، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988
- غزالي نصارى فهمي محمد: الإمارات العربية المستقلة في شبه القارة الهندية، المنيا، مطبعة الأمانة.
- غوستان لوبون: حضارات الهند، ترجمة عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة، 2009.
- فرحات كرم حلمي: تاريخ الحضارة الإسلامية، طبعة القاهرة، 2011.
- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: بلاد الهند في العهد الإسلامي "منذ فجر الإسلام حتى الغزو الإنجليزي"، القاهرة، دار الفكر العربي، (1417هـ/1996م).
- ـــــــــــــــــــ: تاريخ الاسلام وحضارته، دار الفكر العربي، مصر، 1995
- ـــــــــــــــــــ: المشرق الإسلامي بعد العباسيين (656هـ-1343هـ)، القاهرة، شركة سفير، (1417هـ/1996م).
- ـــــــــــــــــــ: الدولة الإسلامية المستقلة في الشرق، القاهرة، دار الفكر العربي، (1408هـ/1987م).
- فكري أحمد: مساجد القاهرة ومدارسها، القاهرة 1969، ج2.
- القاضي رشيد: الذخائر و التحف، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، 1959

- القرشي ابن أبي الوفاء: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، دار هجر، 1993، ج4.
- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة: غريب محمود وحسن محمود إسماعيل، القاهرة 1995م، ق6
- كليفورد أ. بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة حسين علي اللبودي، الطبعة الثانية، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، 1995م.
- كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، مؤسسة الرسالة، 1985
- لانجر وليام: موسوعة تاريخ العالم، ترجمة محمد مصطفى زياده، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، مصر، الجزء الثالث، 1959.
- لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجان نويهض، م1، ج4، دار الفكر، 1971.
- ماركوبولو: الرحلة المعروفة برحلات ماركوبولو، ترجمة عبد العزيز جاويد، الطبعة الثانية، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1994م، ج1.
- مانوراما موداك: الهند شعبها وارضها، تر، محمد عبد الفتاح ابراهيم، مكتبة النهضة المصرية، 1964
- المباركبوري ابو المعالي: رجال السند والهند، ج 1، المطبعة الحجازية، 1958
- ـــــــــــــــــــ: الهند في عهد العباسيين، القاهرة، دار الأنصار، 1980.
- محفوظ حازم محمد: ازدهار الإسلام في شبه القارة الهندية، الدار الثقافية للنشر، 2004، مصر.
- محمد اسحق: إسهامات باكستان والهند في علم الحديث، ترجمة: حسين الرزاقي، ط1، دار ثقافة إسلامي، لاهور، 1398هـ/1977م.
- محمد السرياني: الوجيز في جغرافية العالم الإسلامي، ص17-173. المنجد في اللغة والإعلام.
- محمد جمال دين سرور: دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر، (القاهرة-1947)
- محمد حازم: ازدهار الإسلام في شبه القارة الهندية، الدار الثقافية، القاهرة، 2004.
- محمد حبيب أحمد: بين الهند وباكستان، الدار المصرية، القاهرة، 1995
- محمد يونس: الدولة التغلقية في الهند، دار الكتب، القاهرة، 2001

- محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ج3، مؤسسة الانتشار العربي، ط 3، 2000
- محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، مكتبة الاداب، القاهرة 1381هـ/1962م.
- محمود محمود عرفه: النظم السياسية والاجتماعية بالهند في عهد بني تغلق، القاهرة، دار الثقافة العربية، (1416هـ/1995م).
- محي الدين ابن عبد الظاهر: تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1890،
- مراد سعيد: المدخل في تاريخ الأديان، عين للدراسات، القاهرة، 2000.
- مرزوق محمد عبد العزيز: بين الاثار الاسلامية في العالم، مطابع رمسيس، الاسكندرية، 1953،
- مرسي محمد أبو الليل: الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها، مؤسسة سجل العرب، مصر، 1965
- المقريزي تقي الدين: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج2
- منير الشربيني: خير أمة أخرجت للناس، دار الشعب، القاهرة، 1979.
- المهيري سعيد عبدالله: العلاقات الخارجية للدولة الاسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1995
- مؤنس حسين: ابن بطوطة و رحلاته، دار المعارف، مصر، 2003.
- .: المساجد، عالم المعرفة، الكويت، 1981.
- الميداني عبد الرحمن حنبكة: الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، دار القلم، دمشق، 1418هـ/1998م.
- ميرخواند: روضة الصفا في سيرة الانبياء والملوك والخلفاء، ترجمة عبد القادر الشاذلي، الدار المصرية للكتاب، مصر، 1988
- ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات: تاريخ الدول والملوك، المجلد السابع، تحقيق قسطنطين رزيق، المطبعة الأمريكية، بيروت، 1936
- النجرامي محمد يوسف: العلاقات السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية، مكتبة الملك فهد، 1979
- النخيلي درويش: السفن الإسلامية على حروف المعجم، مطابع الأهرام، القاهرة، 1975.
- الندوي اسماعيل: تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، دار الفتح للطباعة، 1996.

- الندوي الحسن: الهند في العهد الإسلامي، دار المعارف العثمانية، 1972.
- ـــــــــــــ: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، القاهرة، 2004.
- الندوي السيد أبي ظفر: أسطول الكجرات، دار المعرفة، القاهرة، 1965.
- الندوي عبد الحي الحسني: الثقافة الإسلامية في الهند "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1983.
- ـــــــــــــــــ: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر "الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام"، حيدر آباد– الدكن، الهند، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثانية، (1382هـ/1962م)، ج1.
- الندوي مسعود: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، دار العربية، بيروت، 1951.
- نصر مهنا عبد الله محمد: الفتوحات الإسلامية والعلاقات السياسية في آسيا، المعارف، مصر، 1990،
- نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973.
- النمر عبد المنعم: تاريخ الإسلام في الهند، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1404هـ/1981م.
- هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، تر محمد رضا محمد، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1985 ج2.
- الهروي نظام الدين أحمد بخشى: طبقات أكبرى "المسلمون في الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني"، ترجمه أحمد عبد القادر الشاذلي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1416هـ/1995م)، ج1.
- هنري بيرين: تاريخ أوربا في العصور الوسطى، تر عطية القوصي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996.
- وليام ديورانت: قصة الحضارة، تر محمد بدر، مج2، ج3.
- وليم موير: تاريخ دولة المماليك، ترجمة علي حسن، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995.
- اليافعي علي بن سليمان: مرآة الجنان وعبرة البقظان في معرفة حوادث الزمان، بيروت، دار الكتب العلمية، (1418هـ/1997م)، ج1.

- يونس السيد محمد: الدولة التغلقية في الهند، القاهرة، دار الكتب المصرية، (1422هـ/2001م).

المجلات والدوريات والرسائل الجامعية

- الالوائي محي الدين: الفقه الهندوسي الأكبر، مجلة ثقافة الهند، ع 20، 1990.
- التميمي فدوى: ابن بطوطة في الهند، سلسلة رحلات وغرائب، الاسكندرية، جامعة الاسكندرية،
- حسن ابراهيم حسن: انتشار الاسلام بالهند، مجلة كلية الاداب القاهرة، 1944
- حسن ابراهيم حسن: انتشار الاسلام في الهند، مجلة كلية الاداب، جامعة القاهرة، مج 7، 1944
- خادم حسين: أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية، مذكرة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1405هـ.
- خان رشيد الدين: حضارة الهند المركبة مفهومها وطبيعتها، مجلة ثقافة الهند، مج 57، العدد1، 1996.
- دائرة المعارف الاسلامية، تعريب ابراهيم خورشيد وأخرون، مج 2، العدد 6، 1936.
- دائرة المعارف الاسلامية، مج 8،
- الديوبندي سيد محبوب الرضوي: المدارس في الهند، ترجمة وتعليق/ محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري/ ديوبند، الهند، مجلة الداعي الشهرية عن دار العلوم، 1433هـ/2012م، العدد8.
- رستم عادل: مظاهر الحضارة الاسلامية في الدولة السامانية، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة القاهرة، 1978،
- الزكي عبد العزيز: الفكر الهندي من الهندوكية إِلى الإِسلام، عالم الفكر، المجلد السادس، العدد الثاني، الكويت 1975م.

- السيد جمال الدين: صناعة العمارة الهندية–الإسلامية "هدفها وأسلوبها وجمالها"، تر فاطمة الزهراء، دلهى، مجلة ثقافة الهند، 2004م، المجلد55، العدد3.
- شودري محمد كبير أحمد: فرق الهند المنتسبة للإسلام، مذكرة ماجستير، جامعة أم القرى، 1999.
- عبد الغني شيبة مصطفى: موقف الاسلام من الرق، منشورات المعهد العالي بسبها، ليبيا
- العكيدي عبد الرحمان: الامارة التغلقية في الهند، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والحضارة، معهد التاريخ العربي، بغداد، 2012.
- الفقي عصام الدين: حركة الترجمة وأثرها على الحضارة الإسلامية، الموسوعة الثقافية والتاريخية والأثرية والحضارية، دار الفكر العربي، القاهرة، العدد23، 2008.
- كامل محمد سيد: الجيش الهندي في عصر الدولة الخلجية، المؤرخ المصري، كلية الاداب، جامعة القاهرة، العدد38، 2011
- لقبايلي محمد توفيق: التطور السياسي لدولة الغور الإسلامية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 1986.
- متولي عماد الدين أحمد محمود: الحضارة الإسلامية في شبه القارة الهندية، رسالة ماجستير، قسم الحضارات، جامعة الزقازيق.
- مجلة الرباط، الصادرة من الرباط في سبتمبر 1962م، العدد الخامس.
- محمد نصر عبد الرحمان: الجيش وتنظيماته في الهند في عصر بني تغلق، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، عين شمس مجلد 33، 2016، مصر,
- مرسي نعمة: التغيرات المالية في بلاد الهند، المؤرخ المصري، كلية الاداب، جامعة القاهرة، العدد24، 2001
- معمر جعيرن: الامارة الغورية في المشرق، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2012

- مرسي نعمة: حلقة وصل بين الشرق والغرب، ندوة عقدها إتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، 2000
- المساجد "العمارة والتاريخ والرسالة"، إعداد مجلة الفيصل، 1398هـ/أغسطس 1978م، العدد الخامس عشر.
- المنجد في اللغة الإعلام، دار المشرق، بيروت، ط 35، 1973م.
- الموسوعة المسيرة في الأديان، الرياض، الطبعة الثانية، 1409هـ/1989م.
- الندوي صاحب عالم الأعظمى: علاقة الصوفية الجشتية والسهرودية مع سلاطين دهلى، نيو دلهي، مجلة ثقافة الهند، 2013م، المجلد 64، العدد2.
- الهندي محمد يوسف: بدء العلاقات العلمية بين الهند والعرب، مجلة كلية الأداب، القاهرة، مج 12، ج1،
- ورود نورى حسين الموسوي: السلطانة راضية ابنة ألتمش، مجلة كلية التربية جامعة القادسية، الكويت، مجلد 15، العدد 4، 2015
- يوسف حسين خان: نظام التعليم في الهند خلال العصور الوسطى، مجلة ثقافة الهند، دلهي، ابريل سنة 1961م، مجلد 2، عدد 2
- يوسف زيدان: الرحلة السفارية، ابن بطوطة وخير الدين التونسي أنموذجا، موقع يوسف زيدان للتراث والمخطوطات، 22ماي 2017، الساعة 23:15 .http://www.ziedan.com/research/18.asp

المراجع الأجنبية

- A.L.Basham: The Winder that was India, London’1962
- A.Smith:The Oxford History of India,1919.
- Agha Mahdi Husayn: The Tughluq Dynasty , Karachi,1963.

- Allan: The Cambridge shorter History of India,1964.
- Aziz ahmad: An Intellectual history of Islam in India,1969.
- Edward Washburn Hopkins: The religions of India, I Volume, London, 2004.
- ELLIOT AND DOWSON: the History of India as told by ets own Historains,(Mohammed Period) ,8.vols,london, 1867-1877,vol.II.
- Elliot henry ; the history of India ,london,1867.
- Frazer. R.W: Aliterary History of India. London.1915.
- H.G. Rawlinson: India, A short cultural history.1952
- Habibullah: the foundation of Muslim Rule in India ,2nd rev.ed, lahore 1961.
- HOLLISTER: the shia of India , london.1979
- Hopkins: The religions of India, london.1896
- Ishwari Prasad: A short History of Muslim Rule in India.2016
- Ishwari Prasad M,A,:Ashort history of Muslim Rule in India , The Indian Press, Ltd ,Allahabad,1933
- J. D. Cunningham: History of the Sikhs, 2nd Ed, 1953,.
- J.A.PAGE: Guide to the Qutb Delhi, Delhi , India, 1927.
- J.L.Nehru: Discovery of India (London-1956.
- K Munshi: The struggle for Empire, Bombay ,1966
- K. Ali: A new history of India,1977

- Khalif Ahmed Nizami: Religion and Politics in India During the Thirteen the Century2002,.
- Khushwant Singh: A history of the Sikhs, 2 Vo, NY 1963-1966, II.
- M. A. Macauliffe: The Sikh religion, 6 Vol, 1909, Vol 3.
- Major richard Henry:India in the fifteen century, Cambridge University Press,2010.
- Peter Jackson: the Debli Sultanate, Cambridge , 1999.
- Qureshi: The Administration of the Siltanat of Delhi, Lahore,1942.
- RAJGOR (Dilip): Sultanate coins of India, Bombay, 1990.
- Rani (Abha): Tughluq Architecture of Delhi, New Delhi, 1991.
- Rapson, Edward:The Cambridge History of India,1922
- Rawlinson: A short Culural History of India New York ,1943.
- Sachchidananda Bhattacharya: Dictionary of Indian History.1967
- Sher Singh: Philosophy of Sikhism. 1987 , Punjabi University.
- Stanley Lanc-Poole: the story of the nation "Medieval India under Mohammedan Rule712-1764, New York, 1903.
- Stanley Wolpert: A new history of India2008,.
- Stephen p. Blake: Shahjahanabad The soverign city in Mughal India, 1639-1739, New Delhi, 1993
- W. H. Moreland: The Agrarian System of the Moslem India,1929.
- W. H. Ncloed: Guru NANAK and the Sikh religion, 1968.

فهرس الموضوعات